

حرف الميم

١٧٤ - مبارك أبو النور بن العالم العلم أبو التوفيق سالم الشيزمي المكناسي
الدار والوفاة.

حاله: حسن السميت، كثير الصمت، من القوم الذين إذا رُؤوا ذكر الله. وإذا قاموا أو قعدوا فبالله، شمس القراء وبدرهم، وعليه في وقته يدور أمرهم، فريد عصره، ومصباح زمانه ومصره، فقيه جليل، ماجد نبيل، مربى الأطفال. وملحق الولدان بالرجال، ذو المآثر الفاخرة، والعلوم الزاخرة.

إمام المتقين، مجود مرتل، عالم بمخارج الحروف وكيفية الأداء، عارف بصناعة التربية الأدبية، بارع في الأمور، مؤثر خموله على الظهور، جميع المكارم إليه تنسب، ومن حاول عناده رام العطب، محب في رسول الله، متوكل في تصاريفه على الله، عكوف على عبادة ربه، مكب على تعليم كتاب الله تعالى آناء ليله وأطراف نهاره، حباه مولاه نوالا وتفضل عليه إكراما وإفضالا.

وكانت له كرامات ظاهرة، وهمة عالية، ونفس زاكية، قلما تجد عالما أو متعلما في وقته بالحضرة المكناسية إلا قرأ عليه أو قرأ على من قرأ عليه.

مشيخته: أخذ عن سيدى على بن الجزار، والسيد المهدي بن السيد الحاج أحمد بن موسى المتوفى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، كلاهما عن أبي العلاء إدريس المنجرة الشريف الحسنى.

الآخذون عنه: أخذ عنه جماعة وافرة من القراء والعلماء والأعيان، منهم:

١٧٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع في الموسوعة ٢٤١٣/٧.

السيد محمد فتحا بن محمد بصرى المكناسى صاحب الثبت المعنون بإتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد. بما يهتمهم من فضل العلم وآدابه والتلقين وطرق الإسناد.

وفاته: توفى فى خامس جمادى الأخيرة عام اثنين وتسعين ومائة وألف، ودفن بالزاوية الناصرية من الحضرة المكناسية، وحضر جنازته العلماء والوزراء فمن دونهم، عد مشيعوه بآلاف رحمه الله ونفعنا ببركاته آمين.

١٧٥ - مبارك بن عبد الله بن محمد السجلماسى أصلاً، الفيضى منشأ المكناسى داراً ووفاة.

حاله: فقيه علامة مشارك، ورع صالح ناسك، فاضل أستاذ خير، دين عدل رضى، مبرز، تولى خطة العدالة بمكناس مدة مديدة، وقفت على عدة رسوم بشهادته بتواريخ متعددة، من ذلك رسم بتاريخ سابع عشر رمضان عام أربعة وأربعين ومائتين وألف، وتصدر للتدريس ونفع العباد، فنفذ الله به أقواماً، وتخرج عليه جميع محققى علماء مكناس، وكان شيخ الجماعة بها ورحل إلى المشرق وحج.

حدث عنه تلميذه العلامة السيد فضول بن عزوز أنه كان يدرس المرشد المعين فلما وصل لقوله «وقول لا إله إلا الله» اعترض قول شارحه: معنى لا إله إلا الله لا مستغنى عن كل ما سواه قائلاً: صوابه أن يقول لا مستغنياً بالتنوين لأنه مطول لقول الخلاصة: فانصب بها مضافاً أو مضارعه.

فأجابه تلميذه المذكور بقوله: بنى على الفتح ليكون نصاً فى العموم لقول صاحب جمع الجوامع: النكرة فى سياق النفى تعم نصاً إن بنيت وظاهراً إن لم تبين، فأجابه الشيخ بقوله: إن كنت راكباً بغلة مسرعة السير فنحن لا

نتبعك، فقال التلميذ المحدث وهل تتبع النبي ﷺ؟ فقال الشيخ: نعم، فما لنا إلا اتباع أحمد، قال: هو الذى قال: لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت، فغضب الشيخ ظانا أن التلميذ يعرض به، وتخلف عن الدرس ثلاثة أيام، وفى اليوم الرابع جاء متأبطا عدة أسفار وضعها أمامه كادت تكون ساترا بينه وبين أهل درسه، وصار يسمى للحاضرين كل كتاب باسمه، ثم قال: قد راجعت المسألة فوجدت الصواب مع هذا الطالب، ووجدت آية تعضده وهى قوله تعالى: ﴿... لا غالب لكم اليوم من الناس...﴾ [الأنفال]، فقال التلميذ: الحمد لله قاصداً الحمد على الموافقة، فظن الشيخ التعنت والظهور عليه، فغضب أيضاً وقام من مجلسه.

قلت: هذه الحكاية كسراب بقية، وعند تحرير المناط فيها وإمعان النظر يظهر جليا أنه إنما وقع فيها حال المذاكرة الاشتباه والالتباس، فإن الشيخ بنى بحثه على المعول عليه فى المسألة وهو مذهب البصريين الذى اعتمده المحققون كابن مالك وغيره، وخالفهم البغداديون وخلافهم ضعيف كما يأتى.

والتلميذ المجيب لو حقق المناط لكان جوابه بأن ذلك يخرج على هذا القول الضعيف فيبين ذلك عن شيخه أنه نهج فى بحثه نهج الطريقة المثلى، التى عليها يتعين البناء فى كل ما يتلى، وعن نفسه بأن له اطلاعا واستحضارا أدرك بهما تخفيف ذلك البحث بعد تمكنه بتخريج المبحوث فيه على ذلك القول وإن ضعف.

وأما جوابه بكلام ابن السبكي فهو عين الاشتباه، أما أولا فإنه ليس فيه تنصيص على أن ما قاله موضوعه الشبيه بالمضاف الذى هو محل البحث، وإنما تكلم على ما تفيده النكرة فى سياق النفى حين بنائها وعدمه، وهى والحالة هذه لا يتعين كونها من الشبيه بالمضاف بل يجوز أن تكون من المفرد كما يأتى، وكيف تقوم الحجة بمحتمل وبمشكوك فيه؟

وأما ثانيا: فابن السبكي مع كون كلامه فيما بيناه إنما أبان حكم ما بعد الوقوع، وبحث الشيخ فى أن ذلك لا يجوز الإقدام عليه على المعروف، وكأن

الشيخ لذلك أشار بقوله: إن كانت لك بغلة مسرعة إلخ، فكأنه يقول له: إنك أسرعت إلى مقام آخر فلذلك لا تتبعك، فقد فهم الشيخ من الجواب ما ذهل عنه المجيب.

وأما قول المجيب: هل تتبع مولانا رسول الله؟ فهو عين سوء الأدب لما فيه من المواجهة للشيخ بما فيه غض واضح لمقامه هذا لو أتى المجيب بعده بما يصلح للحجة، فكيف وهو إنما أتى بالحديث الذى يجوز أن يكون مرويا بالمعنى كما هو شأن كثير من رواته مع كثرة من دخل فيهم من الأعجميين والمولدين، ولهذا كان التحقيق عدم الاحتجاج بالأحاديث على القواعد العربية إلا حديثا لم يختلف لفظه عند رواته، ثم لو فرضنا أن الحديث هنا متفق على لفظه لم تقم به حجة أيضا، فقد قال فى المغنى فى أمثلة الجهة الثانية من الجهات التى تدخل على العرب الخطأ منها وهى جهة مراعاته معنى صحيحا وغفلته عن النظر فى صحة صناعته: الثالث تعليق جماعة الظروف من قوله تعالى: ﴿... لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...﴾ [٤٣] [سورة هود ٤٣]، ﴿... لا تَتَرَبَّصَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ...﴾ [٩٢] [سورة يوسف ٩٢] ومن قوله عليه الصلاة والسلام: لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت، باسم لا، وذلك باطل عند البصريين لأن اسم لا حيثئذ مطول فيجب نصبه وتوينه، وإنما التعليق فى ذلك بمحذوف إلا عند البغداديين هـ.

وقال الشيخ يس: قال الدنوشرى: حمل الحديث على أنه من المطول غير متعين لجواز كونه مفردا، واللام متعلقة بالخبر، والتقدير لا مانع لما أعطيت وكذا فيما بعده هـ.

ونحوه للرضى وغيره، فاتضح بهذا كله أن الأمر فى أجوبة التلميذ كما قلنا من أنه ما قام فيها بتحرير المناط، ولا بأدب البساط، وليس العجب من صدور ذلك منه حالة الطيش ومبادئ الطلب، وإنما العجب من جموده على ذلك وتبجحه

به بعد بلوغ الأشد وكمال الطلب، وبلوغه الغاية في ظنه من ذلك الأرب. ولكن لا عجب إذا عد ذلك عقوبة عجلت، فقد قالوا: من رام شيئا قبل إبانة عوقب بحرمانه.

مشيخته: أخذ عن جماعة أعلام بلده سجلماسة العلم والقراءات وعن قاضى مكناسة مولاي أحمد بن عبد المالك العلوى وأجازه عامة، ومولاي أحمد هذا أخذ عن سيدى أحمد بن عبد العزيز الهلالى المتوفى ليلة الثلاثاء قبيل الفجر بنحو ساعتين الحادى والعشرين من ربيع الأول عام خمسة وسبعين ومائة وألف، كذا بخط تلميذه السيد محمد بن صالح الفيلى ثم الرودانى ومن خطه نقلت هـ. حسبما وقفت على ذلك أى أخذ المترجم عن الهلالى بواسطة بخط ولد المترجم الفقيه السيد أحمد المترجم فيما مر على أول ورقة من فهرسة الهلالى المذكور قائلا كذا ذكره والدى فى فهرسة أخرى غير هذه هـ.

وأخذ عن الشيخ أبى حفص عمر بن المكى الشرقاوى الصلاة الأمية.

الآخذون عنه: منهم السيد فضول السوسى، والسيد فضول بن عزوز، وابن الجيلانى^(١) السقاط، والمختار الأجرأوى، ومحمد بن المجذوب بن عزوز، وفخر الرباط، وشيخ الجماعة به أبو إسحاق السيد إبراهيم التادلى فى خلق، ولم أحفظ وفاته غير أننى أدركت من أدركه ممن هو الآن حى يرزق.

١٧٦ - محمد فتحا السلطان أبو البشائر بن أبى الأملاك والاسلاطين المولى

الشرىف بن على الحسنى الينبوعى السجلماسى.

حاله: قال اليفرنى فى النزهة: كان شجاعا مقداما لا يبالى بنفسه ولا يجول فى خاطره خوف من أحد من أبناء جنسه. قال: وكان قويا أيدا لا يقاوم فى المصارعة، وحكى أنه فى بعض حصاره لتابو عصامت جعل يده فى بعض ثقب القصر وصعد عليها ما لا يحصى من الناس كأنها خشبة منصوبة، أو لبنة مضروبة.

(١) فى الموسوعة ص ٢٧٦١: «الجيلالى».

وقال الضعيف: كان أقوى الناس نجدة وشهامة، وشجاعة وإقداماً وزعامة.

وقال في حقه والده: الأسد الأخدع ووصفه أهل الدلاء في بعض رسائلهم بما لفظه: هو الأجل الذي لا تتوذه هموم الليالي، ولا حرارة قيض المصيف الأشهب على قنة كل عقبة، لا يقلعه المال دون حسم الرقبة، وربما عرتنا غفلة فيشن الغارة الشعواء على شعاب شعوب ملوية، وينشر جيوشه على رباط تازا بالرايات والألوية.

وحلاه صاحب الجزائر عثمان باشا فيما كتب له به بقوله: الشريف الجليل القدر، الصادق اللهجة والصدر، من رتق الله به فتوق وطنه، وحمى به من أحزاب الأباطيل أنجاد أرضه وأغوار عطنه.

ووصفه صاحب الدرر البهية والجواهر النبوية: بالعلم والعمل وعلو الهمة، ونفوذ العزيمة، والتوقيعات العجيبة، والمراسلات الغريبة.

وقال الكنت دو كاسترى المؤرخ الفرنسى الشهير فى المجلد الثانى من كتابه أصول تاريخ المغرب نقلا عن الأسير مويت الفرنسى: وكان - يعنى صاحب الترجمة - إماما عادلا يتصرف فى مملكته بحكمة وتدبير هـ.

وقال فى النزهة: كان سخيا جواداً حتى إنه أعطى الأديب الشهير المتقدم فى صناعة الشعر الملحون أبا عثمان سعيد التلمسانى نحواً من خمسة وعشرين رطلاً من خالص الذهب جائزة له على بعض أمداحه فيه وحكاياته فيها بالمعنى شهيرة هـ.

بويع له بسجلماسة بعد تشريد أصحاب أبى الحسن على المدعو بو دميعة بن محمد من ذرية أبى العباس أحمد بن موسى السملالى الشهير سنة خمسين وألف.

قال فى النزهة: وافق على بيعته أهل الحل والعقد يومئذ بسجلماسة، ولما تمت له البيعة شمر لمضايقة أبى الحسن بدرعة إذ كانت تحت ولايته فوقعت بينهما

حروب يشيب لها الرضيع انجلت بانهزام أبى الحسن وفراره واستيلاء المترجم على درعة.

وفى ضحى يوم السبت ثانى عشر ربيع النبوى سنة ست وخمسين وألف وقعت بينه وبين محمد الحاج الدلائى وقعة الكارة الشهيرة أسفرت حروبها الطاحنة عن انهزام صاحب الترجمة واستيلاء الدلائى على سجلماسة شر استيلاء، وفعل فيها أصحابه شرار البرابر من أنواع الشدة والقساوة كل شنيع، وكان ذلك من جملة ما بذر من الأحقاد والضغائن التى حملت الرشيد أخ المترجم على استعمال الشدة مع أهل الزاوية الدلائية حسبما مر بك.

ثم بعد ذلك انبرم الصلح بين الدلائى والمترجم على أن ما يتصل بالصحراء إلى جبل بنى عياش يكون للمترجم، وما دون ذلك إلى ناحية الغرب للدلائى، ثم استثنى أهل الدلاء خمسة مواضع أخر كانت فى ولاية المترجم أضافوها لولايتهم، وشرطوا على المترجم أن لا يحرك لهم ساكنا فيها.

وبعد ذلك رجع أهل الدلاء فى جموعهم، ثم اطلع المترجم على ما أوجب الفتك ببعض الأماكن المستثناة فحكم السيف فيها.

ولما اتصل الخبر بأهل الدلاء كشروا عن أنيابهم^(١) وجمعوا جموعهم وساروا إلى سجلماسة مصممين على اجتثاث المترجم وشيعته، وكتبوا له متهددين عليه ورموه بالغدر، وقالوا: إنه ناكث، ومقسم حانث، وأغلظوا القول وبألغوا فى الفحش، فأجابهم برسالة يقول فى آخرها: وحتى الآن إن رغبتم فى الخير فهو مطلبى. ومغناطيس طبى وإن عشقتم الغير فجوابى لكم قول المتنبى:

ولا كتب إلا المشرفية والقنا ولا رسل إلا الخميس العرمم

(١) فى المطبوع: «نيابهم».

ولما انتشر صيت المترجم فى الآفاق، وتكاثفت جنوده استقدمه أهل فاس وغيرهم من أهل الغرب وواعدوه النصرة والإمداد بالعدة والعدد، إذ كانوا يتمرضون فى طاعة محمد الحاج الدلائى الذى استولى عليهم بعد الإمام أبى عبد الله محمد العياشى المذكور آنفا، فلبى دعوتهم وسار إليهم مسرعا.

ولما بلغ بلاد الحياينة خرج أهل فاس لاستقباله وساروا إلى أن لحقوا به وأتوا به إلى فاس العليا منسلخ جمادى الثانية عام تسعة وخمسين وألف، فألقى القبض على خليفة الدلائى بها إذ ذاك وهو أبو بكر التاملى السوسى وأودعه السجن، وذلك ليلة الجمعة مهل رجب السنة.

وفى سابع رجب المذكور بايعه أهل البلدين المدينة البيضاء وفاس القديم، ولم يزل مقيما بها إلى أن وقعت بينه وبين أهل الدلاء المقتلة العظيمة على ظهر الرمكة بظاهر فاس يوم الثلاثاء عاشر شعبان سنة تسع وخمسين وألف، انكشف سحاب تلك الملحمة عن هزيمة المترجم فدخل لفاس وبقي مدة يدبر الأمور. ويتنظر ما يأتى به المساء والبكور.

ولما طال عليه الأمد بفاس الجديد وضعف جيشه وثار عليه أهل فاس أواخر شعبان سنة ستين وألف، انقلب راجعا لوطنه سجلماصة فى ثانى عشر رمضان العام، وكانت مدة إقامته بفاس أربعة عشر شهرا وأياما قلائل.

وفى الثالث والعشرين من ربيع الأول عام واحد وستين وألف قام أهل المغرب بدعوة محمد الحاج الدلائى وبايعه أهل فاس، وكتبوا له البيعة فى مهل ربيع الثانى من العام، وبسبب ذلك تم استيلاء الدلائيين على فاس وعادت لهم الدولة فيها بعد خروج صاحب الترجمة منها بستة أشهر، وولى محمد الحاج ولده أحمد أميراً على فاس، ولم يزل على إمرته بها إلى أن لقي ربه فى عشرين من

ربيع الأول سنة أربع وستين وألف، ثم خلفه أخوه محمد فى الإمرة ومات سنة سبعين وألف.

ثم إن المترجم ولى وجهه شطر تمهيد عمائر الصحراء وبلاد الشرق، فصار يتقصى تلك القرى والمداشر إلى أن بلغ آنكاد، فبايعه عرب الأحلاف وسار بهم إلى بنى يزناسن، وكانوا يومئذ فى إيالة الترك، فحاربهم واستولى لأعراب على ما كان بين أيديهم من الماشية، وسار إلى وجدة وكان أهلها إذ ذاك على حزين، حزب قائم بدعوة الأتراك، وحزب خارج عنها، فانضم الخارجون عن الأتراك للمترجم وشردوا شيعة الترك عن البلد، فصفت له وجدة.

ثم غزا أعمالها إلى أن دخل أهلها فى طاعته، ثم توجه ل ناحية ندرومة فشن الغارة على مضغرة وكديمة وما إلى ذلك ثم آب إلى وجدة، فأقام بها مدة، ثم توجه إلى تلمسان وأغار على سرحها وسرح القرى المجاورة لها، فبرز إليه أهلها بعسكر الترك الذى كان بالقصبة فأوقع بهم وقعة شنعاء ورجع إلى وجدة، وأقام بها إلى أن انصرم زمن الشتاء.

ثم نهض منها وسار على طريق الصحراء فأغار على الجعافرة وانتهب أموالهم، وهنالك قدم عليه شيخ حميان محمود من بنى يزيد فى قبيلته مبايعا، وقدمت عليه دخيسة كذلك وقدمت إليه بيعتها وأغرته على الأغواط وعين ماضى وما والى ذلك، فاستولى على تلك القرى ونهب أموالها وفرت أمامه عرب الحارث وسويد وحسين من بنى مالك بن زغبة، فنزلوا يجبل راشد متحصنين به.

فرجع عنهم واضطربت أحوال المغرب الأوسط وامتدت عيون أهله إلى الانقضاض على الأتراك وأخذ (باى) معسكر يخذل على نفسه وطيير الإعلام إلى صاحب الجزائر بما لحق رعاياهم من صاحب الترجمة، فأخرج صاحب الجزائر عساكره وهياً مدافعه واستعد للحرب والمقاومة، وقدم نائبه بالعساكر إلى تلمسان،

فلما سمع بذلك المترجم رجع إلى وجدة وفرق العرب الذين كانوا مجتمعين وواعدهم لفصل الربيع القابل، ثم قفل إلى سجلماسة بعد ما شب نيران الحرب فى الإيالة التركية ونسفها نسفا وضرب أولها بآخرها.

ولما وصل عسكر الترك إلى تلمسان واتصل بهم رجوع المترجم لتفيلالت سقط فى أيديهم، وقد أحسوا بانحراف قلوب الرعية عنهم حتى أهل تلمسان، وتيقنوا بأنهم قد شوركوا فى بلادهم وزوحموا فى سلطانهم، فرجعوا إلى الجزائر وأخبروا عثمان باشا بحال الرعية وما نالها، فجمع أهل ديوانه وأرباب مشورته وتفاوضوا فى أمر المترجم وكيفية التخلص من سطوته، فلم يروا أجدى لهم من أن يبعثوا إليه برسالة مع اثنين من أعيان الجزائر وعلمائها، واثنين من كبار الترك ورؤسائهم، لأنهم كانوا لا يتمكنون من حربه لو أرادوا ذلك لأنه يغير ويظفر، ويتنهب ثم يصحر، فلا يمكنهم التعلق بأذياله، ولا قطع فراسخه وأمياله.

فبعثوا إليه برسالة من إملاء الكاتب أبى الصون المحجوب الحضرى مع الوفد المشار إليه بتاريخ منتصف رجب عام أربعة وستين وألف، جمع فيها بين اللين والصرامة مضمناها طلب تجنب ساحة تلمسان، وأن لا يزاحمها بجموع رماة ولا فرسان، ليبقى بينه وبينهم الستر المديد على الدوام، ويلغى كلام الوشاة من الأنام.

وقد أورد هذه الرسالة الضعيف فى تاريخه، كما أورد جواب المترجم عنها بنصه وفصه وكذا صاحب الدر المنتخب المستحسن، واقتصر فى الاستقصا على مكتوب صاحب الجزائر وفقرات من الجواب عنه تركنا جلب ذلك اختصارا وأنفه عما فيه من فحش القول.

ولما رجع لصاحب الجزائر رسله ووجد الجواب خاليا عن الفائدة المقصودة، والضالة المنشودة، ردهم فى الحين بدون كتاب، ولما قدموا على المترجم ثانية قالوا له لم يكن لنا علم بما فى الكتاب ولو اكتفيناه به ما رجعنا إليك، نحن جئناك

لنعمل معنا شرع جدك، وتقف عند حدك، وبالغوا فى وعظه واستعطافه إلى أن أخذته قشعريرة وعلاه سلطان الحق فأذعن له، وقال: والله ما أوقعنا فى هذا المحذور إلا شياطين العرب انتصروا بنا على أعدائهم وأوقعونا فى معصية الله وأبلغناهم غرضهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وإنى أعاهد الله تعالى أن لا أعرض بعد هذا اليوم لبلادكم ولا لرعييتكم بسوء، وإنى أعطيكم ذمة الله وذمة رسوله لا قطعت وادى تافنا إلى ناحيتكم إلا فيما يرضى الله ورسوله، وكتب لهم بذلك عهداً إلى صاحب الجزائر.

وفى أواخر عام أربعة وسبعين وألف على ما فى تاريخ الضعيف والدر المنتخب، نهض المترجم من تافلات لتازا يترقب لفتح الغرب فأكل زرع أهل فاس والحيانية وانتسفه وأفسده، والذى فى الاستقصا أن ذلك كان عام ثلاثة وسبعين وألف، ولعل نهبه لزرع أهل فاس والحيانية كان سببه خيانتهم فى نصرته وقت كينونته بين أظهرهم ومحاربة أهل الدلاء له.

ووقعت إثر ذلك مجاعة عظيمة أكل الناس فيها الجيف والدواب والآدمى وخلت الدور، وعطلت المساجد. قال الضعيف: كان عدد من دفن من الأموات من المارستان فقط أربعة وثمانون ألفا فيما قيل، دون من دفن من غيره، قال: وكان يعد بحومة الدوح ستمائة رجل فلم يبق منهم إلا ثلاثون، وخرج من فاس جماعة من الأعيان إلى زاوية أهل الدلاء يستغيثون بأهلها من المترجم.

وفى يوم خميس من صفر العام، خرج المولى محمد بن عبد الله بن على ابن طاهر فى أهل فاس والحيانية منصوراً لقتال المترجم، ورجع فى يوم الثلاثاء القريب منه هـ.

وحكى فى الاستقصا ما اقتصر عليه الضعيف من القول بنصر المولى محمد ابن عبد الله وخروجه لقتال ابن عمه صاحب الترجمة بقيل وصدر بقوله: وكان

الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني قد قدم فاسا بقصد أن يبايعه أهلها فلم يجيبوه، اهـ، والله أعلم أى ذلك كان.

وفى صفر العام نزل محمد الحاج الدلائي بأزروا، فخرج إليه أعيان أهل فاس وقاضيها، فقصوا عليه ما فعل المترجم بزرعهم وزرع الحياينة، وقد كان المترجم رجع لبلده، وفى أول ربيع من العام رجع أهل فاس إلى بلدهم وبقي الدلائي بأزروا، إلى أن دخل فصل الشتاء، ورجع الدلائي لزوايته ولم يخرج منها بعد، إلى أن أخرجه الرشيد أخ المترجم لتلمسان قهرا حسبما أفاده الضعيف.

وفى العام نفسه نهض المترجم من تافلات وسار إلى أن نزل قرب تلمسان وذلك لما بلغه استيلاء أخيه الرشيد على تلك الناحية وما والاها، ثم زحف إليهم مع خديمه القائد أحمد أعراص، ولما التقى الجمعان كانت النصرة للمترجم على أهل سمسان فهدم قصبتهم، وفر أخوه الرشيد لحوز بنى يزناسن قرب دار ابن مشعل، ورجع المترجم لبلده ثم اتصل به أن أخاه المذكور كثرت عليه الجموع. وأن أمره فيهم نافذ ومسموع، فزحف إليه ثانية والتقى الجمعان بقرب سيدى بوهدة فأضمرت بينهما نيران الحرب التى لم تنطفئ إلا بموت المترجم رحمه الله.

تنبيه وإيقاظ: اعلم أولا أن حكم الخلافة والإمامة [وهى أى الإمامة خلافة الرسول فى إقامة الدين وحفظ حوز الملة] هو الوجوب بدليل السمع بقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ [سورة النساء ٥٩] أمر سبحانه فى هذه الآية - والأمر للوجوب - بطاعة أولى الأمر منا، وهم المتأمرون علينا ولا يجب ذلك للأمة على الله تبارك وتعالى عقلا ولا بالعقل مع السمع خلافا لمن زعم ذلك من أهل الابتداع، كما أن القول بجواز ذلك فقط ساقط لما ذكرناه من دليل الوجوب، ثم هذا الوجوب هو كفائي فقط لأنه إذا قام به من هو أهل له سقط عمن عداه من الأمة، وإلا وقع فى الحرج

فريقان من الناس، أحدهما أهل الاختيار والحل والعقد حتى يختاروا للناس إماما،
الثانى أهل الإمامة حتى ينتصب أحدهم.

وشروط الفريق الأول العدالة المانعة من تعمد خلاف ما يجب، والعلم
الموصل لمن يصلح للانتخاب، وسداد رأى المؤدى لاختيار من هو أهل، فإن
وجدت هذه الشروط فلا يرجح فيها أهل بلد الإمام الذى كان قبل إلا من جهة
كونهم أسبق علما بموت الأمير قبل، ومن جهة كون الغالب أن من يصلح للإمامة
يوجد بين أظهرهم.

وشروط الفريق الثانى الاجتهاد العلمى أصلا وفرعا، والشجاعة وسداد
الرأى، هذا مذهب الجمهور وغيرهم، لا يشترط هذه الثلاثة لأنها لا تكاد تجتمع
فى شخص، وإنما المتأكد أن يكون عدلا، فإن كان غير عدل لم يجز الإقدام على
نصبه للإمامة اختيارا، فإن وقع ونزل فظاهر النصوص أنها تفوت بعقدها ولا
تنقض لما فى النقص من المفسد، وإذا كان هذا فيمن انعقدت ولايته مع فسقه
فكيف بمن طرأ فسقه بعدها.

وأما إذا كانت ولاية من ولى بالتغلب وعظم الشوكة فإنه لا تجوز منازعته
ارتكابا لأخف الضررين، ولا يشترط فيه حينئذ شرط، على ذلك حمل ابن العربى
حديث وأن لا تنازع الأمر أهله قائلا: المراد بأهله من ملكه لا من استحقه، لأن
وجود الأمر فيمن يملكه أكثر منه فيمن يستحقه والطاعة واجبة فى الجميع ما لم
يأمر بمعصية، وإلا فلا طاعة له.

ومن شروط الإمامة: أن يكون عاقلا ليصلح للتصرفات، بالغاً لقصور عقل
غيره، ذكراً لكون النساء ناقصات العقل والدين، حراً لئلا تشغله خدمة السيد ولئلا
يحتقر فيعصى، وزاد أهل السنة ومن وافقهم من المعتزلة أن يكون قرشياً لحديث
الأئمة من قریش، ولرجوع الأنصار له واتفاق الصحابة على العمل به يوم السقيفة

لما احتج به عليهم أبو بكر، وبذلك صار إجماعا قاطعا ولا حجة للمخالف في حديث السمع والطاعة ولو للعبد الحبشى لتعين تأويله إما بحمله على أن المأمور بالسمع والطاعة له فيه إنما هو نائب عن الإمام فى بعض الجهات، أو فى بعض الأمور، وإما بحمله على المبالغة والفرض والتقدير دون الوقوع، وإما بحمله على حالة التغلب بالقوة وعظم الشوكة لما تقدم من أنه فى تلك الحالة تسقط الشروط.

أما فى غير ذلك فالأمة مجمعة على عدم جواز نصب العبد إماما اختياريا، ولابد من اعتبار شرطين آخرين نبه عليهما الماوردى وغيره، وهما أن يكون سميعا بصيرا، وأن يكون سليم الأعضاء بحيث يتأتى له قوة الحركة وسرعة النهوض، ولا يشترط مع ذلك أن يكون هاشميا خلافا للشيعة، ولا كونه عالما بالفعل بسائر مسائل الدين أصلا وفرعا خلافا للإمامية، ولا ظهور الكرامة على يده خلافا للغلاة، ولا كونه معصوما خلافا للإسماعيلية والإمامية، ودليل عدم اشتراط هذه الأربعة ما تقدم من الإجماع القطعى على بيعة أبى بكر مع كون هذه الشروط ليست ثابتة فيه.

ثم اعلم ثانيا أن الإمام المنصوب، إن تمشت إمامته على المطلوب فيها من حفظ المصالح الدينية والدنيوية فلا إشكال أن طاعته تستمر، وإن خالف ذلك وظهر الخلل فإن كان مع بقاء انتظام أحوال المسلمين، وعدم انتكاس أمور الدين، وإنما الخلل الظاهر منه فى غير ذلك، فهذا يجب الصبر على ما ظهر منه ولا يجوز خلعه عند جمهور أهل السنة ما لم يفض تهوره إلى ترك إقامة الصلاة وتغيير الشرع والارتداد عن الملة، وإلا فالإجماع كما فى الإكمال لعياض على قتاله ومحله إذا تخيلت الأمة النصرة عليه، فإن تحققت عدمها سقط عنها وجوب قتاله ووجب عليها الهجرة من بلاده.

وأما إن كان اختلاله راجعاً إلى اختلال أحوال المسلمين، وانتكاس أمور الدين، فإن ذلك يسوغ للأمة خلعه لأنه كما كان لهم نصبه لانتظام ذلك وإعلائه كذلك يكون لهم خلعه إذا ظهر منه ضد ما نصب له، نعم إن أدى خلعه إلى الفتنة فإنه يجب والحالة هذه درء أعظم المفسدتين، ثم فى الحالة التى قلنا إنه يجب الصبر ولا يجوز الخروج عليه إن فرضنا أنه وقع ونزل وقام عليه من هو موصوف بالعدالة وجبت نصرته العدل، حتى يظهر دين الله، هذه زبدة ما طول به أئمتنا فى هذا الموضوع.

إذا تمهد ذلك فاعلم أن صاحب الترجمة لما رأى ظهور العجز والهرم فى الدولة السعدية وعدم انتظام الأمور وكثرة وقوع الخلل فى أحوال الرعية والتراعى على الخلافة ممن ليس من أهل منصبها ولا ينتظم به أمرها، وقويت أطماع المجاورين للإيالة المغربية من الأوربيين، وكثر الهرج والمرج، وفسدت السابلة وعدم الأمن فيها، وتعذر على السعديين رتق ما انفتق^(١) بقيام عبد الكريم بن أبى بكر الشبائى المعروف بكروم الحاج، وأبى عبد الله محمد بن أحمد المالكى الزياتى الشهير بالعيشى صاحب المواقف الشهيرة فى الإسلام المتوفى شهيداً بعين القصب من بلاد الخلط تاسع عشر المحرم عام إحدى وخمسين وألف، والدلائين برابرة مجاط وبودميعة المذكور آنفاً، وصنوه أبى حسون كما ذلك مبسوط فى غير ما ديوان مطبوع.

وقد أومأنا فيما مر لشذرات من ذلك على سبيل الإيجاز وكان من قاتل تحت راية عمية^(٢) يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل، فقتله

(١) فى المطبوع: «انتفق» والفتق: الخلاف بين الجماعة وتصدع الكلمة.

(٢) فى هامش المطبوع: «بالكسر والضم مشددتى الميم والياء من العمى الضلالة كالقتال فى العصية والأهواء».

جاهلية كما ورد عن المعصوم عليه صلوات الله وسلامه فيما أخرجه مسلم والنسائي عن أبي هريرة.

وأنس المترجم من نفسه الكفاءة للقيام بأعباء الخلافة وحسم مادة الشقاق وتنازع المسلمين بقمع البغاة المعتدين كما أنسه الناس فيه لما تقدم ومن وصفهم له مع ما جمعه الله فيه من شرف المحتد وأصالة الرأي وكرم النفس زيادة على ما سبق لسلفه، من الجلوس على عرش الملك، كما أحكمه التاريخ من أن جده الأعلى الأخص بفرعه النفس الزكية، كان ممن تربع ذلك العرش بالاستحقاق، ثم عرضت الخلافة على جده الأوسط المولى على الشريف من أهل الحل والعقد فامتنع من قبولها، وبهذه الصفة الشرعية انتصب المترجم لإحياء ذلك الموات، وطالب ملك أبيه لا يرمى بالافتيات، ولا سيما بعد تحققه وتحقق أهل بلاده السابقين لمبايعته أنه الكفاء الفذ لذلك المنصب السامي، غير أنه حيث كان الموجب الأولى لانتصابه هو ظهور الاختلال وانتشار الغاصبين للمنصب في أركان الإيالة وزواياها، لم يجد بدا من تقديم الأهم الذي هو جمع الكلمة والسعى حول محو التشويش والإفساد، فلذلك انصرفت أيام ولايته وإن طالت كلها في تمهيد هذا المقصد فأنفق فيه مبلغ جهده، وإن عاقته الأقدار عن الوصول فيه لحده، ولعله لذلك لما رأى معززه في مقصده أخوه المولى الرشيد أن أخاه لم يبلغ من هذا المقصد النفيس الذي انتصب ونصب له ما يريد ويراد منه تصدى أواخر دولة أخيه في أطراف البلاد لجمع الكلمة، فكان من عادته فتقدم تمهيده في ولاية أخيه.

والمولى الرشيد وإن قصرت مدته لم ينتقل لدار الكرامة حتى جمع الكلمة في جميع أقطار المغرب، فكان أخوه المترجم هو المؤسس والمقتحم لتسوية عقبات الانتظام، وصنوه الرشيد هو الذى أكمل الله على يده للأمة أمر تسوية مصالح دينها ودنياها بعد أن فاز أولهما وهو المترجم برتبة الشهادة حيث قتل فى حالة الدفاع عن الإمامة المنعقدة له.

وفاته: توفي رحمه الله شهيدا يوم الجمعة الثامن وقيل التاسع من المحرم
سنة خمس وسبعين وألف برصاصة أصابته كان فيها حتفه رحمه الله، ودفن بدار
ابن مشعل، وقيل حمل لتافيلالت ودفن بها قرب قبر والده وقد رمز لوفاته
صاحب الدر السني بقوله:

وإن الشريف بن الشريف محمدا (لشهم) الملوك الضاريين بأنصل

ولما وقف أخوه الرشيد على جثته ضمها إليه وأخذ يبكي ويقول: ما قتلك
إلا السراح. وهو رحمه الله أكبر بنى أبيه.

١٧٧ - محمد المدعو الكبير أبو عبد الله بن السلطان الأعظم أبي النصر
إسماعيل. المعروف بولد عربية.

أمه عربية من الشاوية، وإليها ينسب وبها يعرف.

حاله: جواد كريم عقيم التدبير شديد البطش والانتقام، غير متوقف في قتل
الأنفس، ولا متأن ولا مثبت في الأمور، ولا متأمل في العواقب.

اتفق سالم الدكالي ولفيف من شيعته عبيد البخاري ومن انضم إليه من أهل
فاس ونواحيه على خلع السلطان عبد الله ومبايعة صنوه صاحب الترجمة في عاشر
جمادى الثانية، على ما في تاريخ الضعيف، والذي صححه صاحب الدر المنتخب
أنها جمادى الأولى لا الثانية من عام تسعة وأربعين ومائة وألف، وهو يومئذ بمقره
بسجلماسة، ولما اتصل به ذلك الخبر وكان اعتقاده أن سالما المذكور مجمع رأى
العبيد المرجوع إليه في مهماتهم نافذ الكلمة فيهم مطاع الأوامر، خرج من
تافيلالت يطوى المراحل ويواصل المسير إلى أن وصل لصفرو، ولما حل به ورأى أن
بيعة المولى عبد الله لا زالت بأعناق الناس، صار يقرع سن الندم أخماسا في
أسداس، ثم بدا له الدخول لفاس مخفيا، فقصد دار معتقده أبي زيد عبد الرحمن
الشامي الذي كان يعده ويمنيه بالملك على طريق الكشف.

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن عشرى جمادى المذكورة أتاه أهل فاس لدار الشامى المذكور وفى طليعتهم أبو الخير قاسم بن رحمون المعتقد المشهور وبايعوه سرا، ومن الغد الذى هو يوم الأربعاء أعلنوا بيعته وحضر لكتابتها أهل الحل والعقد من علماء وأشراف وأعيان، وبعد كتبها ووقوع الإشهاد على الخاصة والعامة بقبولها ورضاهم بها، علقت بالضريح الإدريسي، وأعلن نصره فى الأسواق والأزقة العمومية، ثم ركب فرسه وخرج لزيارة صلحاء البلد فبدأ بضريح أبى العلاء إدريس، ثم خرج على باب الفتوح وزار ما هنالك من الأضرحة، ثم توجه للأضرحة التى بخارج باب عجيسة، ثم رجع ونزل بدار بوعلی الكائنة بحومة المعادى من فاس القرويين، وصار الناس يأتون لتقديم مرام التهانى إليه زرافات ووحدانا.

ثم أمر بحيازة جميع ما بدار القاضى أبى الحسن على بوحنان حيث إنه امتنع من الموافقة على بيعته، لأنه لم يرَ وجهًا لخلع السلطان عبد الله، واحتفى بالضريح الإدريسي، وصمم على عدم التماذى على القضاء بين الناس بعد أن طلبه المترجم بذلك، ونصب للقضاء بدلا عنه ابن إبراهيم بإكراه، ونكل بكل من تخلف عن بيعته كالعلامة أبى عبد الله محمد البكرى الدلائى، وأبى عيسى المهدي الفاسى، وأبى مدين بن أحمد الفاسى، وأبى العباس أحمد بوحنان. عزل الأول عن الإمامة بالضريح الإدريسي وسجنه وألزمه غرامة مالية وولى مكانه أبا عبد الله محمد بن على بن إبراهيم، والثانى عن الإمامة بمدرسة الطالعة، وولى مكانه أبا الفخر التاودى ابن سودة. والثالث عزله عن إمامة جامع الأندلس وولى مكانه السيد بوغزة بن إدريس المشاط، والرابع عن إمامة جامع باب عجيسة وجعل بدلا عنه أبا عبد الله محمد السلوى، وضيق غاية التضيق على شيعة أخيه السلطان عبد الله بوشاية من شياطين العبيد.

ولما تم له الأمر بفاس وما والاها، كتب أهل فاس لعييد مشرع الرملة يطلبون منهم الموافقة والدخول معهم فيما دخلوا فيه، فاجتمع أشياخ سالم الدكالى وأجمعوا أمرهم على المبايعة للمترجم، ولم يكن لغيرهم بُدٌّ من اتباعهم فبايعوه ووجهوا إليه بيعتهم مع أعيانهم لفاس، ولما وردت عليه طلع من فاس القديمة إلى المدينة البيضاء فاس الجديد فى موكب يسر الناظرين تحفه الودايا.

ثم اقتفى أثر عبيد مشرع الرملة فى مبايعة المترجم من كان بالعاصمة المكناسية منهم وسائر أهل مكناسة ومن فى حكمهم.

ولما رأى ذلك صنوه السلطان عبد الله جمع ما كان بدار الملك من مال ومتمول، وبارح العاصمة، وصحب فى معيته ولده أبا عبد الله محمد وأمه وسائر حرمه، وأطلق من كان بالسجون من أهل الجرائم وغيرهم وكساهم، وسار إلى الحاجب وقيل إلى جبال فازار، فانضمت إليه برابر تلك الناحية وصارت تغير على سرح مكناسة وسائس وما والاها.

وفى الخميس الموفى عشرين من جمادى الثانية المذكورة بارح المترجم فاسا فى جيوش وافرة منتظمة من العبيد والودايا وأهل فاس، وبات بوادى النجا، ومن الغد الذى هو يوم الجمعة دخل مكناسة الزيتون عاصمة والده وإخوته ومن قبله، ولما استقر به النوى عزل أبا العز الطالب بوengan عن قضاء مكناسة، وولى مكانه العلامة أبا القاسم العميرى، ثم عزله وولى أبا عبد الله محمد البيجرى، ثم عزله وولى العلامة الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ.

وفى اليوم الخامس من حلول المترجم مكناسة أتى إليها صنوه السلطان أبو محمد بن عبد الله بجموع البربر الذين آووه وعززوه ونصروه ليلاً ونهبوا جميع أحوازها وباتوا بظاهرها، ولما بزغ حاجب الشمس وفتح باب الأروى اقتحموها، وأخذوا ما قدروا عليه من خيل وسلاح وهدوا وأفسدوا وانقلبوا راجعين من حيث أتوا.

ولما علم المترجم وجنده بذلك اقتفوا أثرهم إلى أن أدركوهم ووقعت بين الفريقين ملحمة عظيمة، غير أنه لم يكن لفريق ظهور على الفريق الآخر، ورجع جند المترجم لمكناس، وسار المولى عبد الله بمن معه إلى أن وصل الحاجب، وفرق ما أخذ من مكناس فى البرابر أنصاره.

ثم أتى ابن النوينى قائد عبيد مشرع الرملة من مشرع الرملة فى شردمة من إخوانه يريد أخذ الثأر من المولى عبد الله وأحزابه، ونزل بعين الكرامة حيث محطة السكة الحديدية الآن بمقبرة من زرهون، ولما خيم هنالك أتى إليه المولى عبد الله فى جموعه وشبت نيران الحرب بينهما سبعة أيام، مات فيها قائد العبيد المذكور، ورجع المولى عبد الله لمخيمه بالحاجب، ورشح المترجم على عبيد مشرع الرملة القائد الحوات، وكانت بينه وبين السلطان عبد الله حروب طاحنة كان الظفر فيها للعبيد كما فى نشر المثنى.

واقطفى عبيد مكناس أشياع المترجم المولى عبد الله إلى أن بلغوا عين اللوح فصادفوا أمطارا غزيرة وبردا قارصا ورياحا عاصفة اضطرتهم إلى الرجوع دون نيل مرامهم، وقبض المترجم على عدد من الناس وفرض عليهم الأموال الطائلة، ونهب الدور ولم يترك زرعا ولا ضرعا ولا درهما ولا دينارا.

وكانت هذه السنة سنة شهباء، حصت كل شىء، مات فيها عدد عديد من الآدمى والدواب جوعا، وفى رابع وعشرى أقيمت صلاة الاستسقاء ببوعجول، وكان الخطيب السيد حمدون الشريف الطاهرى نائبا عن القاضى السيد يعيش.

وفى الثامن والعشرين من ذى القعدة أعيدت صلاة الاستسقاء بباب الفتوح، وكان الخطيب أبا العباس أحمد الورزازى.

ثم أعيدت الصلاة بباب عجيسة والخطيب السيد حمدون الشريف الطاهرى المذكور.

وأعيدت الصلاة أيضا من الغد بباب الفتوح والخطيب حمدون المذكور .
وفى اليوم الموفى ثلاثين من الشهر أعيدت الصلاة بباب الفتوح والخطيب
حمدون المذكور .

وفى مهل ذى الحجة أعيدت الصلاة والخطيب أبو العباس الورزازى .
ومن الغد أعيدت الصلاة بوادى الزيتون والخطيب أبو مدين بن أحمد
الفاسى .

ومن الغد أعيدت أيضا بباب عجيسة والخطيب أبو العباس الورزازى .
وفيه أيضا أعيدت بمصلى باب الفتوح والخطيب الورزازى ، ومع هذا كله لم
ينزل مطر واختل النظام وشاع الفساد وكثر عيث البرابر فى السبل وقل الإدام وفقد
اللحم وبلغ القمح نحو ثمان موزونات للصاع وضاق الناس ذرعا .

وفى ذى الحجة منصرم العام طلب العبيد من المترجم راتبهم الشهرى ، ولما
لم يجد ما يقطع به لسانهم عنه وخاف صولتهم مد يد النهب والسلب فى أمتعة
الرعية ، وصار يخرج زروع أهل مكناسة من الدور والمخازن ، وكل من اتهم بكون
الزرع عنده يشدد عليه حتى يأتى بما عنده ، وكل من أتى من البادية بشيء من
الزرع ينزع من يده قهرا .

ولم يكتف بهذا ، بل وجه أخاه لفاس وأمره بأخذ أموال الأشراف جبرا ،
ومن امتنع منهم يلزم بالخروج للحركة ويسلك مسلك العامة ، ونهب دار الشريف
أبى حفص عمر الأمرانى بالأقواس ، وقيل : إن المترجم توجه بنفسه لفاس بقصد ما
ذكر ، وألقى القبض على الحاج بوجيدة برادة ، وكان ذا مال وأخذ أمواله ثم نقله
إلى مكناسة وقتله بها وباع سائر أصوله .

وألقى القبض أيضا على الحاج عبد الخالق عديل، وأخذ جميع أمواله،
وأخذ جميع أموال الزوايا ولم يترك بها قليلا ولا كثيرا.

ثم رجع لمكناسة وفعل بأهلها ما فعل بأهل فاس، حتى عدمت الفلوس
وتعذر البيع والابتيع.

وفى التاسع عشر من ذى الحجة المذكور كان قتال بسايس بين أتباع المترجم
وصنوه السلطان عبد الله، وكان الذى يرأس جيش المترجم القائد العباس بورمانه،
واشتد القتال وكثر الطعان، ودام ذلك نحو أربع ساعات، ثم انجلى عن هزيمة
بورمانه وحزبه وتركهم أشلاء موتاهم مبعثرة على الهضاب والرُّبى، واستيلاء شيعة
السلطان عبد الله على الأثقال والمقومات، ولولا حيلولة الظلام بين الفريقين
لاستأصل السيف بورمانه ومن انضم إليه، ولكن لما أرخى الظلام ستوره نجت
البقية الباقية بنفسها حافية عارية، وقصد فريق منها ناحية فاس وفريق يمم العاصمة
المكناسية إذ قد كان المترجم يومئذ بها.

ولم تزل نيران الفتى فى توقد واشتعال. وأحوال الرعية فى اختلال،
وضعف وانحلال، وعم جميع المغرب الغلاء، وعظم البلاء، وأكل القوى
الضعيف، وانتكس المشروف والشريف، وصارت أموال الناس غنيمة باردة
للصوص والبغاة، وفشت المناكر، وتعذر الأمن فى السابلة، وارتفعت الأسعار فى
سائر الأمصار. ولا سيما فى عاصمتى مكناس وفاس، وزادت على غيرهما
بالمضايقة والحصار.

واستولى على مكناسة الخراب والدمار، وتوالت الهزائم على عساكرها
وضعف الجند وكثرت الثوار، منهم الباشا الحوات ثار واستولى على عبيد مشرع
الرملة وبنى مالك والطلق وما والى ذلك من القبائل وثار الباشا أحمد الريفى
واستولى على الفحص وبلاد غمارة وما والاهما من العمائر والقرى والثغور

كالقصر الكبير وطنجة وسائر القبائل الريفية وكارت وجبالها وقلوعها إلى ناحية
أكرسيف وما حول ذلك .

واستولى القائد الكلعي على بنى يازغة وما حولها .

واستولى السلطان عبد الله على مراکش والسوس والصحراء .

واستولى القائد الكعيدى على بنى يازغة ، واشتعلت نيران الفتن فى البلاد .

وعم الفساد حاضرها والباد .

وفى فاتح صفر عام خمسين ومائة وألف نهض صاحب الترجمة فى عساكره
ونزل بدار ابن خولة ، وأفسد ونهب وأهلك الزرع والضرع .

وفى ثامن الشهر نزل على صفرو .

وفى العاشر منه أوقع بأهل زدغة وحكم فيهم السيف وقطع الرؤوس ووجه
بها للعاصمة المكناسية لتعلق على الجدران والأبراج .

وفى سادس عشرى الشهر خيمت عساكره بجبل آيت عياش من جبال
البربر ، ووقعت هنالك مقتلة عظيمة بين المترجم وصنوه السلطان عبد الله كانت
الكرة فيها على صاحب الترجمة ، ورجع على أعقابيه منهزما إلى العاصمة
المكناسية .

وفى فاتح ربيع الأول فرت زرارة والشبانات وأولاد جرار ل ناحية بلادهم ،
ونهبوا وسلبوا كل من وجدوه فى طريقهم .

وفى خامس جمادى الأولى هربت المغافرة والودايا من محالهم بسايس وما
والاها ، ومدوا يد العداة فى كل من لاقوه فى طريقهم .

وفى الشهر نفسه ألقى العبيد القبض على صنو المترجم المولى المهتدى برباط
الفتح ، حيث شموا منه رائحة التشوف للوثوب على الملك ، وأتوا به للمترجم

لعاصمة ملكه مكناس، فاعتقله ولم يزل فى اعتقاله إلى أن خلع المترجم وبويع للمستضىء فيما يأتى .

وفيه أيضا وجه المترجم ولده عبد الكريم أميراً على الرباط، فأقام على إمرته ستة وعشرين يوما، ثم عزله الحوات فانقلب راجعا لمكناس .

وفى رجب بلغ ثمن الوسق من الزرع ثمانين مثقالا، والشعير والذرة ما يقرب من ذلك، وبلغت الزيت خمسة وعشرين مثقالا للقنطار، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل بلغ القمح مائة مثقال، واستولى البخس على سائر الأشياء ما عدا ما يقتات به، وتفاحش الوباء حتى عجز الناس عن دفن موتاهم فلا يمر المار بزقاق من الأزقة إلا على صرعى الجثث، وبقيت الديار بلاقع لم يوجد من يعمرها .

وفى ذى الحجة الحرام أغاث الله بالمطر العباد، وسكنت روعة البلاد، فرخصت الأسعار إلى أن بلغ وسق الزرع ثلاثين أوقية بعد أن كان يساوى مائة مثقال .

وفى صفر العام نهض الباشا الحوات من الرمل وزحف لبنى حسن فى جنود لا قبل لهم بها، فأوقع بهم وقعة شنعاء لما كان عليه من العتو والتمرد والعيث فى الطرقات .

وفى صبيحة يوم الأربعاء تاسع وعشرى صفر المذكور أعلن الحوات بخلع صاحب الترجمة، وألقى القبض عليه وأوثقه بالحديد واعتقله بالقصبة من العاصمة المكناسية، وبويع لصنوه المستضىء بنور الله كما سنفصله فى ترجمته بعد بحول الله، ولم يزل المترجم فى عقاله إلى أن سرحه صنوه المستضىء المذكور ثالث ربيع الأول من العام، ووجه به مع أولاده إلى بلاده تافيلالت، ولما وصل القصابى أقام بها مدة، ثم نهض لتافيلالت، وكان ذلك آخر العهد به .

وكانت دولته عاما وسبعة أشهر وعشرين يوما كلها كسنى يوسف، تجرعت الأمة المغربية فيها من الغصص والمحن والبلايا كئوسا دهاقا، وكان مضروبا على يده ليس له من السلطنة إلا الاسم، وولاة أمره من لاعبيد الذين قوضوا أركان الدولة هم المستبدون بالإبرام والنقض والتصرف المطلق.

١٧٨ - محمد بن عبد الله بن إسماعيل المالكي مذهبا الحنبلي اعتقادا حسبا وصف بذلك نفسه في مؤلفاته - وسيأتى بيان معناه - أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين سلاطين المغرب الأقصى.

مولده وشيوخه وحجته:

كانت ولادته بعاصمة جده أبي الأملاك مكناسة الزيتون سنة أربع وثلاثين ومائة وألف. وأمه كما قال الضعيف حرة. ومن شيوخه أبو محمد عبد الله بن إدريس المنجرة والشرادى وحج قبل البلوغ مع جدته السيد خنائة المغربية سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف.

صفته وحاله:

قال عصره الضعيف: «أسمر اللون، تام القد، أقى الأنف للتمام، شعر لحيته عريض، واسع المنكبين، شن الكفين، سميح الوجه، كريم اللقى، شديد الصفح، حسن العفو، فصيحاً بليغاً، أديبا حليما، متواضعا شفيقا، كريما جوادا، عالما بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصل الأحكام» اهـ لفظه.

وقال نجله أبو محمد عبد السلام فى كتابه «اقتطاف الأزهار، من حدائق الأفكار»: وهو - يعنى والده المترجم - فى العلم لا يقعقع له بسنان ولا يجارى فى ذلك بعنان.

١٧٨ - من مصادر ترجمته: تذكرة المحسنين فى الموسوعة ٧/٢٤٤٣.



خط السلطان سيدى محمد بن عبد الله وقد أكلت
الأرضة (له) من (كان الله له)

وقال صاحب نشر المثنائى فى حقه: «وهو نصره الله وأيده فى العلم بحر لا يجارى. وفى التحقيق والمعارف لا يمارى. وقد جمع من دراية العلم ما تقف العلماء دونه، وتود زواهر الأفق أن تكونه، فكملت بذلك منة الله على العباد، وأحيا به الله الدين فى كل الأرض والبلاد، مع فرط الكرم والجود، الذى ورثه من أصله الطاهر عن آبائه والجدود» وقال: «فهو أدام الله نصره سلطان العلماء وعالم السلاطين» هـ.

وقال الزيانى: «عالى الهمة يحب الفخر ويركب سنامه يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، يضع المسائل فى محلها، ويعرف مناصب الرجال ويؤدى حقوقهم، ويتجاوز عن هفواتهم، ويراعى لأهل السوابق سوابقهم، ويتفقد أحوال خدامه فى الصحة والمرض، ولا يغفل عمن عرفه قبل الملك، متواضع شاكر لنعم الله عليه، كلما ورد عليه فتح أو خبر يسر المسلمين سجد شكرا لله فى وسط مشورة، إمام الخاصة والعامة، ينتخب الرجال ويعددهم ليوم ما، وينادى كل واحد باسمه وقت اللقاء، ويوجه كل بطل منهم مع قبيلة وكتيبة من كتائب العسكر، ويعمل بعمل أهل السياسة فى الحروب، وكان ينشد كثيرا إذا وجه أحدا ممن يعرف نجاته وشجاعته:

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عنا

وقال فى حقه أبو محمد عبد السلام بن الخياط القادرى ما نصه: «الإمام الموهوب لهذه الأمة على رأس المائة مجدداً لها دينها كما ورد ذلك مرفوعاً».

وقال: «كان إماما من علماء الإسلام، له تصانيف تقرأ بالمشرق والمغرب».

وقال: «وبالجملة فقد نظر فى المصالح وقام بها قياما لم يقم به أحد من أهل عصره من ملوك الإسلام، ولم يسبق إليه غيره غير الخلفاء الراشدين».

وفى الجيش وغيره أنه كان يتخلق كثيراً بأخلاق المنصور الذهبى السعدى ويعجبه حاله وأخباره، يتحلى بسيرته ويستحسنها ويتبعها أكلاً ولباساً، وترتيب دولة وضبط أوقات، فكانت أوقاته لا تتخلف ولا تتداخل أشغالها، وعوائده مقررّة لا تختلف، تأسى به فى مشوره وسائر حركاته وسكناته، ويصرح بأنه أستاذة وقدوته فى شأنه كله هـ.

وقال الزيانى فى الترجمان المغرب لما ذكر خروجه لزيارة صلحاء أغمات فى فصل الربيع: وكانت حركة نزهة وراحة وصيد أقام بها نحو الشهرين يتقلب فى تلك البسائط، وينزل فى منازل المنصور رحمه الله، ويقول: هذه منازل المنصور فهو أستاذنا ومقتدانا.

ثم ذكر أنه لما نزل تحت أغمات أتاه قاضيه بكبش وعسل، فوجهه لقاضى العسكر عبد الرحمن بن الكامل وأمره أن ينزل عند القاضى بكبشه وعسله، ولما ارتحل ونزل على وادى نفيس وجه لقاضى العسكر وللكتاب، وكان معه جملة وافرة من أهل الأدب والبلاغة والإنشاء فلما أتوه قال للقاضى عبد الرحمن يداعبه: بم جزيت القاضى على كبشه وعسله؟ فتعلم وخجل فلما رأى منه ذلك قال له: لو جزيته بأبيات شعرية لخرجت من العهدة ولهذا وجهت لكم فقد سهرت ليلتى فى أمرى وأمركم، وهجوت نفسى وهجوتكم، لأنه لم يبق فى وقتنا هذا أمير ولا وزير ولا كاتب ولا حاجب، فقد وقع مثل هذا فى دولة السلطان أحمد المنصور فى زيارة أغمات على كبش وعسل، وأمر الكاتب محمد بن المبارك بسرد ما وقع للمنصور من مناهل الصفا للفشتالى وما تنافس فيه الكتاب من النظم والنثر.

وفى الاستقصا: أنه هو الذى جدد هذه الدولة الإسماعيلية بعد تلاشيها. وأحيّاها بعد خمود جمرتها وتمزق حواشيها، بحسن سيرته، ويمن نقيبته، رحمه الله تعالى ورضى عنه.

وفى سلوة الأنفاس: أنه كان علامة دراكة فاضلا، محدثا تاريخيا كاملا، محبا للعلماء، مجالسا للفقهاء، إلى أن قال: وكان من أعظم الملوك مهابة وفخرا، وأشدّهم نكاية للعدو الكافر برا وبحرا، تطيعه ملوك بنى الأصفر، وتمثل أمره وتخضع له رقاب الأكاسرة وتجل ذكره.

وهو الذى أعاد للدولة شبابها، وهياً للحياة أسبابها، ونهج لها نهجا جديدا وأسس لها بعد جده الأعظم أبى النصر إسماعيل ركننا شديدا، ونشر بين الخافقين مجدها، بعد ما كسر من شوكة العبيد حدها.

خلافته بمراكش:

واستخلفه أبوه بمراكش سنة ١١٥٩ وهو ابن خمس وعشرين سنة، فنزل قصبته وليس بها يومئذ إلا آثار السعديين والموحدين الخراب، فضرب خيامه بها وشرع فى حفر أساس داره بها، وكان سفهاء الرحامنة وشرارهم قد ألفوا العيث والفساد فى أطراف المدينة، وكانوا يجتمعون بتلك القسبة.

فلما رأوا منه ذلك منعوه من البناء وأخرجوه عنها، فتوجه لآسفى، فاعترضته قبائل عبدة وأحمر وأكرموه واحتلفوا بأمره، وصحبوه إلى أن نزل قسبة آسفى ففرح به أهلها، ورفعوا إليه هداياهم، وأهدى له كذلك تجار النصارى، وأهل الذمة من اليهود وتنافسوا فى ذلك.

وسرح للتجار وسق السلع من المرسى فوفدت إليه المراكب بأنواع سلعها من أوربا، وقصدها التجار من كل جهة، وطار صيت الخليفة فى بلاد الحوز، ودخل فى طاعته الشياظمة وحاجة وتسابقوا إلى خدمته، فلم تمض عليه ستة أشهر حتى كان يركب فى نحو الألف.

وقدم عليه أخوه الأكبر المولى أحمد خليفة الرباط لما أخرجه أهلها منها، فنزل على أخيه المترجم، ولما سمع الرحامنة بما صار إليه أمر الخليفة ندموا على ما

فرط منهم، وتوجه أعيانهم بالهدايا إليه بأسفى فاعتذروا إليه، وتنصلوا ونسبوا ما صدر منهم فى حقه إلى السفهاء، وأقسموا ألا يرحوا أبوابه إلا معه ولو أقاموا سنة، فلم تسعه إلا إجابتهم فتوجه معهم لمراكش فى فرسان عبدة وأحمر زيادة على أصحابه وحاشيته، فلما وصلها نزل قصبته، وقدم له أهل مراكش هداياهم، وكذا قبائل الحوز ووفود الدير وسوس، ونافست الرحامنة عبدة فى خدمته.

وقصده عبيد دكالة الذين كانوا بسلا، وتسلل إليه عبيد مكناسة فرادى وأزواجا، فاستعملهم فى بناء داره الكبرى بالقصبة إلى أن أكملها وسكنها، وشرع فى غيرها.

وفى سنة ١١٦٢ بايعه عبيد مكناسة وخطبوا به بمكناسة وزرهون، وبعثوا له إلى مراكش مع جماعة من أعيانهم، فرد بيعتهم وعاتبهم على ما ارتكبوه فى حق والده إذ كان باراً به ساعيا فى مرضاته، وبعث إليه بهدية تقدر بثلاثين ألف مثقال. ورجع وفد العبيد خائباً، ومع ذلك استمروا على الخطبة به.

وفى أواخر جمادى الأولى من سنة ١١٦٣ توجه المترجم الخليفة من مراكش إلى مكناس، فوجد العبيد لا يزالون يخطبون به فعاتبهم وأنكر صنيعهم وتبرأ منهم، فتركوا الخطبة وجددوا البيعة لوالده، ولما تم له ما أراد من مراجعتهم طاعة أبيه ارتحل من مكناسة فى جيشه الذى قدم به من مراكش، واستصحب جماعة من أعيان العبيد وقدم على والده بدار الديبغ فسلم وأهدى وتشفع للعبيد عنده فقبل شفاعته، وأمره ألا يبيت هناك، فامثل أمره وتوجه لمراكش من حينه، وقد رتق ما انفتق.

ثم إن العبيد عادوا لما كانوا عليه مع المولى عبد الله وقدموا على ابنه المترجم فى ذى القعدة سنة ١١٦٤ لمراكش وراودوه على قبول بيعتهم فلم يقبل، وطيب

نفوسهم بمنحة وكتب لهم كتابا لأبيه يستعطفه لهم، وانقلبوا من عنده مسرورين، فلما قدموا على أبيه سامحهم وأعطاهم وتم الصلح بينه وبينهم.

وفى السنة وجه المترجم لأبيه بهدية فائتي عليه ودعا له بخير.

وفى سنة ١١٦٩ توجه لتمهيد سوس فدوخها وجبى أموالها، وولى عليها وقرر الحامية بتارودانت.

وفى سنة ١١٧٠ توجه للقبض على الطالب صالح المستولى على أكدير، المستبد بمال مرساه، فقبض عليه وسجنه ورتب الحامية بأكادير، ورجع لمراكش منصوراً، فمكث فيه قليلاً ثم خرج لإصلاح ما فسد من أمر قبائل الشاوية، فقتل منهم ووجه المقبوضين بالسلاسل لمراكش.

ثم توجه للرباط فأضافه أهلها وأهدوا له، وأغلق عبد الحق فنيش صاحب سلا أبواب المدينة فى وجهه فقطع الوادى وتنكب سلا، وسار إلى القصر فتطوان وأشرف على سبته، ثم ذهب لطنجة فالعرايش فسلا، حيث لقي من قائدها ثانيا ما لقي أولاً ثم رجع لمراكش.

بيعته، وبعض حوادث أيامه:

وبعد وفاة والده رحمه الله بويع له البيعة العامة بفاس إثر الفراغ من دفن والده يوم الاثنين خامس عشرى صفر عام واحد وسبعين ومائة وألف باتفاق أهل الحل والعقد، وكان يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة، وإلى سنة ولايته وبيعته أشار القاضى أبو عبد الله الهوارى بقوله:

وبايع أهل الغرب فى عام واحد وسبعين مولانا الإمام محمدا

قال نجله المولى عبد السلام فى كتابه درة السلوك . وريحانة العلماء والملوك :
«وحضر بيعته جماعة من أعيان العلماء مثل قاضى الجماعة بمكناس السيد سعيد
العميرى، وقاضى الجماعة بفاس السيد عبد القادر بو خريص، وشيخ الجماعة
السيد محمد جسوس، والإمام المحقق صاحب المعقول والمنقول أبى حفص شيخنا
سيدى عمر الفاسى، وابن عمه السيد أبى مدين الفاسى وهو الذى تولى كتابة
البيعة بيده، وإمام مسجد الشرفاء الأستاذ مولاى عبد الرحمن المنجرة، وشيخنا
العلامة السيد التاودى ابن سودة، وإمام المسجد الجامع الكبير بفاس الجديد السيد
عبد الله السوسى، والإمام المحدث سيدي إدريس العراقى وغيرهم ممن لا يحصون
كثرة» صح منه مباشرة وهو من ذخائر مكتبتنا.

ومن الغد الذى هو يوم الثلاثاء خرج الوفد الفاسى متأبطا للبيعة المحمدية،
ووجهته عاصمة الجنوب حيث المترجم ينتظم ذلك الوفد من أعيان الأشراف
والعلماء ووجهاء أهل البلد ورءوس القبائل والأجناد، وصار إلى أن لحق بالمترجم
بنواحي مراكش يؤم الناحية الغربية، فأكرم مثواه ونزله وغمره فى بحار إنعاماته
الضافية، وبعد انتهاء أيام الضيافة انقلب إلى وطنه مبتهجا. وبطيب الشاء لاهجا.

وبويع له بمراكش بجامع الكتبيين. قال الضعيف: تحت شجرة أرنج بصحن
المسجد بمحضر الأشراف والعلماء والأعيان وقواد الجند وأبطال القبائل، وبعد انتهاء
البيعة تهافت الجميع على تقبيل راحتيه وتقديم مراسم التعزية فى والده والتهنئة
بالسلطنة، فقابل الجميع بصدر رحب، وواسى الضعفاء والمساكين، ووصل
الأشراف والعلماء وبذل فى ذلك أموالا طائلة.

ثم صارت وفود القبائل الحوزية والديرية والسوسية تفد ببيعاتها على جلالته
وتقدم الهدايا اللاتقة بسدته، واقتفى أثرهم على ذلك أهل الثغور والجبال والقرى

والأمصار، ولم يتخلف أحد من أهل المغرب الأقصى عن تقديم الطاعة لجلالته ولا نازع فيها، وهو يستقبل كلا بما يليق بمقامه ويهش ويهش ويحسن ويتبرع.

ولما فرغ من أمر الوفود نهض من مراكش أواخر ربيع المذكور، وفي أواخر ربيع الثانى حل برباط الفتح، فاستقبله أهل العدوتين بغاية الارتياح والانشراح، ووصل الشرفاء والعلماء وحملة القرآن والضعفاء، وزار القصبة فحيتته مدافع أبراج العدوتين، وزار معمل صنع السفن، وركب سفينة قبل عومها وصار ينثر الدراهم من فوقها على المحققين بها، وهم على اختلاف طبقاتهم يلتقطون ما ينثره عليهم.

ثم بعد ذلك نهض إلى عاصمة جده المكناسية فدخل دار الملك وفرق الراتب على العبيد ووصل الأشراف والفقهاء والطلبة، ولما اتصل بأهل فاس خبر حلول جنابه بها توجه جم غفير منهم لاستقباله فيها، وذلك فى سابع ربيع الثانى من العام، فقابلهم بكل اعتناء واعتبار، وأنزلهم منزلة التجلة والإكرام، وأقاموا فى ضيافته أيام ثم وصلهم وأذن لهم فى الأوبة.

وفى سابع عشرى ربيع المذكور حل بالعاصمة الفاسية حلول إعزاز وإعظام، فخرج لاستقباله جميع طبقات أهل فاس، وكذا الودايا، وخيمنت عساكره وجنوده بالصفصافة، ودخل هو لدار الإمارة وعزى إخوته وأخواته ووعدهم خيراً، ثم رجع لمحلته فبات بها.

ومن الغد توجه لدار دبيغ محل سكنى والده الخاص، فأحصى متخلفه من أثاث وفرش وخيل وسروج وسلاح ومال.

ولما أحاط علماً بمقادير ذلك كله ترك الكل تحت يد من كان مكلفاً به على عهد والده، وكان المكلف بالأموال الوصيف القائد علال بن مسعود وغيره مما ذكر على يد غيره والكل إلى نظر الحاجب القائد عبد الوهاب اليمورى، وكان أكثر ما خلف من المال ذهباً وإليك تفاصيل ذلك :

ألف سباط من الجلد الفيلالى تحمل على السروج بأقفالها فى كل واحد ألفا دينار من سكة ضربه، أعدها للحمل على الخيل فى السفر، فإذا نزل بالمحلة يدفعها المكلفون بها لمن يوصلها لخباء المترجم لتوضع فيه، وعلى هذا يستمر العمل فى كل يوم ظعن وإقامة مدة السفر، ولا تسلم إلا لمن عينه السلطان من أهل الصدق والأمانة لديه.

ومائة رضى من الذهب كقرص الشمع كل رضى فيها وزن أربعة آلاف دينار تكون على البغال أربعة فى الشوارى مغطاة بالحنابل مضروب عليها بالحنابل تسير أمامه، فإذا وصل محل الإقامة توضع بالقبة على نحو ما ذكرنا.

وثلاثمائة ألف ريال إلا خمسة عشر ألفا، ونحو عشرين ألفا من الموزونات الرقيقة من ضربه، وهذا غير ما فى بيوت الأموال من سائر العواصم المغربية.

قلت: ولم يزل العمل جاريا فى حمل عدد من البغال أموالا تسير مع الملك فى سائر أسفاره يسمون ذلك بـ(الصائم) إلى أن ختمت أنفاس الدولة العززية، وذلك من الحزم والحذر والاستعداد لمفاجأة الطوارئ.

ثم تفقد المترجم الأحوال، وأحصى بيوت الأموال، وأحسن لخدمة أبيه.

ولما كان يوم الجمعة ملأت عساكره البساط، وحضر جميع أهل البلد للصلاة معه فاختلف بهم، وأقبلوا يقبلون أثوابه ويتمسحون بها وهو يهش ويهش فى وجوههم، ثم جلس مع العلماء وحادثهم وسأل عنهم واحداً بعد واحد حتى عرف جميعهم، وبعد أداء فريضة الجمعة توجه فى موكبه لزيارة ضريح والده المقدس، ووزع الصدقات على الفقراء والمساكين ورتب الطلبة الذين يقرءون القرآن فى كل صباح وعشى بذلك الضريح، ثم دخل دار الإمارة، وبعد ذلك أمر حمل مال والده ومتخلفه إلى محلته ودفعه لمن عينه لذلك من خدامه.

وأقر أهل الوظائف الذين كانوا على عهد أبيه على وظائفهم إلا ما كان من قائد تطاوين الوقاش، فإنه ولى مكانه كاتبه عبد الكريم بن زاكور الذى كان بعثه عاملا على العرائش.

وأحدث وظيفا على الأبواب والغلات والسلع بفاس وسائر أمصار المغرب، بعد أن استفتى علماء وقته فأفتوه بأنه إذا لم يكن للسلطان مال جاز أن يقبض من الرعية ما يستخدم به الجند، وكتبوا له ذلك تأليفا، منهم: الشيخ التاودى ابن سودة، وأبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس، وأبو حفص الفاسى، وأبو محمد عبد القادر بو خريص، وأبو زيد المنجرة، وأبو عبد الله محمد بن عبد الصادق الدكالى الفرجى لا الطرابلسى.

وما فى الاستقصا من أنه الطرابلسى سبق قلم إذ الطرابلسى اسمه على، وهو شارح المرشد المعين، وقد باع وظيف فاس عن سنة واحدة لعاملها الحاج محمد الصفار باثنى عشر ألف مثقال، ثم باعه إياه فى سنة أخرى باثنين وعشرين ألف مثقال، فكان فى كل عام يزيد فيها إلى أن مات، وولى مكانه ولده العربى فزاد على ما كان أيام أبيه.

وكانت مدة مقامه بفاس شهرين على ما فى الترجمان المغرب، والذى فى تاريخ الضعيف أن خروجه من فاس كان يوم الاثنين الحادى عشر من جمادى الثانية، وعليه فيكون مقامه بفاس نحو شهر ونصف.

ولما حل بمكناس أقام به أياما لتأسيس أمور الخلافة العامة، ثم بعد ذلك بدا لجلالته النهوض لتفقد الأحوال وترتيب الشؤون وإخماد نيران الفتن التى قام بإضرارها المدعو العربى أبو الصخور الخمسى، وقد كان له صيت بناحية غمارة يقول لمن يعتقده ويلتف حوله من البله طائشى الأحلام: إن هذا السلطان - يعنى المترجم - لا يطول ملكه، وقامت بسبب ذلك ضجة وهول بتلك الناحية، وكاد

الفساد أن يعم ما حولها، فقتله المترجم ووجه برأسه لفاس، وولى على تلك القبائل الباشا العياشى وأنزله بشفشاون.

ثم ولى وجهه نحو تطاوين، ولما حل بها وتفقد شئونها أمر ببناء البرج بها والدار على مرسى مرتيل.

وتوجه لسبته فوقف عليها وشاهد حصانتها ومنعتها، فتيقن أن لا مطمع فى قصدها.

ثم صار لطنجة فاستقبله القائد عبد الصادق بن أحمد الريفى فى القبائل الريفية فجاملهم وقابلهم أحسن قبول، ووصلهم وكساهم وأمر ابن عبد الصادق المذكور بالقيام على ساق فى بناء ما ذكر بمرتيل، فأجاب بالسمع والطاعة، ووجه من حينه أخاه عبد الهادى للوقوف على ذلك.

ثم توجه صاحب الترجمة للعرائش وتفقد أحوالها، فوجدها خالية ليس بها إلا نحو مائتين من أهل الريف تحت كنف قواد الغرب الحبيب والسفيانى، فوجه لها أدالة منتظمة من عبيد مكناسة، وعبيد المهديّة، ورأس عليهم عبد السلام بن على وعدى ووصل المائتين من الريفيين وسلحهم وكساهم.

ثم توجه لسلا فنزل بظاهر الرباط، وأمر عبد الحق فنيش قائد سلا ببناء صقالة^(١) بسلا على البحر، وأمر على مرسيل ببناء صقالة الرباط، وولى على أهل الرباط الرئيس العربى المستيرى وأمر بإنشاء مركبين واحد بسلا وواحد بالرباط.

وكان عندهم مركب كبير أنشأه أهل العدوتين مشتركا بينهما أيام الفترة، ووجه لتجار النصارى الذين بأسفى أن يأتوا إليه بكل ما تتوقف عليه المراكب من مجاديف ومخاطيف وقلع وقمن وغير ذلك.

(١) فى هامش المطبوع: «برج كبير».

ثم توجه لعاصمة الجنوب مراكش، وكان وصوله إليها فى أواخر المحرم فاتح عام اثنين وسبعين ومائتين وألف، ولما علم أهل فاس بحلوله الحضرة المراكشية أوفدوا إليه جماعة من أعيانهم يستعطفونه فى الأوبة للعاصمة الفاسية واتخاذها محل استقراره ومقامته، فلاطفهم وقرر لهم أنه لا يمكنه المقام بأرض واحدة، وأنه يلزمه التطوف على سائر إيالاته والمكث بكل عاصمة من عواصمه مدة لائحة بها ليتيسر لأهلها ملاقاته ورفع كل ما يهتمهم إليه بدون أدنى مشقة تلحقهم، وردهم ردا جميلا.

وورد عليه بنو دراسن متشكين بما لحقهم من أذى جروان، وأنهم أخرجوهم من بلادهم بإعانة من الودايا، فأصدر أوامره لوالى مكناس بإنزالهم بأحواز البلد والسعى فى المؤاخاة بينهم وبين آيت يَمُور ففعل، ولما لم تنته جروان عن إذاية المذكورين طير والى مكناس الحاج على السلوى الإعلام بذلك للمترجم، فأصدر إليه أوامره بنصرة المظلومين وتعزيز جانبهم والخروج فى جيش العبيد لكسر صولة جروان، ولما التقى الجمعان بوادى ويسلن كانت الهزيمة على جروان وأشياعهم الودايا فقتل منهم آيت يدراش نحو الخمسمائة، ونهبوا حللهم، وقطعوا رؤوس أعيان الودايا وعلقت بباب الجديد من مكناسة إرهابا للبغاة والتمردين، ولما اتصل الخبر للمترجم اشتد غضبه على الودايا، وأضمر الإيقاع بهم جزاء لهم على سوء فعلهم.

ثم نهض من مراكش ووجهته مكناس، ولما وصل الرباط وجد الرئيس محمد عواد مانطة السلوى، والرئيس محمد عواد المعروف بقنديل، السلوى، والرايس العربى المستيرى الرباطى غنموا سفينة من سفن دولة السويد فأعطى لكل منهم كسوة وسيفا محلى بالذهب وخنجرا كذلك ومكحلة، ووصل من عداهم من البحرية بما أقر أعينهم، ثم سافر القائد العربى المستيرى فى الحين فغنم سفينتين إحداهما للبرتقال والأخرى للسويد أيضا.

وسار المترجم إلى العاصمة المكناسية وأقام بها إلى أن قضى أيام عيد المولد النبوى، ووفدت عليه بها الوفود من فاس والعدوتين ومراكش وما والى ذلك لأداء مراسم التهاني، فغمر الكل بإنعاماته الضافية، وأحسن وبذل، وأمر الحاج محمد الصفار عامل فاس بإصلاح قنطرة سبو، وأعطاه ما ينفقه فى سبيل ذلك.

وفى يوم الاثنين ثامن عشر من ربيع الأول نهض لمراكش وفى يوم السبت خامس عشرى ذى القعدة من العام نهبت قافلة بباب الجيسة أحد أبواب فاس، ثم نهبت قافلة أخرى، ثم أغار البربر على سرح أهل فاس.

وفى أواخر ذى القعدة من العامة ورد كتاب من صاحب الترجمة على أهل فاس يعلمهم فيه بمبارحته لمراكش بقصد رتق ما انفتق من أمور الرعية.

وفى عام ثلاثة وسبعين ومائة وألف عزل القاضى أبا فارس عبد العزيز العبدلى لسلوكه فى خطته غير الجادة، كما سنوضحه بعد، وكان كلما عزل قاضيا عن مصر ألزمه الخدمة ببابه، والوقوف مع كتابه، ويوجههم مع الشكاة لعمال القبائل كل واحد يتوجه بشكايات قبيلة لعاملها هذه خدمتهم كما قال الزيانى.

وفى صفر عام أربعة وسبعين ومائة وألف نهض من مراكش قاصدا مكناس، ولما حل به وجه الودايا جماعة من عجائزهم يتشفعن لهم عند جلالتهم، فلقينهم بسايس وجهته لفاس، ولما مثلن بين يديه بكين وناشدنه الرحم، فرق لهم ووصلهن وأمر بإركابهن إلى أن يصلن لأهلهم.

وسار إلى أن خيم بالصفصافة فخرج لاستقباله أهل فاس على اختلاف طبقاتهم، وكذلك الودايا، فقابلهم بالبشر، ولم يظهر للودايا ما يشعروهم بما يكنه صدره نحوهم، ومن الغد أخرج أهل فاس طعام الضيافة على العادة المألوفة لديهم، فأمر المترجم بتعمير المشور بدار ديبغ، وأمر بإدخال ذلك الطعام إليها،

وأمر العبيد والودايا بالدخول للإطعام، فلما دخلوا غلقت الأبواب عليهم واستؤصلوا قبضا وأصدر الأمر للعساكر بالغارة على حللهم فلم تغرب شمس ذلك اليوم حتى كانت منازلهم حصيدا كأن لم تغن بالأمس، وأغلق من بقى منهم بفاس الجديد أبواب المدينة، ولما جن الليل فرت شرذمة منهم للاستيجار بزاوية اليوسى والباقي بفاس منهم صعد على الأسوار.

ولما أصبح الصباح صاحوا من فوقها يطلبون الأمان على أنفسهم وأهليهم فأمنهم، ونقلوا أولادهم لفاس القديمة، وأنزل صاحب الترجمة بفاس الجديد ألفا من عبيده نقلهم بأولادهم من مكناسة، وولى عليهم علال بن مسعود، وسرح من الودايا القائد قدور بن الخضر مع أربعة من أهل الصلاح منهم، وأمرهم أن يقيدوا له المفسدين فقيدوا خمسين من أشرار طعاتهم، فأمر بإغلالهم فى السلاسل، قرن كل اثنين فى سلسلة وأركبهما على جمل ووجه بهم على الصفة المذكورة لسجن مراكش، ليكونوا عبرة لمن يمرون عليه من القبائل.

وأمر قدور بن الخضر بتسريح الباقين، وكانوا أربعمائة ويضيف إليهم ستمائة من بقية إخوانهم ويلزمهم مبارحة فاس، والتوجه لقبائلهم، وقيد ألفا فى دفتر وولى عليهم القائد المذكور، ثم أمرهم بالرحيل لمكناسة وعين لهم قصبه الأروى للسكنى، فبنوا بها نوائلهم، ونزل قائدهم بدار صاحب الأروى أيام سيدنا الجد الأكبر أبى النصر إسماعيل، وأعطاهم الخيل وسلحهم وكساهم ولم يلتفت لما كان بأيديهم من المتاع، فصلحت أحوالهم ولم يعودوا بعد لما كانوا عليه من الغى والفساد قبل، ولا زال عقب هؤلاء الودايا إلى اليوم بالأروى المذكور.

ثم ولى المترجم وجهه نحو الأمراء الذين لم يقلعوا عن جورهم وظلمهم وبقوا متمادين على ما كانوا عليه من الاستبداد والعتو زمن الفترة مع والده

وأعمامه، تلك المدد الطويلة التى مثلت لنا أيام ملوك الطوائف فى أهول زى،
وأحيت ذكراها.

فقبض على قائد أهل الغرب الباشا الحبيب المالكى الحمادى وأودعه مطبقا،
وهذ داره دار الظلم المظلمة، ونقل أنقاضها للعرائش للبناء بها، واستصفى أمواله
ومتمولاته، ومنذ أودع المذكور المطبق ما أكل ولا شرب أنفة من السجن حتى
مات.

وفى تاريخ الضعيف: أن سبب القبض عليه هو ارتكابه لأمر مصادمة
للشرع، منها: أنه كان متزوجا بثمانية عشر امرأة، وساق القصة على أنها وقعت
عام واحد وثمانين، والذى فى الترجمان العرب أنها فى سنة أربع وسبعين هذه،
وذكرها فى الاستقصا من حوادث سنة ثمانين.

ثم أوقع القبض على قائد سلا عبد الحق بن عبد العزيز فنيش الذى كان
أغلق بابيه دونه أيام خلافته عن أبيه لما ورد على العدوتين مرتين، ورغما عن ذلك
لم يعاتبه ولا شافهه بمكروه لما ولى الخلافة العظمى، حتى تفاحش ظلمه
واستبداده، وأدى به الحال إلى قتل رجل من أعيان أهل سلا على وجه التعدى
والجور.

ورفع أولياؤه الشكاية بذلك لصاحب الترجمة فأذن فى قتله قصاصا، فقتل
وحيزت أمواله لبيت المال كما حيزت أموال إخوانه الذين كانوا أنصارا له وأعوانا
على الظلم والتعدى وأكل أموال الناس بالباطل، ثم غربوا إلى العرائش، وسجنوا
لها مدة، ثم عفى عنهم، فسرحوا وفرقوا على ثغور السواحل بعضهم بالرباط
وطنجة، والبعض بالصويرة، وآخرون بمراكش ومنحهم الدور المعتبرة والرباع
المستغلة، ورتب لهم الرواتب الكافية، ونالوا من العزة والجاه فى دولته المحمدية ما
لم ينله أحد من سلفهم، وكانوا رؤساء على أصحاب المدافع وعلى يديهم آلة

الحرب جميعها فى جميع الشغور، ومنهم القائد الطاهر فنيش الذى كا كبير
الطبيعية.

ثم عزل ولد المجاطية قائد تامسنا، أبا عبد الله محمد بن حدو الدكالى الذى
كان ولاه على دكالة لما ألقى القبض على العامل العروسى وأودعه السجن مدة
أعوام، ولما سرحه ولاه مدينة شفشاون وأعمالها.

وأرهب حده للعمال، المشتغلين بجمع الأموال، فصلحت أحوال الرعايا
والجند بتولية المناصب أهل الكفاءة، ثم بعد ذلك رجع لمراكش.

وفى هذه السنة أتت الهدايا للمترجم من ملوك أوربا ودوخت سفنه البحار،
وأسر عددا من النصارى، وغنم غنائم كثيرة تتبعها الضعيف فى تاريخه.

وفى السنة نفسها ساعد على وسق الصوف من مرسى آسفى لأوربا.

وفيهما كان اهتمامه ببناء مرسى فضالة.

وفى أواخره فتح المخابرة مع الدول فوجه الخياط عدليل الفاسى، والطاهر
بنانى الرباطى سفيرين إلى القسطنطينية فى وفد من أعيان المغرب لربط علائق المودة
مع الدولة العثمانية، وقدم هدية لها من نفائس المغرب.

فأدى الوفد السفارة وأحسن الوساطة ورجع مع وفد العثمانى بهدية اشتملت
على مدافع وآلة حرب وأدوات مراكب وضروب سلاح، فسر السلطان بذلك ورد
وفد العثمانيين مغموراً بكرمه المعهود على ما سنفضله بعد بحول الله فى باب
العلائق السياسية.

وفى سنة خمس وسبعين ومائة وألف عفا المترجم عن القائد محمد بن على
العروسى بعد أن مكث فى سجنه نحو تسعة أعوام وولاه عمالة أصيلة فبقى بها
مدة ثم ولاه عمالة المهديّة.

وفى عام ستة وسبعين ومائة وألف فتك بتمردة مسفيوة، وقتل منهم نحو أربعمائة، وكان من جملة القتلى القائد إبراهيم ولد الباشا بلا وعلى صهر عم المترجم المولى بناصر.

وفى منتصف رمضان العام نهض لتادلا وأوقع بآيت يمور، وأغار فى طريقه على أشقيين، وقتل وسبى ومهد البلاد، وحسم جرثومة الفساد، وتوجه للشاوية، وألقى القبض على كثير منهم ووجههم بالسلاسل لمراكش جزاء على ما أجزموا من العيث فى السابلة.

وفى خامس ذى الحجة قدم من عاصمة الجنوب مراكش إلى العاصمة المكناسية، وأقام بها يومين، ثم نهض للعاصمة الفاسية لإخماد نيران ما أجهج الحياينة من الفتن.

وفى يوم الثلاثاء الرابع عشر من المحرم عام سبعة وسبعين ومائة وألف نهض من فاس فى جيوش جرارة إلى جبل مرموشة وآيت يوسى الذين سعوا فى الأرض الفساد، فأوقع بهم وكسر شوكة تمردهم، ثم تقدم للحياينة فنهب أموالهم وفروا لجبل غياثة فاقتفى أثرهم على طريق تازا، إلى أن لحقت بهم العساكر إلى الجبل المذكور وأوقعت بهم وقعة عظيمة اضطرتهم للرضوخ للطاعة وهم صاغرون، فطلبوا العفو والأمان، فعفا عنهم وأمنهم من القتل، ثم انقلب لبلدهم فنسفها نسفا وذلك يوم الخميس سادس ربيع الأول.

وفى يوم الاثنين ثامن ربيع الثانى رجع لفاس مؤيدا منصورا، ونزل بدار دبيخ، واستخلف بفاس ابن عمه أبا العلاء إدريس بن المنتصر وأعطاه القبائل الجبلية، وفى أواسط ربيع الثانى أمر ببناء قبة ضريح أبى الحسن على بن حزمهم.

وفى صبيحة يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى نهض لمكناسة الزيتون، وفى غده الذى هو يوم الخميس أصدر أوامره بتزليج منار أبى العلاء إدريس الأزهر بانى

فاس رضى الله عنه، وألقى القبض على أولاد عدیل وأودعهم السجن فى مال لأبيه وله عليهم كانوا استسلفوه.

وفى يوم الاثنين تاسع رمضان نهض من مكناسة ووجهته مراكش، ولما حل بها قدم عليه أعيان مسفوية بمائة وخمسين فارسا فقتلهم كلهم واستأصل أموالهم، إذ كانوا بلغوا الغاية القصوى فى التمرد والبغى من عهد أبيه ولم يقلعوا عن ذلك، وقد طال ما عالج داءهم وهو خليفة فلم ينفع فيه ترياق، انظر الترجمان العرب.

ثم نهض من مراكش لمكناس فأغار فى طريقه على آيت سيبر من زمرور، فنهب حللهم وماشيتهم ومزقهم كل ممزق.

ولما حل بمكناس أصدر أوامره للقبائل بدفع المرتب بدمهم من الزكوات والأعشار أحواز فاس يدفعون للمكلفين بخزائنها، وأحواز مكناس يدفعون للمكلفين بخزائنها كذلك ثم نهض لفاس.

وفى العام ثار أحمد الخضر بالصحراء وأوقد نيران الفتنة بها، فوجه المترجم لعرب تلك الناحية فى شأنه فقتلوه ووجهوا له برأسه، وفيه بعث من الرباط الرئيس الحاج التهامى المدور سفيراً لبلاد السويد، والرئيس العربى المستيرى سفيراً لبلاد الإنجليز على ما يأتى فى بابه.

وفى عام ثمانية وسبعين ومائة وألف كان أسطول المترجم يتردد بين أكناف البحار ويجوس خلال الثغور الأجنبية فيقتنص مراكب الأجناس الأجانب إذ كانت المهادنة غير مقررة تماماً، وكان من جملة ما غنم الأسطول المغربى أسطولاً فرنسياً، ثم ورد مركب فرنسى على مرسى سلا والرباط وأطلق عليهما قنابله وذلك يوم الجمعة حادى عشر ذى الحجة، فخرج أهل الثغرين لظاهر البلد والأجنة بأولادهم

وضربوا الأخبية، وحصن الرئيس سالم المراكب السلطانية التي كانت تريد السفر للخارج أمام منار حسان واستمر الأمر على ذلك ثلاثة أيام، ولما لم يحصل الأسطول الفرنسى على طائل أقلع ورجع من حيث أتى.

وفيه أسس صاحب الترجمة ثغر الصويرة، فتوجه لذلك بنفسه بعد فراغه من عرس ابنه مولاي على وأخته، حتى اختطها على الهيئة التي يريد، وترك العملة بها على ما يأتى إن شاء الله فى آثاره.

وفى العام أوقع ببراير مرموشة بملوية، وفى صبيحة يوم عيد النحر وقع بمراكش حريق هائل هلكت فيه الأنفس والمتاع، وخربت الدور ولم يستطع أهل البلد حيلة لإطفائه ولا اهتمدوا سبيلا، امتدت تلك النيران الموقدة من جامع الفناء إلى خارج باب الخميس أحد أبواب المدينة المذكورة، وكان المتسيبون فى ذلك المتعاطون لشرب الدخان من أصحاب القائد حسابن، ولذلك عاقبه المترجم بالسجن والعزل، وولى مكانه ولد ابن ساسى المراكشى.

وفى عام تسعة وسبعين ومائة وألف هجم أسطول فرنسى على العرائش فخربها وهدم مسجدها ودورها بما ألقى عليها من المقذوفات المدمرة، وفى اليوم الثانى من هجومه نزل من عساكر أسطوله ألف واقتحموا الوادى فى خمسة عشر قاربا، وكانت للمراكب المغربية رياسة هناك فحرقوا السفينة التى غنمت منهم وكسروا أخرى كانت بجانبها ثم رجعوا فوجدوا القائد الحبيب الحمادى المالكى الغرباوى قطع خط الرجعة عليهم وأخذ بمخنقهم على فم الوادى، فأسر منهم أحد عشر قاربا بما فيها، ونجا أربعة وأرسل من أسر منهم إلى المترجم لعاصمة الجنوب مراكش الحمراء، ولم يزلوا عنده إلى أن فدتهم دولتهم ووقع الصلح فى السنة بعدها، وهى معاهدة عام ثمانين ومائة وألف الموافقة ثامن وعشرى ماى سنة سبع وستين وسبعمائة وألف وستذكر نصوصها.

قال أبو محمد عبد السلام نجل صاحب الترجمة فى ذرة السلوك : وبعد هذه الواقعة احتفل طاغية الإصبان والفرنصيص بهدايا لم يعهد مثلها - وسيأتى ذكرها فى باب - وقدمت رسلهم لمراكش لطلب الصلح والمهادنة .

وفىها توجه الكاتب السيد أحمد الغزال الفاسى سفيراً لبلاد الإصبان ، والرئيس على مرسيل الرباطى سفيراً لفرنسا ، والفقيهان الطاهر بنانى الرباطى والطاهر بن عبد السلام السلوى سفيرين للسلطان مصطفى العثمانى على ما يأتى من التفصيل والبيان .

وفىها خرج السلطان لقبائل الريف ، ومر على تطوان وغمارة ، فدوخ تلك القبائل إلى كبدانة ، ورجع على طريق تازا .

وفى هذه السنة عقد المترجم لنجله أبى الحسن على على ولاية المغرب ووجهه لفاس الجديد .

وفى عام ثمانين ومائة وألف حل المترجم بمكناس ، وألقى القبض به على عبد الصادق الريفى ، ومائة من أهل الريف ، وأودعهم سجون مكناسة ، ونهض لطنجة فاستولى على أموال عبد الصادق المذكور وسائر أمتعته ، وغرب أهل عصبته من طنجة إلى المهديّة ، وكان عددهم ألفاً وخمسمائة ، وولى عليهم محمد ابن عبد الملك ، وأنزل بطنجة من العبيد ألفاً وخمسمائة .

وفى هذه السنة بعث السلطان المترجم الرئيس عبد الكريم راغون التطوانى سفيراً للسلطان مصطفى العثمانى بهدية تقابل الهدية الحربية التى كافأ بها سفارة بنانى وابن عبد السلام المتقدمة .

وفى عام واحد وثمانين ومائة وألف ، كانت وقعة عمر كلخ رجل من أولاد المرابط الشيخ رحال معه ضرب من السحر أضل به الناس ، وقال لهم : أدخلكم

ليبت المال تأخذون ما فيه، واختلق كرامات استهوى بها بعض الحمقى والمغفلين وكثير ما هم، ومن أجل ذلك اجتمع عليه عدد عديد منهم، ودخل بهم مراکش يريدون القصبة السلطانية فافتتن الناس بذلك.

ولما اتصل الخبر بالمرجم وهو يومئذ ثم وجه إليهم أعوانه، فقبضوا على رأس الفتنة وافترت جموعه، ولما مثل بين يدي صاحب المترجم أمر بقتله فقتل.

وفى العام ورد عبد الكريم راغون من سفارته لاصطنبول مصحوبا بهدية السلطان مصطفى العثماني للمترجم، وهى مركب حامل للمدافع ومهاريز وعدة قنابل وغير ذلك مما يأتى ذكره، وكان نزول ذلك بثغر العرايش.

وفيه عقد السلطان مع الدانمرك معاهدة سياسية تجارية سنأتى على نصها.

وفى عام اثنين وثمانين ولى ابن عمه أبا العلا إدريس بن المنتصر عاملا على حاحة، وعقد له على ألفى فارس، وسار إلى أن استوفى منهم الموظف عليهم.

وفيه وجه ولده خليفته أبا الحسن عليا للحج وفى معيته صنوه عبد السلام صغيرا، وزفت معهما أختهما بنت المترجم لسلطان مكة الشريف سرور، وكان فى جهازها ما يزيد على مائة ألف دينار من الذهب والجواهر والأحجار الكريمة، ووجه معه هدية للحرمين الشريفين حسبما نفصل ذلك بعد، ووجه معه من وجوه أهل المغرب وأولاد الأمراء وشيوخ القبائل وجملة من حاشيته بالخيول المسومة والأسلحة المذهبة ما تحدث الناس به فى الشرق دهرًا، ووجه مع الوفد هدايا لولاة طرابلس ومصر والشام، وكان يوم دخولهم مكة مهرجان عظيم حضره أهل الموسم كلهم.

وفى السنة نكب السلطان المترجم كاتبه المؤرخ أبا القاسم الزيانى وهى نكبته الثانية بعد الأولى التى وقعت له ولأبيه بالينبوع فى رحلتها الحجازية.

قال فى الترجمانة الكبرى: «وتقلبت فى منصب الكتابة من غربه لشرقه، ولقيت من زعازع أرياحه ورعده وبرقه، إلى أن بلغت كرة الرأس ومضيق العنق،

ووقفت على دائرة الأفق، فى السفر والمقام، مدة من عشر أعوام، ثم حصلت فى النكبة، ووقفت على باب الندبة، وأقمت بين الهلك والتلف.

وفى عام اثنين وثمانين ومائة وألف، وهى النكبة الثانية، ولما خلصت من النكبة وكتب لى أمير المؤمنين سيدى محمد رحمه الله بعد الطلاق رسم الرجعة وقلدت ديوان كتابته، أقبل على بكليته، وأخلف ما ضاع، وصرت بالمماليك والأتباع، وبلغت أعلى المراتب، وتقلبت فى المناصب.

وفيه فتح الجديدة من يد البرتقال على ما يأتى عند ذكر فتوحه.

وفيه جلب السلطان أربعة آلاف من العبيد وأضاف إليهم ألفين وخمسمائة من الودايا وأنزلهم بأكدال من رباط الفتح، وبنى لهم هناك، وعند الضعيف أن ذلك كان سنة ١١٨٧.

وفيهما سعى لأهل الجزائر فى مفاداة أسراهم مع الإسبان، وأوفد كاتبه الغزال للجزائر لتسلم ذلك وتسليمه.

وفى عام ثلاثة وثمانين وجهت دولة البرتقال لصاحب الترجمة هدية عظيمة، وبعث رسله يطلبون المهادنة فأجابهم لذلك على ما يأتى.

وفيه أوقع بأهل تادلا إذ كانوا بغوا وطغوا، وولى عليهم صالحا ولد الراضى الوردىغى، فاستصفى أموالهم وتركهم عالة.

وفيه طلب أهل درعة من صاحب الترجمة أن يولى عليهم الباشا سعيد بن العياشى فساعدهم على ذلك.

وفى عام أربعة وثمانين ومائة وألف أوقع بجروان لعيثهم فى الطرقات وتكديرهم السلم العام فقتل منهم نحو الخمسمائة وجردهم من كل شىء وغربهم لأزغار، فأنزلهم وسط العرب ثم توجه لحصار مليلية.

وفى أول محرم عام خمسة وثمانين ومائة وألف ابتداء المترجم برمى مليلية بالمدافع والمهايريز، قال فى الروضة السليمانية: وحاربها أياما فكتب إليه أمير دولة

الإصبان يقول إننا عقدنا المهادنة برا وبحرا وهذا عقد الشروط الذى أتى به كاتبكم الغزال تحت أيدينا، فأجابه المترجم بما محصله إننا لم نجعل المهادنة فى بر وإنما جعلناهم معكم فى البحر، فوجه الأمير المذكور للمترجم عقد الصلح فإذا هو عام برا وبحرا فكف عن محاربتهم، وشرط عليهم حمل مدافعه والمقومات الحربية فى مراكبهم بعضها لمرسى طنجة والبعض الآخر للصويرة لما يلحق المسلمين من المشقة فى جر ذلك برا فقبل الإصبان الشرط وحملوا ذلك فعلا للمرسيين المذكورين وارتحلت الجنود الإسلامية عنهم.

هذا ما عند الزيانى فى الترجمان العرب والروضة السليمانية، والذى عند الضعيف، أن المترجم نزل على مليلية فى خامس شوال عام ثمانية وثمانين ومائة وألف وأنه حاصرها نحو الثلاثة أشهر.

وقال فجل المترجم المولى عبد السلام صاحب درة السلوك: إن ذلك كان سنة سبع وثمانين، وأنه كان إذ ذاك واليا على مدينة فاس، وأنه صحب والده المترجم فى هذه الغزوة مع أخويه أبى الحسن على، وأبى التيسير المأمون، وأن والده لما نزل على مليلية ضايق أهلها وهدم دورها، ثم سعى صاحبها فى تجديد المهادنة وبذل مالا جزيلا وعدة من أسارى المسلمين، فساعد المترجم على ذلك، وارتحل عنها وسار إلى مكناسة، وهو عندى أصح لحضوره والله أعلم.

ثم إن المترجم عزل الغزال عن الكتابة لتغفله، وبقي فى زوايا الإهمال إلى أن كف بصره ومات رحمه الله.

وقال فى الاستقصا^(١) ما نصه: وسمعت من بعض فقهاء العصر وقد جرت المذاكرة فى كيفية هذا الصلح، فقال: إن الغزال رحمه الله لما أعطى خط يده بالصلح والمهادنة، كتب فى الصك ما صورته: وإن المهادنة بيننا وبينكم بحراً لا براً، فلما حاز النصارى خط يده كَشَطُوا لَامَ الألف، وجعلوا مكانها واواً، فصار

(١) الاستقصا ٨ / ٤٠.

الكلام هكذا بحرًا وبرًا، وأن السلطان رحمه الله إنما أخره لاختصاره الكلام وإجحافه به حتى سهل على النصارى تحريفه، وكان من حقه أن يأتي بعبارة مطولة مفصلة حتى لا يمكن تحريفها فيقول مثلاً: والمهادنة بيننا وبينكم إنما هي في البحر، وأما البر فلا مهادنة بيننا وبينكم فيه أو نحو هذا من الكلام، فيصعب تحريفه، وقد نص أهل علم التوثيق على هذا، وأن الموثق يجب عليه أن يسطر الكلام ما استطاع ويتجنب الاختصار المجحف وما يؤدي إليه بوجه من الوجوه والله أعلم هـ.

وفى عام ستة وثمانين عزل قاضى الرباط أبا على الحسن بن أحمد الغربى، وولى مكانه أبا عبد الله محمد بن سعيد الفيلالى، وذلك فى رجب وفيه صدر الأمر العالى ببناء مرسى فضالة، وفيه ولى الحاج عبد الوهاب اشكالنطو الأندلسى ثم الرباطى عمالة الرباط.

وفى سنة سبع وثمانين حرك لآيت ومالو بإغراء من بلقاسم الزمورى، حيث كانوا امتنعوا من قبوله عاملاً عليهم، وطلب من الجلالة السلطانية إمداده بجند يرغمهم به على قبول ولايته، فأعطاه ثلاثة آلاف فارس وضم إليها إخوانه زمور وتوجه إليهم، ولما التقى الجمعان بوادى أم الربيع كانت الهزيمة على الزمورى المذكور، فولى الأدبار وغضب السلطان لذلك وأمر بخروج العسكر، وبحث لأمرء القبائل أعراباً وبرابرة، ولما وردوا على جلالته نهض من مكناسة.

قال أبو القاسم الزيانى فى البستان: وكنت معه فى تلك الحركة وأنا فى حيز الإهمال، أتوقع الموت كل يوم بسبب ما كتب له بلقاسم الزمورى فى شأنى وأنى أنا الذى أفسدت عليه القبائل، ولما بلغ السلطان محلة بلقاسم واجتمع به ونزلت تلك العساكر كلها فى بسيط واحد بميرت، أشار على السلطان أن يقسم تلك العساكر على ثلاثة فرق: فرقة بتامساكت، وفرقة بزاوية محمد الحاج، وفرقة تكون معه على طريق تكط، والسلطان ينزل بعساكره بقصبة آدخسان، وتقصدهم العساكر من كل ناحية، وقرب للسلطان البعيد، والحال أنه لا يعرف البلاد.

ومن الغد افتרכת العساكر فتوجه كل لناحيته المعينة له ونحن توجهنا مع السلطان لآدخسان، ولما قطعنا وادى أم الربيع وجه السلطان جدوانا للغارة أمامه ونحن على أثرهم إلى أن بلغوا قصبة آدخسان، فلم يجدوا أحداً ووقفوا إلى أن وصلهم السلطان فقال لهم:

أين هؤلاء القوم؟ فقالوا ما رأينا أحداً ولا وجدنا أثراً، وهذه قصبة آدخسان، فأمر بنزول العساكر وبقي متحيراً، فقال: نادوا فلانا يعيننى، فتوجهت له قبل أن ينزل عن فرسه فقال لى: أتعرف هذه البلاد؟ قلت: نعم أعرفها، فقال: وأين أهلها، قلت: فى جبلهم، قال: أوليس هذا جبلهم آدخسان؟ قلت: لا، هذه قصبة المخزن والجبل هو من تلك الثنايا السود أمام وأريته الثنايا، فقال: وأين الزاوية التى توجهت لها العساكر مع قدور ابن الخضر ومسرور؟ قلت: هى عن يمين تلك الثنايا فى البسيط، قال: وأين تاسماكت التى توجهت لها أمم البربر مع محمد وعزيز؟ قلت: بيننا وبينها مرحلتان من وراء تلك الثنايا، قال: ومن أين يأتى بلقاسم؟ فأريته الثنية التى يأتى منها، وقلت: لا يصلنا إلا غدا إن سلم، فقال: وما علمنا؟ فقلت: ضرب فى حديد بارد الذى فى الزاوية لا ينفع والذى بتاسماكت لا ينفع، وآيت ومالو متحصنون فى الجبال، وبلقاسم رجل مشؤم عافى الله مولانا من شؤمه.

فظهر لمولانا نصره الله خلاف ما سمع من بلقاسم وتحقق بفساد رأيه، وعلم أنه أخطأ فيما ارتكبه من الغرر بالمسلمين، وبينت له السبب الذى نفر به آيت ومالو من بلقاسم حتى عرفه، فقال لى: اكتب لزيان يأتون فإننى سامحتهم، فكتبت ووجهت لهم بعض الأشراف من آدخسان مع اثنين من أصحاب السلطان، وساروا إليهم ليلاً، ومن الغد أصبح علينا أربعة منهم بهديتهم فدخلت بهم السلطان ففرح بهم وقبل هديتهم، وقال لهم: إنى سامحتكم على وجه كاتبى فلان، ووجههم بالبشارة لإخوانهم وباتت تلك الليلة العساكر كلها بلا علف ولا تب، ومن الغد

ظهرت محلة بلقاسم ومعه المختار والعبيد باتوا فى الحرب طول ليلتهم، ولما بلغوا أمرنى أن نتوجه لهم وننزل العبيد بجوار السلطان وبلقاسم ينزل مع إخوانه زمور وبنى حكم، وأعرض عنه السلطان وعن الكلام معه، وأمره أن يوجه إخوانه لبلادهم، ووجه القبائل كلها، وفرق ذلك الجمع وارتحل لتادلا.

وأما الذين نزلوا تاسماكت مع محمد وعزيز بيتهم آيت أمالوا وشتتوا جمعهم ونهبوا محلتهم وقتلوا منهم عددا كثيرا، ورجعوا لمكناسة مغلولين.

ولما بتنا بالزرهونية ورد علينا أصحاب قدور بن الخضر بكتاب يقول فيه: إن البرابر اجتمعوا علينا من كل ناحية، فإن لم يتداركنا سيدنا هلكنا، فأمرنى بالتوجه إليهم والاحتياى فى خلاصهم بكل ممكن، ووجه معى مائة من الخيل فرجعت للزاوية فوجدت القبائل محيطة بهم، فاجتمعت بآيت يسرى ووعدتهم من السلطان بالعطاء الجزيل لتجوز المحلة فى بلادهم فأنعموا بذلك، وحملت المحلة مع الفجر وتركنا بلاد آيت ومالو وقطعنا الوادى لبلاد آيت يسرى، وتوجه معنا نحو المائة من أعيانهم إلى أن أخرجونا لتادلا لوادى تاقيالت ورجعوا عنا، وتقدمت للسلطان فأخبرته بقدوم المحلة وبلوغها لتاقيالت فسرر ذلك ودعا لى بخير، وقال: لا بد أن ترجع لها الساعة وأعطانى مالا أفرقه عليهم وأكتب لهم المنازل لمكناسة، وبها ينتظرهم السلطان فرجعت لهم فى الحسين.

ولما كان صباح غد يوم وصولى إليهم فرقت عليهم المال وتوجهوا ورجعت، ثم أصابت السلطان حمى فمرض بتادلا، وكان الطبيب الأديب السيد أحمد أدراق يعالجه ولا يدخل عليه غيره وغير صاحب طعامه الحاج عبد الله، وغيرى فى أمور مكاتب الدولة إلى أن عافاه الله فأعطى الطبيب ألف دينار فى يوم واحد رحمه الله.

قال: ثم توجه السلطان لمكناسة وبلوغه قبض على بلقاسم الزمورى ونكبه واستصفى أمواله، وعزله عن زمور، وبنى حكم، وولى عليهم محمد وعزيز

بإشارتي، ومن ذلك الوقت رفع منزلتى على أبناء جنسى وقدمنى على غيرى، اهـ
الغرض منه .

وفى هذه السنة انعقدت بينه وبين البرتغال معاهدة سيأتى ذكرها فى بابه .

وفى عام ثمانية وثمانين عزل محمد بن أحمد الدكالى عن القبائل التى
كانت إلى نظره ولم يترك له إخوانه أهل دكالة، وولى على السراغنة محمد الصغير
وعلى أهل تادلا ولد الراضى، وعلى أولاد أبى رزق صاحب الطابع، وعلى أولاد
أبى عطية عمر بن أبى سلهم، وأمر ابن أحمد أن يقبض من إخوانه الذين كانوا
عمالا على القبائل ما أكلوا من المال فقبض منهم مائة وخمسين ألفا، وفيه بلغ
الزرع سبعة أواق للمد.

وفيه صدر الأمر بإيصال الماء من عين عتيك للرباط، وفيه عزل ابن سعيد
الفيلالى عن قضاء الرباط وولى مكانه أبا عيسى المهدي مرينو الرباطى، وفى عاشر
رمضان توفى أبو عيسى المذكور، واتفق أهل الرباط على تولية ولده أبى عبد الله
محمد .

وفى عام تسعة وثمانين ثار عسكر العبيد على المترجم، وخلعوا ربقة طاعته
من أعناقهم، وبايعوا ولده اليزيد، ونشأ بسبب ذلك فتن وأهوال، وكان السبب فى
ثورتهم أمر المترجم لهم بالرحيل لطنجة وإيعاز القائد الشاهد لهم بما أوجب نفرتهم
وانسلاخهم عن الطاعة، وذلك مبسوط فى البستان .

وفى عام تسعين ومائة وألف، رحل عن عرب تكنى ومجاط ودوبلال من
سوس لسائس، وأقاموا به نحو العام، ثم نقلهم للشرائط فهموا بالهروب إلى
بلادهم، ولما أحس المترجم بذلك أمر الشاوية بالكون منهم على بلل ومنعهم من
المرور .

وفيه نهض من مراکش للصويرة.

وفيه عم الجراد.

وفيه ثار العبيد الذين بطنجة على قائدهم الشيخ وقائد الأحرار ابن عبد المالك وراموا قتلها فهربا لآصيلا، ثم راجع العبيد أنفسهم وقبضوا على الفعلة ووجهوا بهم للمترجم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ثم تفاحش ضرر العبيد بالثغور.

وفى آخر العام نهض المترجم من مراکش وسار إلى أن حل برباط الفتح فوجه للعبيد البغال والجمال، وكتب لهم يأمرهم بالنهوض من الثغور والتخيم بدار اعربى^(١)، وواعدهم بتوجيه بغاله إليهم بمجرد وصولهم لمشرع الرمل يحملون عليها أولادهم وأثقالهم إلى مكناسة محل استقرارهم، ولما بلغهم الكتاب المذكور فرحوا واستبشروا، ولما نزلوا بدار اعربى أغرى عليهم بنى حسن وأهل الغرب ونهض هو فى القبائل الحوزية ونزل بسوق الأربعاء على مقربة منهم، ومن الغد وجه سفيان وبنى حسن وبنى مالك والخلط وطلق بمحلتهم، وقال لهم: انزلوا على العبيد واجعلوهم وسط محلتكم واستسلموا منهم الخيل والسلاح ثم اقتسموهم كل واحد منكم يأخذ عبداً وأمة وأولادهما، العبد يحرق ويحصد، والأمة تطبخ وتعجن وتسقى وتحتطب، والولد يسرح، فخذوهم^(٢) بآرك الله لكم فيهم، فاركبوا خيلهم، واحملوا سلاحهم والبسوا ثيابهم، وكلوا ما عندهم، فأنتم عسكري^(٣).

ففعّلوا بهم ذلك عقوبة لهم على ما أكرموا، وانقلب صاحب الترجمة للرباط، وفرق العبيد الذين كانوا عفا عنهم وردداهم وكساهم وسلاحهم وأعادهم للجندية وفرقهم فى الثغور، فانكسرت شوكتهم وصلحت أحوالهم.

(١) فى الاستقصا ٤٨/٨ : «دار عربى».

(٢) فى الاستقصا : «فخذوهم وتقلدوا سلاحهم».

(٣) الاستقصا ٤٨/٨ .

وفى العام فشا القحط وامتد إلى عام ستة وتسعين ومائة وألف، كانت تلك السنون كسنى يوسف أكل الناس فيها حتى ميته الأدمى، ومات خلق كثير جوعاً، والمترجم يعالج أمر الجند بتتابع الرواتب، ورتب لأهل المدن الخبز يفرق على الضعفاء والمساكين فى كل حومة، وسلف القبائل أموالاً بواسطة أشياخها وزعت على الضعفاء، وكان يعطى للتجار الأموال بقصد جلب الأقوات من الأقطار الشاسعة لإيالته المغربية، ويأمرهم ببيع ما جلبوه بالثمن الذى اشترى به إعانة للمسلمين ورفقا بضعفائهم.

ولما تقلص ظل تلك المجاعة، ورام القبائل رد ما أخذوه على وجه السلف أبى المترجم قبول ذلك منهم، وقال: لم أخرج ذلك بنية الرد، وإنما ذكرت الاستسلاف لئلا يأكل الأكابر والأشياخ تلك الأمور إذا تحققوا عدم الرد، وأسقط عن القبائل الوظائف كلها أربعة أعوام إلى أن عم الخصب^(١).

وفى عام واحد وتسعين ومائة وألف وجه ابن عمه وزيره أبا الحسن على بن الفضيل لدرعة لاستيفاء ما بذمهم من الزكوات والأعشار فقتلوه باصغرو، فى ذى القعدة من العام، وفى رجب منه توفى قاضى مراكش أبو فارس عبد العزيز العبدلى السكتانى، وفيه جمع المترجم شتات الشبانات الذين كان فرق شملهم فى القبائل السلطان الرشيد مار الترجمة.

وفى عام اثنين وتسعين ومائة وألف خسفت الشمس خسوفا كلياً حتى ظهرت النجوم ودام ذلك نحو أدراج ثلاثة. قال الضعيف: ثم بدأ انجلاؤها من جهة المغرب، وكان بين الابتداء والتمام ما يقرب من الساعة، وذلك قرب عصر يوم الأربعاء الثامن والعشرين من جمادى الأولى.

(١) الاستقصا ٤٩/٨.

وفى منتصف جمادى الثانية منه ألقى القبض على الباشا محمد القسطلالى
بمراكش واستولى على جميع أمواله، كما ألقى القبض على ولد الراضى قائد تادلا
وقطع يده واستولى على جميع أمتعته، وكان من جملة ما وجد عنده ثلاثون
قنطارا فضة، ثم عفا عن القسطلالى وسرحه.

وفى العام دخل ماء عين عتيك للرباط.

وفى عام ثلاثة وتسعين كان الجراد المنتشر ووقع فى البقر موت كثير حتى كاد
أن يعدم وذلك لتوالى المحول.

وفى عام أربعة وتسعين ومائة وألف أمر بإخراج العبيد من رباط الفتح،
وكانوا يعدون بنحو سبعة آلاف وسبعمائة، فلم يسعهم غير الامتثال، وفى شوال
نهض لمكناس ولما نزل بقرميم أمر بإخراج من بقى من العبيد بالرباط، ولم يترك
غير عبيد تافيلالت، وكان عددهم يقرب من خمسمائة، ثم نهض إلى مراكش وفيه
عقد لنجلاه البار المولى أبى محمد عبد السلام على السوس الأقصى ودرعة.

وفى عام خمسة وتسعين ومائة وألف أوقع بأولاد أبى السباع لخروجهم عن
الجادة وارتكابهم ما لا يليق، وقتل منهم عدداً كبيراً وتفرق باقيهم فى القبائل،
منهم من قصد لوادى نول، ومنهم من ذهب للساقية الحمراء وبقيت الباقية منهم
تتكفف بأحواز مراكش وغيرها جزاء بما كانوا يعملون.

وفيه رحل أولاد دليم من بلادهم وأنزل بها زرارة والشبانات.

وفى صبيحة يوم الأربعاء ثامن عشرى شوال العام كسفت الشمس.

وفى العام انحسب المطر وصلى الناس فى الرباط صلاة الاستسقاء، وكان
الخطيب أبو محمد عبد الله البنانى، ثم أعيدت والخطيب أبو عبد الله محمد بن
أبى القاسم السجلماسى فأمطروا ورحم الله العباد.

وقد كان المترجم فى زمن المحل يحسن ويصل العامة والخاصة بما يسد خللهم .

وفيه أمر القائد الهاشمى السفينانى بالنزول على وزان فقبض من أبى العباس أحمد بن الطيب نحو العشرين قنطارا، ودفع ما كان لديه من الحلى والجواهر . وفى ذى الحجة منه توجه الكاتب ابن عثمان من مراكش فى سفارته لمالطة ونابلى .

وفى عام ستة وتسعين ومائة وألف زاد الأمر شدة وتجلى الله سبحانه على عباده بالقهر والجلال والكبرياء والمترجم يكابد المشاق العظام فى ذلك التجلى المفرع ويصرف الأموال ذات البال فى الجيوش والرعية ويوالى التبرعات .

وفى عام سبعة وتسعين ومائة وألف مطر المغرب ونجح الحرث وكثر الخصب ورخصت الأسعار وتجلى المولى سبحانه لعباده بصفة الجمال والكمال واشتغل المترجم بتمهيد الدولة ورتق ما انفتق منها^(١) .

وفيه حاصر آيت يَمُور ومن القبائل البربرية بجبل زرهون إلى أن أخرجهم منه وأنزلهم بحوز البهاليل من فحَص سايس، وأكل زروعهم لطغيانهم فى البلاد، وإذيتهم للعباد، وقبض على الدعى محمد والحاج اليمورى وقتله .

وفيه توجه لباغية آيت يوسى فتحصنوا ببعض جبال فازاز، وظنوا المنعة فحاصرهم واقتحم عليهم حصونهم وفرق أحزاب ضلالهم ونهبت زروعهم واستؤصلت ضرعهم وتركوا عالة على القبائل، وذلك يوم الأحد الثالث عشر من رجب العام، وبعد رضوخهم للطاعة وهم صاغرون رجع صاحب الترجمة لفاس .

(١) الاستقصا ٤٩/٨ .

وفى سابع عشرى رجب المذكور نهض من فاس ووجهته تافيلالت فى اثنى عشر ألف جندى ما بين فرسان ورماة. قال الضعيف: وكان للفارس خمسة أواق مياومة وللراجل نصفها كذلك مدة حركتهم معه هذه.

وكان نهوضه هذا لتافيلالت بعد أن وجه ولده المولى يزيد للحج دفعا لما يخشى منه وأصحبه أمينا يصير عليه وأناسا لخدمته.

ولما أشرف على تافيلالت فر من حولها من البرابر كالنازلين بمطغرة، ووادى الرتب، وقصر السوق، وأولاد عيسى، والدويرة وأخرج عمه المولى الحسين منها، ووجه به لمكناسة وأتبع به أولاده انتقاما منه حيث إنه رام شق العصا وتفريق كلمة المسلمين بالدعاية لنفسه بالإمامة، وهدم قصبته المعروفة بأولاد جبور، وتامورات ولم يغنه ما كان له من الجاه والوجاهة بتلك الناحية، حتى إنه كان لا يمكن إبرام أمر بتافيلالت إلا بموافقته.

وقد كان عفا الله عنه يرتكب أمورا شنيعة، منها أنه تسبب فى خراب دار ابن أخيه المولى الشريف بن زين العابدين، وأغرى البربر عليه حتى اقتحموا داره وقتلوه صبورا، ومنها قتله أبناء أخيه المولى يوسف بن إسماعيل وذلك سنة اثنتين وستين ومائة وألف، ولم يزل عمله جاريا على نحو ما ذكر من الموبقات العظام إلى هذه السنة التى أخرجه المترجم من موطن عزته فيها.

ثم قبض المترجم على ما يزيد على العشرين قنطارا من خصوص أهل الغرفة، وما يزيد على المائة قنطار من أهل تافيلالت، ومن أهل وادى المالح وما يليه ستة عشر قنطارا، ومن أهل تابو عصامت وما يليها ستة عشر قنطارا، ومثل ذلك من أهل السيفة وما يليها، وهد قصبتهم بوصاية من أبيه، وكان هذه لها آخر ذى القعدة من العام.

ثم ارتحل لمراكش بعد أن أقام بتافيلالت شهراً، وحسم داء آيت عطة، وآيت
يفلمال وولى عليهم القائد على بن حميدة الزراري، وكان رجوعه لمراكش على
طريق، ومن الغد رفع الله تلك الثلوج وأصبح اليوم عيد الأضحى، فخطب
السلطان الناس بنفسه، ودعا للسلطان عبد الحميد العثماني ثم قام فدخل مراكش.

وفى العام نفسه وجه ولده أبا محمد عبد السلام لأداء فريضة الحج حيث إنه
كان عام حجه مع أخيه المولى على لم يبلغ الحلم حسبما أشرنا لذلك، ووجه فى
معيته للحجاز أموالاً تفرق فى أناس عينهم نذكرهم فيما يأتى لنا بعد بغاية
الإيضاح بحول الله.

وفى عام ثمانية وتسعين ومائة وألف وجه أموالاً إضافية لتصان بقصبتها التى
بالرصانى من تافيلالت، ووجه لمن هنالك من الأشراف الكسوة ورتب لهم فى كل
سنة مائة ألف مثقال، ووجه ابن عمه وصهره المولى عبد المالك بن إدريس للحج
وفى معيته الكاتبان أبو عبد الله محمد بن عثمان، وأبو حفص عمر الوزير،
والحاج عبد الكريم بن يحيى أمير الركب، ووجه معهم هدية نقدية لها بال لأهل
الحرمين والحجاز واليمن بعد أن يذهبوا لاصطنبول أولاً، وكتب للسلطان العثماني
أن يوجههم مع أمير صرته الذى يذهب إلى الحرمين الشريفين كل سنة، فلما بلغوا
حضرته وجدوا أمير الصرة قد سافر فأقاموا إلى الموسم القابل وسافروا مع الركب.

وفى عام تسعة وتسعين ومائة وألف، نهض لثغر الصويرة^(١)، وكان وصوله
إليها يوم السبت السادس عشر ربيع الثانى ودخل الجامع قصبته صلى به العصر،
 واجتمع بمن بها من العلماء فاسيين وسوسيين وغيرهم، وأقام بها أياماً ثم نهض
وسار إلى أن حل بالدار البيضاء، ولما شاهد مرساها أعجبه فأصدر أمره ببناؤها،
 وولى على الشاوية القائد عبد الله الرحمانى بعد أن سرحه من السجن، ثم ارتحل

(١) انظر فى ذلك: الاستقصا ٨/ ٥٤.

إلى ثغر الرباط، وكان حلوله به يوم الخميس فاتح ذى الحجة، فقصد أولا جامع السنة، حيث كان الفقهاء والعلماء فى انتظاره، ولما أقبل عليهم استفتحوا قراءة سورة: إنا فتحنا، وبعد أن فرغ من تحية المسجد جلس أمام المحراب والطلبة محدقون به وبعد ختم السورة المذكورة وتقديم تحياتهم إليه توجه لقصوره، ونزلت المحلة خارج المدينة، وأقام هو بالرباط أربعة أشهر، وقام أهل العدوتين بضيافته وتقديم فاخر الأطعمة إليه، وهو يصل كل من أتاه بشيء من الطعام بصلات من عشرة مثاقيل إلى عشرين.

وفى عام مائتين وألف، أوقع بأهل أبى جعد وقعة عظيمة، واستصفى أموالهم وخرب دورهم، وذلك يوم الأحد الثانى عشر من ربيع الثانى لإيوائهم أهل الزيغ والفساد، وسعيهم فى إيقاد نار الفتن، وتعدد صدور النهى لهم عن ذلك فلم ينتهوا، ثم بعد ذلك نهض لمراكش، وأنهض معه أبا حامد العربى بن المعطى الشرقى للاستيطان بمراكش والتغريب عن محل الفتن فاستوطنها، وصار يدرس بجامع الكتبيين منها.

وفى يوم الأحد الثالث عشر من ذى الحجة بارح المترجم مراكش، وفى يوم الاثنين ثانى عشرى الشهر خيم بإزاء وادى يكم، وفى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين منه حل بالرباط، وفى العام وجه كاتبه المؤرخ أبا القاسم الزيانى سفيرا للسلطان عبد الحميد العثمانى كما سنشرح ذلك بعد.

وفى عام واحد ومائتين وألف، نهض من رباط الفتح ووجهته مكناسة، وذلك يوم السبت حادى عشرى ربيع الثانى، وفى يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى نهض من العاصمة المكناسية لفاس وأقام به ثلاثة أيام، ثم ارتحل منه يوم السبت ثالث عشر الشهر يريد تافيلالت، وسار إلى أن دخلها يوم الجمعة السادس عشر من جمادى الأولى، وأقام بها نحو شهر، وعم ببذله الذهب والفضة سائر

الطبقات الشرفاء والعلماء من الخنك إلى أقصى تافيلالت، وزوج الأرامل وغيرهم، وأعطى لكل عروس خمسين مثقالا ذهبا، وحسم مادة الفساد من تلك البلاد، ثم نهض لمراكش يوم السبت خامس عشرى جمادى الثانية وسار إلى أن دخلها أوائل رجب، وفي العام وجه كاتبه ابن عثمان آتى الترجمة سفيرا للقسطنطينية العظمى حسبما سنوضحه بعد.

وفي عام اثنين ومائتين وألف نهض من مراكش قاصدا فاسا، حيث بلغه عيث شراكة وسعيهم فى الأرض الفساد، ولم يزل يطوى المراحل إلى أن دخل مكناسا، ثم فى يوم الجمعة فاتح رمضان نهض لفاس ولما اتصل الخبر بشراكة فروا لجبل أمركو واستجاروا بضريح أبى الشتاء، فاقتفى أثرهم بجنوده، ولما التقى الجمعان شبت بينهما حرب هلك فيها خلق ثم انهزمت شراكة شر هزيمة ومزقوا كل ممزق، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا.

وفي أوائل رمضان نهض من بلاد شراكة بعد أن تابوا وأنابوا، ونزل بايناون من بلاد الحياينة، وبعث الجيوش تحت القائد العباس السفينانى لناحية القبائل الريفية بقصد زاوية بنى توزين المنسوبة للشيخ أبى عبد الله محمد بن ناصر الدرعى، ولما أحسوا بورود الجيوش إليهم هربوا لموضع حصين تحصنوا به، فدخل الجيش السلطانى الزاوية واستولى على جميع أقواتها وذخائرها وهدها هدا كما هدا روضة الشيخ أبى محمد عبد الله، وروضة ولده الشيخ أبى عبد الله محمد.

ولم يزل المترجم مقيما بايناون إلى أن صام رمضان وأقام سنة عيد الفطر، ثم رحل لفاس، ونزل بدار ديبىغ، وأقام بها نحو من تسعة أشهر.

ثم بلغه رفض أهل تامسنا طاعة عاملهم صهره القائد عبد الله بن محمد الرحمانى وبالأخص أمزاب، والبعض من الشاوية، فنهض فى القبائل البربرية وسار إلى أن وصل مكناسة، ثم بارحها يوم الثلاثاء خامس عشرى رجب، وسار

إلى أن وصل الرباط ضحى يوم السبت تاسع عشرى رجب، وفى يوم الأحد رابع شعبان نهض من الرباط ووجهته الشاوية، وأوقع بالمعتدين منهم وقعة لم يتقدم لها نظير، قطع فيها سبعمائة رأس من رؤسائهم المفسدين، وقبض على مائتين، وكانت هذه الواقعة يوم الثلاثاء ثالث عشرى شعبان، ثم نهض إلى مراكش وسار إلى أن حل بها يوم الأربعاء.

وفى رابع عشرى ذى القعدة تبرأ المترجم من عهدة ولاية أى أحد، وأحضر العلماء وأمرهم بالإشهاد عليه بذلك، ونص الإشهاد على ما فى تاريخ الضعيف:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً».

وبعد: فإن مولانا أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، أيده الله بتوفيقه، ومنحه كرامة سلسيله ورحيقه، تبرأ من عهدة تولية أحد مرتبة من مراتب الدين، وأنه التزم هذا الأمر التزاماً أذاعه وأفاضه، وألزم نفسه العمل بمقتضاه، وصدر منه هذا الأمر الشريف هروباً بنفسه لساحل السلامة، ولقوله ﷺ: أحب أن ألقى الله وليس لأحدكم قبلى مظلمة، والله تعالى يتولاه بتوفيقه ورضاه، أشهد عليه أيده الله بذلك من أشهده على نفسه، وهو يمحله ولايته ومقعد حكومته برابع عشرى ذى القعدة الحرام عام ثلاثة ومائتين وألف: أفقر الورى لله تعالى محمد بن قاسم السجلماسى وفقه الله بمه، وعبد ربه تعالى محمد بن العباس الشراذى لطف الله به، وعبد ربه تعالى محمد بن أحمد الخطاب خار الله له يمينه، الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله محمد العربى ابن المعطى بن صالح، وفقه الله للعمل الصالح، وعبد ربه إبراهيم بن أحمد الزداعى، وعبيد ربه تعالى محمد الدرعى خار الله له فى الدارين، وعبيد ربه تعالى محمد بن عبد العزيز غفر الله له آمين، وعبيد ربه أحمد بن العباس الشراذى، وعبيد ربه تعالى

محمد السلامى لطف الله به آمين، وعبيد ربه تعالى العباس بن على غفر الله له، وعبيد ربه أحمد بن عبد العزيز وفقه الله بمنه، وعبيد ربه تعالى عبد القادر بن المعطى الشرقاوى لطف الله به بمنه، وعبيد ربه محمد وفقه الله، وعبيد ربه تعالى محمد بن يعقوب وفقه الله آمين» بلفظه.

ثم بعث بهذا العقد لجميع مدن المغرب، وأخذ فى غلق أبواب دار دبيغ وتخريبها، ونزع الأبواب الخشبية وغير ذلك من الانقراض.

وفى العام نفسه وجه له السلطان عبد الحميد خان كاتب ديوانه أبا العباس أحمد أفندى وجملة من أعيان القسطنطينية بهدية فاخرة، سيأتى ذكر ما اشتملت عليه.

وفى عام ثلاثة ومائتين وألف نهض المترجم من العاصمة المكناسية وذلك يوم الثلاثاء خامس عشرى رجب العام، وسار إلى أن خيم بقرميم، وفى ضحى يوم السبت حل بالشعر الرباطى، وفى يوم الأحد رابع شعبان بارح الثغر المذكور وسار إلى أن وصل الشاوية وأوقع بفرقة امزاب منها شر وقعة لعصيانهم ومؤازرتهم للنهاب قطاع الطريق الساعين فى الأرض الفساد، واقتناعهم من تسليمهم للحضرة السلطانية بعد ما أمروا بذلك مرات، وحذروا فلم يزددهم التحذير إلا إغراء.

كما أوقع بجيرانهم بنى مسكين لإيوائهم إليهم بعد أن نهوا عن ذلك وحذروا وأنذروا، وبعد أن طهر الأرض من أهل الفساد والعبث توجه إلى عاصمة الجنوب، وكان حلوله بها يوم الأربعاء رابع عشرى شعبان المذكور، وبعد حلوله بها أصدر أوامره لبحرية العدوتين بالتوجه للعرائش وزخرفة السفن الأربعة التى كان عينها من جملة الهدية التى هياها للسلطان عبد الحميد خان العثمانى، وأسند الأمر فى القيام بشئون ذلك لناظر الأوقاف الطالب المكى بار كاش، وفى منصرم

الشهر وجه صاحب الترجمة صهره القائد محمد الزوين بن عبد الله الرحمانى بالهدية التى من جملتها السفن المذكورة.

وفى عام أربع ومائتين وألف، أمر حاجبه أبا عبد الله محمد قادوس أفندى بالإتيان إليه بما فى بيت مال تطاوين، ووضعه بمكناس ولما ورد به إليها أحضر الأمناء ووضعه بمحضرهم فى المحل الذى أمر بوضعه فيه.

وفى العام تفاحش أمر اليزيد نجل المترجم، واشتدت شوكته، وفى يوم الاثنين الثانى عشر من رجب نهض صاحب الترجمة من مراكش لينظر فى أمر ولده المذكور، وفيه كان ابتداء المرض الذى كانت منيته به.

محبه للعلم واعتناؤه بأهله

لقد كان له رحمه الله اعتناء زائد زمن خلافته بمطالعة كتب الأدب والتاريخ والسياسة وأحوال العرب وأيامها ووقائعها وأنسابها حتى فاق فى ذلك معاصريه، وصار المرجوع إليه فيه، قال الزيانى وغيره ممن عاصره وخالطه: كان يستحضر كل ما يطالعه حتى كاد أن يحفظ كتاب الأغانى برمته لا يعزب عنه منه إلا النادر.

ولما نال الخلافة العظمى عن جدارة واستحقاق، أكب على مطالعة كتب السنة وولع بسرد كتب السيرة والحديث، وصار لا شغل له غيرها فى أوقات فراغه من الأحكام وتدبير أمور الرعية، فحصلت له بذلك ملكة فى السنة وأحكامها لم يلحقه فيها غيره، وجلب من المشرق ما لم يكن بالمغرب من مصنفاتها ذات البال، كمسند الإمام أحمد، ومسندى أبى حنيفة والشافعى، وغير ذلك من مهم المتون والشروح، وأمر علماء وقته بشرح مؤلف الصغانى الحديثى، فكان ممن شرحه الشيخ التاودى بن سودة.

وكان بعد صلاة الجمعة يجلس بمقصورة الجامع مع فقهاء مراكش ومن يحضر عنده من علماء المغرب الوافدين عليه يجالسهم إكراما لهم وتنويها بقدرهم

ويذاكرهم فى الحديث وفقهه والآداب وأيام العرب، وكانت له اليد الطولى فى جميع ذلك، وكان يحصل له النشاط التام بالذاكرة معهم فى العلوم، وكثيرا ما يقول لهم على سبيل التأسف: والله لقد ضيعنا أعمارنا فى البطالة واللهو فى حالة الشبيبة.

وربب أوقاتا لسرد الأحاديث النبوية والتفهم فى معانيها مع قادة علماء وقته وضبطها ضبطا محكما لا يكاد يتخلف وقت منها، وانتقى جماعة من أعيان فحول علماء دولته لسمره ومجالسته، فكان يملئ عليهم الحديث النبوى ويؤلفونه على مقتضى ما يشير عليهم به، منهم العلامة الحجة أبو عبد الله محمد بن أحمد الغربى الرباطى، وأبو عبد الله محمد بن المسير السلوى، وأبو عبد الله محمد الكامل الراشدى، وأبو زيد عبد القادر بوخريص، وأبو محمد بن عبد الصادق، وأبو الحسن على بن أويس الفيلالى، وأبو محمد عبد السلام بن بوعزى حركات السلوى، هؤلاء هم المخصوصون من أهل مجلسه بالتأليف والدراسة والخوض فى جمع ما يملئ عليهم، ويأمر بتدوينه طبق ما يريد.

وجلب المحدثين من فاس ومكناس لمراكش، كالعلامة الشريف مولاي عبد الله المنجرة أخ مولاي عبد الرحمن، والفقيه الأديب أبى عبد الله محمد بن الشاهد، نقلهما إليها من فاس، وأبى العباس أحمد بن عثمان مار الترجمة نقله إليها من مكناس، والسيد محمد بن عبد الرحمن الشريف نقله إليها من تادلا، وأبى الفضل الطاهر السلوى، والشيخ الطاهر بن عبد السلام فرقههم على مساجد مراكش لتدريس العلم ونشره بين العباد، ثم يحضرون مجالسه بعد صلاة الجمعة للذاكرة فى الحديث والتفهم فى معناه، وكان له اعتناء خاص بمولاي عبد الله المنجرة، وأخيه مولاي عبد الرحمن.



ظهیر سیدی محمد بن عبد اللہ لأبی مدین الفاسی فی إسناد أمر
زاویتهم الفاسیة الیہ

قال أبو محمد عبد السلام نجل صاحب الترجمة فى مؤلفه «اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار»: وكان والدى نصره الله، وأدام لنا وللمسلمين علاه حريصا على تعليم أولاده، تابعا فى ذلك سنة آبائه وأجداده، يجلب العلماء لحضرته السعيدة، المباركة الحميدة، ويحث على تعليم العلم فى سائر القرى والمدن ويكرم الأعلام، وهو نصره الله مشاركا فى جميع الفنون العظام، قد وسع أهل العلم إنعاما وإحسانا، وعطاء وامتنانا، يعلى مجالسهم، ويستخرج نفائسهم، ويكثر جوائزهم، ويقضى حوائجهم، وله مع الفقهاء مذاكرات ومحادثات فى سائر الأيام، وممر الدهور والأعوام، فيلقى عليهم من المسائل المشكلات فى الحديث والسير والأخبار وضروب من الفنون العربية، ونكت من المقطعات الأدبية، فلا يهتدون إليها إلا بعد الاطلاع، وسواء فى ذلك ذو العارضة أو قصير الباع. هـ

وحبس خزانة كتب جده السلطان الأعظم أبى النصر إسماعيل التى كانت بدويرة الكتب الشهيرة بمكناس، وفرقها على جميع مساجد المغرب، وكانت تزيد على الاثنى عشر ألف مجلد، رجاء نفع عموم الناس وسعيا وراء نشر العلم وتحصيله.

ومن ذيول هذا الباب ما أصدره لأبى مدين الفاسى فى إسناد أمر زاويتهم الفاسية إليه مع الخطبة والإمامة بالقرويين، ونص ذلك بعد البسملة والصلاة:

«عن أمر عبد الله الغالب بالله المعتمد على الله الناصر لدين الله المفوض جميع أموره إلى مولاه، فى سره ونجواه، أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين (ثم الطابع بداخله محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه وبداثرته ومن تكن إلخ) أيد الله أمره وسلطانه، وقوى على حزب الشرك أنصاره وأعوانه، وأسس على قواعد التقوى زواياه وأركانها، وحرس بعينه التى لا تنام إيالته وأوطانه، وأسعد عصره وأوانه، يستقر هذا الظهير الكريم المبارك الجسيم،

والخطاب الحتم الصميم، المتلقى بالإجلال والتعظيم، المحفوف باليمن والإقبال ذلك قولاً من رب رحيم، الحافظ نظام العز الشامخ البناء، واللاحظ المعتمد عليه بعين القبول والاعتناء، والمجد مراسم الاعتلاء، لفضلاء الأبناء المتوارث عن جلة الآباء، أصدره أيده الله تكميلاً للمقاصد، وإجزالاً لعارفة النعم الحميدة المصادر والموارد، وتنويهاً بما ثبت واستمر من الصنع الذى انتشر نشره، وفاح عطره، فى المحافل والمشاهد، بيد حامله الفقيه العلامة، الشهير بالديانة والاستقامة، وارث سر أسلافه، ومن يكاد العلم والعمل ينبعان من أغصانه وأعطافه، حتى صار الهدى والرشاد من ذاتياته وأوصافه، محبنا فى الله وخلاصتنا من أجله سيدى أبى مدين العالم الأكبر، والعلم الأشهر، سيدى أحمد بن العالم الناسك، الواعظ المشارك، النور الشارق، الذائع سر فضله فى المغرب والشارق، سيدى محمد بن إمام العلماء والزهاد، ورئيس النقباء والأصفياء والأوتاد، وجودى الاقتداء، ومنار الاهتداء، فى الحياة والمعاد، من تأرجت بعلمه، وتتوجت بدقيق فهمه بطون الدفاتر، وذرى المنابر، ومتن الكراسى صاحب البركات، وذو الكرامات، سيدى عبد القادر الفاسى، رحم الله أشباحهم، وأبد فى الفردوس والنعيم نفوسهم الكريمة وأرواحهم، آمين.

يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه وبركته وجميل مواهبه اللدنية ونصرته، أنا جددنا له ولبنيه، وأهله وذويه، حكم ما بأيديهم من الظهائر السلطانية، والأوامر الإمامية الصادرة عن أسلافنا الكرام، الموالى العظام، الذين اختارهم الله لرعاية الأنام، سقى الله ثراهم بوابل المغفرة والإنعام، المعربة عما ثبت لهم من الأثرة والمبرة، والرتبة السامية المستمرة، التى تقيهم ضروب الضيم والمضرة، وتعرفهم فى أحوالهم كلها عوارف المسرة، وترقيهم من ساحة التبجيل والتعظيم مكاناً علياً، وتدنى لهم فى حدائق التنويه والتكريم من جنا الرعى

والتزيه زهرا جنيا، وتقف دون حوزتهم وقوف الذائد، وتعلم بما خلعنا عليهم بزته، وأقعدناهم منصته، كما يعلم بالخصب الرائد، وتسدل عليهم من أردية الإجلال والافتخار جلبابا، وتضرب عليهم من مهابة العلم والنسك سرداقا وقبابا، وتفتح لهم من الإقبال والتأييد والإمداد حججا وأبوابا، مبرة يثبت دوامها، ويؤمن انقراضها وانصرامها، وتمضى بعون الله عزائمها واهتمامها، وتستقر أوامرها وأحكامها، حسبما استمرت بذلك عوائدهم الجميلة، وسيرتهم المحمودة الجميلة، وزاويتهم الجديرة بالتعظيم والايثار، والمشهورة بالاعتصام لمن آوى إليها والانتصار، محفوظة الأنحاء، ملحوظة الأرجاء، مؤمن من نزيلها، مكلو رعيها، لا تطرق أيدي الطرايين جنابها، ولا ينال عدوانهم أبوابها ولا أعتابها، لأن المدينة الإدريسية حاطها الله وإن فاخرت المدن بالأئمة والعلماء والصلحاء سكانها، حين قيل فيها يكاد العلم ينبع من حيطانها، فإن نسبة تلك الزاوية المباركة منها وعندها كنسبة الإنسان من العين، دون خلاف فى ذلك بين اثنين.

ولا ريب ولا مين مع ما لها فى جانبنا الكريم من الود الصميم والإخلاص اللذان أديا إلى غاية مراتب الخطوة والاختصاص، وصيرها دارنا وعرارنا أجزل الله لديها مورد النعمة، وأبقى عليها لبوس الإيثار والحرمة، وأدام عمارتها بالأسرار المودعة فى خلفها الصالح والمكارم الجممة، وإن كانت دعوة الشيخ سيدى عبد الرحمن المجذوب نفع الله به كفيلة بذلك ما دامت الأمة، والمسند إليه أمرها والنظر فيها وفى مصالحها ومنافعها، والراصد لسموت ارتفاعها وأوقافها ورباعها وأحزابها، والمولى الإمامة والتدريس بها، والمتكلم فى المؤذنين بمنارها، والمحترمين بروض معطارها، هو سيدى أبو مدين المذكور، وإليه المرجع فى جميع الأمور، لأن رحالها بقطب أسراره تدور، ومنهلها العذب السليس من عنصره يفور.

بَيِّدَ أَنْ كُلَّ مَنْ اسْتَجَارَ بِزَاوِيَتِهِمْ، وَاسْتَظَلَ بِظِلِّ عَنَائَتِهِمْ، يَنْهَى إِلَيْنَا خَبْرَهُ،
فِيحْمَدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَرَدَهُ وَصَدْرَهُ، وَلَا يَكُونُ وَاسِطَةً بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَلَا كَلَامَ لِأَحَدٍ
مَنْ وَالٍ أَوْ عَامِلٍ أَوْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ فِيهَا دُونَهُ، لِأَنَّ مَكَانَتَهُ الْفَضْلَى، لَا زَالَتْ
صَحْفَ آيِهَا تَوْحَى وَتَتْلَى، وَتَجَدُّدُ مَعَالِمِهَا وَلَا تَبْلَى، مِثْلَ مَا كَانَتْ حَظَوْتُهُ الشَّهِيرَةَ
عِنْدَ سَيِّدِنَا الْوَالِدِ وَمَوْلَانَا الْجَدِّ الْمُقَدَّسِينَ الْمُنْعَمِينَ وَأَرْفَعُ وَأَعْلَى.

كَمَا جَدَدْنَا لَهُ أَيْضًا عَلَى الْخُطَابَةِ بِمَنْبَرِ الْقُرُوبِينَ وَالْإِمَامَةِ بِهَا عَمَرَهَا اللَّهُ بِدَوَامِ
ذِكْرِهِ وَعَلَى جَمِيعِ مَا بِيَدِهِ وَيَدُ إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَوْقَافِ الْمَاضِيَةِ، وَالصَّدَقَاتِ الْجَارِيَةِ
إِعَانَةً لَهُمْ عَمَّا هُمْ بِصُدَّدِهِ مِنْ تَدْرِيسِ الْعِلْمِ وَبَثِّهِ وَنَشْرِهِ، وَتَحْصِيلِ ثَوَابِهِ وَأَجْرِهِ،
بِحَيْثُ أَنْ مَنْ حَامٍ حَوْلَ سَاحَتِهِمْ، أَوْ رَامٍ جَانِبَ مَسَاحَتِهِمْ، تَلْزِمُهُ الْعُقُوبَةُ، وَلَا
يَقْبَلُ مِنْهُ عَذْرٌ وَلَا مَثُوبَةٌ، وَحَسَبِ الْوَاقِفِ عَلَيْهِ مِنَ الْوَلَاةِ وَالْخِدَامِ، أَنْ يِيَادِرَ
بِالْأَمْتِثَالِ لِمَا أَنْفَذَتْهُ الْأَوَامِرُ وَالْأَحْكَامُ، وَيَقِفُ عِنْدَ مَا تَضَمَّنَهُ الطَّرْسُ وَسَطَرَتِهِ
الْأَقْلَامُ، وَالسَّلَامُ، وَفِي الْعِشْرِينَ مِنْ جُمَدَى الثَّانِي عَامٍ وَاحِدٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ
وَأَلْفٍ.

اِخْتِيَارَاتُهُ الْمَذْهَبِيَّةُ

وَمَا رَأَى مِنَ الْمَصْلَحَةِ حَمْلِ الْقَضَاةِ وَالْمُدْرَسِينَ عَلَيْهِ

وَنَظَمَ الْعَدْلِيَّةَ الشَّرِيفَةَ بِأَيَالَتِهِ أَصْدَرَ فِي ذَلِكَ أَوَّلًا مَنشُورًا إِلَيْكَ نَصَهُ بَعْدَ
الْحَمْدِ لِلَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

«هَذَا ظَهِيرُ كَرِيمٍ، يَجِبُ أَنْ يَتَلَقَّى بِالتَّبَجِيلِ وَالتَّعْظِيمِ، صَدَرَ بِأَمْرِنَا الْمَطَاعِ،
يَعْلَمُ مِنْهُ أَنَّنَا نَأْمُرُ سَائِرَ الْقَضَاةِ بِسَائِرِ إِيَالَتِنَا أَنْ يَكْتُبُوا الْأَحْكَامَ الَّتِي يَوْعُونَهَا بَيْنَ
النَّاسِ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ، وَلَا يَهْمِلُوا كِتَابَةَ الْحُكْمِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقَضَايَا، وَلِيَكُنَ
الْمَكْتُوبُ رَسْمِينَ يَأْخُذُ الْمَحْكُومَ لَهُ رَسْمًا يَبْقَى بِيَدِهِ حُجَّةٌ عَلَى خَصْمِهِ إِذَا قَامَ عَلَيْهِ

يوما ويأخذ المحكوم عليه رسماً ليعلم أن القاضى حكم عليه بالمشهور^(١) وعلى كل قاض من القضاة أن يعمل بموجب ما ذكرناه، ويقف عند ما رسمناه، لكونه حكماً شرعياً، ومنهاجا بين قضاة العدل مرعياً.

ومن خرج عما ذكرناه بأن حكم ولم يكتب حكمه أو لم يشهد عليه العدول، فهو عندنا معزول، وتناله منا العقوبة التامة، ونأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يقفوا فى هذا الأمر حتى يجرى عليه عمل القضاة، ولا يهملوه إلا فى المحقرات التافهة المقالات.

ثم أتبعه بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، مسائل المذهب باعتبار الحكم فيها وفاقاً وخلافاً على خمسة أقسام: الأول ما هو متفق على إثبات الحكم فيه، الثانى ما أثبت الحكم فيه الأكثر كالثلاثين ونفاه الأقل كالثلاث وهو المعروف عند الفقهاء بالمشهور والراجح، الثالث ما اختلف فيه على قولين متساويين إثباتاً ونفياً، الرابع ما أثبت الحكم فيه الأقل كالثلاث ونفاه الأكثر وهو المسمى عند الفقهاء بالمرجوح وبمقابل الراجح والمشهور، الخامس هو ما أثبت الحكم فيه رجل أو رجلان ونفاه الباقي وهو المسمى بالشاذ^(٢) فالأقسام الأربعة ما عدا الأخير نعمل بها كلها فى عبادتنا^(٣)، والقسم الخامس وهو الشاذ لا نعمل به

(١) فى هامش المطبوع: «هو صميم الحق الذى لا عوج فيه ولا أمتا إذ كثيراً ما يحكم بعض قضاة الجور لفظاً ويمتنع عن كتابة الحكم ومن إعطائه نسخة للمحكوم له أو عليه وقد شاهدنا من هذا كثيراً. هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «هذا منه رحمه الله جرى على ترادف الراجح والمشهور وهو قول فى المسألة وقيل بتغايرهما. هـ. مؤلف».

(٣) فى هامش المطبوع: «لا خفاء فى ثبوت النص على جواز العمل بالضعيف للمرء فى خاصة نفسه عند الضرورة وأن ذلك هو فائدة ذكر الأقوال الفقهية مع امتناع الحكم بغير المشهور وعليه فما قاله المترجم يحمل على ما لا ضرورة فيه هـ. مؤلف».

فيها، وأما غير العبادات مما يتعلق به حقوق العباد كالنكاح والطلاق والعق والمعاملات الجارية بين الناس، فالعمل عندى فيها بالأقسام الثلاثة، وهى المتفق عليه والمشهور وما تساوى فيه الطرفان^(١).

وأما القسمان الباقيان وهما مقابل المشهور والشاذ فلا أعمل بهما فى حقوق العباد خوفا من المحذور، بخلاف العبادة فأعمل فيها بمقابل المشهور دون الشاذ لأن العبادة بينى وبين ربى، ودين الله يسر كما قال تعالى: ﴿... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾ [سورة الحج ٧٨] وقال ﷺ: من غصب شبراً من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة.

والرجال الذين ذكرت يعتبر اتفاقهم واختلافهم، فإنما أعنى بهم أصحاب الإمام مالك الذين حملوا عنه مذهبه، كابن القاسم، وأشهب، وابن نافع، وابن وهب، ومطرف وابن الماجشون وغيرهم ممن أدرك الإمام مالكا، وكذلك الذين جاءوا بعده ولم يدركوه فأخذوا عن أصحابه كسحنون، وابنه محمد، وأصبع، وابن المواز، وابن حبيب، وابن عبدوس، والقاضى إسماعيل وغيرهم، وكذلك الذين جاءوا بعد هؤلاء كالأبهري، وابن أبى زيد، والقابسى، وابن القصار، والقاضى عبد الوهاب وأضرابهم.

ثم تلامذتهم كأبى بكر بن عبد الرحمن، وأبى عمران الفاسى، وابن يونس، وابن شعبان، ثم اللخمى، والمازرى، وابن رشد، وابن العربى، وسند،

(١) فى هامش المطبوع: «نص أئمتنا على أن الذى تجوز به الفتوى والحكم أربعة المتفق عليه والراجح والمشهور وقد علمت أن الأمر هنا مبنى على ترادفهما والقول المساوى لمقابله حيث لا مرجح هـ. مؤلف».

وعياض وأمثالهم^(١).

ولست أعنى الأجهورى وأصحابه، وكل فتوى أفتى بها الأجهوريون فإن وافقت قول العلماء الأقدمين الذين تقدم ذكرهم فنعمل بها، وإن لم توافقهم فلا نعمل بها وننبذها وراء ظهورنا^(٢).

(١) فى هامش المطبوع: «على نحو هذا المسلك كان الإمام أبو إسحق الشاطبى فقد نقل الونشريسى فى معياره والسودانى فى تكميله عنه أنه كان لا يأخذ الفقه إلا من كتب الأقدمين ولا يرى لأحد أن ينظر فى الكتب المتأخرة وخصوصا من تنبيه ابن بشير وجواهر ابن شاس ومختصر ابن الحاجب وقد قرر هذا فى مقدمة كتابه الموافقات ولكن قد هيا الله تعالى فى عصر الشاطبى المذكور محرر المذهب وحافظه وملخصه الإمام أبو عبد الله بن عرفة فلتتبع أمهات المذهب وسبر رواياته وعرض عليها ما فى كتب المذكورين فما وجد له أصلا فيها قبله وما وجد له ليس كذلك أنكره قائلا إنه لا يعرفه حسبما بسط ذلك فى ديوانه الحفيل ومختصره، وعلى ذلك نهج بعض حفاظ أصحابه كالإمام أبى عبد الله بن مرزوق كما نبه عليه فى ديباجة شرحه على المختصر وعلى تنقيح المذهب وتحريره من ابن عبد السلام شيخ ابن عرفة فى شرح ابن الحاجب وكذا الشيخ خليل فى توضيحه حتى قال الإمام الخطاب فى باب القضاء من شرحه على المختصر لما تكلم على شروط الفتوى ما نصه ويكفى الآن أن فيما يعول عليه المفتى فى فتواه وجود المسألة فى التوضيح أو فى ابن عبد السلام هـ. وعلى ما يجب التمشى عليه قضاء وفتوى قصر الإمام أبو المودة خليل مختصره الذى قال فيه الإمام أبو العباس الهلالى فى نور البصر فكم أراح من التعب الفادح النفوس والخواطر. وأسدى ما هو أجزل من الغيوث الماطر. هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «إن ما تفردت به كتب الأجاهرة محذر منه لدخوله دخولا أوليا فى قول الشهاب القرافى تحرم الفتيا من الكتب الغريبة التى لم تشتهر حتى تتظافر الخواطر عليها ويعلم صحة ما فيها وكذا الكتب الحديثة التصنيف إذا لم يشتهر إعزاء ما فيها إلى الكتب المشهورة أو يعلم أن مؤلفها كان يعتمد هذا النوع من الصحة وهو موثق بعدالته ويعضد ما قاله المترجم قول الهلالى فى نور البصر ونصه: ومن الكتب التى لا يعول على ما انفردت به شرح العلامة الشهير المكنى بأبى الإرشاد نور الدين الشيخ على=

فيجب على القاضى أن يحكم فى حقوق الناس بالمتفق عليه ثم يقول الأكثر وهو المشهور، ثم بأحد القولين المتساويين بعد أن يجتهد فى القول الذى يحكم به منهما^(١) خشية أن يضيع حق المساكين، ويميل إلى قوى.

فكل من ثبت له حق من المساكين بأحد القولين المتساويين فليثبت له بذلك القول، وبلغ القول الذى يبطل به حق المسكين^(٢) فإذا حكم القاضى بما ذكرنا كان قد استبرأ لدينه وعرضه.

=الأجهورى على المختصر كما ذكر ذلك تلميذه العلامة النقاد أبو سالم سيدى عبد الله العياشى فى تأليفه «القول المحكم فى عقود الأصم الأبكم» وشار إلى ذلك فى رحلته ومن مارس الشرح المذكور وقف على صحة ما قاله تلميذه المذكور والمراد شرحه الوسط وأما الصغير فقد ذكره أبو سالم وسألت عنه بمصر فما وجدت من سمع به وأما الكبير فذكر لى أنه لم يزل فى مبيضته وقد نقل عنه تلميذه الزرقانى فى بعض المواضع وما قيل فيه يقال فى شرح تلامذته وأتباعه من المشاركة كالشيخ عبد الباقي والشيخ إبراهيم الشبرخيتى والشيخ محمد الخرشي لأنهم يقلدونه غالبا - هذا مع أن الأجهورى حر كثيرا من المسائل أتم تحرير وقررها أوضح تقرير وحصل كثيرا من النقول أحسن تحصيل وفصل مجملات أين تفصيل فشرحه كثير الفوائد لمن يميز حصباءه من دره ولا يطويه على غره وقد سألت بالجامع الأزهر من القاهرة عن شرح تلميذه الشيخ عبد الباقي فقبل لى ما رأيك فيه فقلت لا ينبغي للطالب أن يترك مطالعته لكثرة فوائده ولا أن يقلده فى كل ما يقول أو ينقل لكثرة الغلط فى مقاصده وقد هيا الله بعد ذلك أئمة حفاظاً نقاداً لتمييز غث شروح الأجاهرة من سمينها كالشيخ مصطفى الرماصى والشيخ بنانى والشيخ التاودى والشيخ الرهونى فزيفوا سقيمها وعضدوا صحيحها حتى صار بذلك الآن السالم من التعقب من شرح الزرقانى عمدة القضاة والمفتين. هـ. مؤلف».

(١) فى هامش المطبوع: «صريح فى أنه يجب عليه فى القولين المتساويين أن يجتهد فى أحدهما ولا يختار واحدا منهما دون اجتهاد وهو قول الشاطبى كما يأتى هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «هذا من المترجم تنبيه على بعض طرق الاجتهاد فى الذى يحكم به من أحد القولين المتساويين وكأنه اختيار منه والمنقول فى ذلك بعد القول بالتخير الذى=

وأين القضاة الذين كانوا يحكمون بما ذكرنا ولا يهتمون حق المساكين، وإنما نظر القضاة اليوم إلى صاحب المال لماله وصاحب الجاه لجاهه فيحكمون لهم ويغلبونهم على المساكين بالقول الشاذ والعياذ بالله، وأما أنا فكل قضية وصلت إلينا فإننا ننظر في الحكم الذى حكم به القاضى، فإن وجدناه حكم بالمتفق عليه فعلى بركة الله، وإن وجدناه حكم بأحد القولين المتساويين وأثبت حق المسكين وألغى الطرف الآخر فكذلك، وإن وجدناه حكم بالقول الآخر الذى يلغى فيه حق المسكين فلا يلومن إلا نفسه، وكذلك إذا حكم بالقول الشاذ فإنه يجب على السلطان نزع عقوبته».

ثم أتبع ذلك أيضا بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

اعلم أن هاهنا فوائد لا بد منها، ومسائل لا يستغنى عنها، تشتمل على سبعة فصول.

الفصل الأول: أن المرأة لا توكل زوجها لاستخراج حقوقها^(١)، وإنما توكل قريبا من أقاربها أو أجنبيا وما يقبضه لها من حقوقها يدفع بيدها وتبرئه منه، ولا

=انتقده الشاطبى وتابعه الهلالى وعلى ضده مر المترجم ما تقدم هو الترجيح بأن أحد القائلين أعلم من مخالفه أو يكون أحد القولين أشد وأغلظ من الآخر كما أن المنصوص تحذير المفتى من قصد إضرار أحد الخصمين بفتواه وإرادة نفع الآخر فتأمل ذلك فإن القوى والضعيف فى الحق سواء وكذا فى اجتناب الحيف على أحدهما وإنما مراد المترجم بهذا الأخذ بالأحوط لضعاف الخلق الذين لا جاه لهم ولا وجهة وسدا لباب التشهى والميل مع الأغنياء لأجل غناهم هـ. مؤلف».

(١) فى هامش المطبوع: «هذا أخذ بالأحوط للزوجة لأن الزوج قد يكرهها على توكيله باطنا ويظهر الطوع به ولا تجد مخلصا إلا بتوكيلها إياه والغالب أنه يستولى على ما قبضه لها ويدخله فى مصالحه هـ. مؤلف».

يدفعه لزوجها، فإن دفعه له فلا براءة له منه^(١) إلا أن يكون زوجها ابن عمها وأحبت أن توكله فلا بأس.

الفصل الثانى: ينادى فى أسواق البلد بالبراح أن لا يعامل أحد معدما بفلس أو غيره^(٢)، وإنما يعامل من له دار أو جنان أو غيرهما من الأملاك فيعامل بقدر ما تساويه أملاكه، فإن عامل أحد معدما لا دار له ولا جنان فقد أتلّف ماله ولا يسجن ولا يحكم عليه، ومن عنده الأملاك فإنما يعامل بعد البحث عنه خشية أن يكون عليه دين آخر.

الفصل الثالث: أن من انقرض فيه دين خفيف كمائة مثقال فما دونها وكانت له صنعة مثل تنجارت وتخرازت أو غيرهما فليجعل له القاضى مسألة، وهى أن يعطى من أجرته لرب الدين نصفها^(٣) ويعيش بنصفها، فإن قبل فذاك، وإن لم يقبل ينفى من البلد، فإن عاد إليها خلد فى السجن^(٤).

الفصل الرابع: أن المال المنقرض إذا كان كثيرا نحو ثلاثة آلاف مثقال فأكثر وكان الشخص المقروض فيه المال مفلسا ليس عنده ما يدفع فى الدين، فإنه ينفى

(١) فى هامش المطبوع: «هذا هو المنصوص فى كل من دفع لغير من ائتمنه والوكالة العرفية غير معمول بها ولذا يطلب الزوج بوكالة زوجه هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «إعلان حال المفلس حتى يتجنب الناس معاملته ولا يقع ضياع لأحد مصرح بوجوبه وعليه جرى عمل قضاة العدل هـ. مؤلف».

(٣) فى هامش المطبوع: «كون ذى الصنعة يعطى من أجرته نصفها قضاء عن دينه يأتى على قول اللخمى إن الصانع يجبر على التكسب لأنه على ذلك عامله الناس هـ. مؤلف».

(٤) فى هامش المطبوع: «هذا زجر له عن عصيانه وتعزيز والتعزيز موكول لنظر الإمام واجتهاده وأمر شئ على الإنسان إخراجه من داره ووطنه ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ...﴾ [النساء] الآية. هـ. مؤلف».

من البلد، فإن عاد إليها خلد في السجن^(١) وهذه المسألة وإن كانت بدعة فقد رأيناها مستحسنة، ولذلك أمرنا بها إذ ربما يكون الرجل عنده أموال الناس ويظهر العدم ويأكلها في داره، والجلاء أمر عليه من السجن، فإن كان أخفى مالا فإنه يخرج، وإن لم يكن عنده شيء صبر على الجلاء.

الفصل الخامس: إذا تخاصم رجل مع زوجته فلا يسجنه القاضي^(٢) لها إن لم يكن ضربها بحث القاضي عن سبب ضربه لها فإن كان على ترك الصلاة أو على إتلاف ما له فيصلح القاضي بينهما، وإن كان على غير ذلك بأن كان ضربها ضربا فاحشا أو بالحديد فليعزلها القاضي عن زوجها ويردها إلى أهلها، ولا ترجع إليه حتى يتوب ويأخذ بخاطرها، وهذا الأمر الذي أمرت به من أن الزوج لا يسجنه القاضي فيه مصلحة عظيمة عامة نافعة للزوج وللزوجة، وذلك أن الزوجة إذا رفعت إلى القاضي وسجنه لها فإن مال الزوج يضيع بذلك، لأن القاضي يأكل منه طرفا، وأعوان القاضي يأكلون منه طرفا، والسجان يأكل طرفا، فهذا مال الزوج قد ضاع بين هؤلاء، ومع ذلك الزوجة لا تتوصل بحقوقها.

الفصل السادس: أن من قبض رهنا من حلى أو جوهر أو غيرهما فليرفعه إلى القاضي ويقومه القاضي بحضور أرباب المعرفة حتى تعرف قيمته وتكتب بالعدل، بحيث إذا تلف ذلك الرهن فلا تقع بين المتراهنين خصومة ولا إنكار^(٣)،
(١) في هامش المطبوع: «فيه سد للذرائع وعدم تاسرع الناس لأكل أموال بعضهم بعضا بالباطل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...﴾ [النساء] وكثيرا ما يتقاعد المفترض على المال ويدعى الفلس وقد تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور. هـ. مؤلف».

(٢) في هامش المطبوع: «ليس السجن في حق الزوجة محتما وإنما المدار على زجر الظالم منهما وذلك موكول إلى اجتهاد الإمام ونظره. هـ. مؤلف».

(٣) في هامش المطبوع: «فيه احتياط لجانب المتراهنين وحسم لمادة النزاع بينهما لأن الحلى مما يغاب عليه فيضمنه المرتهن إذا تلف ويبقى بينهما النزاع في قدره وصفته. هـ. مؤلف».

وأما إذا لم تعرف قيمة ذلك الرهن وبقي أمره مجهولا وتلف، فإنه يقع بينهما من النزاع والخصومات ما لا يكيف، ويوجب القاضى اليمين على أحدهما وربما يحلف على شىء مجهول لم تعرف قيمته فيهلك.

الفصل السابع: إذا أراد الرجل شراء ملك أو دار أو جنان أو أرض حرث أو غيرهما، فلا بد أن يأتى إلى قاضى البلد ويعلمه أنه أراد شراء دار فى الحومة الفلانية أو جنان بالموضع الفلانى أو فدان بالموضع الفلانى، ويقول الذى أراد الشراء للقاضى إني أشاورك فى هذه الدار مثلا أو غيرهما، فإن أنت وافقتنى اشتريت ذلك وإن لم توافقنى تركت ذلك، فيتعين على القاضى حينئذ أن يبحث أشد البحث فى ذلك ويأمر بإحضار رب الدار أو غيرها بين يديه ويسأله بأى وجه دخل بيده هذا الملك الذى أراد بيعه هل يارث أم بشراء أم بهبة أم بغير ذلك؟ ويأمره بإحضار الرسوم ويتأملها حق تأملها، فإن وجدها موافقة للشرع ولا نزاع لأحد فى الملك المذكور لا من جهة شفعة ولا استحقاق ولا ملك غير فحينئذ يوافق مشتريه على الشراء، وإن وجد غير ذلك أخره عن الشراء ويقول له هذا الملك فيه شبهة لا يحل لى أن أوافقك على شرائه، وهذا الأمر المذكور لا يباشره إلا القاضى بنفسه، ولا مدخل للعدول فى ذلك لا بكتابة ولا بغيرها، وإن أشكل على القاضى الأمر فى صحة ملكية ذلك للبائع وتوقف، فليناد أهل الحومة بذلك الملك ويسألهم عن سبب ملكية البائع لذلك الملك الذى أراد بيعه، فإن كان جنانا فليناد على جيرانه فى الجنان، وإن كانت دارا فليناد على جيرانه فى الدار وما شهد به الجيران المذكورون يثبت القاضى، ولا يبقى فى ذلك كلام، فعند ذلك ينادى القاضى ويدفعه للبائع ويشهد عليه بالبيع العدول، ويثبت له القاضى رسمه، فحينئذ يكون القاضى هو الذى تولى البيع بنفسه فيبقى ذلك الرسم صحيحا مخلدا لذريته ولعقبه ولا يجد من ينازعه فيه أبداً، وإن وقع بعد ذلك قيام غائب أو

وارث، فدرك ذلك على القاضى لأنه هو الذى تولى البيع بنفسه، وعلى هذا^(١) يكون عمل القضاة فى سائر بلدان المغرب. نطلب الله الهداية لنا ولكم ولسائر المسلمين وقيدناه عن أمير المؤمنين مولانا محمد بن أمير المؤمنين مولانا عبد الله الشريف الحسنى الله وليه ومولاه».

«واعلم أن هذا الوقت وقت صعب كثر فيه الظلمة المتمردون ومن جملتهم الذين يريدون أن يأكلوا أموال اليتامى، يأتون إلى رب الملك الذى عنده فيه بعض الورثة أو بعض الحق للغير من شفعة مثلا أو غيرها، فيأتى ذلك الظالم المتمرد ويشترى ذلك الملك الذى فيه النزاع ويتقوى على المسكين صاحب الحق بالمال والرشوة حتى ينزعه منه، ويشهد له العدول، والقاضى يعمل له خاطره ويضيع حق ذلك المسكين، وبعض القضاة يحكمون لذلك الظالم بالفتاوى الواهية التى لا عمل عليها حتى يضيع حق ذلك المسكين».

«مسألة أخرى: إذا حكم القاضى بحكم وكان ذلك الحكم مشهورا وذهب المستفتى ليأتى بحكم آخر مشهور، فإنه لا يعمل به ولا يحكم إلا بالحكم الأول^(٢) إذا كان، وإذا أتى المستفتى لصاحب الفتوى وقد كان حكم عليه القاضى بحكم مشهور فليطرده ولا يفتى له، ويقول له: إن القاضى قد حكم عليك بحكم مشهور فلا نفتى لك بفتوى، وإن أفتى له بقول آخر مشهور فتلزمه منا العقوبة التى تأتى على نفسه؛ لأن المفتى يريد أن يعينه بفتواه على الخصام وأكل أموال الناس، وإذا كان القاضى قد حكم عليه بقول ضعيف وكان فى المسألة قول آخر مشهور أصح

(١) فى هامش المطبوع: «فى التمشى على هذه الكيفية احتياط وحسم لمادة النزاع فلا يضيع مال المشتري ولا يبقى نزاع غالبا مع أحد استقبالا ولا مانع من هذا شرعا. هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «موضوعه إذا كان القولان معا مشهورين وحكم القاضى بأحدهما فحكمه رافع للخلاف كما صرح به الفقهاء. هـ. مؤلف».

مما حكم به القاضى فليفت له، ويتعين حينئذ على القاضى أن يحكم بذلك القول المشهور، الذى أفتى به صاحب الفتيا، وإذا تمادى القاضى على حكمه الواهى ولم يعمل بالقول المشهور الذى كتب به المفتى فواجب على السلطان نزعه وينقض ذلك الحكم الأول؛ لأن الحق أحق أن يتبع، انظر قضية السيد سلمان الفارسى مع سيدى أبى الدرداء رضى الله عنهما فى المسانيد إن كنت من أهل الحديث وطالعتها.

ثم أتبعه بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، اعلم أنه مما ينبغى الإسراع إليه، وتنبيه قضاة الوقت عليه، أن كل من أراد أن يشتري دابة أو أمة أو عبداً فإنه لا يعقد الشراء مع المالك الذى أراد البيع إلا بعد التقلب الشافى، والاختبار الكافى، فإن لم يكفه التقلب فى اليوم الأول زاد اليوم الثانى، وإلا زاده اليوم الثالث، فإن خلصه فى اليوم الثالث وحاز المشتري مشتراه والبائع ثمنه فلا رجوع للمشتري على البائع بشيء يجده فى مشتراه، وإن كان سبب موته وهلك فى يده لأنه كان قلب ورضى وحاز وتصرف، وقد أمرنا بهذا الأمر لما ظهر لنا فيه من المصلحة ورفع النزاع، ولا سيما وبياطرة الوقت قد قلت أمانة الغالب منهم فيستخرجون عيوباً ليست موجودة فى الدابة.

فنأمر جميع القضاة وغيرهم من الولاة فى سائر إيالتنا السعيدة أن يعملوا بأمرنا هذا ويقفوا عنده، وأن لا يتجاوزوا حده، والقاضى لا يثبت رسماً يتضمن ما قام به المشتري من العيوب المذكورة، وإنما يثبت رسم الاستحقاق - يعنى إن سرقت دابة أو ذهبت - ولا يقبل القاضى شهادة أجنبى إلا إذا كان من جيرانه إن كان من أهل الحضر، ومن جيرانه إن كان من أهل البادية؛ لأن الأجنبى لا علم له بالدابة، وإن شهد شهد زوراً، وجيرانه تكون عندهم معرفة الدابة متحققة لأن مرورهم عليها فى الصباح والمساء.

ومسألة فصل القضاء على الدواب مسألة صعبة كثيراً، وأنا أُبينها وأبدأ بالفرس لأنه أشرف الدواب، فإن كان الفرس من عتاق الخيل فإن أهل ربه النازلين معه كلهم يعرفون الفرس معرفة شافية لحسنه وجودته، فإذا سرق الفرس المذكور وأتى أهل الربع المذكور يشهدون على الفرس فأول شهادتهم السب والشتم لمن وجد في يده لمعرفتهم به فلا يبلغون إلى القاضى حتى يملأوا أذنيه سبا وشتما، فعند ذلك يقولون للقاضى: هذا الفرس نعرفه كما يعرف بعضنا بعضا. وإن كان جملا فى غاية الجودة وحسن الصورة، فهو ملحق بالفرس فى شهادته.

وإن كان ثورا فى غاية الحسن والجودة فإنه يلحق بهما. وبقي فصلان يكون الفرس والجمال والثور المذكورات ليس بالردىء ولا بالجيد، فإذا جاء الشهود يجيئون إليه ويدرون به ويتأملونه، فإذا استوفيت البينة منهم أخذه صاحبه.

والقسم الثالث: أن يكون الفرس أو الجمال أو الثور أو الحمار رديئا جدا، فهذا تصعب البينة عليه ولا يعرفه إلا ربه أو جيرانه، فلا يجد صاحبه من يكمل له البينة، فيجب على القاضى أن يصلح بين من وجدت فى يده وبين من ادعى أنها ملكه، ولا يلتفت القاضى إلى البيطرة وأقوالهم.

فكل من اشترى دابة وحازها فلا يرجع على بائعها إلا فى مسألة واحدة ترجع بها الدابة، وهى أنه إذا كان فيها الداء المسمى بالمغلة فإنها ترجع لصاحبها، ولو أقامت عند المشتري سنة، وأما الداء الذى يسمى بالذباب فإن ظاهر الدابة التى يكون فيها تكون عجفاء شحبا ويكون ظاهرا فى... (١) وفى عينيها، فإذا اشتراها

(١) مكان النقط بياض بالمطبوع. وبالهامش: «بياض بالأصل المنقول منه، هـ. مؤلف».

أحد وقال: إنها تسمن عنده ويقلب فيها البيع، فإذا ماتت في يده فلا قيام له على البائع الذي اشتراها منه وضاع في ماله».

ثم أتبعه بقوله:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

الفصل الأول: يعلم من كتابنا هذا أننا أمرنا أولاد السيد فلان يصرفون زكاتهم وأعشارهم على ضعفائهم ومسجدهم إن لم تكن له أوقاف، فإن صرفوها في غير محلها فعهدتها في رقابهم.

الفصل الثاني: لا مدخل لعاملهم في زكاتهم ولا في أعشارهم ولا أمورهم بل يصرفونها كما ذكر أعلاه، وإن طمحت نفس العامل لأخذ البعض منها، فإنه يعاقب عقوبة شديدة ويعزل عن عمله.

الفصل الثالث: إن اشتغل أحد منهم بالفساد مثل السرقة أو غيرها من الفواحش أو التعدى على البعض من المساكين ويزعم أنه من أولاد السيد فلان وليس ذلك المسكين مثله في الدرجة فقد كذب، فإن عامل بلده يعاقبه بما يناسب جنايته بالحدود الشرعية؛ لأن المسلمين كلهم في حق الله سواء، ولا يعاقب بالمال، انظر إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٣] وانظر إلى قول رسول الله ﷺ: «يأيتها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى».

وعلى أولاد السيد المذكورين أعلاه بتقوى الله في السر والعلانية، ولله در

القائل:

ألا إنما التقوى هي العز والكرم وحبك للعز والفقد والعدم

ثم أتبعه بقوله:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. ليعلم جميع من يتولى خطة القضاء أنا أمرناه أن لا يباع على غائب أو محجور ذكر وأنثى فيما يستقبل من تاريخ كتابنا هذا عقار أو ربع، فإن اطلعنا على رسم يتضمن ذلك فإننا نعاقب القاضى عليه بالعقوبة الشديدة ويفسخ ذلك ولا يمضى منه شيء، ويبقى الغائب على حقه إلى أن يقدم، والمحجور حتى يخرج من حجره.

وإذا أراد الشريك البيع على الغائب أو المحجور يشترط على المشتري أن لا يحدث فى البيع شيئاً من هدم أو بناء أو نحو ذلك.

وكذلك أمرنا من ذكر أيضاً أن لا يكتب فى الأصدقة أزيد من أربعين مثقالاً إذ هى غالب أصدقة السلف الصالح وفى الحديث عنه ﷺ أنه قال: من يمن المرأة قلة مهرها، وقالت مولاتنا عائشة: من شؤم المرأة كثرة صداقها، وقال سيدنا عمر: لا تغلوا فى صدقات النساء فإنه لا يبلغنى عن أحد أنه ساق أكثر مما ساقه نبينا محمد ﷺ إلا جعلت فضل ذلك فى بيت المال.

ومذهب مالك كراهة المغالاة فيه، فإن رضى المتعاقدان على النكاح بأزيد مما ذكرنا فلا يكتب فى الصداق، ولا يكون الصداق إلا ناجزاً كله، ولا يؤخر منه شيء لأن فى ذلك قطعاً لمادة الخصام.

قال ابن الماجشون: كان مالك وأصحابه يكرهون أن يكون شيء من الصداق مؤخراً، وكان يقول: إنما الصداق فيما مضى ناجز كله، وكره فى المدونة تأخير بعض الصداق، وإنما كرهه لمخالفته لأنكحة الماضين، فإن كتب فى الصداق أزيد

مما ذكرنا أو كتب فيه كالتى فإننا نعاقب القاضى وشاهدى النكاح بالعقوبة الشديدة نكالا لغيرهم ولا يطالب أب أو ولى بشورة بل يكون ذلك موكولا إلى مروءته، وهذا فى غير نكاح الأشراف.

وأما هم فيتركون على ما هو معروف بينهم، غير أنه يكون كله ناجزاً ولا كالتى فيه كما ذكرنا.

وكذلك أمرنا من ذكر أيضا أنه إن وقعت خصومة بين الزوجين أن يرد الزوجة لدار أبيها أو وليها إن كان، وإلا فالقاضى ينظر أين يضعها، وما ذكرنا من رد الزوجة لدار أبيها أو وليها إنما ذلك بعد بعث القاضى حكما من أهله وحكما من أهلها ليصلحها بينهما، فان اصطلحا فذاك المراد.

وإن نفخ الشيطان فى رأس أحدهما فليفعل ما ذكرنا، ولا تطلق عليه إلا إذا كان عن طيب نفس منه بخلع أو غيره وقدم لدار أبيها أو وليها ويقول له: قد طلقت ابنتك عن طيب نفس منى طليقة بائنة، وهذا الحكم شامل فى الخواضر والبوادر، وما ذكرنا ينفى طلاق المكره ولا يبقى فى هذا الطلاق شبهة البتة، ولا يلزم زوجها نفقة فى تلك المدة إلى أن ترجع برضاها إليه.

وأما إذا كانت غضبى فى دار أبيها واستمرت عل نشوزها ولم يوفق الله بينهما فطلب الزوج منها أن ترد إليه ما دفع إليها وتخالعا على ذلك فلا نفقة لها لأن هذا وقت صعب قلت فيه الأمانة، وكثرت فيه الخيانة، فإذا سكنها بين الناس وكان الزوج ذا مال وجاه ربما شهدوا له أنها هى الظالمة أو كانت هى كذلك ربما شهدوا لها بظلمه، وعلى جميع ما ذكرنا يكون عمل كل من ولينا والسلام فى السابع والعشرين من جمادى الأولى عام ثلاثة ومائتين وألف.

ثم أتبعه بقوله:

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله، رسالة مفيدة قد نبذ ما فيها قضاة المغرب وعدولهم، واقتصروا على مختصر خليل وشروحه، وصار أعظم فتاويهم منها لعمري أن من اشتغل بأخذ الفقه من خليل وشروحه وترك أخذ الفقه من كتب الأقدمين المرضيين الذين نفع الله بهم المسلمين، فإنه كما قيل هرق الماء واتبع السراب وهذا أول كلامنا في الرسالة المذكورة، وهى فى فتاوى الأقدمين المأخوذة من كتب الأئمة المرضيين رضى الله عنهم وأرضاهم.

أولهم الإمام القدوة أبو عبد الله سيدى محمد بن الحسن الشيبانى رحمه الله تعالى الذى حمل مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه على كاهله، وحمل أيضا مذهب الإمام مالك رضى الله عنه على كاهله، وقرأ عليه عالم قريش الإمام أبو عبد الله سيدى محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه، فهذا الشيخ المذكور رضى الله عنه أعنى سيدى محمد بن الحسن الشيبانى، إليه ترجع رواية المذاهب الثلاثة، فإذا أردت معرفته وعلو درجته فانظر ترجمته فى مسند الإمام أبى حنيفة يتضح لك جميع ما ذكرنا، وتجده مستوفى كما أشرنا.

ثم يليه من أصحاب مالك الذين حملوا عنه مذهبه كابن القاسم، وأشهب، وابن نافع، وابن وهب، ومطرف، وابن الماجشون وغيرهم ممن أدرك الإمام مالكا، وكذلك الذين جاءوا بعدهم ولم يدركوه فأخذوا عن أصحابه كسحنون، وابنه محمد، وأصبغ، وابن المواز، وابن حبيب، والقاضى إسماعيل، وابن عبدوس وغيرهم، وكذا الذين جاءوا بعد هؤلاء كابن القصار، والقاضى عبد الوهاب، والأبهرى، والقابسى، وابن أبى زيد فهؤلاء الأئمة المذكورون هم المقتدى بهم فى أقوالهم وأفعالهم ولا تصح الفتوى إلا من كتبهم.

وأما من اشتغل بالفتاوى المأخوذة من أقوال الأجهوريين وغيرهم من أصحاب خليل مثل بهرام، والبساطى، والتتائى، والسنهورى، والسودانى، وأمثالهم من أصحاب خليل وترك الفتوى من كتب الأقدمين المرضيين المذكورين فقد خرج عن المنهاج القويم، والصراط المستقيم.

ففى معيار المغرب، والجامع العرب، عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب فيما نقله عن الإمام المقرئ ما نصه: لقد استباح الناس النقل من المختصرات الغربية أربابها ونسبوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها، وقد نبه عبد الحق فى التهذيب على ما يمنع من ذلك لو كان من يسمع، وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله أجمع، ثم تركوا الرواية فكثرت التصحيف، وانقطعت سلسلة الاتصال فصارت الفتاوى تنفذ من كتب لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها.

ولقد كان أهل المائة السادسة وصدر السابعة لا يسوغون الفتوى من تبصرة أبى الحسن اللخمى لكونها لم تصحح على مؤلفها ولم تؤخذ عنه، وأكثر ما يعتمد اليوم ما كان من هذا النمط مثل الأجهوريين وغيرهم من شراح خليل.

وقد نص بعض المحققين من علماء وقتنا هذا على أنه لا يعتمد على ما انفردوا به ثم انضاف إلى ذلك عدم الاعتبار بالناقلين فصار يؤخذ من كتب المسخوطين كما يؤخذ من كتب المرضيين، بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين، ولم يكن هذا فيمن قبلنا، فلقد تركوا كتب الأقدمين المرضيين رضى الله عنهم واشتغلوا بكتب المتأخرين من أصحاب خليل واقتصروا عليها وأفنوا أعمارهم فى حل ألغازها حتى قال بعضهم نحن أناس خليليون، إن ضل ضللنا، وإن اهتدى اهتدينا، وقد أقسم أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله لقضاة وقته، أن من أفتى منهم بغير فتوى الأقدمين المذكورين فى رسالته هذه أنه يعاقبه عقوبة شديدة ويجعله نكالا لمن بعده ممن يفتى بالفتاوى الواهية التى لم يبلغ سندها إلى الأقدمين رضى الله عنهم آمين، فهذه جملة تهديك إلى أهل العلم وتريك ما غفل عنه الناس».

ثم أتبعه بقوله:

«الحمد لله والصلاة على رسول الله

الفصل الأول: أن الرجل إذا أتى بشهادة عدلين للقاضي على رجل أنه طلق زوجته وأنكر الزوج ذلك فلا يعمل بشهادتهما^(١)، لاسيما إن كان الشهود من أهل الدكاكين الذين هم أسرع الناس إلى الزور، ومعاشهم كله زور، حتى يبحث القاضي عن تلك القضية الشهرين أو أكثر حتى يتحقق له مصداق ذلك، فربما يكون الرجل القائم بالشهادة بينه وبين المشهود عليه مشاحنة أو مكترى عليه حاصل الأمر كل من هو قاض وأسرع بالطلاق بشهادة العدلين فقد دخل مدخلا ضيقا فإن وقع له ما يكره فلا يلوم إلا نفسه والأمر صعب، وقد كثرت شهادة الزور بل ينبغي له التأمل والتثبت في مثل هذه المسألة الشهور المتعددة حتى يتضح له الأمر ولا يبقى له إشكال.

الفصل الثاني: إذا أتى أبو الزوجة بشهادة عدلين على زوج ابنته، وأنه طلقها وأنكر الزوج ذلك أيضا فلا يصح ذلك الطلاق إلا إذا أتى والدها بشهادة اثني عشر رجلا من أهل حومته، وأما أهل الدكاكين فلا تقبل لهم شهادة^(٢)، فحينئذ يصح الطلاق، ويتأتى القاضي في تلك القضية ويبحث فيها غاية البحث.

(١) في هامش المطبوع: «هذا منه إفصاح بفشو شهادة الزور وإلزام القاضي بالتثبت في الشهود والاستكثار منهم، ولا ريب أن هذا الأمر مطلوب عند ضعف العدالة، ورحم الله بعض شيوخنا فقد كان كثيرا ما يقول: كل الناس عدول إلا العدول، وكان بعض الصالحين إذا مرَّ بسماط دكاكين الشهود يهرول حتى يخرج منه ويقول: «وأسرعن في بطن وادي النار» لكن فائدة ذكر مثل هذا التنبيه للأخذ بالأحوط ما أمكن، وعدم الاغترار بكل منتصب للإشهاد، وإلا فلكل زمن عدوله، وليس نقص العدالة خاصا بالمنتصب لتلك الخطة بل هو سار في سائر أصحاب الولايات والحشيات، ومع ذلك فلا بد لكل متميز من مراعاة تمييزه عن غيره واعتقاد وجود المميز له في الجملة، وإلا اختل النظام وبطلت تمشية إجراء ما لله من الأحكام، فلا نجاة إلا في التمشي مع ظاهر الشريعة التي جاءت عامة في المكلفين من غير تخصيص في كل زمان وأوان هـ. مؤلف».

(٢) في هامش المطبوع: «هذا اختيار من المترجم لم يتصل به عمل ولا عضده أصل وفيما علق عن القوله قبله ما يغني عن التطويل وأهل الدكاكين إن كانوا معدلين عند من رأى=

الفصل الثالث: إذا حلف رجل بالحرام وحنث وشهد عليه بالحنث اثنا عشر رجلاً أو أربعة عشر رجلاً فأكثر من أهل حومته أو دواره أو سوقه، ورفعوا شهادتهم به إلى القاضى، فإن القاضى يحكم عليه بالطلاق فى الحين ويعزله عن زوجته وتبقى حتى تعتد، فإذا أراد ردها وطابت نفسها فليردها له بصداق جديد.

الفصل الرابع: إذا حلف رجل بالحرام الثلاث وحنث وشهد على حنثه اثنا عشر رجلاً فأكثر من أهل حومته أو دواره أو سوقه، فإن القاضى يطلق عليه زوجته من حينه، ولا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره^(١).

الفصل الخامس: فى البيع والشراء والعمل فيه على ما قدمنا به الكتب وأن المعاملة لا تقع إلا بين يدي القاضى والمتسبين، فإن أتى الغريم بشهادة عدلين وأنه

=الإمام فيه أهلية الوقت لخطأ القضاء فترجيح شهادة غير المعدلين عليهم هو مع ما فيه من قلب الحقائق عائد بالخلل على ولاية ذلك القاضى وعلى موليه أيضاً، وإذا بطل الأصل والفرع لم يبق بيدنا ما نتمسك به ووقوع شهادة الزور من بعض المتصين لا توجب إبطال المنصب جملة لعظم مفسدته كما قد علمت ولم يمر زمان من زمان النبوة فما بعده إلا وقد وجد بعض من يرتكب كبائر الذنوب فيه وإن كان ذلك فى الخلف أكثر منه فى السلف ولم يبطل ذلك المنصب ولا أخل بما اقتضته حكمة الله فى ذلك فالتمسك بالشرعية هو عين الحق حتى يقضى الله بين الخلق. نعم يتعين على من ولاه الله أمر العباد أن لا يرشح للمناصب إلا من يستحقها ولا سيما المناصب الشرعية، فإن كثيراً من المتسبين ذرى المناصب الدينية لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة، يرتكبون أموراً تدنس وجه الشرع الإسلامى وتوهم من لا علم له بحقيقته أن الدين لا يأبى ذلك، وأن ذلك خلق أهله فيعدم الثقة بهم جملة وتفصيلاً، ومن اطلع على ما يرفع كل يوم لوزارة العدلية الشريفة والجنابات من موبقات العدول التى تخجل المروءة وتصادم الدين عذر المترجم فى اختياره هذا. هـ. مؤلف».

(١) فى هامش المطبوع: «هو كذلك لأنها مبتوتة، فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره بشروطه المقررة. هـ. مؤلف».

دفع لصاحب الحق من مال المعاملة شيئاً من غير حضور القاضى والمتسببين المذكورين وأنكر صاحب الحق ذلك، فلا يقبل القاضى شهادة العدلين، والمال باق بذمة الغريم، ولا يحكم بتلك الشهادة إلا إذا أتى الغريم بشهادة القاضى والمتسببين الذين حضروا للمعاملة أنه برئت ذمته من المال المذكور أو بعضه، وكذلك إن أراد الغريم المذكور أن يدفع ربع المال أو نصفه أو ثلثه، فإن كان المال له بال من ألف مثقال فأكثر، فلا تبرأ ذمة الغريم المذكور من المال المذكور أو بعضه بشهادة العدلين إلا إذا دفع المال بمعاينة القاضى.

وإن كان المال شيئاً قليلاً من مائة مثقال فأقل وأراد الغريم المذكور أن يدفع منه شيئاً لصاحب المال فليدفعه له بالعدول الثقات، فلا يحتاج إلى معاينة القاضى إلا فى المال الكثير كما ذكرنا، وأما المال القليل من مائة مثقال فأقل فقد سبق حكمه وبيانه، وأنه يدفع بمعاينة العدول الثقات من غير حضور للقاضى.

والحاصل من أن هذا الزور اليوم فشا والعياذ بالله فكل من أتى بشاهدين على مال أو على طلاق فإن شهادتهما مردودة وإن قبلها القاضى، فتلك جرحه فيه، لأنهما اثنان وهو ثالثهما، فقد شهدا بالزور وهو ثبته لهما فهو أعظم ذنباً منهما، وكل من هو قاض يتفطن لهذا الأمر، فإن وقع فى شيء مما نهى عنه وأصابته عقوبة فلا يلوم إلا نفسه.

ثم أتبعه بقوله:

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله: كان القضاة والمفتون المتقدمون يأخذون الفتاوى من كتب الأقدمين المقبولين، واليوم والعياذ بالله يأخذون الفتاوى من كتب المتأخرين كالأجهوريين وغيرهم الذين هم ليسوا المقبولين، ولم يبلغ سندهم إلى الأئمة الأقدمين، فلا عمل عليها ولا حكم بها، ولا يفتى بها مفت، ولا يعمل بها قاض.

فإذا لم يبلغ سندها إلى فتوى الأقدمين فسندها باطل، وكل فتوى بلغت إلى الأئمة الأقدمين فالعمل بها واجب، ويحكم بها القاضى والمفتى والقضاة.

والمفتون اليوم والعياذ بالله قد مزجوا فتاوى المرضيين بالفتاوى الواهية غير المرضية ويحكم القاضى بتلك الفتوى الواهية، ويمشى المحكوم عليه مغلوبا إلى المفتى فيفتى له أيضا بفتوى واهية ويغلبه على صاحبه، واشتغلوا بتغليب هذا على هذا بالفتاوى الواهية، فالقاضى وأصحابه يأكلون المال من الخصمين الذين تشارعا بالباطل، والمفتى كذلك يأكل بفتاويه الواهية أموال المسلمين بغير حق حتى يطول الشرع بين الخصمين المتحاكمين بفتواه المذكورة حتى إذا كان الخصمان المذكوران يتحاكمان على مائة مثقال تذهب منها خمسون مثقالا فى دار القاضى، ثم بعد ذلك يحكم عليهما القاضى بالفتاوى الصحيحة، فينصرف كل واحد منهما إلى سبيله ويأليته قد حكم عليهما أولا بالفتاوى الصحيحة، فيحصل له الأجر ورزقه على الله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، والدراهم التى أكل من الخصمين حلاوتها تفنى ويبقى مريرها فكيف به يوم القيامة إذا جاء مفلسا، فإن الخصمين المذكورين يأخذان حسناته ويلقيان عليه سيئاتهما فذلك المفلس الذى أخذت حسناته وألقيت عليه سيئات غيره».

ثم اتبعه بما يقوله:

«الحمد لله وحده مسألة أخرى: أعلم أن الأيتام المهملين الذين لا وصى عليهم من أب ولا مقدم من قاض إذا اشتدت بهم الحاجة إلى بيع ملك لعدم وجود ما يباع عندهم غيره ليصرف عليهم فى مأكلهم وملبسهم، فإن القاضى يأمر ببيع ذلك الملك ويتسوق به المدة المعتبرة شرعا إلى أن يقف سومه، فإذا وقف فينظر القاضى فى ذلك السوم، فإن شهد له أهل المعرفة بالإملاك بأن ذلك سومه فليبعه لمن وقف عليه ويصرف ثمنه فى مصالح الأيتام المذكورين، وإن شهد أهل المعرفة

بأن ذلك الملك بيع بثمان بخص، فإن ناظر الأحباس أو بيت المال يتولى شراءه^(١)، وكذلك يكون الحكم فى بيع الملك على الغائب أو الصغير، بحيث إذا قدم الغائب أو كبر الصغير وأراد كل واحد منهما رد أصله فليرده له الحبس أو بيت المال، بخلاف إذا اشتراه الغير بثمان بخص وأراد الشافع رد ملكهم، فيقع بينه وبين مشتريه خصومة ولجأ فى رده».

ثم أتبعه بقوله:

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله، نأمر جميع القضاة أن لا يتركوا عوناً من الأعوان الذين يشعبون الخصام بين الناس بالباطل ويأكلون أموالهم وهم الذين أقاموا بدار القضاة السنة فأكثر يتوكل^(٢) على أحد، وإن جاء للقاضى وكيلاً على أحد ولم يطوفه القاضى فى الأسواق بوكالته ويطرده فلا يلوم إلا نفسه، وإن أرادت امرأة من ذوى المروءة أن توكل أحداً فإن القاضى أو زوجها يوكل عنها من هو رجل خير ليس له أرب فى طول الخصام وتشعبه وأكل أموال الناس بالباطل، وعلى هذا يكون العمل إن شاء الله.

باب فى الأنكحة: وأما العمل فى الأنكحة فمن أراد التزويج فإن كان غنيا والزوجة غنية كذلك فيدفع فى صداقها إن كانت بكراً أربعين مثقالاً نقداً مقدماً لا

(١) فى هامش المطبوع: «فيه تصوين لمال الأيتام حتى لا يفوت عليهم ملك بغبن ولا بخص فى الثمن فمصلحة الأخذ به واضحة ومدار أمر الأيتام على جلب المصالح ودفع المضار هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «أعوان القاضى قسمان: قسم شأنه جلب الخصوم وهؤلاء لا يتوكلون وعليهم يطلق عندنا اسم الأعوان، وقسم شأنه تعاوى الخصام ويعرفون لدينا بالوكلاء، وفى عدم تطويل مدتهم مصلحة. ومن عرف منهم بتشغيب الدعاوى يجب طرده وعدم قبوله وكيلاً بحال هـ. مؤلف».

مؤخر فيها، وإن كانت ثيبا يدفع لها عشرين مثقالا معجلة كذلك، ولا يكون فى الصداق مقدم ولا مؤخر، وإنما يكون الصداق هو ما دفعه، وإن أراد الزوج أن يدفع أكثر من ذلك يتبرع به لأجل الظهور والسمعة أو لأن تأتى له الزوجة بأكثر مما دفعه لها من الشورة والزينة وغير ذلك، فيكون ذلك بحسب أهل المروءات، فمن كثرت مروءته كثرت شورته لبنته، ومن قلت مروءته قلت شورته لبنته، إلا أن ما تأتى به الزوجة المذكورة من الشورة هو لها، ولا كلام للزوج فيه البتة، وما يدفع الزوج لولى الزوجة من المال ولو كان مالا له بال هو زائد على الصداق فلا يعد عند الطلاق، وإنما هو للمرأة، وكذلك الشورة فإنها الزوجة أتت بها من دار أبيها، وإن وقع بينهم طلاق تمشى المرأة لدار أبيها بشورتها ولا تباعة للزوج عليها، وإن وقع كره منها من غير سبب تبقى فى دار أبيها أو أقاربها ولا تطلق إلا إذا أراد الزوج الطلاق ولا يقبض منها غير الذى هو مكتوب فى العقد لا غير، والمال الذى يزداد للمرأة لأجل جمالها ليس هو من الصداق، فإن أهل البوادر يسمونه المأكلة، ولا يكتب فى الصداق، وحاصل الأمر ليس هو من الصداق فى شيء، سواء كان من أهل البوادر أو أهل الحواضر.

وإن كان الزوج فقيرا لا مال عنده والزوجة كذلك فيدفع فى تزويج البكر عشرة مثاقيل، وفى تزويج الثيب خمسة مثاقيل ولا يزيد على ذلك شيئا، ويدفع ذلك مقدما لا مؤخرا فيه، بحيث إذا وقع الطلاق بين الزوج والزوجة وادعت أنها بقى لها من صداقها شيء فلا يقبل قولها، ولا تسمع دعواها، فبمجرد الطلاق لم يبق بينها وبين الزوج نزاع ولا تباعة، وهذا يشمل الأغنياء والفقراء.

وأما العمل فى التزويج فى الحاضرة فهو أن الرجل إذا زوج ابنته من رجل آخر يصنع الطعام فى داره وينادى على أهل حومته وسوقه وأقاربه وغيرهم ويأتى بالطبالين والمسامع ويشهر ذلك كل الشهرة حتى يسمع الناس كلهم أن فلانا تزوج

من عند فلان بنته فلانة، ويأكلون الطعام ويقرءون الفاتحة ويدعون له بالخير والبركة والتأليف بينهما، ويخرجون من عنده.

وكذلك إن وقع الطلاق بينهما تأتى الزوجة لدار والدها أو أحد من أقاربها وتصنع ما تيسر لها من الطعام الخفيف، ويحضر جيرانها ويأكلون ذلك الطعام ويعلمون أن فلانا الفلانى طلق زوجته فلانة بنت فلان الفلانى، ويدعون لها الله يرزقها خلفا أفضل من ذلك الرجل الذى طلقها.

وأما العمل فى البوادرى فهو أن الرجل إذا زوج بنته من رجل آخر، فإما أن يكون الزوج فى الدوار الذى هو به أولا، فإن كان معه فى دواره فيصنع الزوج الطعام فى خيمته وينادى على أهل الدوار وغيرهم للجامع ويأكلون الطعام فيه ويشهرون ذلك الزواج بالنداء والزغاريت وغير ذلك مما جرت به عاداتهم، حتى يسمعه كل واحد ويقرءون الفاتحة ويدعون لها بالبركة والخير والتأليف بينهما، وتصير الزوجة زوجة له وعلى قبله، ففى أى وقت تيسر له وسهل عليه صنع الوليمة يصنعها، هذا إن كانت الزوجة بكرا، وأما إن كانت ثيبا فذلك الطعام الذى يصنع ويأكله الناس وتقرأ الفاتحة به هو يكفى فى ذلك، ويأتى الزوج بزوجه إلى خيمته أو داره.

وأما إن كان الزوج فى دوار والزوجة فى دوار آخر فإن الزوج يبعث للزوجة للدوار الذى هى فيه بالشياه والدقيق والإقامة وتصنع الطعام فى خيمتها وتنادى على أهل الدوار وغيرهم ويأكلون الطعام عندها، وتشهر النكاح المذكور بالنداء والزغاريت كما ذكر ويقرءون الفاتحة ويدعون لها بالخير والبركة.

وكذلك إن وقع الطلاق بينهما يجعل ما خف من الطعام ويحضر أهل الدوار فى الجامع ويأكلون ذلك الطعام ويعلمون أن فلانا طلق زوجه فلانة ويدعون لها الله يرزقها خلفا أفضل.

وأما هؤلاء العدول الذين يشهدون على التزويج وعلى الطلاق فلا يعمل بشهادتهم، وأن فلانا تزوج بنت فلان وهى فلانة على صداق قدر هكذا، فإن تلك الشهادة باطلة لا يعمل بها، وإنما العمل فى التزويج والطلاق هو ما ذكرناه وبيناه.

قال عبد الله أمير المؤمنين محمد بن مولانا عبد الله: عدول هذا الوقت لا أثبت شهادتهم ولا أجوزها على حمار عائب لا فائدة فيه أخرى على تزويج مسلمة وهم كما قيل:

لقد سألت هنيئاً موجوداً أبهتانا تريد أم كذوباً

وقد أشار لهذا المنشور الكاتب ابن عثمان فى رحلته البدر السافر حيث يقول إنه قد خرج التوقيع بأمره المطاع، وأمر أن يفشى ويداع، ويذكر فى الأندية ويشاع؛ بأنه إذا تزوج رجل وامرأة وتراكنّا. فليظهرا ذلك علنا ولا حاجة إلى أولئك الذين تسموا بالعدول لما علم أنهم عن الحق عدول الخ.

ووقفت له أيضاً قدس الله روحه على منشور رسم فيه ما يجب على القضاة التمشى عليه فى الأحكام الشرعية وما يعاقب به من خالف ما رسم له منهم، وكذا أئمة المساجد ونظام الدروس فى كلية القرويين وغيرها، وبيان ما يدرس فيها من الفنون والكتب وما لا؛ وجه بذلك لعلماء مصر يطلب منهم إعمال النظر فيه، ثم ما ظهر لهم صوابه يقرونه بخطوطهم وما كان غير صواب ينبهون عليه كذلك ليرجع عنه وإليك نص المنشور:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، قال عبد الله أمير المؤمنين محمد بن عبد الله: ليعلم الواقف على هذه الفصول المذكورة فى هذا الكتاب أننا أمرنا باتباعها والاقتصار عليها ولا يتعداها إلى ما سواها.

الفصل الأول: فى أحكام القضاة، فإن القاضى الذى ظهر فى أحكامه جور وزور وما يقرب من ذلك من الفتاوى الواهية مثل كونها من كتب الأجهورية ولم

يبلغ سندها إلى كتب الأقدمين، فإن الفقهاء يجتمعون عليه ويعزلونه عن خطة القضاء ولا يحكم على أحد أبداً.

الفصل الثانى: فى أئمة المساجد، فكل إمام لم يرضه أهل الفضل والدين من أهل حومته يعزلونه فى الحين ويأتون بغيره ممن يرضون إمامته.

الفصل الثالث: فى المدرسين فى مساجد فاس، فإننا أمرناهم أن لا يدرسوا إلا كتاب الله تعالى بتفسيره، وكتاب دلائل الخيرات والصلاة على رسول الله ﷺ، ومن كتب الحديث المسانيد، والكتب المستخرجة منها، والبخارى ومسلما وغيرها من الكتب الصحاح، ومن كتب الفقه المدونة، والبيان والتحصيل، ومقدمة ابن رشد، والجواهر لابن شاس، والنوادر والرسالة لابن أبى زيد وغير ذلك من كتب الأقدمين، ومن أراد تدريس مختصر خليل فإنما يدرسه بشرح بهرام الكبير، والمواق، والخطاب، والشيخ على الأجهورى والخرشى الكبير لا غير، فهذه الشروح الخمسة بها يدرس خليل مقصورا عليها وفيها له كفاية وما عداها من الشروح كلها ينبذ ولا يدرس به، والشيخ على الأجهورى والخرشى الكبيران لم يكونا عندكم بفاس فأعلمونا بهما لنوجههما لكم تنسخون منهما وأنتم أعلمونا هل عندكم أم لا، ومن ترك الشراح المذكورين واشتغل يدرس بالزرقانى وأمثاله من شراح خليل، فإنه يكون كمن أهراق الماء واتبع السراب، ومن وصل فى قراءته إلى قول خليل مسكين خليل أكلت لحمه الكلاب أو خليل خلق بهراما، فحين يصل لهذا الباب الذى فيه هذا الكلام الخبيث والعياذ بالله يجوزه ولا يذكره ولا يتعرض لقراءته، ويقرأ من الباب الذى يليه، وكذلك الذى يقرأ الشفا فحين يصل للربع الأخير يختم الكتاب ولا يقرؤه، وكذلك الذى يقرأ البخارى فحين يصل لحديث الإفك يتركه ولا يتعرض لقراءته.

وهذه المسائل التى نهينا عن قراءتها فمن تعرض لقراءتها ونالته عقوبة على أيدينا فلا يلوم إلا نفسه، لأن المسائل التى نهينا عن قراءتها لم يذكرها أحد من

أئمة المسانيد رضى الله عنهم، ولا تعرضوا لها، والعلماء الأقدمون رضوان الله عنهم أمثال السيوف اليمانية يفرقون بين الحق والباطل بضربة واحدة، وهؤلاء الأجهوريون ونظراؤهم فى أمثال العصا، أترى السيف يشبه بالعصا، وقد قال القائل :

ولا شك أن السيف ينقص قدره إذا قيل هذا السيف خير من العصا
وكذلك قراءة سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم كالكلأعى، وابن سيد
الناس اليعمرى .

وكذا كتب النحو كالتهليل والألفية وغيرهما من كتب هذا الفن، والبيان
بالإيضاح، والمطول، وكتب التصريف وديوان الشعراء الست ومقامات الحريرى،
والقاموس، ولسان العرب وأمثالهما مما يعين على فهم كلام العرب، لأنها وسيلة
إلى فهم كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ وناهيك بها نتيجة .

ومن أراد علم الكلام فعقيدة ابن أبى زيد رضى الله عنه كافية شافية يستغنى
بها جميع المسلمين . وكذلك الفقهاء الذين يقرءون الأسطرلاب وعلم الحساب،
فيأخذون حظهم من الأحباس لما فى ذلك المنفعة العظيمة والفائدة الكبيرة لأوقات
الصلاة والميراث هـ .

وعلى هذا يكون العمل إن شاء الله . الحمد لله وحده .

ومن أراد قراءة علم الأصول فإنه أمر قد فرغ منه، ودواوين الفقه قد دونت
ولم يبق اجتهاد، والطلبة الموجودون فى الوقت كل من أراد منهم أن يتعاطى علم
الأصول فإنى أقول فيه أراد أن يتزبب قبل أن يتحصرم . اهـ . بحمد الله وتوفيقه .
الحمد لله . ومن أراد أن يخوض فى علم الكلام والمنطق وعلوم الفلاسفة وكتب
غلاة الصوفية وكتب القصص فليتعاط ذلك فى داره مع أصحابه الذين لا يدرون
بأنهم لا يدرون، ومن تعاطى ما ذكرناه فى المساجد ونالته عقوبة فلا يلوم إلا

نفسه، وهؤلاء الطلبة الذين يتعاطون العلوم التي نهينا عن قراءتها ما مرادهم بتعاطيها إلا الظهور والرياء والسمعة ويضلون طلبة البادية، فإنهم يأتون من بلدهم بنية خالصة في التفقه في الدين وحديث رسول الله ﷺ، فحين يسمعونهم يدرسون هذه العلوم التي نهينا عنها يظنون أنهم يحصلون على فائدة بالعلوم المذكورة ويتركون مجالس التفقه في الدين واستماع حديث خير المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وإصلاح ألتستهم بالعربية فيكون سببا في إضلال الطلبة المذكورين وهؤلاء الطلبة يظنون أنهم ماهرون في العلوم المذكورة فمن جاء يستفتيهم في مسألة فقهية لا يحسنون الجواب فيها.

وهذه العلوم التي نهينا عن قراءتها كان أعظم من يأمر بالاشتغال والاعتناء بها في زماننا من أيام سيدنا ومولانا إسماعيل قدس الله روحه إلى وفاته السيد أحمد بن مبارك الفيلالى عفا الله عنا وعنه، وأخلفه فيها السيد عمر الفاسى :

قال عبد الله أمير المؤمنين مولانا محمد بن مولانا عبد الله: لو كنت قاضيا لم أقبل شهادتهما ولم أثبهما؛ لأن السيد أحمد بن مبارك سمعت من الناس الثقات الذين ليس بينهم وبينه مشاحنة أنه كان يفتى بالفتاوى الواهية لتضييع حقوق المسلمين، ولا يخفى عنكم ما ذكرنا، ونأمر الفقيه السيد التاودى أن يكون عمله على ما فى هذا الكناش هـ بحمد الله ١٢٠٣٢٧ .

ونص ما كتب به لفقهاء مصر:

«الحمد لله إلى السادات الفقهاء بمصر عموما وخصوصا سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه، ونطلب من الله لنا ولكم الهداية والتوفيق بجاه المصطفى ﷺ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أئيب.

أما بعد: فاعلموا رعاكم الله أننا وجهنا مع ولدنا الأرضى سيدى عبدالسلام أصلحه الله هدية للسادات الأشراف مينة فى هذا الدفتر فالله يتقبلها، كما نريد

منكم أن تطالعوا مسائل آخر مؤكدة فى هذا الدفتر يمتته قد أمرنا قضاة المغرب أن يحكموا بها فما كان منها على صواب أثبتوه واكتبوا عليه بخطوط أيديكم، وما كان منها على خطأ فاكتبوا عليه أيضا بخطوط أيديكم فى الدفتر المذكور لنرجع عنه، ووجهوا لنا الكناش بعينه وعليه خطوط أيديكم.

وكما يصلكم أيضا تأليف سميناه اختصار الخطاب نريد منكم أن تطالعوه فالله يوفقنا وإياكم بمنه آمين يا رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. . بلفظه.

وفعلا نكل من حاد عن سلوك الجادة وخالف ما رسم له من التعاليم الشرعية، والقوانين المرعية، من قضاة المغرب فقد عزل قاضى مراكش فارس عبد العزيز العبدلى لسلوكه فى خطته غير الجادة واستبداده على غيره من العلماء وإهانتة لهم وسجنه وفلسه واستصفى أمواله وأجنته.

قال فى الترجمان العرب: إن هذا القاضى كان جريئا قوى الشكيمة لا يقيم لعلماء وقته ومن معه منهم بحضرته وزنا، ولا يقدر أحد منهم على رد أحكامه ولو خالف النص المشهور، إلى أن وجه المترجم يوما أحد كتابه فى قضية بلغته وأمره أن يحضر مع القاضى لفصلها علماء سماهم له منهم الشريف العلامة المولى عبد الله بن إدريس المنجرة، إذ كان نقله المترجم لمراكش ورشحه للتدريس والخطبة والإمامة بجامع المواسين، وأمر أن يكون الاجتماع لفصل تلك النازلة بالمسجد المذكور، ولما اجتمع القاضى والعلماء وحضر الخصمان تصدر القاضى على عادته ولم يستشرهم، ولا بالى بأحد منهم، وحكم بما ظهر له، فقال الشريف المذكور: يا عبد العزيز اسمع منى، قاض بزور ممكن وعالم بزور غير ممكن، وجه الحكم فى النازلة غير ما حكمت به وخلاف ما ذكرت وهو كذا وكذا وذكر نصوصه ورتب

فروعه، وقال للشهود: اشهدوا على بهذا فبهت القاضى وخاف العلماء على الشريف المتكلم من حصول الإذاية له وانفض المجلس .

ولما بلغ المترجم تفصيل ما راج أمضى حكم الشريف وأكرمه، وعزل القاضى وفلسه وأعطى للمولى عبد الله المذكور جنانا من أملاك القاضى فلم يقبله وكتب للمترجم كتابا يقول فيه: أما ما فعله أمير المؤمنين من حيازة ماله فعين الصواب وحيازته لبيت المال فهو موافق لنصوص أهل العلم كما فى ابن سلمون والخطاب وغيرهما، وأما الجنان فعبد الله غريب الدار يكفيه جامع المواسين، ثم بعد أن سرح القاضى استأذن المترجم فى التوجه لأداء فريضة الحج فساعدته ووصله بألف ريال خمسة آلاف فرنك، وبعد رجوعه من الحجاز ولاه القضاء وشرك معه غيره، ولم يعد لحاله الأول إلى أن مات؛ وعزل القاضى أبا محمد عبد القادر بوخريص وولى يوسف بوحنان فى قضية مثل هذه؛ وأما قضاة المدن والقبائل والقرى فكان فى كل سنة يعزل واحدا منهم إلى أن اجتمع ببابه نحو العشرين هـ بتصرف .

نصيحته للأمة

ومن ذلك نصحه للعمال والعامة وتحذيره لهم من الخروج عن مناهج الشرع فى دينهم ودنياهم، وقفت له فى ذلك على رسالة فاخرة؛ وبإيراد نصوص الكتاب والسنة فى كل مهم عاطرة؛ ودونك نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

وبعد: فقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل ٩٠]

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [سورة الحج ٤١] وقال عليه السلام: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته».

وقد بلغنا ما حدث في العامة من عموم الجهل بالتوحيد وأصول الشريعة وفروعها حتى ارتكبوا أموراً تقارب الكفر أو هى الكفر بعينه، وذلك من خلو القبائل من طلبة العلم العاملين وقلة المرشد المعين حتى لا تجد في القرية الكبيرة عالماً يرجعون إليه في مسائل دينهم ونوازل أحكامهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وذلك من تفريط العمال وقلة اعتنائهم بالدين والعهدة عليهم في ذلك، لأنهم ينبغي لهم الغبطة في العلم والعلماء وتقريب أهل الخير والدين؛ والافتداء بالأولياء والصالحين؛ وإعانة النجباء من قبيلتهم على طلب العلم من محله؛ وأخذه عن أهله؛ ففي الحديث: طلب العلم فريضة؛ وقال عليه السلام: «اطلبوا العلم ولو بالصين». وفي الحديث: «العالم في قومه كالنبي في أمته».

فإن العالم إذا كانت بطانته صالحة كانت أعماله جارية على الصلاح والسداد، وإذا كانت بطانته على غير هداية كانت أحكامه مخالفة للشريعة فضل وأضل، وقد قال عليه السلام: «ما من وال إلا له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالاً ومن وقى بطانة السوء فقد وقى». وقال عليه السلام: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور الرجال ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». وقال عليه السلام: «بدأ الدين غرباً وسيعود غرباً فطوبى للغرباء». وقال عليه السلام: «يأتى على الناس زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر».

وهذا آخر الزمن الذى أخبر الصادق المصدوق عليه السلام بفساده وعموم
الفتن والأهواء والبدع الدالة على اقتراب الساعة، نسأل الله حسن الخاتمة، فينبغى
للمؤمن المشفق على نفسه عموماً وخصوصاً العمال البحث عن دينهم ومعرفة
أحكام ما دفعوا إليه وقلدوه من أمر رعاياهم ليسيروا على منهاج الشرع ويرتكبوا ما
ينجيهم مع الله، ففى الحديث: لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم
حكم الله فيه، وفى الحديث: كان النبى ﷺ يتخولنا بالموعظة أحياناً مخافة السامة
علينا.

«فأول ما ضيعت العامة أصول الدين وفروعه وتهاونت بالإسلام وقواعده
فمنه التوحيد الذى هو أساس الدين والقطب الذى عليه المدار، وسلامة العقيدة هى
أصل الخير والنجاة من النار؛ فينبغى العناية به أتم، والمؤمن بأصل دينه أهم».

«ومنه التهاون بالصلوات الخمس والجهل بوسائلها كالاستبراء والوضوء
والطهارة والأذان، والصلاة هى عماد الدين وذروة سنامه قال الله سبحانه: ﴿وَمَا
أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ
﴿٥﴾﴾ [سورة البينة: ٥]. وقد ذكرها الله سبحانه فى آيات كثيرة من كتابه
وحض على إقامتها والمحافظة عليها، قال سبحانه: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ
الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٣٨]. وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ
عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٩ - ١١] وقال عليه الصلاة والسلام: «الصلاة
عماد الدين». وقال: «بين الرجل والشرك والكفر ترك الصلاة». وقال: «من ترك
الصلاة متمعداً فقد كفر جهاراً». وقال عليه السلام: «أول ما يحاسب عليه العبد
الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله».

وكتب سيدنا عمر رضى الله عنه إن أهم أمركم عندى الصلاة، فمن حافظ عليها فهو لما سواها أحفظ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، وقد جعلها الله سبحانه للمحافظين عليها واعظا وناهيا فقال: ﴿... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥] وقال سيدى خليل: ومن ترك فرضا آخر لبقاء ركعة بسجديتها من الضرورى وقتل بالسيف حداً، ولو قال أنا أفعل وصلى عليه غير فاضل».

«ومنه أمر الزكاة الواجبة فى الأموال والأنعام والحبوب لمن حال عليه الحول وكمل عنده النصاب، وقد حدث فيها من الخيانة والتدليس وتقاعد الناس عليها والامتناع من إخراجها إلا بالقهر ما صيرها جباية، وثقلت على العامة، حتى صارت مغرماً مع أنها زيادة فى الأموال وبركة فيها وحفظ لها.

الزكاة أخت الصلاة، فكما أن الصلاة طهرة للأبدان، الزكاة طهرة للأموال قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ...﴾ [سورة التوبة: ١٠٣] وفى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: «ما مانع الزكاة بمسلم». وعنه عليه السلام: «حصنوا أموالكم بالزكاة. وعنه أيضاً ما ضاع مال فى بر ولا فى بحر إلا بترك الزكاة فيه».

وقال تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٢٤] يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣٤، ٣٥].

وفى الأثر: كل مال لم تؤد زكاته فهو كنز، وعنه عليه السلام: «ما من صاحب مال لا يؤدى حق الله فيه إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زيبتان يأخذ بلهزمتيه أى شقيقه يقول أنا كنزك». وعنه عليه السلام: «ما من صاحب إبل ولا بقرة

ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأخفافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولها حتى يقضى بين الناس». .

ومنه صيام رمضان الذي أوجبه الله على كل عاقل بالغ صحيح حاضر قال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ...﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]، وقد ضيعت العامة حقوقه وتهاونوا بصيامه حتى إنه بلغنا مجاهرة بعضهم بأكله من غير نكير، ومن صامه صامه من غير قيام بحقه ولا معرفة بما يصح صومه أو يفسده، وأكثرهم يصومون ولا يصلون، وفي الحديث: الصيام جنة ما لم تخرقه، وعنه عليه السلام: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»، وعنه عليه السلام: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

ومنه الحج للمستطيع قال تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾ [سورة آل عمران: ٩٧] والاستطاعة هي الزاد والراحلة والأمن على النفس والمال، وقال عليه السلام: من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وقال عليه السلام: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

وقد سمعت العامة فضله وجحدوا حكمه وارتكبوا فيه من البدع والرياء والسمعة ما أفسدوه عليهم، فإن الحاج ينبغي له اختيار الحلال المحض لذلك، والمحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، ومعرفة أحكامه وسننه، وترك المراء والجدال والرفث والفسوق وحفظ الجوارح من المعاصي، وخصوصاً الفرج واللسان قال الله سبحانه: ﴿... فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ...﴾ [سورة البقرة: ١٩٧] وقد صار اليوم عند العامة لهوا ولعباً، وجل العامة لا يقصد به إلا

التسمية بالحاج فقط ولا يقصد به فرضا ولا غيره، فتجد الرجل يتوجه للحج ومن حين خروجه وهو متلبس بالمعاصي من أكل الحرام وترك الصلوات والتهاون بأمور الدين، ولا يعرف ما يأتي وما يذر، ويرجع وقد توجه لفرض فعطل فروضاً. ولم يدر مسنونا ولا مفروضاً. أولئك الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا».

«ومن أركان الدين الجهاد في سبيل الله وهو فرض كفاية ما لم يفجأ العدو، فإن فجأ العدو كان فرض عين، قال سيدى خليل: وتعين بفجأ العدو وإن على امرأة وصبي.. إلخ. وقال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾ [سورة البقرة: ٢١٦]، وقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٤]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً...﴾ [سورة التوبة: ١٢٣]، وقال سبحانه: ﴿... وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤١]، وقال: (الذين آمنوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)^(١)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ...﴾ [سورة الصف: ١٠]، وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ...﴾ [سورة آل عمران: ١٦٩].

وقال عليه السلام: «الجهاد رهبانية أمتي». وقال: «لكل نبي حرفة وحرفتي الجهاد في سبيل الله»، وقال: «جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري»، وقال: «من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية»، وقال: «ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا».

(١) نص الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٥].

فينبغي للمؤمن الموقن أن يسمع ويطيع لما أمر الله به من الجهاد، ويستعد بما قدر عليه من سلاح وفرس جواد، وتعلم رماية وفروسية ليأجره الله على نيته، ويشبّه على حكم قصده وطويته، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ...﴾ [سورة الأنفال: ٦٠]، وليتعلّم ما يتعلق به من الأحكام من حسن النية والإخلاص وصدق العزيمة، لتكون كلمة الله هي العليا، ويشعر نفسه تصديق ما وعد الله به من نصر الإسلام وأهله، وخذلان الكفر وشيعته، ويعرف حرمة الفرار من الزحف وما أعد الله لمن مات شهيداً مقبلاً، وما أعد الله لمن مات مدبراً ليكون على بصيرة فيما يأتي وما يذر».

«وهذا الجهل الواقع في قواعد الدين إنما هو من قلة العلم وعدم مخالطة العلماء وسؤالهم عن مسائل الشريعة المطهرة، فتجد أحدهم بصيراً بأمور معاشه وبيعه وشرائه جاهلاً بأمور دينه واعتقاده، غافلاً عن معاده، لعدم اعتناؤه بآخرته، وقلة نظره في أمور عاقبته، فإننا لله وإننا إليه راجعون.

وقد عم ذلك حتى صار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، وارتكبت العامة أموراً قريبة من الكفر أو هي الكفر بعينها».

«فمنها فساد البيع والشراء والمعاملات وهو سلف الدراهم بالزيادة أو كراؤها بكذا في الشهر لكل مثقال وغير ذلك من أنواع الربا، وقد شدد الله في أمره وآذن المصرّ عليه بالحرب فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥].

وقال عليه السلام: «من نبت لحمه من سحت فالنار أولى به»، وقال ﷺ: «لعن الله أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده».

«ومنها فساد الأنكحة والتساهل فيها من خطبة أحدهم على خطبة أخيه والدخول على المطلقة قبل تمام العدة وغير ذلك من المنكرات، وأشنعها وأبشعها ما

يرتكبه الأشياخ الفجرة من بيع النساء على ما بلغنا، وصورة ذلك أن يقبض الرجل وتوظف عليه الذعيرة فلا يفي بها ماله وتكون عنده الزوجة المرغوب فيها فيتحمل الراغب فيها بما بقى من الذعيرة ويسلمها له، ويجعلها العدول الفجرة في صورة خلع، ويدخل بها الراغب قبل وفاء العدة، وهذا وشبهه من الإلحاد في الدين، والخروج عن شريعة سيد المرسلين».

«ومنها التساهل في أمر الزنا والاكتفاء فيمن ثبت عليه بالقبض والذعيرة، وذلك من المنكر الذى لا يرضاه الله ورسوله والمؤمنون؛ لأنه خرق الشريعة وإبطال لأحكام القرآن وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...﴾ [سورة النور: ٢]، هذا فى البكر وأما الثيب فالرجم، فقد قال عليه السلام: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن». وقال: «الزنا بريد الفقر ولا ظهر فى قوم الزنا إلا فشا فيهم الموت».

«ومنها التساهل فى أمر السرقة والاكتفاء برجوعها وزجر السارق، وهذا مخالف للشرع، مبطل لحكمه الذى هو القطع، قال الله سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا...﴾ [سورة المائدة: ٣٨]. وقال عليه السلام: «والله لو سرق - وذكر عضوا شريفا من ذات شريفة حاشاها من ذلك - لقطعت».

«ومنها تسلط الأشياخ على نسوة رعاياهم بالاحتيال على من كان تحته زوجة حسناء بقبضه حتى يتوصل للفاسد فى زوجته».

«ومنها التساهل فى أمر الدماء التى شدد الله فيها وأمر بالقصاص فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ...﴾ [سورة البقرة: ١٧٨]، وقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ...﴾ [سورة البقرة: ١٧٩] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا

بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ [سورة الإسراء: ٣٣] فتجد القتال يسبق إلى الشيخ أو العامل للإعلام والرشوة ليبتل حق المقتول ودعوى أوليائه إن رفعت إليه، ويسعى في إبعاد التهمة عنه، وربما يتجرأ على الله بقبض أولياء الدم ليدحض دعواهم. ويحسم شكواهم.

«إلى غير ذلك من المنكرات التي حدثت في الوقت نسأل الله السلامة، فإن الشرفى الزيادة كما أخبر ﷺ، فيجب على من ولاه الله أمرا أن ينصح لنفسه ولرعيته جهد الاستطاعة، ويحملها على اتباع السنة والجماعة، ويزجر من قصر في دين الله وخالف أمره وارتكب ما نهى عنه بقدر معصيته، ويقوم بأمر الله فيهم وطاعته، ويبرأ بنفسه فيحملها على منهج الحق والشرعية، فإن الرعية على دين رئيسها، فحينئذ ينفع تعليمه ويقبل ما يقول، ويلزم كل دوار وجماعة مشاركة طالب علم يرجعون إليهم في أمر دينهم، وتعليم صبيانهم وجهالهم، ويقوم بالأذان والصلوات الخمس في أوقاتها.

والجماعة التي لم تفعل ذلك يزجرهم ويعاقبهم، ويختار الأشياخ أهل الدين الذين يقومون بذلك، ويستعين عليه بالقضاة أهل العلم والعمل، الذين يتقون الله ويتحرون في أحكامهم، ومن ثبت عليه حد من حدود الله شرعا يطالعنا به لنأمر بإنفاذ حكم الله فيه.

ويشدد على أهل الجرائم والفساد، ويرفق بالضعفاء والمساكين، فما سمعنا عاملا قبض أحدا على ترك الصلاة أو ترك الوضوء أو عاقبه على قلة دينه أو أدبه على قول أو فعل خارج عن الشرع العزيز، وإنما يبلغنا قبض العمال على الذعيرة أو مخالفة الشيخ أو الغوغة عليه أو غير ذلك من الأغراض والشهوات الدنيوية التي لا تعلق لها بالدين، مع أن القيام بأمور الدين أولى، والاهتمام بالاستقامة فيه أهم.

ولو استقام دين العامة لاستقام أمر دنياهم فينبغي، للعاقل إيثار أهل الدين على الدنيا، ففي محض حق الله تجب المبادرة، وفي الشمائل: كان ﷺ لا يغضب لنفسه إلا إذا انتهكت^(١) محارم الله فلا يقوم لغضبه شيء.

فمن وفقه الله للاقتداء برسول الله ﷺ فقد رشد واهتدى، ومن حاد عن سبيله فقد غوى واعتدى، فإنه عليه السلام تركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا شقى، وليجعل أموره كلها جارية على الكتاب والسنة ويسأل العلماء عما لم يعلم، ويرفع القضايا الشرعية للقضاة، ويأمرهم باختيار الشهود أهل العدالة والدين، ليتيم له من ذلك ما أراد، ومن ظهرت عليه جرحة في شهادته ينكل به ويمنعه من الشهادة لينزجر به غيره، وتجري أمور الشرع على مقتضاها، فإن بصلاح الشهود تستقيم أمور الشرع؛ لأن بهم عصمة الدماء والأموال والأنساب.

وصلاح الشهود بصلاح القاضي، وصلاح القاضي بالعلم والتقوى والورع ومعونة العامل على تنفيذ أحكامه، فمن قام بهذا من العمال فقد نال رضا الله ورسوله ورضانا، وفاز بخير الدارين، فإن بالعدل ثبات الولاية وملاك أمرها، ولا يتم ذلك إلا بمشاورة الصلحاء والاهتداء بهديهم، فإن مصاحبة الأخيار، ترفع الأقدار، وتبلغ منازل الأبرار، وقد قيل: والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح ولا يقال فسد الزمان وقل أهل الدين، وفقد الناصر والمعين، فإن من قام بالله وجد في إقامة شريعة رسول الله ﷺ بعزيمة صادقة رزقه الله المعونة على ذلك، والتوفيق لسلوك تلك المسالك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، ولنصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز.

ومن حاد عن هذا السبيل من العمال وقصر في نصح رعيته ولم يحملها على أفضل الأخلاق والأعمال فقد تعرض لسخط الله ومقتته، وحلول العقوبة المعجلة به ولا يلوم إلا نفسه، ولا يضر إلا رأسه.

(١) في المطبوع: «إلا إذا انتهت!».

ولتكن نسخة من هذا الكتاب عند كل شيخ وكل طالب، ليلبغ الشاهد الغائب، ولنخرج من عهدته التقليد، ومن خالف الشرع أو حكم بغير ما أنزل الله أو رضى بذلك فحسابه على الله، قال الله سبحانه: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ [سورة الحشر: ٧]، وقال: ﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٥]، ﴿... فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٧]، ﴿... فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٤].

فها نحن قد ذكرناكم وبصرناكم. وعرفناكم مرادنا فيكم وقلدناكم، وعلى سبيل النجاة دللناكم، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها، فاجعلوا هذا الكتاب نصب أعينكم، وتدبروا ما فيه ببصيرة نافذة، وعقول حاضرة، لتعملوا^(١) بمقتضاه. والله يوفقكم لما يحبه ويرضاه والسلام.

عطاياه وأحباسه:

لا أستطيع أن أتى على ما له في هذا الباب، ولو تتبعته لأتى في مجلدات ولكن ما لا يمكن كله لا يترك كله، ودونك شذرات من ذلك.

أما تبرعاته وعطاياه فإنه قد دون لذلك الدواوين، قال أبو محمد عبد السلام ابن الخياط بن محمد بن علال القادري في تقييده في أبناء محمد النفس الزكية: دَوْنٌ -يعنى المترجم- ديوان العطاء للشرفاء والمتشرفة والمشروفين لكل ديوان وعطاء معلوم، وكذلك دَوْنٌ ديوان الضعفاء والأيتام والأرامل وقدر لهم عطاء معلوماً، وأعطى للعلماء والطلبة عطاء لم يسبق إليه، ودَوْنٌ للمؤذنين عطاء معلوماً انتهى.

(١) في المطبوع: «لتعلموا».



ظهیر السلطان سیدی محمد بن عبد الله للمرابطين أولاد سیدی بوموسی
 بالتوقیر والاحترام والسير علی ما كانوا علیه من قراءة القرآن وإهداء ثوابها
 لمولای الشریف ومولای إسماعیل

وأعطى لطيبه الماهر العلامة الحكيم أبى العباس أحمد بن عبد الوهاب أدراق ألف دينار فى آن واحد كما فى الجيش وغيره .

ولما سرح عبد العزيز العبدلى الذى كان قاضيا بمراكش بعد نكته المتقدمة الذكر أعانه بألف ريال للحج كما سلف .

وأعطى فى فكك أسارى الأتراك من مالطة مائتى ألف ريال وأربع وسبعين ألف ريال دورو، ولما لم يتيسر الفداء ورجع المال المذكور وجهه بجميعه للسلطان عبد الحميد، وقال له: إن هذا المال أخرج فى سبيل الله لفكك أسارى المسلمين منكم، وحيث رده الكفار لا يرجع لنا، فأنفقه فى فداء أساراكم أو فى الجهاد أو فيما يظهر لكم .

وقد بلغ عدد الأسارى المسلمين الذين أنقذهم من الأسر سنة ١٢٠٠ ثمانية وأربعين ألف أسير وزيادة من المغرب وغيره، وأنفق فى ذلك أموالا طائلة .

ورتب لأشراف تافيلالت فى كل سنة مائة ألف مثقال زيادة على ما يقبضونه فى أيام السنة متفرقا .

ورتب لشرفاء الحرميين الشريفين واليمن مائة ألف مثقال فى السنة، ومثلها لشرفاء المغرب، ونحو ذلك للطلبة والمؤذنين والقراء بالمكاتب وأئمة المساجد فى كل عام .

ولما كانت مسغبة عام تسعة وثمانين أجرى أرزاقا على الضعفاء والأغنياء، وأسقط الخراج فلم يُجبَ لبيت المال فى تلك السنين من أحد شىء قط، وأوقف دورا لاستعمال الطعام للأرامل والأيتام والمساكين، ولم يزل على ذلك حتى صرف الله تلك الأئمة عن المسلمين، قاله فى درة السلوك .

وفى غلاء عام خمسة وتسعين ومائة وألف وصل أهل العدوتين الرباط وسلا وأهل مراكش وغيرهم بأموال لها بال، وكان يفرق على الدور ويوالى العطاء على الضعفاء والمساكين بيده، ورتب لهم الخبز مياومة، ودام على ذلك حتى اضمحلت المسغبة، وكان يعطى للتجار الأموال لجلب الميرة من الخارج وبيعها فى الإيالة برأس مالها رفقا بعامة الضعفاء.

ولما زار تافيلالت عام تسعة وثمانين وصل الشرفاء بما يزيد على مائتى ألف دينار، وأنعم على أهل الزاوية الناصرية بتامكروت بعشرة قناطير من معدن الحديد، خمسة من الصويرة وخمسة من آسفى.

وفى عام سبعة وتسعين ومائة وألف وجه لأشراف الحرمين الشريفين أموالا صلة، وللشيخ مرتضى الزبيدى خمسمائة دينار ذهباً ومجانة منه، ومثل ذلك للشيخ أحمد الدردير، ولباقى علماء مصر سبعمائة دينار ذهباً. قاله الضعيف.

وقال إن الشيخ مرتضى: لم يقبل تلك الهدية واعتذر عن عدم قبوله إياها بأنه لم يؤذن له ولم يقابل الوفد السلطانى الذى أتاه بها وكتب لهم بما نصه: وبعد السلام على كرام الوقت اقبلوا عذرى فى التخلف عنكم فى هذه الساعة وما ذكرتم لنا من أنكم صحبتم معكم صلة من جانب المنصور بالله، فإنه لم يؤذن لنا فى قبولها وهو نصره الله قد استسمن ذا ورم. ونفخ فى غير ضرر. والآن اذهبوا بالسلامة والسلام.

ووجه مع صهره ابن عمه مولاي عبد المالك ابن إدريس فى سفارته للسلطان عبد الحميد وحجته مع ابن عثمان، والسيد محمد الموزيرق، وشيخ الركب الحاج عبد الكريم بن يحيى هدية كبيرة للأشراف وأمرهم أن يتوجهوا من إسطنبول للحج، وكان مقدار المال الموجهين به ثلاثمائة ألف ريال دورو وستين ألف ريال

ومن الذهب ضبلون ومنيضة وبنديقى أربعين ألف لمعينين فى الحرمين الشريفين فى أحقاق كل حق مكتوب عليه صاحبه .

ومن ذلك ما أصدره فى الاستمرار على ما كان يعطيه لسيدي على منون، ونص ذلك بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خدمنا الراضى بن القاضى سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد: فنأمرك أن تدفع لدار سيدي على منون الزرع الذى من عادتنا الكريمة أن نعطيه إياه لعولته ولا تقطعه عليه والسلام فى متم ربيع الأول سنة ١١٨٧ .

ومن ذلك أيضا ما وجهه مع ولده العلامة أبى محمد عبد السلام صاحب درة السلوك وغيرها للسادات الأشراف أهل الحرمين الشريفين والينبوع وبدر وغيرهم، حسبما ذلك مفصل بالكناشة التى وجه بها لعلماء مصر وإليك نصها حرفيا:

«الحمد لله وحده، هذا زمام هدية الحرمين الشريفين المتوجهة مع ولدنا الأراضى سيدي عبد السلام أصلحه الله ورضى عنه، وقدر الهدية المذكورة ألف سبيكة من الذهب، وقد أمرنا أن يفرق ذلك على ما هو مذكور ومبين بالكناش حتى يتوصل كل ذى حق إلى حقه إن شاء الله، وكتب فى أوائل جمادى الأولى عام أربعة ومائتين وألف:

القسمة الأولى:

للسادات الشرفاء أهل المدينة المنورة ومن بينه وبين المدينة مرحلة واحدة مائتان من السبائك .

القسمة الثانية:

للسادات الشرفاء أهل مكة والوادي وجدة والطائف مائتان من السبائك.

القسمة الثالثة:

للسادات الشرفاء أهل ينبوع النخل وأهل ينبوع البحر مائتان من السبائك.

القسمة الرابعة:

للسادات الشرفاء أهل بدر ورابغ وخليص والصفرا والجديدة والحسينية وعين عجلان وجميع أشرف الحجاز عن آخرهم، وإن نسينا فرقة منهم ولم نسمها فهي داخله مع أشرف الحجاز مائتان من السبائك أيضا.

القسمة الخامسة:

لأهل المدينة المنورة خصوصا وعموما من غير الأشراف وفقنا الله وإياهم وأهل الرباطات والرواقات ومن له وظيف مائتان من السبائك إلا أن أهل الوظائف يأخذون على قدر خدمتهم في الحجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فيكون منهم من يأخذ ثلاث قسمات، ولحمة القرآن ثلاث قسمات ومنهم من يأخذ قسمتين، وعامة الناس يأخذون قسمة واحدة.

وحاصل الأمر أننا فوضنا لأهل المدينة المشرفة في القسمة المذكورة فيقتسمون ذلك على قوانينه المعهودة عندهم، ولا حظ للرافضية الذين يبغضون الشيخين أبعدهم الله فلا يأخذون شيئا من المال المذكور ولو درهما واحدا، ومن حبي الرافضية المذكورين بشيء من المال المذكور فالله حسيه وحسيب كل من منع حق مسكين من الغرباء والمجاورين لحرم رسول الله ﷺ من أهل الرباطات والرواقات وغيرهم من الذين لم يقدم بهم من بلادهم إلا شوق المصطفى ﷺ وجواره.

وأنا أقول واجب على أهل المدينة أن يقدموا هؤلاء الغرباء المجاورين لحرم رسول الله ﷺ فى الهدية على أنفسهم والهدية المذكورة لأهل المدينة خصوصا وعموما على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، واعلموا أنه لا مدخل للشرىف أمير مكة فى تفريق المال المذكور بل يفرقه سرامين^(١) وشرفاء المدينة، وإن بعث صاحباً له يحضر على تفريق المال المذكور فليطرده أهل المدينة ويقولون له: إن بعث صاحبك شيئاً فاحضر عليه، وأما هذا المال فلا مدخل لك فيه ؛ لأن الشرىف المذكور نهب من مال هدية شرفاء اليمن ستة عشر ألف مطبوع فى العام الماضى فلا يحضر على تفريق هذا ولا مدخل له فيه بوجه ولا بحال، وإنما يحضر على تفريق المال المذكور شرفاء المدينة مع سرامين^(١) والتفريق المذكور يكون على النسق المذكور إن شاء الله .

الفصل الأول:

قسمة السادات الأشراف أهل المدينة المنورة وما حولها فإنها ظاهرة، ويعرف بعضهم بعضاً لأنهم حاضرون بطيبة .

الفصل الثانى:

قسمة السادات الأشراف أهل مكة والوادى وجدة والطائف، فإن قدم عليكم منهم نحو العشرين أو الثلاثين رجلاً فلا تدفعوا لهم شيئاً من الهدية المذكورة إلا إذا قدم عليكم منهم نحو المائة رجل وزيادة من خيار الشرفاء المذكورين وأعيانهم، وكل فرقة منهم تأتى بوكالة إخوانها وكالة مفوضة .

وكيفية التفريق عليهم هو أن أهل مكة يأخذون حظ إخوانهم أهل مكة فقط بعد أن يبينوا لكم كل بيت وما يجب له فى حظه من الهدية المذكورة، وكذلك سكان الطائف إنما يأخذون حظ إخوانهم سكان الطائف فقط، بعد أن يبينوا لكم

(١) فى هامش المطبوع: «السرامين: كأنه تركى التركيب وإضافته مقلوبة، أى أمين الصرة» .

كل بيت، وما يجب له في حظه من الهدية المذكورة، وكذلك أهل الوادى يأخذون حظ إخوانهم سكان الوادى فقط، وكذلك أهل جُدَّة يأخذون حظ إخوانهم سكان جُدَّة فقط، وكذلك إن كان بعض ديار السادات الأشراف قرياء لمكة المشرفة ولم يكونوا مذكورين في الزمام فيحسبون مع أهل مكة ويأخذون معهم، وسواء كانوا دياراً أو خياماً، وكذلك إن كان بعض ديار السادات الأشراف قرياء للطائف فيحسبون من جملة أهل الطائف ويأخذون معهم، وكذلك أهل الوادى، وكذلك أهل جدة إن كان بعض ديار السادات الأشراف قرياء منهم فيحسبون من جملتهم ويأخذون معهم.

الفصل الثالث:

قسمة السادات الأشراف أهل ينبوع البحر وينبوع النخل، فذلك أيضاً إن قدم عليكم منهم نحو العشرين أو الثلاثين رجلاً فلا تدفعوا لهم شيئاً من الهدية المذكورة إلا إذا قدم عليكم منهم نحو المائة رجل وزيادة من خيارهم وأعيانهم، لأن السادات الأشراف أهل ينبوع البحر، وينبوع النخل فرق متعددة ويوت كثيرة من الشرفاء، فكل فرقة منهم تأخذ حظ إخوانها من الهدية المذكورة، لكن بعد أن يبينوا لكم كل بيت وما فيه ويأتوا بوكالة إخوانهم وكالة مفوضة، فعند ذلك يدفع لهم حظهم ولا يدخل معهم فيها من هو مضاف لهم ومن لهم، إنما الهدية المذكورة مخصوص بها أبناء المصطفى ﷺ.

الفصل الرابع:

قسم السادات الأشراف أهل بدر، وراغب، وخليط، والصفراء، والجديدة^(١)، والحسينية، وعين عجلان، وجميع أشراف الحجاز عن آخرهم، وإن نسينا فرقة منهم ولم نسمها فهي داخلية في القسمة الرابعة مع السادات أشراف

(١) في المطبوع: «الحديدة» بالحاء المهملة. والمثبت في حسن القرى، وبالهامش: «بهامش الأصل: هي الآن ملك بعضها للشيبى عبد الله صاحب مفتاح البيت وباقيها للأشراف».

الحجاز، فالقسمة الرابعة كلها عامة على من هو شريف فى الحجاز وإن لم يكن مذكوراً فى الزمام، فكذلك وإن قدم عليكم منهم نحو العشرين أو الثلاثين رجلاً فلا تدفعوا لهم شيئاً إلا إذا أتيكم منهم نحو المائة رجل وزيادة من خيارهم وأعيانهم، وكل فرقة منهم تأتى بوكالة إخوانها، وكالة مفوضة.

فأهل بدر يأخذون حظ إخوانهم الساكنين ببدر، وكذلك أهل رابغ يأخذون الساكنين برابغ، وكذلك أهل خليص يأخذون حظ إخوانهم الساكنين بخليص، وكذلك أهل الصفراء يأخذون حظ إخوانهم الساكنين بالصفراء، وكذلك أهل عين عجلان، وكذلك جميع أشرف الحجاز عن آخرهم كل واحد منهم يأخذ حظ إخوانه فقط.

وأنتم إياكم ثم إياكم أن تدفعوا لأحد من السادات الأشرف حظ هذا لهذا أو حظ هذه الفرقة لهذه الفرقة، بل كل فرقة منهم تأتى بوكالة إخوانها وكالة مفوضة، وتأخذ حظها، لكن بعد أن يبينوا لكم كل بيت وما يجب له من الهدية المذكورة.

وعلى هذا يكون عملكم، وقد تشفعنا للسادات الأشرف أهل المدينة المنورة بالمصطفى ﷺ ومحبتنا فيهم أن يقفوا على هذه القسمة فى هذه السنة للسادات الأشرف حتى يتوصل كل ذى حق منهم بحقه، لأنها إذا تحققت القسمة فى هذه السنة فتسهل فى السنين التى بعدها، وبها ينقطع الخصام بين السادات الأشرف وفر الله جمعهم الحمد لله وحده.

وكما يصل للحرمين الشريفين ومصر والإسكندرية مع ولدنا الأرمى سىدى عبد السلام أصلحه الله ورمى عنه وفى مهل جمادى الأولى عام أربعة ومائتين وألف:

فلفلغهاء وجميع الطلبة بالمدينة على مراتبهم من طلبة العلم وطلبة القرآن ألف منيضة يقتسمونها على المراتب .

ولفغهاء الإسكندرية ومدرسيها وسائر طلبتها وطلبة القرآن والعلم ألف منيضة يقتسمونها على المراتب .

ولمدرسى مصر والفقهاء وسائر طلبة الروايات على مراتبهم خمس عشرة مائة منيضة يختص الفقهاء والمدرسون بالأزهر بخمسائة ، الألف الباقي يفرقونه الطلبة على المراتب جميع المنيضة ثلاثة آلاف وخمسمائة .

وللحسنين بمصر مائتان من البندقى .

وللإمام سيدى محمد بن إدريس الشافعى مائة بندقى .

وللبكرين خمسمائة بندقى .

وللعمرين خمسمائة بندقى .

وللوفائيين مائة بندقى .

ولسيدى أحمد البدوى مائة بندقى .

وللشيخ أبى العباس المرسى مائة بندقى .

ولسيدى البصيرى مائة بندقى .

ولييت الله الحرام ألف بندقى لفقهاءه وسائر طلبته وأهل الوظائف من عند ولدنا الأرضى سيدى عبد السلام أصلحه الله لأن ألفين مثقالاً التى تتوجه لكم من عندنا فى كل سنة فقد كنا قدمنا لكم الكتب على أنكم تقبضونها من عند المتولى فى موضع الشريف سرور عن كل سنة من الستة عشر ألف مثقال التى كان أخذ من الهدية ، وهى واجب ثمان سنين فقد أذنا لكم فى قبضها منه على حسب ألفين مثقال فى كل سنة ، وأما الألف بندقى المذكور فهو من عند ولدنا عبد السلام أصلحه الله آمين جميع البندقى ألفان وسبعمائة .

فالصلة التي توجه بها ولدنا سيدى عبد السلام أصلحه الله هو يتولى تفريقها بالمدينة المنورة بعد أن يحج ويرجع من مكة، وواجب أهل مصر والإسكندرية يدفعه بمصر عند التشرقة.

والهدية التي توجه بها السيد على الشبانى من اسطنبول مع سرامين، فقد كنا أمرناه وعنده أمرنا أن سرامين يفرقها بالمدينة المنورة قبل أن يحج وقبل أن يصل لمكة المشرفة، وقدر عدد الهدية المذكورة ألف سبيكة وتقسم على خمس قسّمات مائتا سبيكة فى كل قسمة:

القسمة الأولى: لشرفاء المدينة وما حولها.

الثانية: لشرفاء بيت الله الحرام ومن ذكر معهم.

الثالثة: لشرفاء ينبوع ومن ذكر معهم.

الرابعة: لشرفاء بدر وخليص والصفراء والجديدة وشرفاء الحجاز كلهم.

الخامسة: لأهل المدينة خصوصاً وعموماً وعلى هذا يكون العمل إن شاء الله.

وكل هدية وردت من عندنا لآل بيت رسول الله ﷺ تقسم على خمس قسّمات كما ذكر، أربع للسادات الشرفاء، والخامسة لعامة أهل المدينة المنورة، وبمكتبتنا من هذا المنشور نسخة من أصله فتوكرافية.

ومن ذلك هبته للسادات الشرفاء صرحاء الأنساب إراثة المنقطعين وجباية الأعشار وحصرهم فى ستة عشر شعبة، جعل الإنعام عليهم خصوصاً بذلك، وأصدر بذلك ظهيراً كريماً أمر بتعداد النسخ منه وتسجيله فى حوالة القرويين زيادة فى صيانتة والمحافظة عليه.

وسبب تلك الهبة على ما فى تحفة الحادى المطرب لأبى القاسم الزيانى : أنه لما كانت سنو المسغبة ورتب الخبز فى المدن يفرق فى كل حومة على ضعفائها، اجتمع شرفاء فاس وطلبوا منهم أن يخصصهم بنصيبهم ولا يدخلون مع العامة، فقال لهم: هذا شىء تافه وسأخصكم بما هو أكثر منه، فأنعم عليهم بمال إراثة فاس. اهـ. الغرض.

فأصدر ظهيراً لهم بتنفيذ ذلك على وجه الإقطاع وقفت على نسخة منه مسجلة إليك نصها:

«الحمد لله، نسخة رسم وخطاب من يجب أمنه الله عقبه بما سيذكر نصه: الحمد لله نسخة ظهير كريم مولوى هاشمى سلطانى محمدى والخط والطابع الشريفان بين الحمدلة وصدر افتتاحه، ورسم الرفع عليهما بطرته، والقبول عقبه، نص أوله: «الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، ونص الخط: محمد بن عبد الله كان الله له، ونص الطابع بما هو بداخله: محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه، وما هو بدائرته المحيطة به: ومن تكن برسول الله نصرته؛ إن تلقه الأسد فى إجامها تجم.

ونص الظهير:»

«هذا ظهير كريم، تتلقى أوامره المطالعة بالإجلال والتعظيم، وتتأرج منه نسمات الوقار والتكريم، يتعرف منه بسايع يمن الله وطوله، وجميل بركته وجليل فضله، أننا وهبنا متخلف المنقطعين بحضرة فاس على ما يذكر فى هذا المسطور الكريم من السادات الأشراف الجلة وفرهم الله وهم الشرفاء الإدريسيون:

(١) أهل دار القيطون و(٢) الطاهريون و(٣) العمرانيون و(٤) الطالبيون و(٥) الغاليون و(٦) الصقليون و(٧) العراقيون و(٨) المسفريون و(٩) الدباغيون و(١٠) الكتانيون و(١١) الكانونيون و(١٢) الشفشانيون و(١٣) الفضيليون

والطاهريون (١٤) أهل مكناسة وأهل حمام الجديد و(١٥) أولاد سيدى على منون (١٦) ومن هو متأهل بفاس من بنى عمنا .

فهؤلاء القبائل المذكور حفظهم الله هم الذين وهبنا عليهم متخلف المنقطعين بفاس ، سواء كان أثاثاً أو عقاراً ، أو غير ذلك ، بحيث لا يدخل معهم غيرهم ولا يخرج من كان من شرفاء فاس قاطنا بغيرها كالدباغيين الذين بمراكش هبة مؤبدة مبتلة ممنوعة أسباب النقض إن شاء الله إلى يوم الدين ، قصدنا بذلك وجه الله العظيم ، وصلة رحمهم ، تقبل الله منا ذلك بفضله .

وقد قدرنا لهم القسم فى مستفاد ذلك عن كل ثلاثة اشهر ، بأن يعطى لكل متزوج من الشرفاء ومملك ومتزوجة ومملكة قسمة على السواء بينهم ، وللعجائز منهم ومن ليست فى نفقة أحد يسهم لها سهمان لعجزها ، ومن كان من الشرفاء غنيا وسامح فى واجبه لبنى عمه فالله يتقبل له ، وإن أراد البقاء على حقه فله ذلك .

وقد أبقينا الحاج محمد السراج ناظراً على مال المنقطعين ، ويلازمه اثنان من الشرفاء فى جميع ما يتصرف فيه من ذلك مناوبة ، وهذا الظهير الكريم يجعل فى دار القيطون ، وتجعل منه نسخة فى حوالة مسجد القرويين عمره الله ، وأذنا لكل فرقة من هؤلاء الشرفاء أن يتمسك بنسخة من هذا الظهير الكريم مسجلة على خط قاضى فاس الإدريسية ، تقبل الله منا ذلك بفضله ، وإنه ولى ذلك بمنه وكرمه آمين .

وقد زدناهم كل أهل ورثه بيت المال لا قديماً ولا حادثاً يباع ويفرق عليهم ثمنه إن كان فيه أحد ساكناً يخرج منه ولا نقبل له كلاماً فى ذلك ، لأننا وهبناه لهم هبة لا رجوع فيها بالكلية ، والله تعالى يصلحهم ويوفق جميعهم لما فيه رضاه آمين والسلام .

صدر أمرنا المطاع بما سطر كله فى ثامن عشرى ربيع الثانى عام تسعين ومائة
وآلف، ونص رسم الرفع بالطرة:

«الحمد لله، فمن يعلم ويتحقق أن الخط الشريف والطابع الكريم الذين بين
الظهير والحمدلة أعلاه هو خط مولانا الإمام. المظفر الهمام. السلطان الأعظم
والملاذ الأفخم. أمير المؤمنين سيدى محمد بن مولانا عبد الله أيد الله مجده،
وأدام فى فلك السعادة سعده، وطابعه قاله عارفهما ومعرفا بهما من غير شك لحقه
فى ذلك ولا ريب، وبه قيد شهادته فى ثانى رجب الفرد الحرام عام تسعين،
المؤرخ به أعلاه أحمد بن محمد بن سليمان لطف الله به وعبيد ربه محمد بن
طاهر الهوارى لطف الله به، وبعده بخط من يجب أمنه الله: الحمد لله أديا فقبلا
وأعلم به عبد الله تعالى يوسف بن محمد الطالب البوعنانى الحسنى الله وليه
ومولاه، قابلها بأصلها فمائلته وأشهده الفقيه الأجل، العالم الأفضل الشريف
المنيف الأمثل، قاضى الجماعة بالحضرتين فاس الإدريسية والعليا، وهو يوسف بن
محمد الطالب البوعنانى الحسنى أعزه الله تعالى وحرسها بقبوله الرسم المنصوص
عنده القبول التام بواجبه، وهو حفظه الله تعالى بحيث يجب له ذلك من حيث
ذكر فى رابع رجب الفرد الحرام عام تسعين ومائة وآلف محمد بنيس وفقه الله بمه
ولطف به.

وأحمد بن محمد بن سليمان لطف الله به، وبعده بخط من يجب أمنه
الله: أعلمته قابلها بأصلها فما ثلته وأشهده الشريف الفقيه الأجل، العالم العلامة
الأفضل، الدراكة الفهامة الأحفل، المدرس المحرر النحرير الأمثل، الحجة القدوة
الأكمل، قاضى الجماعة بحضرة فاس الإدريسية المحفوظ بالله عز وجل، وهو عبد
الهادى بن عبد الله الحسنى أعزه الله تعالى وحرسها بأعمال الرسم أعلاه عنده
الأعمال التام بواجبه، وهو حفظه الله تعالى ودامت كرامته بحيث يجب له ذلك
من حيث ذكر، وفى عاشر ربيع الأول النبوى الأزهر عام تسعة بمشاة وستين
ومائتين وآلف محمد الطالب ابن حمدون ابن الحاج لطف الله به ومحمد بن
محمد بن الطاهرى الحسنى وفقه الله بمه ولطف به وبعده: استقل».

وبعد صدور هذا الظهير تمشى فيه المكلفون بتنفيذ أوامره على غير ما رسمه المترجم مدة، ثم رفعت لجلالته الكريمة الشكاية بالحيف الواقع والمحابات، ولما تحقق لديه ذلك أصدر ظهيراً آخر فى الموضوع لولده المولى المأمون والشيخ التاودى نصه :

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم؛ ولدنا المأمون أصلحك الله، والفقيه السيد التاودى السلام عليكما ورحمت الله وبركاته.

وبعد: فإن بعض الشرفاء وردوا علينا شاكين بأبناء عمهم الستة عشر شعبة أهل العصبية الذين يقبضون مال المنقطعين، فقد بلغنا أنهم أطلقوا ألسنتهم بالمعرة ولم ينتهوا، فتحققنا أن سبب كل فتنة شعبتان من أهل العصبية سولت لهم أنفسهم الإمامة أن فاطمة رضى الله عنها لم تلد غيرهم.

ولما تفتننا من كلام الشاكين وتأملنا أمرهم وجدنا الحق معهم، لأنهم كلهم أهل رسوم وظهائر، والنسب يحاز بما تحاز به الأملاك، ولا حجة للأقوياء على الضعفاء غير ما يقولونه بأفواههم، وكل ما ينشأ بينهم من الأذى فهو فى صحيفة الفقيه المذكور، لأننا كنا عاهدنا الله فى هبة ذلك لكل من تقدم سلفه قاطنا بفاس من أول المائة الثامنة إلى سيدنا الجد قدس الله روحه.

فأبهم الأمر علينا حيث وقع الحيف والمداهنة، وأنا أستغفر الله من ذلك لأنهم جعلهم قبائل مع كونهم شعباً، وهو محقق بأن الإمام مولانا إدريس أفاض الله علينا من بركاته آمين، خلف بضعة عشر ذكراً ولكل منهم عقب، وقد علم ما وقع بهم حسبما ذكره المؤرخون، وعقد أغفلوا كلهم لدخولهم فى غمار العامة تغطية على أنسابهم، فكان ذلك سبب سلبهم الشهرة من شدة ما أصابهم من

الخطوب والأهوال وأذى الملوك الذين اغتصبوا خلافتهم حسداً على ما آتاهم الله من فضله .

وأما قوله على ما ذكره ابن السكك وصاحب المرأة فإن ابن السكك لم يتعرض إلا لثلاث شعب كانوا وقت زمانه بفاس ، وأعطى للملوك ما يناسبهم في حق جميعهم ، وأما صاحب المرأة فلم يكن بصدد ذلك ، وإنما عرف بأفراد اقتضى بهم الصحبة ، وقد أحاطت الناس بما لم يحيطوا به علماً ، ويعلم ويتحقق أن العلماء العاملين أجمعوا على أن النسب المقطوع به في غربنا من غير شك ولا ريب هو ما أدخل في دفتر مولانا الجد رحمه الله بعد ما تحقق أمره ، لأن ملكه اتبع القرى المداشر والخواضر وشهدت لهم به الكافة والجمهور ، وحق من دفتر أبي العباس المنصور ، وبحث فيه أولاً وثانياً فإذا هو مشهور ، وبوجوده رحمه الله انقطعت شوكة أهل الظلم والجوار ، والجرأة والعناد ، بالكذب على سيد العباد ، وطالع ما سطر بالطرة يمتته ، حسبما احتوت عليه ترجمة المشاهير في الدفتر الشريف الذين صحت نسبتهم من بنى إدريس رضى الله عنه ، وعددهم ثمانية قبائل على حسب ما رسم أسفلها من الشعب المشاهير فأولهم بنو القاسم بن إدريس وآخرهم بنو أخيه يحيى بن إدريس ، ثم بنو أعمامهم بنو عبد الله الكامل إلا أبناء عمنا آخرناهم عنهم لثلا يصابوا منهم ، أو يصابوا منا .

وأما الحسينيون فلا يحتاج إثباتهم في هذا الظهير الكريم ، وأمرهم معلوم بينهم ، ونحن وإياهم في ظل الله وظل جدهم^(١) مولانا إدريس .

فعلى هذا العدد أخرجت صلة مولانا الجد رحمه الله إذ هو المقطوع به ، ولا يحمل لنا أن نهمل ما أظهره الله بالموجب الشرعية والظواهر السلطانية ، لأن الملوك الأقدمين كانوا لا يجددون جديداً إلا بعد شهادة أهل بلادهم لهم بتحقيق نسبهم ،

(١) في هامش المطبوع: «أى جدّ أبناء عمهم» .

ولذلك أضربنا عن هذا الأمر صفحا، وطوينا دون الكلام فيه كشحا، وخرجنا من عهدة ذلك، وغضضنا الطرف عما هنالك، ووكلنا النظر فى أمر المستترين لعامة كل بلد، وإليهم أسند الأمر فى ميز الشريف من المتشرف، كما فعله سيدنا الجدد رحمه الله، فعلى هذا يكون الأمل، والله يتقبل العمل.

وبعد مطالعتك إياه طالع عليه الفقيه المذكور ومكنه للشريف الأجل؛ الناصح الأكمل، مولاي الرشيد بن عبد الهادى بن عبد النبى الدرقاوى الحسنى، فقد وليناه خطة النقابة والبحث فى شئونها وشروطها، وأن يجد ويجتهد فى الحواضر والقرى، وأن يأخذ ما هو لجانبها معروف، وعلى خطتها موقوف، وعليه بتقوى الله فى سره ونجواه، ولا تأخذه فى الله لومة لائم والسلام وفى سابع عشرى جمادى الأخيرة عام واحد ومائتين وألف».

ونص ما بطرته:

«من بنى القاسم بن إدريس عدد شعبهم والجوطين^(١) على عدد شعبهم وحتى أبناء عمهم أهل حمام الجديد^(٢) والكنونيون وأولاد أبى العيش على عدد شعبهم والداوديون وأولاد ابن العياشى^(٣) وأولاد الشدادى وأولاد الشماع^(٤) وأهل المصدر والوكيلون^(٥) والزكاريون وأولاد بوسرغين».

(١) فى هامش المطبوع: «منهم الشبيهيون ولادة ضريح إدريس الأكبر والطاهريون والطالبيون والعمرانيون منهم بنو إدريس ولادة ضريح إدريس الأنور والفرجيون والغاليون وأولاد ابن طاهر».

(٢) فى هامش المطبوع: «بمكناسة».

(٣) فى هامش المطبوع: «انقرضوا».

(٤) فى هامش المطبوع: «انقرضوا».

(٥) فى هامش المطبوع: «أولاد سيدى وكيل السجاوتى أهل زيز».

«ومن بنى عيسى^(١) بن إدريس ستة شعب الدباغيون والمناليون^(٢) على عدد شعبهم والبوزيديون^(٣) واليعقوبيون والشنيون والمرهبيون^(٤)».

«ومن بنى محمد بن إدريس وعد ١٢ شعبهم العلميون^(٥) على عدد شعبهم وحتى أولاد النيار وابن الطائع والكتانيون^(٦) والودغيريون وأولاد ابن الحسن المراكشي وأولاد المسواك وأولاد ابن عدوا وأولاد محمد بن هاشم وأولاد ابن عمرو، والشبانيون والكثيريون».

«ومن بنى أحمد بن إدريس وعددهم شعبتان الدرقاويون وأولاد جنون أهل الزواقين».

«ومن بنى عمر بن إدريس وعددهم أربعة شعب أولاد المرى وأولاد الحصال والبلغيثيون والحموديون^(٧)».

(١) فى هامش المطبوع: «دفين آيت عتاب من بلاد تادلا وشرفاء آيت عتاب ممن سكن من الأدارسة غرناطة من جزيرة الأندلس وكان لهم بها الصيت الشهير. بولاية الحكم فى الأمر الخطير. وناهيك أن منهم الشريف الغرناطى شارح مقصورتى حازم والخزرجى كانوا يدعون بالسليوين لما قدموا من سلا إلى فاس وبعضهم بمراكش وبعضهم بسوس الأقصى بمناله ويقال لها أيضا آلالة.

(٢) فى هامش المطبوع: «يعرفون بالزياديين بعضهم بتمخريط بالصحراء».

(٣) فى هامش المطبوع: «بتلمسان منهم أولاد ابن المجذوب بتلمسان وفاس وزرهون».

(٤) فى هامش المطبوع: «انقرضوا».

(٥) فى هامش المطبوع: «شرفاء جبل العلم الذين منهم مولانا عبد السلام بن مشيش وغيره من سائر تلك النواحي الهبطية وجددهم الذى يجتمعون فيه هو أبو بكر بن على بن حرمة ابن عيسى بن سلام بن مزوار بن على بن حيدرة بن محمد بن إدريس».

(٦) فى هامش المطبوع: «أولاد عبد الله ابن ابن يحيى الكتانى».

(٧) فى هامش المطبوع: «ابن ميمون القائمون بالأندلس بعد المائة الرابعة كما ذكره ابن عبد الملك وابن خلدون وغيرهما ومن بنى عمر سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه على التحقيق فى رفع نسبه كما حرره القصار وغيره انظر الدر السنى».

«ومن بنى عبد الله بن إدريس وعدد شعبهم والعمرانيون^(١) أهل الفحص، وقبيلة بنى شداد، وتلنبوط، وهم أولاد النجار، وأولاد التبر والمنصوريون شعبتان، وأولاد ابن تسعدنت، وأولاد القريب، والمشاريون، والمغاريون، وأولاد بوقشابة». «ومن بنى داوود بن إدريس وعدد شعبهم أربعة عشرًا، وأولاد أبى عنان، والدباغيون، والقصاريون، والتونسيون^(٢)».

«ومن بنى يحيى بن إدريس الزكراويون^(٣) أهل حاحة».

«ومن بنى أعمام مولانا إدريس بنو سليمان أهل عين الحوت، وهم المنجربون، وأولاد بن معزوز على أحد القولين، وقيل: إنهم من بنى عبد الله بن إدريس بانى فاس».

«ومن بنى موسى الجون القادريون والمومنانيون والزيدانيون من بنى محمد بن عبد الله الكامل».

«ومن بنى الحسن المثلث الجزوليون أهل سملالة. وأمرنا نجلنا المذكور، أن يمكنه بيد النقيب المذكور ليخرج به من الظلمات إلى النور، وإياك ممن شرفه كشراف أشبار الذى ادعى الشرف، وكشرف بنى فارس ولم يثبت لهما وفى التاريخ يسرته» هـ.

وأما أحبابه فمنها جنان ابن حليلة الشهير بالعاصمة المكناسية الذى صار اليوم بستاناً عمومياً، وعرصه الشطرنجية، وعرصه البحراوى وهى المعبر عنها فى

(١) فى هامش المطبوع: «بالقبائل الهبطية بناحية جبل العلم يقال للواحد منهم عمرانى وهم ممن ذكرهم ابن حجر فيمن يثبت لهم نسب الشرف ولا يطعن عليهم فيه وجددهم عمران ابن زيد بن خالد بن صفوان بن يزيد بن عبد الله بن إدريس وفيهم الدخلاء.

(٢) فى هامش المطبوع: «انقرضوا».

(٣) فى هامش المطبوع: «أولاد أبى زكرياء».

العقد الحبسى بالعرصة الجديدة حبس ما ذكر على المسجد الأعظم من العاصمة المكناسية، ودونك لفظ عقد التحبىس حسبما بحوالاة المسجد الأعظم من مكناس:

«الحمد لله، حبس مولانا الإمام. السلطان المؤيد الهمام، ناصر الدين المجاهد فى سبيل رب العالمين، صدر الأفاضل المقدام. علم الأعلام، وابن سيد الأنام، العلامة الشهير، الدراكة النحرير، صاحب الفتوحات الإلهية. والمواهب الربانية، الذى أشرق الوجود بكرىم محياه، أمير المؤمنين سيدى محمد بن أمير المؤمنين مولانا عبد الله، بن السلطان الجليل الماجد الأثيل، مولانا إسماعيل، أدام الله عزه ونصره، وخلد فى الصالحات ذكره، جميع جنان ابن حليلة وجميع عرصة الشطرنجية، وجميع العرصة الجديدة المجاورة لها داخل القصبة السعيدة على المسجد الأعظم من مكناسة تحبىساً مؤبداً، ووقفاً مخلداً، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ومن بدل أو غير فالله حسيبه، وولى الانتقام منه، تقبل الله من مولانا عمله، وبلغه سؤله وأمله، وبسط للناظر الأحظى السيد أبى القاسم المسطاسى يد الحوز على ذلك يتصرف فيه للحبس المذكور من بيع غلته وعلاجه، مهل رمضان عام ١٢٠٣».

وقد وقفت على تقييد الداخل على الناظر المذكور والخارج من مستفاد هذه الأملاك الثلاثة منذ حيازتها لجانب الأحباس إلى سنة ١٢٠٣ ونص ذلك بعد الحمدلة:

«تقييد ما دخل على الناظر السيد الحاج الطيب المسطاسى من مستفاد غلة جنان ابن حليلة، والشطرنجية، والعرصة الجديدة من الوقت الذى حبسهم فيه مولانا المنصور بالله أدام الله مجده وعلاه، وخلد فى ديوان الصالحات أجره وذكره.

جملة الداخل تسعمائة مثقال وأربعون مثقالاً وأوقيتان ونصف، فمن غلة صيف جنان ابن حليلة سبعة وتسعون مثقالاً، ومن غلة صيف الشطرنجية والعرصة الجديدة مائتا مثقال اثنتان، ومن خريف جنان ابن حليلة ثلاثمائة مثقال، ومن خريف جنان ابن حليلة ثلاثمائة مثقال وخمسة عشر مثقالاً وزيد في ثمنه بعد البيع خمسة وثمانون مثقالاً، ومن خريف الشطرنجية والعرصة الجديدة تسعون مثقالاً، ومن ليم جنان ابن حليلة خمسة عشر مثقالاً، ومن ليم الشطرنجية والعرصة الجديدة مائة مثقال واحدة وخمسة وثلاثون مثقالاً، ومن ثمن لفت غرست بالعرصة الجديدة ثنتان وثلاثون أوقية ونصف».

«الحمد لله؛ تقييد ما صيره الناظر المذكور أعلاه في إصلاح المواضع المذكورة ما جملته خمسمائة مثقال وخمسة وسبعون مثقالاً وثلاث أواق ونصف حسبما هو مبين بكناش صائره في غير هذا أسقط صائره من داخله، يبقى مدركاً على الناظرين من الداخل المذكور ثلاثمائة مثقال وأربعة وستون مثقالاً وتسع أواق دراهم، وقيدها في ٢٣ جمادى الأولى عام ١٢٠٣».

وقد صارت هذه الأملاك الثلاثة بعد ذلك من جملة أملاك الدولة يتصرف فيها السلطان ونائبه على أنها ملك خالص لا شائبة فيه إلى حدود الأربعين من هذا القرن، حيث عثر ناظر الكبرى الحالى وهو خلنا الأستاذ العلامة المقرئ أبو العباس أحمد الصبيحى السلوى على رسم التحبيس المذكور، ولما رفع الأمر بذلك لوزير عموم الأوقاف أبى العباس أحمد اللجائى لينهى ذلك للجلالة السلطانية ووقع بحث إدارة الأملاك عن وجه تصرفها، فأجابت بأن السلطان أبا الربيع كان أوقع معارضة فى تلك الأملاك بالبلاد المخزنية عينتها، ووقع البحث فوجدت تلك البلاد محبسة قبل أن يخلق أبو الربيع، فعند ذلك صدر الأمر السلطانى لإدارة الأملاك بعقد معاوضة فى الأملاك المذكورة، فعوضت بأملاك تقدر قيمتها بمائة ألف وخمسين ألف فرنك.

وإليك نص الظهير الصادر فى ذلك بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله
«يوسف بن الحسن بن محمد الله وليه ١٣٣٠» وبدأته ومن تكن من يعتصم:
«خديمنا الأرضى ناظر الأحباس الكبرى بمكناس، الطالب أحمد الصيحي،
وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد اطلع علمنا الشريف خديمنا وزير عموم الأوقاف بما راج فى
شأن قضية جنان ابن حليلة، وعرصه الشطرنيحية القرية منه، والعرصه الجديدة
المجاورة لها التى عثرت بحواله الأحباس على شهادة تحبسه من جدنا السلطان
المقدس سيدى محمد بن عبد الله على المسجد الأعظم هناك وبسطه الحوز لناظر
الوقت وحيازته ذلك فى مهل رمضان عام ١٢٠٢ كما بالنسخة الواصلة من تلك
الشهادة ويتصرف فيها جانب المخزن.

وبعد مراجعة خديمنا الوزير المذكور إدارة الأملاك المخزنية فى ذلك مرارا
وتحرير الأمر معها فى المسألة أجابت بواسطة إدارة الشؤون المخزنية بعد أن اعترفت
بالتحيس المشار له، أن السلطان مولاي سليمان قدس الله روحه لما تولى الملك
بعد والده جدنا السلطان المحبس المذكور بادر لإبطال ذلك التحيس وحيازة
العراصى المذكورة، وعوض للمسجد الأعظم فى ذلك ببلاد مخزنية كبيرة قرب
فاس تدعى ببلاد الأوداية، ثم بعد البحث فى بلاد الأوداية تحقق أن تحبسه كان
سبق من أحد الملوك السعديين المتوفى عام ١٠٣٧^(١) ثم زاد تحبسه تثبيتا بعده
جدنا الأكبر السلطان المقدس مولاي إسماعيل، حسبما بشهادته بالحواله المذكورة
عام ١١١٣ الواصلة أيضاً نسخة منها، فأجيت إدارة الأملاك المذكورة بذلك وأخيراً
طلبت تعويض تلك العراصى الثلاث من جانب الحبس بمائة ألف فرنك، ثم
عرضت قائمة ببيان المحلات لجانب المخزن هناك مع بيان موقع كل محل منها

(١) فى هامش المطبوع: «المتوفى فيها منهم هو زيدان بن المنصور كما سبق فى ترجمته من
هذا الجزء».

وقيمة رقبته ليختار الحبس منها ما يناسب أن يؤخذ في العوض ، ولما كتب لك خديمتنا وزير الأحباس في ذلك اخترت منها ما بينته في القائمتين الواصلتين كذلك على حسب التفصيل الآتي :

نمرة الملك من كناش المخزن	نوع الملك وموقعه	ثمن رقبته فرنكا
٧٤	دار ابن العواد تعرف بمولاي سرور بدرج سبع أنابيب نمر ٣١	٢٠٠٠٠
١١٩	دار ابن العواد عدد ١٠ بحومة سيدى قدور العلمى	٣٥٠٠٠
٢٤١	محل حانوت عدد ٢١ بشارع الجنرال ليوطى	٥٠٠
٢٤٣	كذلك عدد ٢٥ به أيضا	٥٠٠
٢٤٥	كذلك عدد ٢٩ به أيضا	١٥٠٠
٢٤٦	كذلك عدد ٣١ به أيضا	٥٠٠
٢٤٧	كذلك عدد ٣٣ به أيضا	٥٠٠
٢٥٣	كذلك عدد ٤٣ به أيضا	١٤٠٠
٢٥٤	كذلك عدد ٤٥ به أيضا	١٢٠٠
٢٥٥	كذلك عدد ٤٧ به أيضا	١٢٠٠
٢٥٨	كذلك عدد ٥٥ به أيضا	١٤٠٠
		(٦٣٧٠٠)

نمرة الملك من كناش المخزن	نوع الملك وموقعه	ثمن رقبته فرنكا
٣٢١	كذلك عدد ٣٤ به	٦٠٠
١٥	حانوت عدد ١٣ بساحة باب الحديد	٧٥٠
٤٦	دار الحباسى الصغرى عدد ١ بدرب ابن الخليفى	٨٠٠٠
٥٥	مصرية بودريقة عدد ٦ بدرب سيدى جنان	٤٠٠٠
٥٧	دار مولاي حم عدد ٣٠ به أيضا	٩٠٠٠
٨٨	حانوت عدد ٢٨ بسوق السرايرية باب الحديد	١٥٥٠
١١٥	أروى عدد ٢٩ بدرب سيدى عبد الله القصرى	٢٠٠٠
١١٦	مصرية عدد ٣١ به أيضا	٣٠٠٠
١٢٥	دار بوعراقية عدد ١ بدرب ميمون	١٤٠٠٠
١٥١	حانون عدد ١٨ برجة الزرع القديمة	٧٥٠
٢١٦	أخرى عدد ٣٤ بالساكين	٢٥٠٠
٢١٧	أخرى عدد ٣٦ كذلك	٢٥٠٠
٢١٨	أخرى عدد ٣٨ كذلك	٢٥٠٠
٢١٩	أخرى عدد ٤٠ كذلك	٢٥٠٠
٢٢٠	أخرى عدد ٤٢ كذلك	٢٥٠٠
٢٢١	أخرى عدد ٤٤ كذلك	٢٥٠٠
٢٢٢	أخرى عدد ٤٦ كذلك	٢٥٠٠
٢٢٣	أخرى عدد ٤٨ كذلك	٢٥٠٠
٢٢٤	أخرى عدد ٥٠ كذلك	٢٥٠٠
	مجموع ما بصفحة ٢٨٦:	(٦٤١٠٠)
		(١٣٠٢٥٠)

نمرة الملك من كناش المخزن	نوع الملك وموقعه	ثمن رقبته فرنكا
٢٢٥	أخرى عدد ٥٢ كذلك	٢٥٠٠
٢٢٨	أخرى عدد ١١٧ كذلك	٢٠٠٠
٢٢٩	أخرى عدد ١١٩ كذلك	١٥٠٠
٢٣٠	أخرى عدد ١٢١ كذلك	١٥٠٠
٢٣٤	أخرى عدد ١٢٩ كذلك	١٠٠٠
٢٤٠	أخرى عدد ١٩ بشارع الجنرال ليوطى	٤٠٠
٢٧٨	أخرى عدد ٩٥ كذلك	١٧٥٠
٢٨٥	أخرى عدد ١١٥ كذلك	٥٠٠
٣١٣	أخرى عدد ٤٩ كذلك	٤٠٠
٣٢٢	أخرى عدد ٣٢ كذلك	١٥٠٠
٣٢٣	أخرى عدد ٣٠ كذلك	١٥٠٠
٣٢٤	أخرى عدد ٢٦ كذلك	٢٥٠٠
٣٣٠	أخرى عدد ١٣ بالسلاطين	١٠٠٠
٣٣١	أخرى عدد ٢١ كذلك	٧٥٠
٣٣٤	أخرى عدد ٩٦ بالبزازين	٢٥٠٠
	(مجموع ما بصفحة ٢٨٧ : ١٣٠٢٥٠)	
	الجميع :	١٥١١٥٠

وأن يعتبر الفرق الزائد الذى هو فرنكات ١١٥٠ غبطة للحبس، وعليه
فحيث أن العراضى المذكورة وجدت تحت تصرف جانب المخزن، ولما تحقق تحبيسهم
الأصلى، طلبت إدارة الأملاك المخزنية جعل المعارضة فيهن بالأملاك الخمسة

والأربعين المذكورة أعلاه، نأمرك بعقدها فيها مع مراقب الأملاك المخزنية هناك على الوجه المسطور، وأن تحوز للحبس الأملاك المخزنية المتقدم بيانها لتصير من جملة أملاكه موسومة بوسم الحبس ومحترمة بحرمة يتصرف فيها جانبه كتصرفه فيما له من رباغ الأحباس، وأن تسلم تلك العراصي الثلاث لجانب إدارة الأملاك المذكورة وأثبت الأشهاد بذلك عدليا بالحوالة الحبسية والسلام فى ١١ جمادى الأولى عام ١٣٤٤؛ قد سجل هذا الكتب الشريف بوزارة عموم الأوقاف بعدد ١٤٩٥ وتاريخ ١٣ منه عامه صح به أحمد الجاى لطف الله به».

ومن أحباسه الفندق المعروف بفندق السلطان بالعاصمة، حبسه بتاريخ رابع عشرى ربيع الأول عام تسعة وثمانين ومائة وألف بإشهاد محمد التاودى ابن الطالب ابن سودة، ويوسف بن محمد البوعنائى، وخطاب القاضى محمد العربى ابن على القسطنطينى الحسنى حسبما بصحيفة ١٦ من حوالة كبرى مكناس الجزء الأول منها.

ومنها جنان باب القزدير الشهير حبسه بتاريخ خامس ذى القعدة عام تسعين ومائة وألف، حسبما بظهير إصداره للقاضى أبى حامد العربى القسطنطينى، وناظر الأحباس الحاج الطيب المسطاسى طبق ما بصحيفة ١٧ من الجزء الأول من الحوالة المذكورة.

ومن ذلك إنشاءه لمرتب طلبة المدارس، وقفت له من ذلك على ظهير شريف أصدره لناظر هذه العاصمة فى حينه ودونك نصه:

«نأمر ناظر أحباس مكناسة الحاج الطيب المسطاسى أن يجعل طلبة باب مراح فى المراتب مثل المدارس الست، وهى مدرسة الدار البيضاء، ومدرسة باب المراح، ومدرسة قصبة هدارس، ومدرسة الصبير، ومدرسة جامع الشاوية، ومدرسة سيدنا ومولانا إسماعيل رحمه الله بحسب سبع أواقى لكل واحد من الطلبة المذكورين

فى الشهر؁ ومثقال للمؤذن؁ وخمس عشرة أوقية للإمام؁ وخبزة لكل واحد فى اليوم عند الزياتينية كما تقدم لك أمرنا بذلك؁ وراتبهم من الأحباس كما هو مرسوم عندك؁ ولا فرق بين الطلبة المذكورين فكلهم فى ذلك سواء.

وأما طلبة مدرسة الأوداية فلا يقبضون إلا الراتب فقط كما أمرناك قبل؁ وأما الخبز فلا تعطهم شيئاً لأنهم فى ديارهم ومع أهلهم؁ والسلام فى ١٢ شوال من سنة ١١٩٣؁ ومن تمامه أن الخبز المذكور يكون من أربعة فى الرطل وكل ما يدفع الزياتينية من الخبز فأعطهم خط يدك والسلام.

ومن ذلك تحبسه زيتون غابة حمرية على الحرمين الشريفين؁ والمسجد الأعظم بمكناسة؁ جعل النصف للحرمين: للمدينة المنورة الثلاثان؁ والثالث الباقي لمكة المشرفة؁ والنصف الآخر للأعظم بمكناس؁ يخرج منه كل سنة ثلاثة عشر مائة مثقال وستون مثقالا؁ وتفصل: فلضريح جده أبى المفاخر والفضائل مولاي على الشريف دفين سجد مائة مثقال تصرف فى مهمات الروضة والطلبة الذين يقرءون الحزب ودلائل الخيرات؁ والمؤذنين؁ وقيم الروضة؁ وطعام ليلة المولد النبوى؁ وستة وثلاثون مثقالا للطلبة الذى يقرءون الحزب والصلاة على النبى ﷺ على قبر والدته وأعمامه الذين معها فى روضة أبى زكرياء الصبان من حساب ثلاثين أوقية فى كل شهر؁ ورطل زيتا لضريح أبى يعزى يلنور ومثله لضريح الإمام إدريس الأكبر رضى الله عنهم جميعا وذلك عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف.

قلت: ولا زال الأمر جاريا حتى الآن بتوجيه الثمن شهريا فى حوالة على البريد لمقدم ضريح الإمام إدريس؁ وفى أخرى لمقدم ضريح المولى أبى يعزى الأخير بواسطة رئيس مكتبه؁ حسبما أخبرنى بذلك الناظر المذكور.

أما وجيبة موظفى ضريح المولى على الشريف فإنه يحفظ بصندوق الأحباس لتعذر وصوله لمحله؁ فقد وقفت على كتاب من الناظر للجنرال حاكم الناحية فى ذلك دونك نصه:

«جناب رئيس منطقة مكناس المعظم السيد الجنرال فريدامبرك سلام عليكم
ورحمة الله .

وبعد فأتشرف بأن أرسل إليكم اثنتى عشرة مائة فرنك وخمسين فرنكا لتصل
على يدكم إلى تافيلالت بقصد تفرقتها هنالك :

١ - على الطلبة الذين يقرءون الحزب ودلائل الخيرات بضريح مولانا على
الشريف .

٢ - على المؤذنين به .

٣ - على قيم الروضة .

٤ - طعام المولد النبوى ؛ وذلك على العادة فى تقسيطها بينهم طبق مقتضى
الكتاب الشريف الصادر بتاريخ ٢١ صفر ١٣٣٨ المعمل لنص تجبيس غابة حمرية
بمكناس الصادر من السلطان المقدس سيدى محمد بن عبد الله ١٨٨٥ ، ثم تفضلوا
بتوجيه جواب المكلف فى ذلك بتافيلالت إلينا ليحفظ بمحله ، بارك الله فيكم ،
وعلى المحبة والسلام ٢١ جمادى الثانية ١٣٤١ . . إبرير ١٩٢٣ .

ناظر الأحباس الكبرى بمكناس :

أحمد الصبيحى

فأجيب من الجنرال توفنار بتاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٣ بعد الحكاية بما
يأتى : «أتشرف بإعلامكم بأن هؤلاء الناس لا زالوا لم يقدموا الطاعة ولا يمكن لنا
توجيه ما أرسلتم الآن ، فهأنا رجعت لكم القدر المبين أعلاه يحفظ بصندوق
الأحباس حتى تصلح ناحية تافيلالت ، ويمكن لنا تفريق ذلك والسلام .

بحسب النيابة :

توفنار»

هذا وقد كنا قدمنا أن الغاية المذكورة هي من تحييس سيدنا الجد الأكبر المولى إسماعيل على الحرمين الشريفين حسبما صرح بذلك مؤرخو الدولة الزيانية وأكنسوس وغيرهما، وعليه فلا وجه لإعادة تحييس المترجم لها بعد على الصفة المذكورة، اللهم إلا إذا اعتبرنا ما أحياه منها بعد إتلاف جل زيتونها زمن الثورة الاستبدادية التي كانت بين أنجال الجد المذكور والجيش البخارى وبعد وفاته ويأتى مفرقا فى تراجمهم.

ومن أحبابه تحييسه لغابة زيتون ابن الأشقر الشهيرة بجبل زرهون، على عموم الشرفاء العلويين سكان الجبل المذكور، وخصوص أبناء المولى إسماعيل سكان مكناس، يختص أهل زرهون بالنصف منها، وأهل مكناس بالنصف الباقي. ومن ذلك أوقفه على المارستان بفاس ومراكش وأوقفه بالحرمين الشريفين.

ومن ذلك تحييسه خزانة الكتب الإسماعيلية التي كانت بدويرة الكتب من مكناس، وكان أمره بذلك سنة ١١٧٥ وكانت تزيد على الاثنى عشر ألف مجلد، فرقها على جميع مساجد المغرب ولا تزال بقاياها موجودة إلى الآن.

ومن ذلك كتب التاريخ والأدب التي أوقفها بمصر والإسكندرية، فقد ذكر الزياني فى الترجمانة الكبرى أنه لما بلغه أن ولده مولاي على خليفته على فاس اعتنى بسرد كتب التاريخ والأدب أمره أن يبعث له بما عنده منها بفاس، فوجهها له وجمع ما عنده منها بمراكش، إلى أن اجتمع عنده عدة نسخ من ابن خلدون، وابن خلكان، وقلائد العقيان، والأغانى، ونفح الطيب، وتآليف ابن الخطيب، وملاؤها منها صناديق ووجهها مع الكاتب الصنهاجى يوقف بعضها بمصر وبعضها بالإسكندرية.

التراتب والمداخيل المالية فى عهد

لما بويع للمترجم بعد وفاة أبيه وقدم لفاس، دفع له أهلها ما كانوا يدفعونه لوالده المولى عبد الله من ثمن الموازين وهو ثلاثمائة مثقال شهريا، ولما حضر فقهاء الوقت تكلم معهم فى شأنها فقالوا له: إذا لم يكن للسلطان مال يجوز له أن يقبض من الرعايا ما يقوم به، فأمرهم أن يكتبوا له فى ذلك، فكتب له من أسلفنا ذكره من العلماء تأليفا اعتمده واستند إليه ووظف الوظائف والتراتب على الأبواب والسلع والغلل.

وقد وقفت على كناشة مبتورة الأوائل والأواخر تظهر بعد مراجعتها وتقليب صفحاتها كأنها كانت دفترا يذكر فيه ما كان فى ذمم الناس من أموال الدولة ومتمولاتها فى ذلك العهد، ويظهر منها أنها ملخصة من الكنايش السبع المولوية التى وصف أولها بكناش سيدنا الكبير الأخضر، وصف ثانيها بأنه كناش صغير، وثالثها بأن سفره صغير زيبى، ورابعها أحمر صغير، وخامسها طويل أحمر، وسادسها زيبى على التحمير وسفره نحو الرباعى، ومن هذه الكناشة تستفاد قيمة بعض المداخيل وبعض البيان للأداء الذى كان يؤدى على كل قدر من المعشرات المرتب عليها وغير ذلك من الفوائد المبينة للحالة المالية على عهد المترجم، وهذا بعض ما اشتملت عليه:

صاكة تبغة عن عام ١١٧٦ ثلاثة آلاف مثقال بذمة يهود فاس ومكناس.

واجب دار الضرب بتطوان من ذى الحجة متم عام ١١٧٦ مثقالان فى كل يوم بيد القائد عبد الكريم بن زاكور.

كراء موازين آسفى ورحابه عن كل سنة من أول ذى القعدة سنة ١١٧٧ ستة عشر ألف مثقال بذمة الحاج إبراهيم حسوه الآسفى والنصرانى الريط.

مستفاد الموازين والرحاب بتازا كل سنة من ذى ربيع الأول سنة ١١٧٧ سبعة عشر مائة مثقال بيد السيد أحمد بن ناصر .

واجب (التفاقيل) الحاصلة فى شهرين ربيع الثانى وجمادى الأولى عام ١١٧٩ خمسمائة مثقال وثلاث وستون مثقالا وثمانية أواق ونصف بذمة جموع أهل الذمة بأكدير .

عن كراء (الفلايك) فى كل سنة من ١٢ جمادى الثانية ١١٧٩ ثمانمائة مثقال بذمة الرئيس العربى المستيرى .

صاكة ما بذمة التاجر سودس الماركى (لعله الدنماركى) وهو أحد عشر مائة مثقال وستة وخمسون مثقالا ثمن ٦٨ قنطارا كبيرا من الشمع سوم ١٧٠ للقنطار صاكتها ١٣ ريالا للقنطار فجملتها ٨٨٤ ريالا فى رجب ١١٧٩ .

واجب قبائل الشيخ حمدون أربعة آلاف مثقال فى كل عام من عام ٧٩ بذمة المذكور .

صاكة عشبة تبغة بفاس وصفرو وتازا ومكناس والقصر والعرائش مع كراء بلادات فاس الجديد ومكناس من مفتتح محرم ١١٨٠ ، وقدر ذلك ستة آلاف ريال بذمة الذمى يوسف بن مردوخ اليهودى الفاسى .

قيمة أعشار مكناسة عام ١١٨٠ خمسمائة مثقال بذمة ولد مزيان .

فائدة دار الضرب بفاس الجديد خمس سبائك من الذهب التزم الذمى يهود ابن سعدون بأدائها على رأس كل سنة على يد الحاج محمد الصفار ، وقد أدى واجب عام ١١٨٠ وبقي فى ذمته واجب عام ١١٨١ وقد التزم أداء ستة سبائك عند كماله .

واجب موازين أسواق تازا، من أول جمادى الثانية عام ١١٨١ ستة عشر
مائة مثقال .

صاكة وأعشار مرسى تطوان عن سنة أولها شوال ١١٨٣ وآخرها رمضان
١١٨٤ ثمانية وأربعون ألف ريال وسبعون ريالا وخمس وثلاثون جزءا قبضهما
الحاج محمد البروبى .

صاكة وأعشار طنجة عن السنة المذكورة تسعة وثلاثون ألف ريال وواحد
وأربعون ريالا واثان وتسعون جزءا .

واجب آيت عيسى عام ١١٨٣ أحد عشر ألف مثقال ولا زال باقيا عليهم مع
واجب العام بعده وقدره كذلك .

واجب خريف عام ١١٨٣ عن أجنة الشطرنجية، وابن يحيى، والصلاح،
وابن حليلة، والحاج عبد الله، وعرضة الحضرة، خمسمائة مثقال وثلاثة وثمانون
مثقالا وخمس أواق ونصف .

مستفاد القصر عن ستة وعشرين شهرا آخرها صفر عام ١١٨٤ ثلاثة عشر
مائة مثال كل شهر بخمسين مثقالا .

صاكة تبغة بفاس عن سنة أولها نصف ربيع الأول عام ١١٨٤ خمسة عشر
ألف ريال .

مستفاد فاس عن سنة من شوال السنة المذكورة عشرون ألف مثقال بذمة
العربى الصفار .

واجب دور الضرب بالمراسى الثلاث تطوان وطنجة والعرائش عن سنة أولها
محرم فاتح عام ١١٨٥ أربعة آلاف ريال بذمة ابن وليد ومير بن به أنصافا بينهما
صرفها دراهم ثلاثة عشر ألف مثقال وخمسمائة .

عن موازين سلا سنة ١١٨٥ ألفا مثقال .

عن موازين آسفى سنة ١١٨٦ اثنا عشر مائة مثقال بذمة الحاج محمد
الترنيتى .

صاكة وما وسقه اليهو وإسحاق بينط من مرسى فضالة سنة ١١٨٦ خمسة
آلاف وثمانمائة ريال وثمانية وسبعون ريالا واثان وثمانون جزءا .

عن موازين آسفى وأملاك سيدنا نصره الله بها سنة ١١٨٧ ثلاثة عشر مائة
مثقال .

كراء المراسى التى يستخرج منها المرجان من عام ١١٨٧ ألفان من الريال فى
كل سنة بذمة الذمى يعقوب ولد ابرميك ، ثم انتقل عقد الكراء لذمة الذمى (كشين
كاب الجرنيرى) المستوطن بجبل طارق بأربعة آلاف ريال ضمنها القائد عبد
الصادق .

مستفاد أبواب تطوان خمسة عشر مائة ريال بذمة الحسن السلاسى التطوانى .
وبذمته عن قوارب الحوت بها مائة مثقال .

صاكة ما بذمة النصرانى سندبدن الماركى وهو واحد وعشرون مائة ريال
وأربعون ريالا ونصف ثمن ٥١٣ قنطارا و٧١ رطلا من الصوف يجب فى صاكتها
٥١٣ ريال .

فائدة دار الضرب عن ستة وثلاثين يوما ثلاثمائة وتسعة وسبعون ريالا وسبعة
وأربعون جزءا قبضها الحاج محمد البروبى من يونه برينطى .

صاكة القمح الذى وسق الرئيس نكولة الإنجليزى الذى وسق الزليج من
تطوان للمهدومة ، وحمل الكور وغيره من المهدومة للصورة ، ووسق خمسمائة
قنطار من القمح من الصورة صاكتها ستمائة ريال وستون ريالا وثلثاه .

صاكة الزرع الذى وسقه الكديرى من العرائش ستة آلاف ريال وثمانمائة واثنان وستون ريالاً وأربعون جزءاً بذمة قنصل الدنمارك .

ثم الورد بجنان العافية ثلاثون مثقالاً .

وقد اشتمل هذا الكناش على عدد كثير من المال كان بالذمم على وجه السلف والتوسعة ، وخصوصاً ذمم أهل الذمة ، فمن ذلك ألف مثقال بذمة الفقيرة بوعلو البوعزاوية سلفاً عند سفرها للحجاز ، ومنه خمسون ألف ريال بذمة جموع أهل الذمة بتطوان سلفاً وتوسعة على يد ابن عمران يؤدونها سنة ١١٨٤ ، ومنه خمسة آلاف ريال بذمة شيخ الركب الحاج التاودى مكوار سلفاً يؤديها عند رجوعه من حجه ، ومنه مائتا مثقال بذمة شيخ أهل الذمة بملاح تازا سلفاً إلى غير ذلك مما كان بذمم النصارى والقبائل المغربية البربرية منها والعربية .

ومما بذلك الكناش مما يتعلق بالأسارى أن بذمة (دينمارك) اثنان وعشرون مائة ريال فى فدية اثنين من نصارى الفرنسيس ، وأن عند (قيطانو) اثنين من الأسارى المسلمين يأتى بهم للجانب الأسمى عوضاً عن النصارى الذى دفع له من الجانب الكريم على يد عبد الله بن محمد وهو ضامن لذلك .

ومما يتضمنه من أمور الحرب والبحران سميد النصارى الفلامنكى الذى بذمته أربعة آلاف مثقال قبضها من مرسى أكدير - التزم أداء عشرين قنطاراً من البارود فى كل سنة ، وأن اللريط النصارى الذى بذمته مثل ذلك سنة ١١٧٧ ، التزم دفع مثل ذلك من البارود الإنجليزى هدية ، وأن النصارى ولان الفلامنكى - الذى بذمته خمسة آلاف ريال سلفاً - بذمته ثلاثون قنطاراً من البارود الرومى ، وأن النصارى الراى الفرنسى وفرشيشك الفلامنكى التزم كل منهما بإعطاء كمتين على يدى مولاي اليزيد ، وأن عند أهل سلا ستمائة مكحلة محلاة بصفائح الفضة ومثل ذلك

من الكوابس ومن السكاكين مثله، وأن عند أهل الرباط مثل ما ذكر من المكاحل والسكاكين والكوابس.

هذا وقد ذكر الزيانى فى الترجمانة الكبرى ما خلفه صاحب الترجمة من الأموال فقال بعد أن ذكر مئات الألوف من الريال التى وجهها للدولة العثمانية: خلف بالدار البيضاء مليونين وهى ألفا قنطار بالتثنية وكان بيوت أموال المراسى مليونان وكان بتطوان سبائك ذهب ثمانية آلاف مثقال حازها اليزيد لما ببيع وكان عند طاغية الإصبيول من ثمن وسق الزرع واجب خمسين مركبا وسقوها ولم يدفعوا صاكتها قبضها منهم وهى ثمانمائة ألف ريال دورو.

اهتمامه بالأساطيل البحرية واعتناؤه برياسها

قد علم بالاستفاضة ما للمترجم من القيام بأعباء الخلافة والسعى فى مصالح الرعية وتطمينها، والذب عنها، وحماية حوزة الإسلام، والسهر على حياة ثغوره، وما يلزم له من القوة البحرية والبرية، والاهتمام بالمراكب القرصانية، وملاحظة رياستها بعين الإكبار والإجلال، والمبالغة فى الإحسان إليهم، والقيام بشأنهم، وإدخار ما يحتاجون إليه من عدة وعدد، لما لا يخفى من أن الدولة المجاورة للبحر تدعوها الضرورة والحاجة لاتخاذ السفن الماخرة من تجارية بازركانية وحرية قرصانية.

وعناية المترجم بالأمور البحرية ترجع إلى أيام خلافته عن أبيه، فقد ورد عليه وفد من العدوتين الرباط وسلا فى السفينة التى أنشأوها أيام الفترة فنزلوا بحصن اكدير، ثم بعثوا من هناك وفدهم إليه بمراكش فأكرم ذلك الوفد، وبعث معه بالأموال الكثيرة إلى المجاهدين بالعدوتين إعانة لهم عما هم بصده.

ولما استلم زمام الملك كان من جملة ما تشوفت إليه همته الكبرى إحياء أسطول أبيه المولى عبد الله وجده المولى إسماعيل لأنه ألفاه اضمحل، وتنوسى ما

كان له من الشهرة والنفوذ وتعطل ما كان يستفاد منه من المداخل والمحاصيل، وانقطع خوف أمم البحار من تلك العقبان، التي كانت لا تفارق البحار من تجوالها؛ وإثارة أهوالها، وقد انضم لذلك التشوف الملوكي إرشاد بعض علماء عصره بمسطور كبير؛ ومنشور شهير، يحثه فيه على إحياء سبيل الجهاد وإعداد معداته البحرية التي لا يستقيم ملك إلا بها، وأن يسلك في ذلك سبيل والده المقدس، وجده الأكبر فيما كان لهما من هذا العمل العظيم، العائد بالنفع العميم، من حراسة الوطن وعمارة بيت المال وقهر الأعداء الألداء.

فشرع قدس الله روحه في إنشاء السفن البحرية الغزوانية بمرسى العدوتين والعرائش، وجعلهما مركزين عظيمين لهذا الغرض المهم.

قال أبو عبد الله الدكالي السلوى في إتحاف أشرف الملا:

وبعد ذاك جاء جد الأُمرا	وعين أعيان الملوك الكبرا
سيدنا محمد المنصور	حفيده المعظم المبرور
من كان يرهب ملوك الأرض	في كل طولها وكل عرض
بالعلم والمال وبالدهاء	وبالأساطيل بكل ماء
ومصدر الأجفان عدوتا سلا	بها تشاد ولديها يعتلى
وبعضها ينشأ بالعرائش	فويل من لقيها من طائش
وبلغت أجفانه المئينا	وكان قصده بها مبينا
فتح بلاد الغرب مما قد بقى	من الثغور مبهم التطرق
ورد ما يعرض منهم هجوم	على بلاده كمثّل الروم
وكان بعضهم تعدى الحدا	فهاجم الثغور لكن ردا

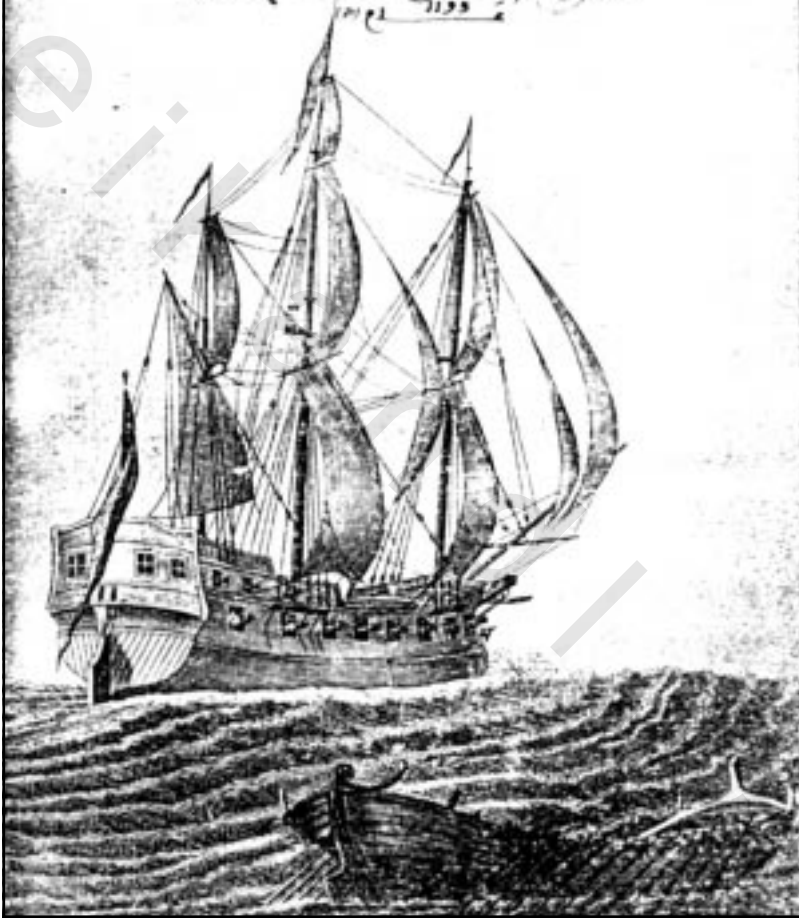
واستجلب الأنفاض من كل محل	فبذل الجهد وواصل العمل
بكل ما يصلح للعراك	ووصل الحبل مع الأتراك
وبذل محصول الخير مدد	من مدفع ومركب وعدد
فيما انتحى وافوه للمهادنه	لما رأى الأجناس منه سننه
وعقد السلم لهم ومعههم	فساعد الحال ولم يرددهم
بالمال والخيل بلا انفكاك	وواصل الإمداد للأتراك
بسفنه وبنفيس المال	نيف عن عشرين فى الإرسال
استانة الترك بأمر قد علا	وكلها تصدر من سلا إلى
وبلغت من عزها منهاها	وعودها بعد إلى مرساها
إلى زمان عابد الرحمن	واتصل الحال بهذا الشان

وقال فى نشر المثنائى: وقد جمع من ذلك ما لم يتفق لأحد من المتقدمين ولا من المتأخرين، وطوع الله له الروم فلا يأمرهم بالإتيان بشيء من ذلك إلا بادروا لامثاله مسرعين؛ وقاموا خاضعين له ومطيعين؛ مع علمه بجميع ما هو من المصالح العامة والخاصة للدنيا والدين؛ هـ.

وقال الضعيف: بلغ عنده رؤساء البحرية ستين كلها بمراكبها وبحرياتها وكان عدد مراكبه البحرية عشرين كبارا من المربع وثلاثين من الفلاكيط، وعدد عسكره البحرى من المشاركة ألف، ومن المغاربة ثلاثة آلاف ومن رماة المدفع أربعون ومن عسكر أرقاء العبيد خمسة عشر ألفا ومن الأحرار سبعة آلاف.

وقد كان أمر أن يجعل فى كل مرسى من مراسى المغرب بيت مال، وعند تمام كل ثلاثة أشهر تفتح بيوت الأموال بتلك الثغور ويعطى منها لعسكر كل ثغر

من الشجر المسمى غلج عبد السلطان الأعظم شير محمد بن محمد بن عبد الله بن حسن بن القادر
 فعلا من حلبة الفتح في سنة 1198 هـ



وبحرياته مرتب ثلاثة أشهر سيات غائبهم والحاضر، أما الصلات والصدقات فكان يعطى ذلك من ماله الخاص به، لا من بيوت الأموال.

وفى سنة أربع وسبعين ومائة وألف أمر بإنشاء السفينة الكبيرة من طبقتين وأنفق عليها أموالا كثيرة نحو الأربعين قنطارا من الذهب وكان إنشاء هذه السفينة بسلا، وكانت تحت رئاسة سالم.

وفى سنة واحد وثمانين ومائة وألف قدم عليه من القسطنطينية عبد الكريم راغون التطواني، وفى معيته استرسالية من المعلمين الاختصاصيين العارفين بإنشاء الأساطيل وصب المدافع وعمل القنابل والمجيدى فى الرماية وفنون الحرب، وكانت أول بعثة وردت من القسطنطينية بعد السعديين.

ولما وصلوا للحضرة فإوضحهم فى إنشاء دار صناعة الأساطيل فرسموا خريطتها وبينوا شكلها وأسلوبها وما يلزمها من النفقة الباهضة وطول المدة، فأعرض عنها واستخدمهم فى شئون أخرى، فوجه بعضهم للرباط لبناء المراكب الكبرى، وآخرين لتطاوين لصب القنابل الضخمة، وآخرين لتعليم رماية المدافع بالمدن المهمة، فأفادوا ما شاء الله أن يفيدوا، وكانوا ثلاثين من صناديد الترك أقاموا بالمغرب إلى أن توفى المترجم فسح الله له فى عدنه.

وقد ترجم القنصل الدنماركى هوست الذى كان بآسفى على عهد المترجم فى كتابه للأسطول المغربى فى سنة ١٧٦٦ مسيحية (١١٧٩ هجرية)، وذكر السفن الموجودة بمرسى سلا أسماءها ورياسها وعدد بحريتها ومحمولها من المدافع وغيرها فمن ذلك:

السفينة الأولى:

وهى فركاطة ذات طبقتين عليا وسفلى، فى كل طبقة صفان من المدافع النحاسية، وكانت هذه السفينة فى الأصل لأهل العدوتين صنعوها من بقية

أخشاب جامع حسان، وأضافوا لها إقامة من أخشاب دورهم، فأخذها منهم السلطان سيدى محمد وكانت تسمى المعونة (وسفينة الكراكجية كما فى تاريخ الضعيف)، ولما كانت فى صنعتها خشونة وجهها لجبل طارق، فتولى الإنجليز إصلاحها وأعادوا صناعتها من جديد وسميت فركاطة، وجاءت من أحسن الأمثلة حسبما تدل لذلك صورتها، وعدد بحريتها ٣٣٠، ومدافعها النحاسية ٥٤ ورئيسها سلام الطرابلسى.

السفينة الثانية:

رئيسها الحاج ابن حسون عواد السلوى بحريتها ١٥٠ ومدافعها ٢٤.

السفينة الثالثة:

رئيسها العربى المستيرى قائد الرباط وسفير السلطان بلندرة بحريتها ١٣٠ ومدافعها ٢٠.

السفينة الرابعة:

رئيسها محمد الصالحى واسمها سنوك بحريتها ١٢٦ ومدافعها ١٦.

السفينة الخامسة:

رئيسها عمر العليج نصرانى أسلم واسمها سنوك أيضا بحريتها ١٢٤ ومدافعها ١٦.

السفينة السادسة:

رئيسها يوسف الطرابلسى بحريتها ١٢٠ ومدافعها ١٢.

السفينة السابعة:

رئيسها الشريف ابن قلوغة واسمها كليوطة بحريتها ١٢٠ ومدافعها ٨.

السفينة الثامنة:

رئيسها فراشى (فراج) تسمى كليوطة بحريتها ١٠٠ ومدافعها ٣٠.

السفينة التاسعة:

رئيسها قدور شايب عينو الرباطى بحريتها ٨٠ ومدافعها ٣٢ اثنان كبيران و ٢٤ مهاريين.

السفينة العاشرة:

رئيسها إدريس لبريس بحريتها ١٥٠ ومدافعها ٢٠.

وقد كان للبحارة من المجاهدين السلويين الذين كانوا يسافرون فى البحار فى ذلك العهد كناش خاص يشتمل على أسمائهم رتبوا فيه وجعلوا على طبقات وأصناف، الطبقة الأولى الرؤساء، والثانية (باش رياس)، والثالثة (رياس عسة)، والرابعة (نكاحجية)، والخامسة الدمانجية، والسادسة الوردانيات وعددهم كثير جدا، والسابعة البحرية وهم أكثر عددا ممن قبلهم، والثامنة وصفان سيدنا أهل المهديّة من عبيد البخارى التاسعة المقعدون من البحرية.

وبذلك الكناش تعداد أسماء رجال النار الطبجية البناجين وعددهم خمسون، ومنهم فرقة تعرف بالطبجية المدافعية عددهم مائة وخمسون.

وكان الرئيس على المجاهدين من جند النار الطبجية الحاج عبد الله يعقوب السلوى، وكان السلطان المترجم كلفه بسائر ثغور إيالته من مرسى مليلية إلى أطراف السوس، وأسند إليه سائر ما يرجع لأبراج الثغور ومدافعها ومهارييها ومتعلقاتها من بارود وبنب وكور، وتنظيم رجال؛ وإصلاح أحوال؛ حسبما أفصحت عن ذلك ظهائره المولوية التى خاطبه بها، تاريخ أولها سنة ١١٧٧ وتاريخ آخرها سنة ١١٩٣.

وإليك أسماء البحرية الأفارقة الذين وردوا على المترجم نقلا عن كناش
بيت المال الذى هو الآن باب القصبة، قصبة الأوداية الشهير بالرباط:

الرئيس يوسف الطرابلسي^(١)، الرئيس على الصابونجي قيل إنه من تونس
على ابن الشواس من المغرب الأوسط، محمد المستغاني، أحمد القسنطيني،
مولاي أحمد بن قلوعة؛ قدور بن معروف^(٢)، مبارك اغراب، مولاي عبد الله بن
قلوعة، العمرى، مولاي أحمد التلمساني، ابن قاسم، سعيد التونسي، ولد
رمضان، محمد المنجي، الصابونجي سيدى المنجي، المصطفى المسغاني، محمد بن
يحيى، أحمد خمعاش، محمد التونسي، على بن محمد القليعة ولد افغان،
مجلط، عبد الرحمن الكراب، على بن مسعود.

وذكر الزيانى فى حوادث سنة ١٢٠٢ أن السلطان المترجم أرسل لآيت عطة
يأمرهم أن يبعثوا إليه بستمائة رجل منهم وبأربعمائة من عبيد تافيلالت، فالمجموع
ألف ليكسوهم ويسلحهم ويستعملهم فى خدمة البحر وجنديته فبعثوا بهم إليه،
قال: ولما قدموا عليه بمكناسة استدعانى من تازا فقدمت عليه فأمرنى أن أتوجه بهم
إلى البوغاز وسواحل إصبانيا، والتردد فيها بينهما ليتدربوا على البحر ويمرنوا به.

قال: فذهبت بهم إلى تطوان على ما رسم السلطان رحمه الله، فأخذوا
السلاح والكسوة ونفذنا إلى طنجة فأقمنا بها شهرين، وكل يوم يركبون السفن
ويتطاردون بها فيما بينهم، فتارة يخرجون إلى البوغاز، وتارة يطرقون سواحل
إصبانيا، وتارة يرجعون إلى أن زالت عنهم دهشة البحر وفارقهم ميده وألفوه.

ولما أقبل فصل الشتاء كتب إلى السلطان بالقدوم بهم، فلما حللنا بمكناسة
أمر رحمه الله بعمارة المشور لدخولنا عليه، فلما مثلنا بين يديه دنا منا إلى أن كان

(١) فى هامش المطبوع: «ورد من طرابلس واستوطن سلا وتزوج فيها وله حفدة».

(٢) فى هامش المطبوع: «كانت سكناه بالرباط».

فى وسطنا، وكلم البربر بلسانهم وسألهم عن حالهم فى سفرهم فذكروا خيرا
فسره ذلك منهم ونشط .

ومن الظهائر السلطانية والأوامر المولوية التى وقفت عليها ولها تعلق بالأمر
البحرية فى هذه الدولة المحمدية، ما أصدره للرئيسين يوسف الطرابلسى وقدر
ونص ذلك بعد الحمدلة والصلاة والطابع :

«خديمانا الرئيس يوسف الطرابلسى والرئيس قدور، سلام عليكما ورحمة
الله وبركاته .

وبعد: فنأمركما أن تكونا مشحمين موجودين للسفر ولا تسافران حتى
يصلكما الرئيس أحمد الكوار^(١) والرئيس ابن حسون عواد^(٢) فإنهما فى ثغر
الصويرة وفى إثر الكتاب يصلانكم إن شاء الله، فحين يدخلان للمرسى اخرجنا
أنتما بسلامة لتبقى المرسى عامرة والبحر عامر؛ والسلام فى أول جمادى الأولى فى
عام ١١٨٢» .

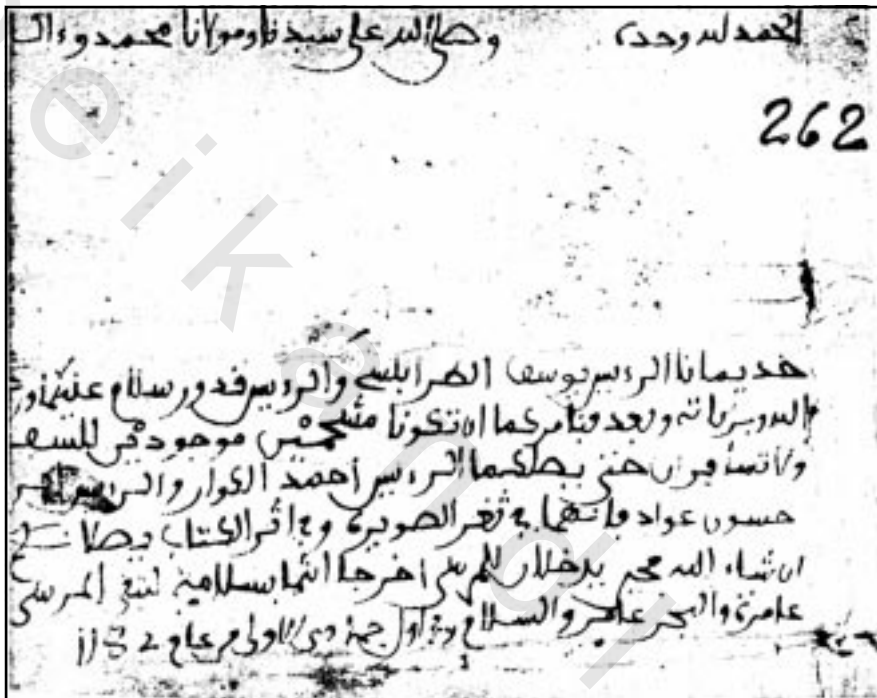
وما أصدره للرئيسين على الصابونجى وأحمد التركى ونصه بعد الحمدلة
والصلاة والطابع :

«الرئيسين على الصابونجى وأحمد التركى سلام عليكما ورحمة الله تعالى
وبركاته .

وبعد: فيصلكما من حضرتنا العلية بالله ستون مثقالا ثلاثون لكل واحد
منكما وهأنا أمرت خديمى عبد الله بن محمد يدفع لكل منكما وسقين من
القمح، وأنتما بنفس ما تحملون ما تحتاجون إليه من الكمانية وغيرها، سافروا

(١) فى هامش المطبوع: «رباطى ولا يزال بالرباط أولاد الكوار إلى الآن» .

(٢) فى هامش المطبوع: «جد البيت المعروف المشهور بسلا لهذا الحين» .



ظهير سيدى محمد بن عبد الله للرئيسين يوسف وقدر

بالسلامة والعافية، والله يلقيكم الخير ذهابا وإيابا، وسفركم يكون من البغاز إلى جبل طارق، وحيث يكثّر عليكم الشرقي ارجعوا للعرائش، وحيث يكثّر الغربي ارجعوا لتطوان، وحين تكونون على جبل طارق اعلموا أنه من نزل منكم لبلاد النصارى نعاقه العقوبة التامة الشديدة.

وفى نصف اكتوبر ارجعوا لرباط الفتح وبه يكون رباطكم إن شاء الله والسلام
فى رابع رجب الفرد الحرام عام ١١٨٨ .

ومن تمامه: إن البحرية التسعة الواردين مع ولد عبد الله بن محمد نأمر على الصابونجي أن يسفرهم معه زيادة على عمارته، وحين ترجع للرباط إن شاء الله أنزلهم عندك بدارك واستوص بهم خيرا، وهأنا أمرت عبد الله بن محمد أن يرتب لهم مؤنتهم والسلام فى تاريخه».

وقد أشار لأعمال هذه العمارات فوق متون البحار القنصل الفرنسى دوشينى الذى كان بسلا فى الجزء الثانى من كتابه فى أخبار المغرب بقوله: إن هذا السلطان الكبير أدرك بمهارته أن يحكم على دول أوروبا بما كان تحت يده من الأسارى الذين جلبهم رجال سفن قرصانة من البحار، فكانوا يسالمونه ويسعون فى مرضاته لأجل ذلك. هـ.

وكذلك أوما لهذا المعنى السفيران الكاتب الغزال الفاسى فى صدر رحلته لإصبانيا والكاتب ابن عثمان المكناسى فى رحلته أيضا وغيرهما.

ومما جاء فى الكناش المالى الذى نقلنا عنه فيما سلف من التراتيب المالية: أن بذمة الحاج عمر بن كشوط الجزيرى تسعة عشر مائة مثقال وثلاثون مثقالا بقيت بذمته من سلعة الغنيمة التى أتى بها الرئيس العربى لمستيرى فى أول شعبان ١١٧٦ .

وأن بذمة على خوجة الجزيرى بالجزائر من قيمة غنيمة الرئيس فراج ثلاثمائة دينار وأربعة وعشرون دينارا ذهباً.

وفى عام تسعة وتسعين ومائة وألف ولى القبطان الحاج الهاشمى بن الرئيس الحاج أحمد عواد الدكالى الهلالى السلوى على جميع البحرية أهل العدوتين سلا والرباط، وعلى سفنها القرصانية وقفت على ظهير توليته وإليك نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبى المصطفى الكريم، وعلى آله وأصحابه ذوى التبجيل والتعظيم، القائمين بشريعته الناصرين لدينه القديم، نص طابعه: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا: محمد بن عبد الله» ونص خطابه:

«كتابنا هذا لا زالت أوامره مطاعة، ومآثره فى صفحات الدهر مخلدة مشاعة، يعلم منه أن حامله المجاهد الأرضى، القبطان النبى المرتضى الحاج الهاشمى بن المنعم الرئيس أحمد عواد لما كان ممن مارس أمور البحر وراضها، واقتحم لججها وخاضها، وظهرت فى الرياسة نجدته، وحمدت فيها بدؤه وعودته، وزادت على الغير نجابته ومعرفته، رأينا أن نعمر به منصبا يبقى مرتبطا بولايته، مقصورا على مكائته ومنزلته، فجعلناه قبطانا على جميع البحرية، أهل العدوتين سلا والرباط وعلى سفنها القرصانية الجهادية، ظفره الله بالعدو الكافر، وقضى لها من الغنائم بالخط الوافر، وأبد سلامته فى الموارد والمصادر، وعلى سائر القوارب وجميع أمور البحر كيف ما كانت، وعلى أى حال ظهرت وبانت، فقد أسندنا جميع ذلك كله إليه، وجعلناه إلى نظره وقدمناه عليه، وقصرنا عليه الكلام وحده وأنفذنا فى كل ما يرجع إلى البحر أقواله، وأمضينا فى سائر أمورها أفعاله من غير تعقب ولا انتقاص، فنأمر جميع البحرية أن يقدروا قدره، ويمثلوا أمره... (١) معاوضة ولا... (١) ومن خالفه منهم فى شطر كلمة فقد أذنا له أن يؤدبه بما ظهر له من العقوبة والحد، وليكن من عقوبتنا على وعد.

(١) مكان النقط بياض بالأصل.



ونعهد إلى القبطان المذكور، أن يكون حازماً ضابطاً متعهداً لأحوال البحريين غير غافل عن شيء من الأمور، وأن يؤسس على الجد مسأله، ويشد في هذا الوظيف الجهادى عراه ووسائله، وربنا تعالى يقضى لنا وله بالسعادة، ويبلغنا وإياه من هذه القرية العظيمة مرادنا ومراده، ويبقى جيوش الإسلام متوافرة، وعلى عدو الله ورسوله متعاضة ومتظافرة، بمنه آمين صدر منا الأمر بكتبه بحاضرة فاس حرسها الله وحاطها في ثاني ربيع الثاني عام تسعة وسبعين ومائة وألف».

علائقه السياسية مع فرنسا

قال نجل المترجم أبو محمد عبد السلام في درة السلوك بعد ذكره واقعة العرائش مع الأسطول الفرنسى سنة ١١٧٩: وبعد هذه الواقعة احتفل طاغية الإصبان والفرنسيس بهدايا لم يعهد مثلها مشتملة على جواهر وأصناف الديباج، وأوانى الصين مذهب، وقباب مطبقة داخلا وخارجا بالحرير الأحمر والأخضر، قد أحكمت خياطتها بصفائح مذهب عجيبة الشكل والإتقان، وقدمت رسلهم لمدينة مراكش بهداياهم، وكان يوم دخولهم إلى الحضرة يوما مشهوداً فأجابهم أيده الله إلى ما طلبوه من عقد الصلح والمهادنة بعد ما بذلوا عدة وافرة من الأموال وأصنافا من اليواقيت واللالئ انتهى.

وبالفعل وجه المترجم خديمه عليا مرسيل لفرنسا لتقرير الصلح وقبض مال الأسرى وشراء الإقامة، كما وجه لإصبانيا كاتبه الغزال على ما يأتى.

وإليك نص عقد الصلح الواقع بينه وبين سلطان فرنسا إذ ذاك لوزير الخامس

عشر بحروفه:

الحمد لله؛ هذا ما صالح عليه سيدنا ومولانا الإمام، المظفر الهمام، السلطان الأعظم الأمجد، المعظم سيدنا ومولانا محمد، ووضع نصره الله بعد

قول الكاتب ومولانا طابعه المعهود لتعيين أوامره نص الطابع المذكور محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه، وبدائرتة: ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد فى آجامها تجم، ابن مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل قدس الله سلطان مراكش وفاس ومكناسة وسوس وتافيلالت وغيرها، سلطان جنس الفرنصيص ومن فى حكمه لويز الخامس عشر من اسمه بواسطة الباشدور المفوض إليه من قبله وهو (كونط دبرنيون) على شروط تذكر وتفصل بعد هذا، وتم الصلح وانبرم فى آخر ذى الحجة الحرام عام ثمانين ومائة وألف، الموافق لتاريخ الروم لثمانية وعشرين من شهر مايه عام سبعة وستين وسبعمائة وألف.

الشرط الأول:

يؤسس هذا الصلح وينبرم على ما انبرمت عليه المصالحة بين السلطان الأعظم سيدنا ومولانا إسماعيل قدس الله سره، وبين سلطان الفرنصيص فى ذلك الوقت لويز الرابع عشر من اسمه والشروط المشار إليها هى هذه:

الشرط الثانى:

أن لرعتى الدولتين أن يذهبوا حيث شاءوا بتجارتهم ومراكبهم برا وبحرا، فى أمن وأمان، بحيث لا يتعدى أحدهما على الآخر ولا يمنعهم أحد من ذلك.

الشرط الثالث:

إذا التقت سفن سيدنا نصره الله الجهادية أو غيرها بقراصين الفرنصيص أو غيرها من سفنهم البازركانية حاملة لسنجاق الفرنصيص وعندهم باسبرط من قبل سلطانهم على الوجه المصطلح عليه كما هو مرسوم آخر هذه الشروط، فلا يتعرض لهم ولا يفتشوا فيهم ولا يطالبون بغير إحضارها، وإن احتاجوا لما يقضونه لبعضهم على وجه الخير قضوه من الجانبين، وكذلك السفن الفرنصيصية يفعلون مع سفن

سيدنا أيده الله ما ذكر أعلاه إذا التقوا معهم ولا يطالبونهم بشيء إلا بإظهار خط يد القونص الفرنضي المستوطن بإيالة سيدنا نصره الله على الوجه المصطلح عليه أيضا كما هو مرسوم آخر هذه الشروط، ولا تطالب القراصين الفرنضيية الكبيرة بإحضار الباسبرط إذا التقت بهم سفن سيدنا أيده الله إذ ليس من عادتهم حملها ويؤخر البحث عن الصغار لمضى ستة أشهر تأتي من تاريخه أولها ينيه وآخرها نونبر الآتي، وفي هذه المدة يعطى سلطانهم أمانة بالكتابة للسفن الصغار وتأتي نسخة منها على يد القونصو لتصاحب قراصين سيدنا في سفرهم بحيث إذا التقوا بهم يستظهر كل واحد مما عنده من ذلك والعمل في نزول الفلوكة على ما وقع الشرط فيه بينهم وبين الجزيريين.

الشرط الرابع:

إذا دخلت سفينة من سفن سيدنا الجهادية أو غيرها لمرسى من مراسى الفرانضيص أو بالعكس، فلا يمنعون من حمل ما يحتاجون إليه من مأكول أو مشروب لهم ولمن معهم في سفنهم من الجانبين، وكذلك إن احتاجوا لآلة من آلات سفنهم فلا يمنعون من ذلك بالثمن الجارى بين الناس من غير أن يزداد عليهم شيء في جميع ذلك مراعاة للصالح الذى بين الرعيتين.

الشرط الخامس:

لرعتى الدولتين الدخول لأى مرسى شاءوا من مراسى سيدنا أيده الله أو من مراسى بلاد الفرانضيص والخروج منها سالمين آمنين، وأن يبيعوا ويشتروا ما شاءوا على حسب إرادتهم، وإن باعوا من سلعهم بعضا وأرادوا رد الباقي لمراكبهم فلا يطالبون بوظيف آخر، وإنما يطالبون بتعشير السلع أولا عند نزولها فقط، ولا يدفعون فى التعشير زيادة على غيرهم من الأجناس، ولتجار الفرنضيص التصرف فى البيع والشراء فى جميع إيالة سيدنا نصره الله كغيرهم، وإن تفضل سيدنا أيده

الله على جنس من أجناس النصارى بنقص شيء من الكمرك أو من الصاكة وغيرها فهم من جملتهم .

الشرط السادس:

إذا انتقض الصلح بين أهل تونس والجزائر وأهل طرابلس وغيرهم وبين الفرنضيص أيا كانت لمرسى من مراسى سيدنا نصره الله وتبعته سفينة حربية من سفن عدوهم لتأخذها، فعلى أهل تلك المرسى منع سفينة الفرنضيص المذكورة من عدوهم المذكور ولو برمييه بالمدافع ليبعد عدوهم عنها، ويحبس المركب الطالب لها بالمرسى مدة حتى تبعد السفينة المطرودة عنها لئلا يتبعها فى الحال حسبما هى العادة، وإذا التقت مراكب سيدنا الجهادية بعدوهم بكوشطة الفرنضيص فلا يأخذونهم إلا بعد تجاوز ثلاثين ميلا .

الشرط السابع:

إذا دخلت سفينة عدو الفرنضيص لمرسى من مراسى سيدنا أيده الله وبها أسارى من الفرنضيص، فإن كانوا باقين بالمركب لم ينزل أحد منهم للبر فلا كلام معهم فيهم، وإن نزلوا للبر فهم مسرحون ويتزعون من يد الذى هم تحت أسره، وكذلك إذا دخلت سفينة عدو سيدنا نصره الله لمراسى الفرنضيص وفيها أسارى من الإيالة المولوية يفعل بهم مثل ذلك، وإن دخل عدو للفرنضيص أيا كان لإيالة سيدنا بغنيمة أو دخل عدو سيدنا أعزه الله بغنيمة لمراسى الفرنضيص، فإن الجميع يمنعون من بيع الغنيمتين بالإيالتين، وإذا وجد عدو إحدى الدولتين تحت سنجق الأخرى فلا يتعرض له ولا لماله من الجهتين، وإذا أخذت سفينة سيدنا أيده الله غنيمة ووجد فيها بعض الفرنضيص ركابًا فإنهم يسرحون بأموالهم وأثاثهم كله، وكذلك إذا غنم الفرنضيص سفينة لعدوه أيا كان ووجد فيها ركابا من الإيالة المولوية، فإنهم يفعل بهم مثل ذلك، وأما إن كانوا بحرية فلا يسرحون من الجانبين .

الشرط الثامن:

لا يلزم رؤساء المراكب البازركانية بحمل ما لم يريدوه فى سفنهم ولا أن يتوجهوا لمحل من غير إرادتهم.

الشرط التاسع:

إذا انتقض الصلح بين وجاقات الجزائر ووجاقات تونس وطرابلس وبين الفرنضيص فلا يأمر سيدنا أيده الله بإعانة الوجاقات المذكورين بشىء أصلاً، ولا يترك أحداً من رعيته يتسلح ويركب تحت سنجق أحد الوجاقات ليقاتل الفرنضيص، ولا يترك أحداً يخرج من مراسيه ليقاتلهم، وإن فعل أحد من رعيته ذلك عاقبه وضمن ما أفسده، وكذلك يفعلون مع من عادى الجانب المولى أسماه الله لا يعينونه ولا يتركون من يعينونه من رعيته.

الشرط العاشر:

لا يكلف جنس الفرنضيص بدفع آلات الحرب من بارود ومدافع وغير ذلك مما يقاتل به.

الشرط الحادى عشر:

لسلطان الفرنضيص أن يجعل بإيالة سيدنا نصره الله من القنصوات ما أراد فى أى بلد شاء، ليكونوا وكلاء له فى مراسى سيدنا أيده الله ليعينوا التجار ورؤساء البحر والبحرية فى جميع ما احتاجوا إليه، ويسمعوا دعاويهم ويفصلوا بينهم فيما يقع بينهم من النزاع، لئلا يتعرض لهم أحد من حكام البلد غيرهم.

وللقنصوات المذكورين أن يتخذوا بدورهم موضعاً لصلاتهم وقراءتهم ولا يمنعون من ذلك، ومن أراد إتيان دار القنصو للصلاة أو للقراءة من أجناس النصرى أيا كانوا فلا يتعرض لهم أحد ولا يمنعون من ذلك، وكذلك رعية سيدنا نصره الله إذا دخلوا بلاد الفرنضيص لا يمنعهم أحد من اتخاذ مسجد لصلاتهم وقراءتهم بأى مدينة كانوا.

ومن استخدمه القنصوات المذكورون من كاتب وترجمان وسماسير وغيرهم فإنه لا يتعرض لمن استخدموه بوجه ولا يكلفون بشيء من التكاليف أيا كانت في نفوسهم وبيوتهم، ولا يمنعون من قضاء حاجات القنصوات والتجار في أى مكان كانوا ؛ ولا يدفع القنصوات ملزوما ولا وظيفيا عما اشتروه لأنفسهم من مأكول ومشروب وملبوس، ولا يؤخذ منهم العشر عما جاءهم من بلادهم من الحوائج المعدة للباسهم ومأكولهم ومشروبهم كيفما كانت، ولقنصوات الفرنضيص التصدر والتقدم على غيرهم من قنصوات الأجناس الآخرين، ولهم أيضا أن يذهبوا حيث شاءوا من إيالة سيدنا نصره الله برا وبحرا من غير مانع لهم من ذلك، ويذهبوا أيضا لسفن جنسهم إن أرادوا من غير مانع أيضا ودورهم موقرة لا يتعدى فيها أحد على آخر.

الشرط الثانى عشر:

إذا وقع نزاع بين مسلم وفرنضيصى فإن أمرهما يرفع للسلطان نصره الله أو لئائبه حاكم البلد ولا يحكم بينهما القاضى فى نازلتها.

الشرط الثالث عشر:

إذا ضرب فرنضيصى مسلما فلا يحكم فيه إلا بعد إحضار القونصو ليجيب ويدافع عنه، وبعد ذلك ينفذ فيه الحكم بالشرع، وإن هرب النصرانى الضارب فلا يطالب به القونصو لأنه ليس بضامن له، وكذلك إذا ضرب المسلم الفرنضيصى وهرب فلا يطالب بإحضاره.

الشرط الرابع عشر:

إذا كان لأحد من التجار دين على أحد من رعية الفرنضيص فلا يكلف القونصو بخلاصه إلا إذا ضمن المال، وكتب فى ذمته، فحينئذ يكون الخلاص

عليه، وإن توفى أحد من نصارى الفرنضيص فى جميع إيالة سيدنا نصره الله فتسلم أرزاقه وأمتعته ليد القونصو ليزمهما ويختم عليها أو يتصرف فيها بما شاء ولا يمنعه أحد من ذلك، ولا يتعرض له أحد من القاسمين ولا من أهل بيت المال.

الشرط الخامس عشر:

إذا رمى الريح مركبا من مراكب الفرنضيص على ساحل إيالة سيدنا نصره الله، أو جاء هاربا من سفن أعدائه فليعط سيدنا أمره لجميع أهل سواحله أن من وقع عنده مثل ذلك يعينوهم على قدر طاقتهم، إما بإخراج المركب للبحر إن أمكن وإن حرث أعانوهم على تخليص الأمتعة التى به.

وجميع آلاته وكل ما خرج من المركب يتصرف فيه القونصو القريب من ذلك المكان أو نائبه بما شاء، ليخلص تلك السفينة بعد أن يعطى لمعيته أجرته، ولا يؤخذ عن تلك السلعة حال التحريث عشر إلا ما يباع منها فيؤخذ عشره.

الشرط السادس عشر:

إذا دخلت مراكب الفرنضيص القرصانية لمرسى من مراسى سيدنا نصره الله فتتلقى بالبشرى والبشاشة مراعاة للصالح الحاصل، ولرؤساء هذه المراكب إن اشتروا بدراهمهم شيئا من مأكول ومشروب لا يطالبون بصاكة ولا بغيرها، وكذلك يفعل بمن دخل لمراسى الفرنضيص من سفن سيدنا أيده الله، وهذا المأكول والمشروب المذكوران لأنفسهم ولأهل مراكبهم.

الشرط السابع عشر:

إذا دخل قرصان من قراصين الفرنضيص لمرسى من مراسى سيدنا نصره الله، فإن القونصو الحاضر فى الوقت بالبلد يخبر حاكمها بذلك ليتحفظ على

الأسارى الذين بالبلد لثلا يهربوا للسفينة المذكورة، فإن هرب أسير وبلغ المركب فلا يفتش عليه ولا يطالب به القونصو ولا غيره، لأنه دخل تحت سنجاق الفرنصيص ولاذ به، وكذلك من فعل من أسارى المسلمين أيا كانوا ذلك بمراسى الفرنصيص لا يفتش عليه، لأن السنجق حرم.

الشرط الثامن عشر:

ما نسى من الشروط يفسر ويشرح على وجه مفيد معتبر لكى يحصل منه خير كثير ونفع عام لرعتى الدولتين، ولأن بواسطتها تشتد عقود الموالاة والمصافاة.

الشرط التاسع عشر:

إذا حصل خلل فى الشروط التى انعقد عليها الصلح فلا يفسد الصلح بسبب ذلك، وإنما يبحث فى المسألة ويرجع فيها للحق من أى إيالة كانت، ولا يتعرض لرعايا الدولتين الذين لا مدخل لهم فى شىء من الأشياء، ولا يباشر أحد من الرعيتين الخصومة والجدال إلا بعد مخالفة الشريعة والحق إعلانا.

الشرط العشرون:

إن قدر الله بنقض الصلح المنبرم، فجميع من بإيالة سيدنا نصره الله من جنس الفرنصيص يؤذن لهم فى الذهاب لبلادهم بأموالهم وأولادهم فى أمان، ويمهلون فى البلاد لجمع أموالهم وأمتعتهم لمضى ستة أشهر.

ذكر الباسبورط المصطلح عليها

لكل مركب من المراكب الفرنصيصة البازركانية

من عند أمير البحر بكل مرسى من مراسى الفرنصيص «لويز جان مرى دبربون دك دبنطير» أمير البحر بإيالة الفرنصيص، السلام، على كل من ينظر هذه الأسطر نعلمه أننا دفعنا ونفذنا إجازة بالباسبورط هذه لفلان رئيس المركب المسمى

فلانا فيه من الوسق كذا، وأنه ذاهب إلى بلد كذا موسوق بكذا، مكاحله ومدافعه كذا، رجاله كذا، وهذا بعد ما صار النظر والاطلاع الشرعى بما فيه فشهادة على ذلك وضعنا إمضاءنا وطابعنا، وكتب بخط يده كاتب البحر فلان فى مدينة باريز فى شهر كذا فى سنة كذا لويز جان مرى دبوربون وتحت ذلك :

من جانب حضرته السمية غرامبرك مختوم

ذكر خط يد القونصو المصطلح عليه الذى يكون عند

سفن سيدنا نصره الله

صورته: كاتبه فلان قونصو الفرنضيص بإيالة سيدنا نصره الله بثغر كذا، نعلم كل من رأى هذه الأحرف أن المركب المسمى كذا رئيسه فلان وفيه كذا وهو من ثغر كذا، فإنه هو ومن معه من إيالة السلطان المنصور بالله سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله سلطان مراكش ومن انضاف إليه رجاله، كذا مدافعه كذا، وشهادة على ذلك وضعنا اسمنا على هذه الورقة التى ختمناها بخاتمنا فى بلد كذا فى شهر كذا فى سنة كذا».

ومن ذلك ما كتب به صاحب الترجمة جوابا لملك فرنسا لويز السادس عشر فى التأسف على وفاة جده لويز الخامس عشر والفرح بولاية المكتوب له مع إبقاء الصلح والمهادنة مستمرين على ما كان عليه ونصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، عن أمر السلطان الأعظم سلطان مراكش وفاس ومكناسة وتافيلالت وسوس ودرعة وكافة الأقاليم الغربية سيدنا ومولانا (محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه) خلد الله نصره، وأعز أمره، وأدام سموه وفخره، وأشرق فى فلك السعادة شمسه وبدره، إلى عظيم جنس الفرنسيس المتولى أمرهم فى الوقت الرى لوزير السادس عشر من اسمه، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فقد ورد على

حضرتنا العلية بالله كتابك الذى تاريخه ثانى عشر من مائه عام أربعة وسبعين وسبعمائة وألف المتضمن الإخبار بموت جدك الرى لوز الخامس عشر على يد نائب قونصوكم (برطملى دبطنير) وبقي فى خاطرنا جدك لوز كثيرا، حيث كانت له محبة فى جانبنا العلى، وكان ممن يحسن السياسة فى قومه، وله حنانة فى رعيته وحفظ عهد مع أصحابه، وفرحنا حيث كان باقيا من ذريته من يخلفه فى المملكة والجلوس على سرير الملك من بعده، وما زالت تسعد بك رعيته أكثر مما كانت فى حياة جدك، ونحن معك على المهادنة والصلح، كما كنا مع جدك انتهى.

صدر الأمر بكتبه من حاضرة مكناسة الزيتون فى عاشر جمادى الثانية عام ثمانية وثمانين ومائة وألف.

ومن ذلك ما كتب به له أيضا مع سفارة القائد الطاهر فنيش ولفظه:

«بسم الله الرحمن الرحيم؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم، (محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه).

من أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، عبد الله المتوكل على الله، المعتصم بالله، محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه، إلى عظيم الفرنسيس لوز السادس عشر من اسمه السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فاعلم أن سفنا من سفن الفرنسيس حرثوا بأقصى إيالتنا المباركة فى الصحراء وتفرق جميع من سلم من الغرق من النصارى فى أيدي العرب، وحيث بلغنا ذلك وجهنا بعض خدامنا للصحراء لجمع من فى أيدي العرب من النصارى الفرنسيس لتوجههم إليكم بعد الإنعام عليهم رعايا للمهادنة والصلح الذى بيننا وبينكم، ثم إن قونصوكم الذى بإيالتنا أساء الأدب وكتب لنا أن نوجه له النصارى

ويدفع الكاشطى الذى صير عليهم خديمنا المذكور، فساءنا كلامه لأنه لو أحسن الطلب لأنعمنا بهم عليه على تقدير أن لو كنا معكم على الكره فأحرى ونحن معكم فى الصلح والمهادنة، ولأجل ذلك وجهنا لكم من حضرتنا العلية بالله عددهم عشرون فهم يصلون منا لناحيتمكم.

وقد وجهنا لكم خديمنا القائد الطاهر فنيش باشدورا معه أولئك النصارى وليتكلم فى أمر اقتضاه نظرنا السيد معكم ومع جميع قونصوات أجناس النصارى الذين بإيالتكم من المصالحين معنا وغيرهم على يدكم، وهو أن كل أسير أسر بإيالتنا من النصارى أيا كانوا ففداؤه مسلم رأسا برأس، وإن لم يكن عندهم مسلمون فمائة ريال فداؤه لا غير، كذلك إذا كان المسلمون أسارى عند النصارى ففداء كل مسلم نصرانى من جنسه إن وجد، وإن لم يوجد فمائة ريال فداء المسلم أيضا، وسواء فى ذلك الغنى والفقير والقوى والضعيف لا فرق بينهم فى الفداء، ولا يبقى الأسير فى بلاد المسلمين ولا فى بلاد النصارى عاما واحدا، والشيخ الهرم الذى بلغ السبعين والمرأة كيفما كانت لا أسر فيهما، فحيث وجد الشيخ الهرم أو المرأة فى سفن المسلمين أو النصارى فيسرحان فى الحين من غير فداء، وهذا إن شاء الله رأى شديد ظهر لنا فيه صلاح الجانبين، أردنا أن يكون عقده على يدكم، وإن تم ذلك على الوجه المذكور فوجه لنا كتابك بإبرام ذلك ويصلك كتاب مطبوع بطابعنا الشريف، ومعلم بخط يدنا الشريفة، مضمته أننا التزمنا جميع ما ذكر فى كتابنا هذا فى شأن فكاك الأسارى من الجانبين على الوجه المذكور إن تم يبقى تحت يدك، ويصلك ستة من الخيل من عتاق خيلنا صلة منا إليكم، وخديمنا المذكور لا تبطئوه عندكم ووجهوه إلينا عزمنا بعد قضاء الغرض الذى وجهناه إليه، ونحن معكم على المهادنة والصلح وكل ما يقول لكم ثقوا به فيه، صدر الأمر به فى مهل شعبان عام واحد وتسعين ومائة وألف».

ومما يدل على مقدار تحسن العلاقات التي كانت بين الدولتين يومئذ الكتاب الذى بعثه الملك لويز السادس عشر للمترجم مخبرا فيه بولادة ابن له وهذه ترجمته :

«من عظيم النصارى ملك فرنسا إلى عظيم المسلمين ملك مراكش والمغرب
سلاما .

وبعد : فإن المولى جل جلاله حقق أمنيتنا وأمنية فرنسا فرزقنا أميراً وضعته
والحمد لله الملكة زوجتنا العزيزة وقرينتنا، وقد بادرت بإعلامكم بهذا الحادث
العظيم الذى يضمن السعادة لرعبتنا ويخلد هذه العائلة الملوكية، وأنا متحقق أنكم
ستتلقون هذا النبأ الذى يسر عائلتنا المشهورة ورعبتنا بكل سرور لما بيننا من روابط
المودة. وأن السرور الذى ستقابلون هذا الحادث سيكون شاهداً جديداً على ما بيننا
من الصداقة المؤبدة، وإنا ندعو لكم ولملككم بالنصر والعافية والرفاهية ونطلب
من الله أن يحرسكم بعنايته .

لويز» .

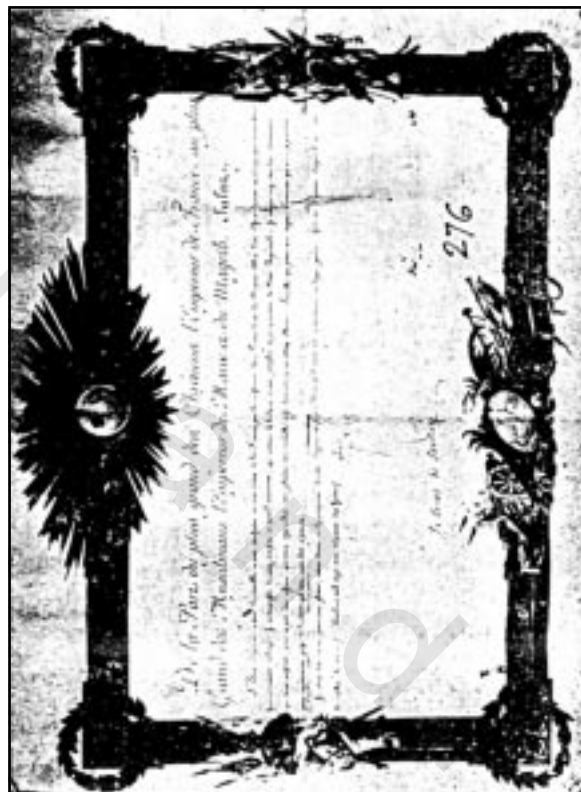
وتحته :

«الكونت دوسايتين»

مع السويد

ومن ذلك عقد الصلح الواقع بينه وبين جنس السويد سنة ١١٧٦ وإليك
لفظه :

«الحمد لله، زمام يذكر فيه الشروط المنعقدة عليها الصلح بين سيدنا الإمام
الأعظم السلطان بن السلطان فخر الملوك والسلاطين المظفر الهمام الأوحى، أبى
عبد الله سيدنا ومولانا محمد ابن مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل قدس الله



كتاب لويس السادس عشر ملك فرنسا للسلطان
سيدي محمد بن عبد الله يعلمه بازدياد أمير له

ثراه، وخلد فى الصالحات ذكره، أمين وبين جنس السويد بعد طلب طاغيتهم له بواسطة صاحبه الموجه من قبله المفوض إليه بكتابه وهو «الكمسارى سويد بيد روكر شقيان ولف» سنة ستة وسبعين ومائة وألف ذكر الشروط المشار إليها:

الشرط الأول:

أن يكونوا مؤمنين على أنفسهم وأموالهم فى جميع إيالة سيدنا نصره الله ومراسيه برا وبحرا هم وتجارهم فى سائر المدن والثغور، وأن يلاحظوا بما يلاحظ به غيرهم ممن دخل ظل أمان سيدنا نصره الله.

الشرط الثانى:

أن «الباشجير» منهم إذا وجد بمركب العدو فيؤمن لمضى ستة أشهر تأتى بعد تاريخ الصلح لينتشر خبر الصلح ولا يطالبون فى هذه المدة بياسبرط، فإذا وجد قبل انقضاء هذه المدة فإن رؤساء مراكب سيدنا نصره الله يأتون به مؤمنا على نفسه وماله إلى حضرة سيدنا نصره الله والقونص السويد الذى يكون متصدرا للكلام فى أمور جنس السويد، ويعرف به ويشهد أنه من جنسهم عابرى سبيل، وإن كان هذا الموجود منهم فى مركب العدو يستعمل نفسه فى خدمتهم وإعانتهم بأجرة أو غيرها فهو أسير، ومن وجد منهم بمركب العدو بعد الستة أشهر ولم يستظهر بياسبرط فهو أسير.

الشرط الثالث:

المسلم إذا دخل بلادهم سواء حل بها فارا أو اختيارا فهو فى أمان، وكذلك إذا جاء فى مركب عدو لسيدنا نصره الله، وأرسى بأى مرسى من مراسيهم فيجب عليهم فكاهه ونقده من الأسرى وتبليغه لبر المسلمين، وإذا كان أسير من جنس السويد عند عدو لهم وفر لمراكب سيدنا نصره الله أو لبلاد الإسلام، فهو أمين

على نفسه وماله، كما أن المسلم إذا كان أسيراً وفرّ لمراكبهم أو بلادهم فهو فى أمان.

الشرط الرابع:

أن أجفانهم لا يترامى عليها أحد من رؤساء مراكب سيدنا نصره الله ولا يفتشونها، وإن كان فيها ركاب من عند سيدنا نصره الله فهم فى أمان تحت سنجقهم.

الشرط الخامس:

أن أجفانهم الواردة على مراسى سيدنا بالسلع إذا أنزلوها بالبر تعشر، وإن لم ينزلوها فلا أعشار عليهم فيها وإن لم يبيعوها وأرادوا ردها فلا يلزمهم فيها شيء ولا يجبرون على إنزال السلعة إن لم يريدوا إنزالها بتلك المرسى، وإن كانت السلع من آلة الحرب وأرادوا بيعها فلا أعشار عليهم فيها.

الشرط السادس:

إذا التقى مركب السويد بمركب من مراكب سيدنا أيده الله فليركب اثنان من أعيان مراكب سيدنا ومعهم اثنان من البحرية المحركين للفلوكة من غير عدة إلى أن يشاهدوا الباسبورط ويعودوا لمركبهم على الفور، ولا يبطئون المركب، ولا يثقفوا، وقبل ما تذهب إليهم الفلوكة يجعل رئيس مركب سيدنا نصره الله سنجقاً أبيض فى رأس الماسطرة ويجىء تحت الريح ليكون ذلك علامة الصلح، فيحصل لهم به الأمان، لأن الصلح بالصلح لا يمكن أن يحصل بجميع السويد فى مدة قريبة، ويبقوا على هذه العلامات إلى أن ينقضى عام واحد يأتى بعد تاريخ الصلح، وبعد مضى العام يطالبون بإظهار الباسبورط ولا تكفيهم العلامة السابقة، وركاب الفلوكة من خدام سيدنا نصره الله يصحبون خط الكمسارى ويدفعونه للمركب السويدى

ليعلموا غيرهم بالصلح المرسوم بالخط، والبارزكان والقرصان فيما ذكر من
العلامات وأصحاب خط الكمسارى ودفعه لأهل المركب سواء.

الشرط السابع:

إذا حرث مركب من مراكبهم ببر الإسلام فى طاعة سيدنا نصره الله سواء
كان عن فرتونة أو فاراً من عدو له ووقع به ذلك فليكن أمر سيدنا أدامه الله عند
كافة خدامه وولاة أمره بسائر الثغور والسواحل يقفون معهم ليجمعوا وسقهم وآلة
سفنهم، حتى لا يضيع لهم شىء من ذلك كله ويعينونهم على جمعه ويحرسونه
ويحفظوا أموالهم وسلعهم وباشاجيرهم، وإن كان عدوا لسيدنا نصره الله حتى
يصلحوا مركبهم ويعود إليهم وهم فى أمان ولا يلزمهم شىء، وإذا تكسرت بحيث
لا تقبل الإصلاح لإقامتها ووسقها وباشجرها يتولى أمر ذلك قونصو الوقت، ولا
يدخل فيهم أحد، وإن حملوه فى مركب فلا يلزمهم شىء على حمله.

الشرط الثامن:

إذا كان مركبهم تحت رماية المدفع أو مع بر الكوشطة وسائر المراسى، فلا
يأخذهم عدوهم ولا يجعلهم غنيمة.

الشرط التاسع:

إذا أخذ لهم مركب وجىء به لطاعة سيدنا نصره الله وأراد الآخذ بيع
الأسارى بها وأنزلهم من المركب بقصد البيع، فهم مسرحون من الأسر، وكذا من
أخذ من المسلمين ونزلوا ببلادهم فهم مسرحون، وإن بقوا فى المركب فلا كلام
لهم.

الشرط العاشر:

إذا كان قرصان من عدو سويد بمرسى من مراسى سيدنا نصره الله وهناك

مركب سويدي وأراد السويد أن يسافر فليثقف القرصان العدو لهم عن أمر سيدنا نصره الله إلى أن تمضى ثمانية وأربعون ساعة .

الشرط الحادى عشر:

إذا أظهر البازركان الإرصاء بإحدى مراسى سيدنا نصره الله لسقى ماء أو لأخذ كمانية أو ليستتر من الريح ، فإنه لا يطالب بمخطف إلا إذا نزل الوسق فهم كغيرهم من المصالحين .

الشرط الثانى عشر:

إذا اشترى سويدي من وكيل سيدنا نصره الله غنيمة فيكون خط اليد بالبيع هو الباسبورط ، بحيث إذا لقيه أحد من مراكب سيدنا نصره الله يطالعه على الإشهاد بالبيع فيتركه ويخلى سبيله .

الشرط الثالث عشر:

إن التجار الذين يريدون تعاطى الأسباب فى طاعة سيدنا نصره الله وإيالته الواجب عليهم فى الأعشار داخلاً وفى الصاكة خارجاً هو الواجب على غيرهم من الأجناس المصالحين ، وكل ما يرد عليهم من المأكولات والمشروبات والملبوسات لأنفسهم وأثاث الدار لا شئ عليهم فى ذلك فى المجيء والرجوع .

الشرط الرابع عشر:

إذا سافر مركب منهم من مراسى سيدنا نصره الله ، وقد كان دفع ما وجب عليه وأجأه أمر عارض للرجوع لمرسى من مراسى سيدنا نصره الله فلا يلزمه شئ ، وكذا إذا وردت سفن كبار على مراسى سيدنا نصره الله واحتاجوا إلى الفريشك ، فلا شئ عليهم يأخذوه ، وكذا لا يلزم السفن الكبيرة ولا أهل المراسى إخراج المدافع عند الوصول إليها .

الشرط الخامس عشر:

لهم أن يجعلوا من القونصوات ما يريدون ويختارون لأنفسهم، ومن السماسر ما يحتاجون إليه، ويكون القونصو منهم كغيره من القنصوات فى المنزلة والمرتبة والمباشرة، وكل واحد من قنصواتهم يجعل سنجاقاً بداره ولا يتعدى عليهم أحد، ويسافرون فى البر كيف شاءوا ويركبون المراكب الحالة بمراسيهم ومن هو مخصص بهم، وهم فى صلاتهم ودفن من مات منهم كغيرهم من المصالحين، وكل من انضاف إليهم من أهل الذمة وغيرهم ممن يقضون إليهم أغراضهم لا يكلفون بوظيف ولا مغرم إلا الجزية، فإنها لا تسقط عن أهل الذمة، وإن ترتب دين على أحد سويد، فإن القونصو لا يطالب بأدائه إلا إذا ضمنه لرب المال وكتب له بخط يده.

الشرط السادس عشر:

إذا مات تاجر من سويد فإن القونصو يجمع متاعه ويجمعه لأهله من غير له.

الشرط السابع عشر:

إذا تخاصم اثنان من سويد فالقونصو يتولى الحكومة فى قضيتهما بما يقتضيه دينهم، وإذا كانت خصومة السويد مع أحد من غير جنسه فحاكم البلاد والقونصو يفصلان نازلتها، وإذا وقع جرح فيما بينهم فيرفع الأمر إلى السلطان نصره الله، وإن فرَّ أحد من المتخاصمين فلا يؤاخذ به القونصو ولا غيره من جنسهم.

الشرط الثامن عشر:

إذا ظهر منهم ما يوجب نقض الصلح فليؤجل لهم سيدنا نصره الله ستة أشهر يجمعون فيها أموالهم ويحملون أمتعتهم وأصحابهم ويذهبون فى أمان

بحوائجهم وأثاثهم، وديارهم مؤمنة من حكام البلاد وغيرهم ولا يدخلها أحد إلا بإذنهم.

الشرط التاسع عشر:

أن يسوى سيدنا نصره الله قنصواتهم وقنصوات أجناس المصالحين بحيث لا تكون مزية لقنصوات غيرهم على قنصواتهم لا فى مراكبهم ولا فى متاعهم ولا فى أنفسهم.

الشرط الموفى عشرين:

إن وجد عند أحد من أجناس النصارى الذين نالهم عهد سيدنا نصره الله شرطاً أو شروطاً زيادة على الشروط المذكورة فى هذا الزمام فلهم مثله سواء كان فى الماضى أو المستقبل، ويكون الشرط الزائد كأنه مذكور فى هذا الزمام، وإن كان لقيهم ممن انعقد بينهم وبين سيدنا نصره الله الصلح إذن فى مسألة غير مذكورة فى الشروط، فقد أذن لهم فيها سيدنا نصره الله.

الشرط الحادى والعشرون:

إذا صدرت جناية خارجة عن الصلح من رعية سيدنا نصره الله أو من رعيتهم بأن كان الجانى من سويد يعلم سيدنا نصره الله القونصوات وهو يعلم طاغيتهم ويؤجل لهم فى فصلها ستة أشهر سيدنا بعد بلوغها الطاغية، فإن لم يقع فيها الفصل فالنظر لسيدنا نصره الله، وإن كانت الجناية من مسلم فسيدنا أيده الله يحكم فيها، ولا يفسد الصلح فى الوجهين.

الشرط الثانى والعشرون:

إذا ظهر شرط يليق بالجانبين فإنه يزداد لهم على الشروط السابقة ويتنزل منزلتها.



كتاب سيدي محمد بن عبد الله لقنصل الدانمرك

(تعريب من العبرانية)

أمام من يضع شكله عقبه أقسم المسمى سرفاتي يميناً بالله تعالى كيف تجب ونص ما
يجب بأن كلامه السوء الذي نقل عنه شمعون بأسفى لم يصدر منه قط وأنه مجرد كذب
وزور وحرر بمدينة... بتاريخ ٧ أيلول سنة ١٥١٩ الخزان يهودا أفلاكو ويهودا الغراملى بشكلها

الشرط الثالث والعشرون:

أن يعلم سيدنا نصره الله أهل طاعته بصلح سويد حتى ينتشر بإياله السعيدة خشيه أن يجنى أحد عليهم جناية ويعتذر أنه لا علم له بالصلح» وهذا آخر الشروط .

وقد أقر هذه المعاهدة السلطان العادل المولى سليمان سنة ١٢١٨ على مال يؤدونه له .

مع الدنمرك

ومن ذلك عقد الصلح بينه وبين جنس الدانمرك وإليك لفظه حرفيا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم؛ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم؛ هذا ما جدد به مولانا الإمام؛ المعظم المظفر الهمام؛ حامى بيضة الإسلام وملجأ الخاص والعام؛ سيدنا ومولانا محمد ابن مولانا عبد الله رحمه الله وقدس روحه، ثم يليه الطابع الشريف وبعده: سلطان مراكش وفاس وتافيلالت وسوس وغير ذلك من الأقاليم المغربية الصلح بينه وبين طاغية دينمارك كرستيان السابع من اسمه سلطان (نروك بندلص كطر مرن دمليسو) وغير ذلك، على يد القونصو كوشرب الماركى المفوض إليه من قبل طاغيته المذكور على شروط تذكر وتفسر أثره صلحا تاما مستمرا، انتهجنا معهم طريقه والتزمنا الوفاء به حقيقة ما لم يقع ما فيه ثلثة فى ديننا أو شرعنا فلا صلح ولا عهد، وفى الثامن والعشرين من صفر عام إحدى وثمانين ومائة وألف .

الشرط الأول:

خروج مراسى سيدنا نصره الله من أيدي دينمارك فلا يتصرفون فيها بشيء من أنواع التصرفات جلت أو قلت أكثر مما فات، لأن الكمبانية التى كانت تدفع حق المراسى المذكورات تفرقت ورجعت المراسى لسيدنا نصره الله يتصرف فيها بما

شاء، وكان خروجها من أيديهم فى الرابع والعشرين من صفر الذى هو شهر تاريخه الموافق فى تاريخ العجمى لعشرة من يليه، بعد أن التزم القونصو المذكور أداء واجب تصرف التجار فى المراسى، وهو من أول مايه الماضى قريبا من تاريخه إلى عاشر يوليه الذى هو شهر تاريخه، وقدره اثنا عشر ألف ريال وخمسمائة ريال، ولا رجوع للمراسى لأيدى دينمارك أبد الأبدى من الآن.

الشرط الثانى:

للقونصو المذكور أو من ناب عنه أن يحمل سلعة الكبانية الباقية لهم بإيالة سيدنا أيده الله كيف ما كانت لأى موضع شاء، وإن أراد دفعها لأحد أيا كان فلا يمنع من ذلك، لأنه عنده وكالة الكبانية بالتصرف فى جميع سلعهم وديونهم بما ظهر له، ولا يدفعون فى الأعشار غير الذى دفعوه أولا، ولا فى الصاكة أكثر مما جرت العادة بدفعه، وإن أراد إرسال المال الناض بعينه فلا يلزمه شىء فى الخارج حسبما هى العادة.

الشرط الثالث:

يعطيه سيدنا أوامره الشريفة لعماله فى المدن التى لهم فيها ديون يعينونهم ويقفون معهم على قبض ديونهم عند من كانت على الوجه الشرعى، وللقونصو أن يوكل من شاء على قبض ديونه من غير مانع له من ذلك.

الشرط الرابع:

التاجر شنطبرند والتاجر يسق القاطنان بثغر سلا، والتاجر سودس والتاجر هولست القاطنان بثغر آسفى، والتاجر هست الذى بثغر الصويرة، الذين كانوا فى خدمة الكبانية يذهبون لبلادهم مع سفينة الجيرة التى هى الآن بثغر سلا، بحوائجهم وجميع أثاث دورهم وزموماتهم وكذلك يذهب متعلم القونصو فرزين

بحوائجهم أيضاً لأن الكبانية لم تبق مستلزمة بدفع المتسبين، ولا يتعاطوا التجارة ليعمروا على أى وجه كان، ولا أحد من جنس دينمارك إلا من أراد أن يأتى بخاطره ليعمر فلا يمنعه أحد من ذلك.

الشرط الخامس:

لتجار دينمارك أن يقدموا لإيالة سيدنا أيده الله، ويذهبوا حيث شاءوا ويبيعوا ويشترى بأمن وأمان فى أى مرسى شاءوا، وأى مدينة شاءوا، ولا يلزمهم فى الداخل والخارج أكثر من غيرهم من أجناس النصارى، ويسكنون فى أى مدينة شاءوا من غير تحديد عليهم بسكنى مدينة دون غيرها، ولا يكلف أحد منهم بناء دار ولا غيرها إلا بخاطره.

الشرط السادس:

إبقاء الصلح بين سيدنا أيده الله وبين طاغية دينمارك على ما كان عليه أولاً وسنجدهم موقر محترم برا وبحرا إن التقت سفن سيدنا أيده الله الجهادية بسفنهم، لأجل محبتهم فى جانب سيدنا العلى بالله، ولتقدمهم فى عقد الصلح على غيرهم من أجناس النصارى، فلذلك يريدون التقدم من التفضيل على غيرهم عقد سيدنا أيده الله ولا يعتد واحد على رعية دينمارك فى جميع إيالة سيدنا أيده الله.

الشرط السابع:

أن يكون جنس دينمارك كغيرهم فى البيع والشراء، ولا يلزمهم أكثر مما يلزم غيرهم فى أسعار الأسواق، وإن تفضل سيدنا أيده الله على غيرهم من أجناس النصارى بنقض شىء فى الداخل والخارج فهم من جملتهم يلزمهم ما يلزم غيرهم، وإن اشترى أهل سفنهم الواردة عليهم مأكولاً أو مشروباً لأنفسهم مدة إقامتهم أو زاداً قدر ما يبلغهم للمكان القاصدين له فلا يلزمهم شىء فى الخارج.

الشرط الثامن:

لا يأخذ أحد سلعة من سلع تجار دينمارك منهم بغير الثمن الذين يريدونه، ولا يبيعون سلعتهم إلا بما أحبوا، وكذلك أصحابهم الذين يبيعون لهم سلعتهم في المدن لا تنتزع السلع منهم كرها بغير الثمن الذي أمرهم أربابها ببيعها به، ولا يكلف أحد سفنهم بحمل ما لم يريده في أنفسهم من مرسى إلى أخرى إلا برضا ربها، ولا يخرج أحد من جنسهم من سفنهم بغير رضا.

الشرط التاسع:

إذا اكترى أحد من رعية سيدنا أيده الله سفينة من سفن دينمارك لتحمل له سلعة من محل إلى محل، ثم إن الريح ألقاها إلى دخول مرسى من مراسى سيدنا أيده الله أو احتاجت إلى حمل ماء مثلا فلا يلزمها شيء.

الشرط العاشر:

إذا جاء أحد من تجار دينمارك بسلعة لمرسى من مراسينا وأنزلها بها وعشرت ثم إنه لم يظهر له فيها بيع وأراد رد السفينة ليذهب بها إلى بلد آخر، فإنه لا يلزمه شيء مرة ثانية، ويلزم قائد المرسى أن يعطيه خط يده أن السلعة المذكورة معشرة لثلا يذهب بها إلى مرسى أخرى من مراسى سيدنا أيده الله فيطالبون بالعشرة مرة أخرى، وكل ما أتوا به من آلات الحرب من إقامة سفن أو بارود أو غير ذلك لا يلزمهم عشر عليه، وإذا أتت سفينة من سفنهم بسلعة بقصد بلد آخر من غير إيالة سيدنا أيده الله ودخلت لمرسى من مراسى سيدنا أيده الله لأمر، فلا يلزمون بإنزال السلعة المذكورة فيها جبرا عليهم.

الشرط الحادى عشر:

إذا انكسرت سفينة من سفنهم بسواحل سيدنا أيده الله فهى وجميع من فيها

آمنون على أنفسهم وأموالهم يذهبون حيث شاءوا وإذا أحرثت واحتاجوا إلى إعانة فليأمر سيدنا عماله أن من وقع عنده مثل ذلك أعانوهم على إنقاذ سفيتهم إن أمكن، والسلعة التي تكون بالسفينة المذكورة لا عشر فيها إلا ما يباع منها ففيه العشر، وإذا أراد ربها رد سلعته لسفينة فلا يلزمه شيء في الخارج أيضا، ويعين سيدنا أيده الله لجنس دينمارك في كل مدينة موضعا لدفن موتاهم كغيرهم من أجناس النصارى ولا يمنعون من ذلك.

الشرط الثاني عشر:

إذا التقى قرصان من قراصين سيدنا أيده الله بسفينة بازركان لدينمارك فاعمل في إنزال الفلوكة لرؤية الباسبورط على الوجه المعقود عليه الصلح قبل هذا في شعبان من سنة ١١٦٦ مع لوتسوا الماركى.

الشرط الثالث عشر:

يأمر سيدنا أيده الله رؤساء سفنه الجهادية أن لا يخرج أحد منهم إلا بعد أخذ خط يد القونص المذكور والبننتا لثلا يلتقوا بقرصان من قراصين دينمارك فيظنوا أنهم من غير إيالة سيدنا أيده الله، فيحصل العيب بينهم إن لم يظهر خط القونص المذكور مع البننتا، وإذا التقت قراصين الجهتين فالعادة التي كانوا يفعلونها أو الأمانة التي كانوا يظهرونها لبعضهم بعضا لا ينقص منها شيء من الجانبين.

الشرط الرابع عشر:

إذا تخاصم مسلم مع ماركى فأمرهما يرفع لسيدنا نصره الله أو لحاكم البلد التي وقعت الخصومة فيه ليفصل بينهما ولكن بعد إحضار القونصو ليدافع عن جنسه بما أمكنه.

الشرط الخامس عشر:

القونصو المذكور يسكن بِسَلَا مُدَّةَ ما أراد بالدار التي كان يسكن القونصو برزين ولا يخرججه أحد منها لمدينة غيرها، وله أن يجعل خلائفه في غيرها من مراسى سيدنا أيده الله، وما فعلوه فهو ماض، ولهم من التوقير والاحترام ماله، وكذلك لخدمتهم، وله أن يعزل منهم من شاء ويولى غيره من غير مانع له في ذلك، وداره ودار غيره من تجار دينمارك منذ قرون محترمون لا يتجاسر عليهم أحد، لأنهم في أمان الله، وأمان سيدنا أيده الله وخدمتهم ومتعلمونهم لا يكلفون بشيء من التكاليف المخزنية، وإذا تخاصم أحد من جنس دينمارك مع أحد آخر من جنسه فلا يفصل بينهم إلا القونصو، ولا مدخل لأحد فيهم أيا ما كان، وإذا مات أحد من دينمارك فلا مدخل لأحد في متاعه، وإنما يتصرف فيه القونصو أو نائبه بما شاء، وله أن يجعل بداره كنيسة لصلاتهم ولا يمنع من أراد الإتيان إليها من جنسهم، وكل ما جاءه في البحر من مأكول أو مشروب وملبوس لا يلزمه عليه عشر.

السادس عشر:

إذا هرب أسير من جنس دينمارك لسفينة سيدنا أيده الله أو هرب مسلم أيا كان لقرصان من قراصين دينمارك حيثما كان، فلا ينتزع منهما، لأن السنجاق حرم من الجانبين.

السابع عشر:

إذا قدر الله بنقض الصلح المذكور، فإن سيدنا أيده الله يؤجل من بإيالته من دينمارك ستة أشهر لجمع أثاثهم وأمتعتهم ويذهبون لبلادهم في أمن وأمان.

الثامن عشر:

إذا وقع خلل فى أحد الشروط المذكورة فلا ينقض الصلح بسببه، وإنما يرجع الأمر إلى أربابه من الجانبين ليصلحوا ما فسد منه، ولا تمد الأيدي لرعايا الدولتين إلا بعد إظهار الحق عياناً.

التاسع عشر:

إذا انبرم الصلح المذكور وانعقد عليه أن يدفع طاغية دينمارك لسيدنا أيده الله ما يذكر مفصلاً والتزم القونصو بأداء جميع ذلك لا يترك منه شيئاً والذي يدفعه عن كل سنة هو هذا:

١٢	من مدافع المعدن اثنا عشر
٢٤	وزن كورة كل واحد أربعة وعشرون رطلاً
١٣	ومنه أيضاً ثلاثة عشر
١٨	وزن كورة كل واحد ثمانية عشر رطلاً
٢٥	جملة المدافع خمسة وعشرون
١٠	ومن الكمنة عشرة
١٣	غلظ كل واحد ثلاثة عشر بلكاظة
١٠	ومنها أيضاً عشرة
١٣	غلظ كل واحدة ثلاث عشرة بلكاظة
١٠	ومنها أيضاً عشرة
١٠	غلظ كل واحد عشر بلكاظات
٣٠	جملة الكمن هذا

ثم ألفان من اللوح الروبلى طوله مختلط من الذى تصنع سفن ستة وثلاثين وسفن أربعة وعشرين مدفعا عرضه اثنتا عشرة بلكاظة، وغلظ ألف منه ثلاث بلكاظات، وغلظ الألف الآخر أربع بلكاظات، ثم من الريال زيادة على إقامة ستة آلاف وخمسمائة هكذا ٦٥٠٠.

الشرط الموفى عشرون:

إذا أراد طاغية دينمارك أن يدفع الإقامة المذكورة على الوصف المذكور فعلى بركة الله، وإن أراد أن يدفع على جميع ما ذكر من الإقامة والريال خمسا وعشرين ريال بعينها دفعها الخيار له، ابتداء السنة التى يدفع ما ذكر عند انتهائها أول ما به الفارط قبل تاريخه من عام سبعة وستين وسبعمائة وألف، ما دام الصلح بين سيدنا أيده الله وبينهم لا ينقطع أبداً.

الشرط الحادى والعشرون:

إذا وسق ما ذكر فى سفنه وقدر الله عليها بأفة من آفات البحر فإن سيدنا أيده الله لا يضيع ولا يعرفه إلا مبلغا إلى المكان الذى شاء، ولكن لا يلجئهم إلى دفع ما ذكر فى العام نفسه، فما لم يدفع فى العام دفع فى الذى يليه، وعلى هذا انبرم الصلح وانعقد، وأبرأناهم من جميع الدعاوى الماضية سوى ما هو بخط القونصوا كرسطرب المذكور» انتهى.

مع البرتغال

كانت هذه الدولة بعد فتح الجديدة ونزعها من يدها سنة ١١٨٢ قد اقتدت بغيرها من الدول، فأوفدت سنة ١١٨٣ هدية للسلطان المترجم عظيمة، وبعثت رسلها يطلبون الهدنة والصلح، فأجابهم لذلك.

قال نجله المولى عبد السلام فى درة السلوك: وكان عقد صلحهم على ىدى بعد ما تحملوا بعشرين ألف ريال فى كل سنة فعقد معهم هذه المعاهدة سنة ١١٨٧ ودونك نصها:

«الحمد لله وحده، ولا حول ولا قوة إلى بالله العلى العظيم.

أما بعد: فقد انعقدت المهادنة الكاملة والصلح التام، بين سيدنا الإمام، العلوى الهمام، مولى العباد، وحامى البلاد، رافع منار الشريعة النبوية، وناصب رايات الدينية. سيدنا ومولانا أمير المؤمنين. وبالطابع (محمد بن عبد الله ابن مولانا إسماعيل) نصره الله وأدام عزه، وخلد فى صفحات المجد مآثره المثبتة وذكره، مالك بلاد المغربية بأجمعها والمتصرف فى أقاليمها وبلادها مراكش وسوس وتافيلالت ودرعة وفاس ومكناسة وسلا وما عدّ من الإيالة ونسب إليها، وما جرى من المراسى والمدن على حكمها وسبلها وبين السلطان عظيم البرتغال وقويهم (دون جوزة الأول) ملك القريس وجميع لونكيست، وصاحب سفن ومتجر بلاد الحبشة وارايبا وبورسيا والهند وثنى والباقي من إيالته بواسطة من ناب عنه فى عقد المهادنة المذكورة وهو قونصو الجرال ابن بن نارد وسيمويس المثبت فى مكان الباشدور المتوجه من قبل سلطان البرتغال، المتوفى بإيالة سيدنا نصره الله على شروط تذكر.

الشرط الأول:

وقعت المهادنة المذكورة فيما بين سيدنا نصره الله وبين ملك البرتقال على أن يدخل جميع من يريد الدخول إلى إيالة سيدنا نصره الله بقصد شراء ما احتاج إليه أو تجارة أو غير ذلك، وكذلك من كان من رعية السلطان المذكور له الدخول لإيالة ملك البرتكال، والخروج من غير أن يتعرض له معارض، ويتعاطى بها سائر أنواع التجارة وضرب المعاملة، وكذلك سائر مراكب سيدنا نصره الله الجهادية وسفنه لها

الدخول والمقام بجميع مراسى سلطان البرتغال لقضاء ما تحتاج إليه، وما ألتأتها حوادث البحر لقضائه، وبجميع مراكب ملك البرتغال وسفنه مثل ذلك، فى مراسى سيدنا نصره الله فى الثانى عشر من رمضان عام ١١٨٧.

الشرط الثانى:

كل مركب من مراكب البرتغال ألجأه الدخول لبعض مراسى سيدنا نصره الله لقضاء ما اضطر إليه وأراد شراء ما احتاج إليه من قوته وجميع الأمور الضرورية التى افتقر إليها فى نفسه له ابتياح ذلك بالسعر الذى هو مقرر للبيع فى المرسى الذى دخل إليها، ولا يكلف بإعطاء شىء زائد على الثمن المعين بها، ولجميع سفن سيدنا نصره الله ومراكبه لهم قضاء ما يحتاجون له فى جميع مراسى البرتغال.

الشرط الثالث:

إذا لقى مركب من مراكب البرتغال سفينة من سفن سيدنا نصره الله الجهادية فى داخل بحر البرتغال، فإن كان مركب البرتقىز يعد للتجارة فمركب سيدنا يرسل فلوكته للمركب المذكور إن شاء ليطلع على ما بيده من أوراق البحر، لكون مركب البرتقىز عليه مشقة فى الإتيان له لقلة بحريته، وإن كان المركب البرتقىزى معداً للحرب فإنه هو الذى يتدئ بالإرسال لمركب سيدنا نصره الله إن أراد الاطلاع على الأوراق المذكورة ويجرى ذلك على المنوال الذى عقده سيدنا مع الإصبنبول.

الشرط الرابع:

أن جميع مراكب سيدنا نصره الله الجهادية إذا لقى أحدهم مركباً من مراكب ما عدا البرتقىز ممن ليس بينه وبين سيدنا نصره الله مهادنة، فمركب سيدنا لا يطارده ليأخذه إلا فى حدود يجاوز عشر ليكوات فى البحر من مراسى البرتغال،

ومهما جاوز المركب الذى يريد أحد مراكب سيدنا أخذه الحد المذكور فلا يطالب بوجه من الوجوه لدخوله تحت حماية جنس البرتقيز المعاهدين، فإذا لقي مركب سيدنا أحد سفن البرتقيز يأخذ منه وثيقة مسجلة بخط رانس المركب البلوط ومن معه معتبراً فى المركب أنه لقيه فى موضع كذا ويسمى الموضع الذى التقى به ليطلع سيدنا نصره الله عند رجوع مركبه المذكور.

الشرط الخامس:

إشارة بين مراكب سيدنا نصره الله وبين سفن سلطان البرتقال إذا لقي أحد مراكب سيدنا مركباً من مراكب البرتقال وكان بينهم من البعد مقدار ما يتعارفون فيه قبل الملاقاة، يخرج مركب البرتقيز مدفعاً ليتحقق منه مركب سيدنا نصره الله أنه برتقيز فيجيبه مركب سيدنا بمدفع آخر بعد نشر سنجقه المعلوم لسفنه السعيدة، ثم يرمى البرتقيز بمدفع آخر علامة بأنه فهم الإشارة، ويذهب كل واحد منهما إلى أين شاء، ولا يؤمر أحدهما بإرسال فلوكته للآخر إلا إن أراد عن طيب نفسه، وبهذه الإشارة تميز سفن سيدنا عمن عداها من سفن المسلمين من أهل الجزائر وتونس وطرابلس الذين لم يكونوا فى مهادنة مع سلطان البرتقال مخافة أن يخدع ببعض سفنهم ويظنها لسيدنا وتؤخذ بسبب الأمان.

الشرط السادس:

إذا أراد مركب من مراكب سيدنا نصره الله بعد جعل الإشارة المشار إليها أن يطلع على ما عند المركب البرتقيزى من أوراق البحر فيمكنه، لكن بعد أن يثبت بعيداً مقدار ما تصل إليه كورة اثني عشر رطلا ويرسل فلوكته مع اثنين من مركبه، ومن يلتجأ إليه لقذف الفلوكة فى حال الذهاب والإياب، فيطلع الاثنان الموجهان من قبل الرايس على ما بيد المركب الذى لقي من باسبرط الذى بخط جنس

البرتقيز، وبعد ذلك يرجع الاثنان المذكور ومن معهما لمركبهما من دون إمهال، ولا يكلفان صاحب السفينة بفحص آخر ولا تفتيش في من معه في مركبه.

الشرط السابع:

إذا خالف مركب من مراكب سيدنا نصره الله أو غليوطة من غلائطه ما تضمنه الشرط الخامس والسادس في هذا السجل من الأمارات المشار إليها على مركب برتقيزى فالركب المذكور يدافع عن نفسه برمي مدافعه ليبعد عنه المركب المذكور، مخافة أن يلتبس له بغيره فيحصل لمركب البرتقيز الضرر بسبب قربه منه فيقع في المحذور.

الشرط الثامن:

كل من دخل تحت سنجق سيدنا المعهود، لمراكبه الجهادية من المسلمين والنصارى وهو غير معاهد لسلطان البرتغال، وركب في مركب من مراكبه الشريفة فإنه يحترم بسبب دخوله فيها، فلا يصل إليه أحد من البرتقيز بوجه من الوجوه، وكذا من حمل في مركب من مراكب البرتقيز من الذين ليسوا في مهادنة مع سيدنا نصره الله فإنه يخلى سبيله ويترك حاله لدخوله تحت سنجق البرتقيز.

الشرط التاسع:

أن سيدنا نصره الله لا يرسل مراكبه الجهادية معينة لمن لم يدخل في مهادنة مع جنس البرتقيز من أهل الجزائر وتونس وطرابلس وغيرهم.

الشرط العاشر:

كل مركب هرب من جنس البرتقيز لمرسى من مراسى سيدنا أيده الله فارا من في طلبه، فلا يدع أهل مرسى سيدنا نصره الله ذلك المركب الطالب له أن يقحم عليه أو يضره بشيء لأجل دخوله في مرسى سيدنا نصره الله وتحييزه بها،

بل يحاموا عنه ويدافعوا بقدر الإمكان، ولسفن سيدنا نصره الله مثل ذلك على مراسى سلطان البرتقال.

الشرط الحادى عشر:

كل من جاء من مراكب البرتقيز فارا من عدوه أو قذف به البحر فى ساحل من إيالة سيدنا نصره الله، فهو فى حفظ وأمان من رعية سيدنا نصره الله، فلا يصل إليه أحد بضياغ، ولا ينتهب منه شىء، بل يقدم له من يسعى فى إنقاذه لكى يخلص من الخطر، ولا يكلف بإعطاء شىء عن أمتعته المستخلصة سوى أجر من قام بوظيف الخلاص بقدر عمله، وجمع ما خرج من مراكب سيدنا نصره إيالة البرتقال يكون على هذا المنوال.

الشرط الثانى عشر:

إذا اتفقت ملاقات سفينة من سفائن البرتغال بإحدى مراسى سيدنا نصره الله مع بعض عدوها، وخشيت سفينة البرتقيز عند الخروج من أن تصل إليها الأخرى فى الحال، فإن أهل مراسى سيدنا نصره الله يمنعون عدو البرتقيز من الخروج أربعة وعشرين ساعة بعد بروز سفينة البرتقيز من المرسى لتبعد عن الأخرى، وبهذا المنوال تعامل مراكب سيدنا نصره الله.

الشرط الثالث عشر:

كل من ورد من قبل ملك البرتغال يريد التجارة بإيالة سيدنا نصره الله والمقام بإحدى مراسيه يجاب لمواده، ويقر حيث شاء ويشتري كل ما لسائر التجار شراؤه من السلع من غير أن يلزمه شىء زائد على الثمن والصاكة المقررة بها، ثم له عند ذلك إرسال ما اشترى لمركبه أو إبقاؤه بداره، كما له أن يبيع ما جاء به مركبه من السلعة الواردة من بر النصارى بعد إعطاء الواجب بما شاء من الثمن أو يدعها بداره.

الشرط الرابع عشر:

من جاء من البرتقيز طالبا شراء ما هو معهود البيع من السلع المختصة بإيالة سيدنا نصره الله، ولم يجده بالموضع الذى نزل به وأراد شراءه من أرض أخرى من الإيالة المذكورة، فلا يكلف بإعطاء شىء مما اشتراه سوى ما يلزمه من الصاكة كسائر التجار عند حملة له فى مركبه وأجر من دله على الطريق أو حرسه أو قام معه بوظيف.

الشرط الخامس عشر:

القونصو أجراءل الذى عينه سلطان البرتقال ليجلس بإيالة سيدنا نصره الله، له التصرف فى دينه والقيام بأمر صلاته هو وأهل بيته وكافة خدمه وحشمه وجميع من يريد من أهل دينه استعمال الصلاة معه فى داره، وله فصال ما يحدث بين جنس البرتقيز من الخصومات فيما بينهم من غير أن يدخل فصالهم أحد قضاة سيدنا نصره الله الذين بإيالته، إلا إن كان الخصام بين مسلم ونصرانى من الجنس المذكور فليتول الفصل قاضى حضرة سيدنا نصره الله بحضور حاكم البلد التى وقع بها النزاع بين المتحاكمين.

الشرط السادس عشر:

القونصو المذكور لا يلزم بوفاء دين أحد من البرتقيز إلا إذا ألزم نفسه بذلك بخط يده بوثيقة منه.

الشرط السابع عشر:

إذا مات أحد النصارى البرتقيز فى إيالة سيدنا نصره الله فحوائجه وأمتعته تدفع للقونصو الجرال ليعت بذلك لوارثه والأقربين لنفسه.

الشرط الثامن عشر:

إذا أراد سيدنا نصره الله إبطال هذه المهادنة والصلح الواقع بينه وبين سلطان البرتغال فلا يحاربهم سيدنا نصره الله إلى بعد ستة أشهر من الإبطال، ليرحل من إيالته القونصو أجزال ومن معه من البرتقيز فى هذه المدة المذكورة، وينقلون حوائجهم وأمتعتهم من غير أن يتعرض لهم فى الأمر المشار إليه معارض من ولاية أمر سيدنا نصره الله .

الشرط التاسع عشر:

إذا حدث خلاف أو نقض شروط من هذه الشروط المرسومة فى هذه المعاهدة بين رعية سيدنا نصره الله وبين رعية البرتغال، فلا ينقض الصلح المثبوت بين سيدنا أيده الله والجنس المذكور، بل يحفظ ما حدث ويرسم ليقع جبر الخاطر وإصلاح ما فسد .

الشرط الموفى عشرون:

هذه المعاهدة المرسومة بهذا السجل بين سيدنا نصره الله وسلطان البرتغال المذكور تمضى وتسجل فى مدة ثلاثة أشهر، لكن يتدر لحفظها ثلاثة أشهر بعد ذلك .

الشرط الحادى والعشرون:

أن جميع جنس البرتقيز من انبرام هذا الصلح والمهادنة لا يمكن بوجه أسره فى مملكة سيدنا نصره الله ما دام الصلح واقعا ولا يقع بيعهم فى مملكة سيدنا نصره الله ولا يشترون من أرض أخرى ويبيعون فى إيالته، وبهذا الشرط يعامل كل من هو فى إيالة سيدنا نصره الله فلا يباع بأرضهم، كما أن من كان منهم مقبوض فى إيالة سيدنا فى يباع ولا يشتري فى إيالة سيدنا نصره الله .

الشرط الثانى والعشرون:

إذا وقع نقض لهذا الصلح من قبل سيدنا نصره الله أو من قبل سلطان البرتغال فأسارى المسلمين الذين يكونون بيد البرتقيز من إيالة سيدنا نصره الله بعد النقض المذكور لا يكون فى حكم الأسرى، بل يضمحل عنهم اسم الاستيسار ولا يكلفون بعمل إلى أن يسرحوا، وكذلك ما استيسره سيدنا نصره الله من جنس البرتقيز فإنه يعامل بهذا الوجه، ويكون أسرهم كالمسجونين ولا يكلفون بعمل كذلك إلى أن يقع تسريحهم من قبل سيدنا نصره الله» انتهى.

obeikandi.com

مع الدولة العثمانية

كانت الروابط بين صاحب الترجمة والدولة العثمانية موصولة الأسباب، وثيقة الأطناب، وطالما أعانها بالأموال الطائلة الوافرة، وأهدى من نفيس لسلطينها الهدايا الفاخرة، ووجه لهم الوفود والسفراء، من الأعيان والكبراء، وقد اتصلت المودة بينه وبين السلطان مصطفى الثالث بن أحمد الرابع المتولى سنة ١١٧١ إلى أن مات سنة ١١٨٦، وخلفه أخوه السلطان عبد الحميد الأول فسار معه المترجم على ما كان عليه مع أخيه من قبله، واتصلت بينهما المودة إلى أن مات سنة ١٢٠٣ وتبعه المترجم فى السنة بعدها.

ففى سنة ١١٧٥ وجه للسلطان مصطفى المذكور بالأستانة العلية الحاج الخياط عديل سفيراً بهدية ورسالة يهنئه بالملك، ويقرر أسباب المودة والإخاء فى ذات الله، فكافأة على هديته مع رسوله بهدية من آلة الحرب والمدافع والمهاريس وآلة المراكب القرصانية.

وفى سنة ١١٧٩ بعث إليه بكاتبه الفقهي السيد الطاهر بن عبد السلام السلوى والسيد الطاهر بنانى الرباطى سفيرين وأصحابهما هدية نفيسة فيها خيل عتاق بسروج مثقلة بالذهب مرصعة بالجوهر والياقوت ونفيس الأحجار، وفيها أسياف محلاة مرصعة بالياقوت المختلف الألوان، وفيها حلى من عمل المغرب وبنود منسوجة بالذهب من عمل فاس، فابتهج السلطان مصطفى بذلك، وكافأ عليه بمركب موسوق من آلة الحرب مدافع ومهاريس وبارود وإقامة كثيرة للمراكب القرصانية من كل ما تحتاج إليه.

قال أبو عبد الله بن على الدكالى السلوى فى إتخاف أشراف الملا، لما ذكر

طبقة أدباء سلا:

ومنهم المحاضر الأديب
محمد الطاهر وهو ابن على
كان بعصر الملك المعظم
غدا جليسا كاتباً موجهها
برع في العلم وفي الآداب
سافر عنه لبلاد الترك
وحمل الهدية العظيمة
ما بين أفراس وحلى وتحف
وكان من أهم ماله قصد
مما به مصلحة الأسطول
وأن يزال الحلى عن مصاحفا
لما تعذر انتفاع الواقف
وأن يعاد جلدها جديدا
وقيمة الحلى على الأشراف
فاعمل النظر مصطفى وحل
ثم اشترى مصاحفا بعدها
وجعل الثواب للذى وقف
وخاطب المولى بهذه المصلحة
تأدبا مع الرسول المصطفى

الكاتب المبرز الأديب
ثم ابن عبد للسلام منجلى
منصور دولة العلاء الأفخم
إلى ملوك عصره منزها
وفي الدهاء بادی الإعجاب
في عهد مصطفى الجميل النسك
ولم تزل معروفة فخيمة
ونخب جلت وفاقت في الطرف
جلب المدافع وإحكام عدد
والعود بالخير وبالمأمول
كانت لدى الحرام وقفا شرفا
بها وخيف من مآل التلف
ويحصل النفع ولا مزيدا
تفرق مع محاج الأطراف
بتركها بحالها وقفا كمل
ووقفت يتلى بها لنفعها
أولها فأمنت من التلف
وأنها أعلى الآراء الناجحة
وحفظ آثار الجود الشرفا

ثمت عاد ثانيا سفيراً
 لأجل أن يفتدوا الأسارى
 بمائتى ألف من الريال
 وشاء من عبد الحميد^(١) أن يرا
 فوجه التركى بسفن أربع
 فتم الافتدا بذاك المال
 انافت الأسرى على العشرينا
 ذكره مؤرخ تركى
 وخاطب الصدر السفير هايرا
 فقال ممكن له ما ترتضى
 وكان من أمر غزير السلف
 وكم لهذا الشيخ من سفارة
 حج وزار ورأى المعالم
 فى عهد نجل مصطفى^(١) ظهيرا
 من كل أقطار لدى النصارى
 مع ثلاثمائة من مال
 برأيه فى فكها محررا
 للمالطة لأجل فصل المنزع
 وعظم الأجر بكل حال
 من الألوف عددا مبينا
 (جودت) عثمانى به حرى
 أميرك القرض لنفع غزرا
 وليس يعتاص كهذا الغرض
 ما جل ذكره لعهد الخلف
 عادت بربح القطر والعمارة
 وقيد (الرحلة) فيما أبهما

ثم إن المترجم وجه خديمه الرئيس عبد الكريم راغون التطوانى سفيرا سنة
 ١١٨٠ للسلطان مصطفى، وأصحه كتابا يتضمن التعزية فيما أصاب الأسطول
 العثمانى من الروس وزوده بهدية نفسية للسلطان مكافأة له على هديته التى أرسلها
 مع بنانى وابن عبد السلام.

ولما دخلت سنة إحدى وثمانين ورد الحاج عبد الكريم المذكور من سفارته
 عند السلطان المذكور ومعه هدية عظيمة أعظم من الأولى، تشتمل على مركب

(١) فى هامش المطبوع: «الصواب أن عبد الحميد أخ لمصطفى».

موسوق بالمدافع والمهاريس النحاسية وإقامتها وإقامة المراكب القرصانية وغير ذلك من آلات البحر، ومعها بعثة حربية تركية تتركب من ثلاثين من مهرة المعلمين، فنزلوا بمرسى العرائش، ومنها توجهوا لمكناس حيث مثلوا بين يدي صاحب الترجمة فكان بينهم ما تقدم عند الكلام على اهتمامه بالأساطيل البحرية.

ولما مات السلطان مصطفى المذكور وبويع لأخيه السلطان عبد الحميد سنة ١١٨٦، وجه له المترجم رسوله سفيرا بكتاب التهنية له بالملك وتجديد المودة، وهدية فيها طرف عظيمة من طرف المغرب وسارت معها أربع مراكب من المراكب المغربية.

ثم وجه المترجم خديمه القائد علال الدراوى، والقائد قدور البرنوصى، والكاتب السيد محمد الحافى الذى كان توجه لفداء أسارى الأتراك من جزيرة مالطة، فأنكر أهلها الفداء وردوا المال، فوجه المترجم ذلك المال البالغ قدره مائتى ألف ريال وأربعة وسبعين ألف ريال مع المذكورين ليدفعوه للسلطان عبد الحميد ويقولوا له إن هذا المال أخرجه أمير المؤمنين لفكك أسارى المسلمين، وحيث رده الكفار ولم يتيسر الفداء لا يرجع إلينا، فأنفقه فى فداء الأسرى أو فى الجهاد أو فيما يظهر لكم وكتب لهم بذلك كتابا للسلطان عبد الحميد، وذكر فيه حال حكام أهل الجزائر وما هم عليه من الجور والظلم لضعفاء العرب الذين كانت وفودهم تلوذ بصاحب الترجمة وتشكو إليه ما أصابها، فكان يكتب أولئك الحكام^(١) ويحضهم على العدل وينهاهم عن الظلم فلا يسمعون له كلاما بل يقابلون من يأتيهم بمكاتبه ورسائله بالعقوبة الفادحة، فلما أعياه أمرهم كتب بهم للسلطان المذكور مع هذه السفارة.

(١) فى هامش المطبوع: «العل هؤلاء الحكام هم المراد بالترك فى استفتاء المترجم للشيخ التاودى المذكور فى فتاويه فيما فعلوه مع بعض المسلمين ممن شملتهم ولايتهم لما حضروا مع المترجم حصار مليلية، فلما رجعوا إليهم أباحوا دماءهم.

ثم وجه بعد هذه السفارة عبد الكريم العونى أحد أعيان تطوان بهدية منها اثنا عشر قطارا مع ملح البارود فى أربعة مراكب، وكتاب آخر فى شأن أهل الجزائر وضررهم بالمسلمين، فلما بلغ الدولة الكتاب أرسلت إلى حاكمى الجزائر وتونس تأمرهم بالتأدب مع المترجم وتنفيذ ما يكتب لهم به، وأن يفعلوا معه من أنواع الأدب ما يفعلونه مع السلطان عبد الحميد.

ورجع مع العونى أحد كتاب الدولة إسماعيل أفندى سفيرا من السلطان عبد الحميد مصحوبا بهدية وكتاب، فوجه السلطان المترجم كبير الطبجية القائد الطاهر فنيش لمرافقته للرباط، وكان يوم استقبال السفير المذكور يوم العيد بعد إقامة سنة صلاته، فقرأ كتاب العثماني فى مشهد حفيل بجامع السنة، وكان فيه الاعتذار عن أهل الجزائر والإيضاء بهم وبأهل تونس.

ثم بعث المترجم بعد ذلك كاتبيه السيد محمد بن عثمان والسيد محمد الموزيق، وصهره مولاي عبد الملك بن إدريس بمكاتبة للسلطان عبد الحميد، ووجه معهم شيخ الركب النبوى الحاج عبد الكريم بن يحيى، ومن هناك أمرهم بالتوجه للحج مع أمين الصرة الشريفة.

وكان خروجهم من حضرته وهو بالرباط فى مهل محرم سنة ١٢٥٠ بعدما أصحبهم هداياه المالية لأشراف الحرمين وغيرهم، وقدرها ثلاثمائة ألف ريال وستون ألف ريال وأربعون ألفا من الضبلون والمنيضة والبندقى ما بين ذهب وفضة على عادته فى كل سنة، وسار معهم إسماعيل أفندى السفير العثماني الذى كان ورد على أبوابه قبل ذلك.

وذكر الزيانى أنه آخر عن السفر معهم بعد ذلك إلى أن سار معه هو فى سفارته ولما لم يتيسر لهم الركوب من تطوان لشدة هيجان البحر بعد أن أقاموا فيها أربعة أشهر ونصف، توجهوا لطنجة، ومنها كان ركوبهم بثنى رجب من السنة

بعد إقامتهم فيها نحو شهر ونصف فى مركب إسباني بعثه ملك الإسبان إجابة لرغبة المترجم ليقبلهم إلى قرطاجنة .

ومنها ركبوا فى سفينة حربية كبيرة أرسى بهم فى سرقوسة بصقلية للترود وأقيمت لهم على ظهره حفلة راقصة حضرها أهل المدينة وأعيانها بعد أن استدعوا السفارة مرارا للنزول لبلدهم فاعتذرت ثم تحركت بهم إلى القسطنطينية فى رابع رمضان فوصلوها رابع شوال وأنزلوا فيها بدار خاصة، وترادفت عليهم أعيان الدولة بالهدايا، وبعد خمسة أيام استدعاهم الوزير لمقابلته فساروا إليه فى موكبهم لداره، ولما وصلوا قبته قام إليهم واستفهمهم عن حال السفر وما أصابهم من التعب وما يناسب المقام، وقدمت إليهم الأشربة والطيب والبخور، ثم خلعت عليهم خلع من أرفع الثياب يقال لها «الأكراك» وخلع على أصحابهم، ثم خرجوا من حضرة الوزير بعد ما دفعوا له الرسائل السلطانية على ما جرت به العادة مع تقديمها للوزير أولا لترجم وتفهم، وساروا إلى خليفته المسمى بالكاهية، ففعل معهم مثل ما فعل رئيسه، ثم ساروا إلى الدفتدار ففعل كذلك ثم انقلبوا لمحل نزولهم .

ثم بعد ذلك بعث لهم بالإعلام بوقت مقابلة السلطان، ولما كنت ليلة السابع والعشرين من الشهر أتى لمحل النزول جماعة من الناس مشاة وركبانا وأعلموهم بالتوجه للمقابلة، فركبوا عند مطلع الفجر الخيول وسار موكبهم تتقدمه خيول الركبان وتحف به المشاة إلى مسجد صلوا به الفجر، ولما وصلوا دار الوزير وقف السير عندها فخرج إليهم عند طلوع الشمس فى موكبه، وأشار إليهم بالسلاح فردوا عليه بمثله، وتقدمهم إلى القصر السلطاني، فلما وصلوه دخل الوزير لمحلته منه وجلسوا هم فى الانتظار، ثم دعوا بعد ذلك إلى قبة، فلما قعدوا فيها خرج إليهم الوزير فأشار بالسلام فردوا عليه كذلك، وجلس وقعد عن بعيد من يساره قاضى العسكر وأخذ فى مباشرة أشغاله الرسمية وتوقيعاته الوزارية .

ولما فرغ من ذلك أتى بالغذاء فتناولوا منه على المائدة الوزيرية، ثم أخرجوا من حضرته إلى قبة أخرى وأحضرت لهم الخلع فألبسوها، ثم خرجوا من هناك إلى محل فقعدوا فيه هنيئة ثم دعوا إلى الدخول على السلطان، فدخلوا بابا قد اصطفت فيه الرجال، وتقدم إليهم رجال عينوا للدخول بهم فأمسك بثوب كل واحد منهم رجلان أحدهما عن اليمين والآخر عن اليسار، ثم دخلوا بابا آخر وقف فيه الحجاب، ثم دخلوا على قبة السلطان فوجدوه جالسا على مرتبة والوزير قائم عن يمينه فتكلم الوزير بالتركية كأنه يعلم السلطان بالوفد ومن أين أتى على العادة فى ذلك، ثم قربت إلى السلطان الهدية التى جاءت بها السفارة فاستلمها رجل مسن، ودفعها للوزير يدفعها للسلطان.

وبعد أن وقفوا أمامه مقدارا قليلا خرجوا من عنده على الهيئة الأولى وركبوا الخيل وأخذ أعيان الدولة يمرون عليهم كل فى موكبه، ثم خرج الوزير فرجعوا بعده لمحل نزولهم وانفض بذلك الجمع الذى وقع لهذا الاقتبال الذى جاء غريبا فى بابه لأن لقاء السفراء عندهم إنما يقع فى الأعياد أو فى يوم الديوان الذى يفرق فيه الراتب على العساكر.

ولما كان وصول هذه السفارة قد تأخر عن سفر ركب الحجاج أقامت بالقسطنطينية بين معاهدها ومشاهدها فى انتظار الموسم القابل، وفى الثانى والعشرين من رجب سنة ١٢٠١ استدعاهم الصدر الأعظم للوداع فتوجهوا إليه على الهيئة المتقدمة.

فلما دخلوا عليه قام إليهم وقعدوا معه وتناولوا بعض الأشربة وأجرى ذكر الحرب الناشبة بين الدولة وبين الروس والنمسا وطلب منهم الدعاء للدولة بالنصر على أعدائها فى المشاهد الكريمة من البقاع الطاهرة، ثم أحضرت لهم الخلع ولجميع أصحابهم وودعوه وساروا إلى خليفته ثم إلى الرئيس أفندى الذى هو

رئيس الكتاب، ثم انصرفوا للتأهب للسفر من الغد، وكان السلطان قد أعد لهم المحامل والخيام والبهائم لركوبهم وحمل أمتعتهم وأثقالهم اعتناء بأمهم، فاخترقوا الأناضول والشام إلى دمشق فمكثوا بها ثمانية وثلاثين يوما، وخرجوا منها ليلة التاسع عشر من شوال.

وذهبوا على طريق معان والعقبة للمدينة المنورة فزاروا ومنها لمكة فزلوا بظاهرها في سابع ذي الحجة وأقاموا بها بعد أداء المناسك إلى السابع والعشرين من ذي الحجة، فرجعوا مع الركب الشامي للمدينة فدمشق، وخرجوا منها في تاسع ربيع الأول إلى عكا فأنزلهم صاحبها أحمد باشا الجزار في أحسن حال، وأقاموا فيها تسعة أيام عينوا فيها المركب الذي يحملهم في البحر، وتركوه يستعد وذهبوا للقدس والخليل وفي السابع والعشرين من ربيع الثاني ركبوا البحر وأرست بهم السفينة بقبرص نحو العشرة أيام، ثم سارت بهم لتونس حيث أنزلهم أميرها وتقدموا للجزائر فالمغرب برا، وكان دخولهم لفاس آخر شعبان سنة ١٢٠٢.

ولما سمع المترجم بورود السفارة بعث إليها أن تخرج إليه، فكان اللقاء بمخيمه من وادي العطشان بين فاس ومكناس.

قال ابن عثمان: فتركنا بحضرته، والتمتع برؤيته، وختمنا أعمالنا بمشاهدة أنوار طلعت، ولله الحمد، ثم تعاطينا معه أكرمه الله وأعزه أخبار الحرمين الشريفين والمشرق والشام والقسطنطينية وغيرها من البلدان التي رأيناها ومررنا بها. لخ.

وقد فصل ابن عثمان أخبار هذه الوجهة وبين مراحلها بالساعات في رحلته الثالثة المسماة بـ (إحراز المعلى والرقيب، في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب) وكان جمعه لها بأمر المترجم له عند سفره حسبما أشار لذلك صدرها.

وفى سنة ١٢٠٠ أرسل السلطان المترجم كاتبه أبا القاسم الزيانى سفيرا للأستانة بهدية عظيمة للسلطان عبد الحميد، من جملتها أحمال من سبائك الذهب الخالص مثل بارات الجديد وأربعة آلاف قنطار من النحاس فأقام هناك مائة يوم فى رعاية وإكرام إلى أن قضى الغرض وقابل السلطان، واشترى الكتب التى أوصاه المترجم بشرائها ووجد سفارة الكاتيين قبله لازالت هناك فى انتظار موسم الحج من العام القابل.

ولما أراد الرجوع وجه معه السلطان وبلغه مكاتب السلطان عبد الحميد وهديته وقص عليه خبر سفارته وما قال وما قيل له وأنهم أبدوا له رغبتهم فى السلف من المترجم، فأمر بتوجيه إعانة للدولة على الجهاد وقدرها ستمائة ألف ريال وخمسين ألف ريال سبائك ذهبية جعلها فى صناديق، وختم عليها ووجهها على يد ملك إسبانيا فملك فرنسا وهو يبلغها للسلطان عبد الحميد.

فجاء الجواب ببلوغ المال فى ستين يوما، وكان قد جاء كاتب آخر وجهوه بعد الذى ورد مع الزيانى، فبعث لهما المترجم الجواب المذكور، فتعجبا من علو همته وحسن مسارعته لأعمال الخير والبر، ثم كتب لهما الجواب وأرجعهما مكرمين.

وكان قصده رحمه الله بإرسال تلك الإعانة على الوجه المذكور الفخر على الملوك وإظهار الغنى وكمال الثروة للدول، وقد بين الزيانى سفارته هذه فى كتابه الترجمانة الكبرى، الجامعة لأخبار المعمور برا وبحرا.

وفى سنة ١٢٠٢ ورد عليه سفير السلطان عبد الحميد خان المذكور وهو كاتب ديوانه أحمد أفندى فى جملة من أعيان القسطنطينية مصحوبا بهدية فاخرة منها سفر واحد مشتمل على صحيحى البخارى، ومسلم، والموطأ، والمسانيد

الستة، والشمائل، وعمل اليوم والليلة. قال فى درة السلوك: والسفر الجامع لما ذكر غير كبير الجرم، ومنها سروج ثلاثة مرصعة بالجواهر، وصينية ذهباً وكؤوس عشرة من الذهب أيضاً وبراد ذهباً، كذلك الجميع مرصع بالجواهر واليواقيت والألماس، وجنيتان مرصعتان بالألماس وراية عظيمة من الحرير الأخضر مكتوب عليها بالذهب الأحمر آيات قرآنية، وتخوت وثياب من عمل الهند وحلب، منسوج بالذهب، ومصحف كريم محلى بالذهب مرصع بالجواهر، وأقواس للرمل محلاة بالذهب مرصعات بالجواهر، وبسط أرمنية بمخائدها وسجاداتها.

وفى سنة ١٢٠٣ أرسل السلطان المترجم صاحبه القائد محمد الزوين ولد القائد عبد الله الرحمانى وأخ زوجه السيدة البتول الرحمانية سفيرا للسلطان عبد الحميد مصحوبا ببعض الأسارى الذين أنقذوا مما كانوا فيه، وهدية من جملتها ثلاثون وصيفا من الأرقاء وفرسان من عتاق الصافنات الجياد، وسرجان مزركشان بالذهب مرصعان بأنفس الجواهر، وسفن أربع عدة رجالها نحو أربعمئة رجل بين رؤساء وبحرية وطبجية، وكان رؤساء تلك السفن الذين ذهبوا بها الرئيس على الصابونجى السلوى والرئيس قدور شايب عينو الرباطى والرئيس عبد الله العمرى السلوى والرئيس محمد العنقى^(١) الرباطى التركى الأصل حسبما وجدت أسماؤهم بخط كاتب الديوان الجهادى بسلا فى ذلك العهد، سيدى عبد القادر الجعيدى، وإليك نص الكتاب الذى توجه به السفير المذكور:

«المقام المتوج بتاج العز والعناية والسيادة، والمحلى بحلية الفضل والمجادة، البالغ فى أفعال الخير حد النهاية، والكوكب الطالع فى برج اليمن والسعادة، معدن السادات الأخيار، الأجلاء المجاهدين لأعداء الله الكفار، من جعلهم الله

(١) فى هامش المطبوع: «بالرباط قرب السوق من ناحية المسجد الأعظم يسمى إلى الآن بدرب العنقى».

حماة للإسلام، وأنام سبحانه فى ظلهم جميع الأنام، سلطان البرين، وخاقان البحرين، وخديم الحرمين الشريفين، السلطان بن السلطان عبد الحميد خان بن أحمد خان جعل الله أيامهم السعيدة كلها محمودة، ومآثرهم الكريمة شهيرة مشهودة، سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته ورضوانه.

أما بعد فيصل حضرة أخينا المنصور بالله، صحبة خديمنا القائد محمد بن عبد الله، خمسمائة أسير وستة وثلاثون أسيرا من الله تبارك وتعالى عليهم وأنقذهم من الأسر والحمد لله الذى من علينا بإنقاذ إخواننا المسلمين من يد الكفرة، كما يصل حضرة أخينا العلية بالله أربعة مراكب من مراكبنا الجهادية هدية منا إليك، ونطلب من الله النصر والتمكين، والفتح المبين، لنا ولكم ولسائر المسلمين، وأن تكون عساكر المسلمين أعزة منصوره، وأعداء الله الكفرة أذلة مقهورة، والسلام فى أوائل شعبان عام ١٢٠٣هـ.

ومن إعانة المترجم للدولة العثمانية ما وجهه لها مع القائد مبارك بن همداد، والأمين الحاج عبد الله الشرايبي وهو ستمائة ألف ريال، وما بعثه مع القائد الطاهر فنيش وهو أربعة آلاف برميل من البارود فى كل واحد منها قنطار، ووجه معه مرة أخرى أربعة مراكب قرصانية.

وبعث للسلطان عبد الحميد مرة ثلاث سفن جهادية بإقامتها، واثنى عشر مائة قنطار من البارود الرومى، وأربعة آلاف قنطار من ملح البارود المغربية بعد تصفيتها، واثنى عشر مائة قنطار من النحاس، وثلاثمائة ألف دينار وخمس عشرة وصيفة من قصر الخلافة كلهن ماهرات فى الطبخ، ومصحفا كريما محلى بالذهب مرصعا بالألماس يساوى مائة ألف دينار، وسرجين، وجبنتين، الجميع مكلل بالدر والياقوت، وعشرين مدفعا من المدافع الكبار النحاسية، وعشرة من الخيل العتاق العرب التى لا يوجد فى دول العجم مثلها.

علاقته مع إسبانيا

كان سبب نشوء العلائق بين المترجم ودولة إسبانيا وجود أسارى المسلمين فى بلادها، وقد علمت رغبته رحمه الله فى افتدائهم من أى بلاد كانوا، وتقرر أمرها واشتهر، فاتفق أن وردت إليه عدة رسائل من أولئك الأسارى وفيهم بعض الطلبة وعلماء الدين يعلمونه بما هم فيه من الشدة والضيق، فلما اتصل بها تمكنت منه ضراعتهم فأمر لهم بصلة حسنة، حسبما هى عادته معهم فى كل سنة.

وكتب فى الحال لملك الإسبان (كارلوس الثالث) يقول له: إننا فى ديننا لا يسعنا إهمال الأسارى وإبقاؤهم فى قيد الأسر، ولا حجة للتغافل عنهم ممن ولاه الله التصرف والأمر، وفيما نظن أن فى دينكم لا يسوغ لكم ترك أساراكم فى الأسر مع الإمكان والاستطاعة ووجود ما يفتدون به من أسارى المسلمين واتساع البضاعة، فما للتغافل من الجهتين وجه يعتبر، ولا أمر ينتظر، والحرب سجال، فى المبارزة والنزال.

ومسألة هى من أعظم هذا كله، هى إغفالكم عن البحث فى أسارى المسلمين حتى يتبين لكم العالم بعلمه، والجاهل بجهله، ثم تجعلون لأهل حرمة ومكانة، وعزة وصيانة، بحيث تجعلون لهم كعلامة يميزون بها عن الغير، حتى لا يقع أحد فيهم بشتم ولا بهضم حرمة فى مقامهم والسير، مثل ما نفعله نحن بأساراكم من الفريالية، إن قدر الله بأسرهم لا نكلفهم بخدمة، ولا نخفر لهم ذمة، فعلام تحترمون الرؤساء من الأسارى؟ ولا تعبئون بحامل كتاب الله، على أنهم أفضل منهم عند الله، ومطلق أساراكم لا نحملهم ما لا يطيقون، ولا نلزمهم ما لا عليه يقدرون، نترك مريضهم لمرضه، ونسمع ضراعتهم ونصت لما يقولون، فتأمل ذلك فى نفسك، واعمل بمقتضاه وأمر به أبناء جنسك.

فلما وصل هذا الكتاب للملك سر به وأمر فى الحين بإطلاق الأسارى الذين بحضرته وبعث بهم للمترجم، وأخذ يبحث عمن بقى من أسارى المغرب متفرقا فى بلاده، وأجاب بتلطف وتودد وتحبب ورغب فى المهادنة مثل ما وقع لمن تقدمه من الدول.

فلما وصل كتابه للمترجم بذلك وقع منه موقعا حسنا، وأمر على الفور بمقابلة الجميل بمثله، فأطلق لملك الأسبان سراح جميع الأسارى الإسبان، وقدم له اثنين من رجال الدين عندهم كانا أسيرين منذ مدة، وبعث له بعدة من الأسود هدية، وكتب له كتابا بذلك ووعد بالمهادنة وسراح أسارى من غير جنسه، لتكون له بذلك مزية على غيره من الدول، وإشارة لما ينبغى من عدم التفرقة بين أسارى المغرب وأسارى غيره من بلاد الإسلام.

ووجه الجميع على يد حاكم سبتة، فلما وصل ذلك للملك سر بذلك كل السرور وشمر عن ساعد الجد، وهيا هدية بالغ فيها غاية الجهد، وبعثها مع كبير الرهبان وبعض الضباط، وأصبحهم كتابه مع السفن لحمل الأسارى الذين سرحوا، والفرقة الموعود بها وطلب من المترجم أن يبعث له ببعض رجال دولته لتكمل بذلك المواصله ويشتهر أمرها، فأسعفه بذلك وبعث إليه خاليه عمارة بن موسى الأودى، ومحمد بن ناصر الأودى، وأحد كتابه أبا العباس أحمد الغزال، ووجه معهم عدة من الإبل وعتاق الخيل، هدية للملك لما له فى ذلك من المحبة والميل.

ولما حان وقت التشيع لقن الكاتب المذكور ما يكون عليه عمله، وأوصاه بتفقد حال بقية الأسارى واختبار أمورهم، وأعطاه صلة أنعم بها عليهم، وأمره أن يحصى كل واحد باسمه ولقبه، واسم رئيسه ومركبه، وتميز الحامل لكتاب الله من غيره ومواعدة الجميع بخير، وأمره بتقييد ما يلقى فى رحلته، ووصف ما يرى فى وجهته، وأحضر سفراء الملك ودفع لهم الأسارى الطاعنين فى السن من غير

جنسهم، وخرج الجميع من مكناسة لطنجة، ومنها كان ركوبهم لإسبانيا، ودخلوا فى طريقهم لسبته منتصف ذى الحجة سنة ١١٧٩، وأطلقت لأجل حلولهم بها المدافع، وتلقوا فيها بكل ترحيب، وأقاموا فيها ستة أيام، فى رعاية وإكرام.

وطلب منهم حاكم المدينة أن يكلموا له المجاهدين المرابطين على أبواب سبته وحدودها ليتركوا مواشى المدينة ترعى قرب رباطهم بقليل، فأجيب إلى ذلك.

وفى الواحد والعشرين من ذى الحجة ركبت السفارة منها البحر للجزيرة الخضراء، وشيعت بالمدافع كما تلقت بمثل ذلك فى الجزيرة، وأقيمت فيها حفلة رقص تكريما لها، حضرها حاكم المدينة وغيره، ومن الغد اتصل الحاكم بكتاب ملكه يخبره أنه بعث خمس مراكب لمرسى سبته لعبور السفارة عليها، وأمره إذا كانت قد عبرت قبل وصول الكتاب أن يبقوها فى ضيافته ثلاثة أيام حتى تجيء الخيل التى بعثها للسفارة، فإذا مرت الأيام دون مجيئها فليبعثها مع ثلاثين فارسا مما عنده.

ومن الجزيرة ساروا لمدينة طريف فدخلوها فى ازدحام عظيم واحتفال كبير كما خرجوا منها فى مثل ذلك إلى مدينة (حراثة) حيث التقوا بالخيال المبعوثة من الملك مع الفسيان المكلف بمصاحبته، وقد ذكر لهم اعتناء الملك بهم وتشوفه لملاقاتهم، وأقيمت للسفارة فى هذه المدينة حفلة رقص وشاهدت مصارعة الثيران، المعروفة عن الإسبان، ثم ساروا لمدينة (حريز) ومنها لـ (الابريخة) فـ (بلاصيوص وبلا فرنكة) فإشبيلية، حيث نزلوا منها بقصر فخم للملك وشاهدوا جامعها الأعظم ومصنع المدافع والمدرسة البحرية، ومنها ساروا لمدينة قرطبة على طريق قرمونة (فالقوينسى) فـ (أيسخا) فـ (الراملة) فزاروا جامعها الشهير ورأى فيه الغزال لوحين كتبت فيهما البسملة والصلاة على النبى ﷺ موضوعتين بعتبة بعض

الأماكن المخصصة لسكنى الرهبان، فاقترح عليهم رفعهما لأعلى سور المسجد تكرمتهما لما فيهما، فأجابوه لذلك بعد أن راجوا وماجوا واعتذروا، ثم ساروا منها يخترقون البلاد إلى عاصمة مدريد، ومنذ خرجوا من قرطبة ورسل الملك تتردد عليهم بالترحيب والسلام من قبله، ثم يرجعون إليه.

ولما دنوا من مدريد وكان هو في بعض ضواحيها أرسل إليهم أحد أعيان رجاله مصاحباً لكتابه مضمونه التهئة بالقدوم وأمر الفسيان المكلف بمرافقتهم بالذهاب بهم إلى مدريد، كما أمر بالاستعداد لدخولهم إليها، وأن يكون اليوم مشهوداً، وأن يذهب بهم إلى أماكن خاصة ليروها، وقد كانت السفارة تقابل في المدن التي مرت عليها في طريقها لمدير بالحقافة العظيمة ويحتشد الناس لرؤيتها من أطراف البلاد وتحيا بالمدافع والموسيقى والسواريح، وتذهب في خفارة الجنود المصلية السيوف إلى الدور المعدة لنزولها، وتقام لها حفلات الاقتبال والرقص والغناء لأعيان المدينة، وتدعى للحفلات والمشاهد.

ولما وصوا لمدير نزلوا فيها بالقصر المخصص لنزولهم، وهو قصر بديع بناه فيليب الرابع، ولم تزل أعيان الدولة الإسبانية تتوارد إليهم بقصد السلام والترحيب حتى إنهم لم يجدوا استراحة مقدار لحظة، ثم ورد خبر موت أم الملك فأعلن الحداد عليها في البلاط الملوكي وتأخرت بسبب ذلك مقابلة الملك حسبما أفصح بذلك وزيره في رسائله للسفارة، وقد أقاموا بمدريد ما يزيد على الشهر بأيام قلائل، زاروا في أثناءه بعض مشاهدها ومنتزهاتها وقصورها.

وكان الجمهور الإسباني يجتمع كل عشية حول القصر الذي نزلوا فيه رغبة في مشاهدتهم فكانوا يشرفون عليهم مشيرين إليهم بالتحية فيضجون بالدعاء للسلطان المترجم ويتفرقون مسرورين، ثم يجتمع مثل ذلك في الغد، وهكذا وفي مدريد تقدمت إليهم شكوى من أربع وعشرين من أسارى المسلمين فوجهت لهم بالمستشفى صلة ووعدوا خيراً.

ثم بعث لهم الملك بأكداش ليركبوها ويذهبوا إليه للمدينة التى هو بها، فخرجوا من مدريد عاشر ربيع الأول سنة ١١٨٠ ومروا على الطريق الجارى العمل بتمهيدها قرب قرية (ورامة)، وكان أسارى المسلمين يعملون هناك فى شق الجبال وهد الشواحق بالبارود، وكانوا يصابون فى ذلك ولم يتيسر للسفارة لقاءهم لأنها كانت تسرى ليلا فلم تشعر إلا وقد جاوزت محل قرارهم الذى واعدتهم باللقاء عنده، فكتبت لهم إنها ستلاقيهم عند الأوبة.

ولما أشرفوا على (لا كرنخة) مقر الملك ومصيفه خرج لاستقبالهم أعيان الدولة ووزراؤها مرجعين مهنيين بالنيابة عن ملكهم، وقدموا لهم أكداشا ركبوها، وساروا فى جمع عظيم إلى محل النزول، ومن الغد استدعاهم الوزير لمحله فذهبوا إليه، وجرى بينهم الحديث فى علائق الدولتين ومحبة الملك للسلطان وأنه مسرور من إيضاء السلطان على الإسبان، الواردين على المراسى المغربية بالإحسان، ثم أخبرهم بأن لقاء الملك يكون من الغد.

وفى الغد أتاهم الوزير بكدش يركبه الملك، وأخبرهم أنه يريد رؤيتهم، فركبوا إليه والتقى بهم عند الباب خلق كثير من رجال الحكومة وسفراء سائر الدول وغيرهم من الخاصة والعامة مسلمين بعكس الرؤوس ونزع غطاءها، ولما دخلوا على الملك وجدوه قائما وعن يمينه الراهب الملازم له وعن يساره أربعة من الوزراء، فلما دنوا نزع ما على رأسه وطأطأه شيئا ما، وبعد السلام هنأهم بالسلامة وسألهم عن تعب الطريق وعما لقوا فى المدن التى مروا عليها، فأجابه الغزال بما يناسب، وأنهم لقوا فى المدن المبرة والإكرام، وأن الكتب بذلك سارت للسلطان، وتحققت عنده محبتكم ثم أخذ يسألهم عن السلطان، وكلما ذكره نزع ما على رأسه فأجابه إنه بخير، وإنك عنده بمنزلة لم تكن لغيرك من الملوك المصالحين مراعاة لما صدر منكم فى قضية الأسارى.

وكان لا يزال واقفا وقد طال وقوفه بما يزيد على ربع ساعة فاستأذنه الغزال بواسطة الترجمان فى الانصراف إشفافا عليه من طول الوقوف طالبا منه المسامحة على ما يحصل له من التعب الناشئ عن اقتباله لهم الموجب لوقوفه، ذاكراً أن نفوس الولاة ليست كنفوس الناس، فانشرح لهذا الخطاب وجعل يضحك وينظر للأعيان الحاضرين متعجبا وشكره على كلامه، ثم طلب منه الإذن لوزيره فى المفاوضة معهم فى أمور منها ما أمرهم به السلطان، ومنها ما اقتضاه الحال، فأجابه إلى ذلك، وأمر وزيره بتعاهدهم ومباشرة أمورهم، وفوض له فى ذلك، ثم انصرفوا عنه وقد أوصى أعيان دولته بكثرة التردد على السفارة صباح مساء، وكتب السفراء لدولهم يصفون حالة هذا الاقتبال الذى بهتوا له ولم يحصل لأحد مثله.

ومن الغد ذهبوا للسلام على الأمراء أولاد الملك الأربعة وأختهم بأمر من الملك، حيث طلبوا منه ذلك، ثم ساروا إلى أخ الملك لزيارته فتلقاهم بالرحب والسعة وأراهم بعض النفائس التى عنده، ثم انصرفوا من عنده، وفى آخر اليوم استدعاهم الملك لزيارة حدائق قصره ومشاهدة ما أعد فيه مما صنعه المهندسون فى جريان المياه على صفة غريبة، وكانوا يتزهون بتلك الحدائق كثيرا بأمر الملك، كلما ذهبوا إليها تلقاهم أخوه وأولاده وبنته بالبشاشة والترحيب، كما أمر أن يروا معمل الزجاج والبلور.

ثم جاء للسفارة إعلام بقاء الملك خارج المدينة صحبة الهدية السلطانية، فلما كان الوقت صارت للمحل فوجدت القوم قد اصطفوا هناك وتلقاها الوزراء الأربعة، ثم لم تلبث إلا والملك مقبل هو وأخوه فى كدش تتبعه أكداش أخرى حاملة أولاده، فنزل من كدشية وأخذ بيد الغزال وهش وبش، وقال: إن هذا اليوم عنده أعظم عيد، وقدم إليهم اثنين من أولاده الصغار فنزعا قبعتهما وأعلنا بالدعاء للسلطان وبالحياة للسفير، فضمهما الغزال إليه فرحا بهما، ثم قدمت إليه الخيل

فجعل يمسح على كفل كل فرس ثم يستره بجلاله ويقبله بين عينيه، وقال إن هذه الخيل أريد أن تنسل منها خيلا حرائر، وكذلك الجمال سر بها سرورا عظيما.

ولما حان الانصراف أمر بإحضار الكدش الذى يركبه الغزال، فقدم إليه ثم أراد من الغزال أن يركبه قبل ركوبه هو زيادة فى الاعتناء والإكبار، فامتنع الغزال من ذلك فحتم عليه، ففعل بمرأى من جماعة سفراء الدول الذين كتبوا بذلك لدولهم.

ثم أراد الملك أن يبعثهم لمدر يد لأن هواء المدينة لم يوافقهم ومنها يكون انصرافهم بعد صحبة سفيره الذى يريد إرساله للسلطان مع هديته، فأرسل وزيره إليهم يخبرهم بذلك، ولكن الغزال ذكر لهم أن السفارة مأمورة بالذهاب لقرطجنة لملاقاة الأسرى والنظر فى شئونهم وتفريق المال عليهم، وكذلك ستذهب لغرناطة ومالقة وقالص لاستصحاب العالم الأسير بها، وفى مدة ذلك يتمون هم أغراضهم وأعلن مع ذلك استعداداه لقبول رأيهم فوقع العمل برأيه.

ثم أخذ يكلم الوزير فى المطلب التى جاء بها، منها تسريح الأسارى الطاعنين فى السن والبصراء والمصابين بفقد بعض أعضائهم ومن فى معنائهم من أى بلاد كانوا ثم ما قد تجده السفارة من أسارى المغرب عند استعراض جميعهم واستيعاب أسمائهم وألقابهم، ثم إطلاق رجلين من الجزائر أحدهما طالب علم وهو الفقيه السيد مصطفى بن على البابادغى، والآخر ذو مروءة.

وقد كتب للسلطان طالبا منه إنقاذه من الأسر، ثم أمور اشتكى منها الكثير من الأسارى، منها أنه إذا مات أحدهم يتولى دفنه إخوانه ومتركه لهم وألا يولى عليهم أحد من المنتصرة حال الخدمة لأنهم أضروا عليهم من مطلق النصارى، وأن لا يمنعوا من كتب رسائلهم بالعربية، وأن يرفق بهم فى الخدمة ولا يكلفون ما لا

يطبقون، وأن يعالج مريضهم بالمستشفى كغيره، وأن لا يلزموا بالعمل وقت صلاتهم، وأن لا يهملوا فيما لابد منه من الكسوة والمأكول.

وذكر للوزير أن هذه الأمور لا تكبر على الملك، ولا يأمر بخلافها ولكن المكلفون بهم يجحفون بها ويؤذونهم، فوافق الوزير على جميع ذلك وأمضى عليه بعد إعلام ملكه به، وفي الحال أمر لجميعهم بالكسوة وأوصى بالرفق بهم.

وسأل الوزير نيابة عن ملكه هل لكم من حاجة أخرى نفوز بقضائها، فشكروه على تحقيق أملهم في شأن الأسرى وأنهم لم يبق لهم إلا ما وعد به الملك على لسان الراهب الملازم له من كتب الإسلام، وتمييز حملة القرآن من الأسرى بعلامة يعرفون بها.

ثم ذهبوا لمدينة (شغوبية) لرؤية الرؤساء الأربعة عشر الأسرى المسجونين بها إجابة لطلبهم، فأنسوا غربتهم وواعدهم خيرا، وبقوا معهم، من الصباح للعصر، وأحضر الغزال المكلف بهم وأوصى بهم وواعده بقضاء غرض له عند الوزير في مقابلة ذلك، ولما أرادوا الرجوع لـ (الكرانخة) وجدوا بباب مدينة (شغوبية) تمرينا على الرمي بالمدافع أقسم لهم هناك، وبعد أربعة أيام من ذلك خرجوا من (الكرانخة) للاسكوريال بعد الوداع، ومنها لمدريد.

وفي أثناء الطريق التقوا بالأسارى فأنسوهم وواعدوهم، ودفعوا لهم الصلة السلطانية الجارية عليهم عادة كل سنة، ووجدوا الكثير منهم مثقلا بالسلاسل لتكرار فرارهم، فكتب الغزال للملك متشفعا في إزالة قيودهم وراغبا في إطلاق رجل أعماه البارود فأجابه إلى ذلك، وكان عدد أولئك الأسرى العاملين في الطريق التي بين المدينتين مائتي أسير وأربعة، وكانوا ثلاثمائة فر بعضهم ومات الآخر، وجلهم من الجزائر وبعضهم أتراك ولما دخلوا مدريد توجهوا للمستشفى لزيارة بعض الأسرى المرضى المعالجين به وإعطائهم صلتهم وإيصاء كبير المستشفى

عليهم بزيارة الاعتناء بهم، ومكثوا فى هذه المرة ما يقرب من الشهر فى انتظار ما وعدوا به من كتب الإسلام التى كانت بمديرى، ثم أضافوا لها كتباً أخرى من غرناطة ثم أخرى بعثت لهم لقاص.

وفى الثامن والعشرين من جمادى الأولى بارحوا مديري إلى (ازخويس) إحدى مصايف الملك، فمكثوا بها يومين، وزاروا القصر الملوكى، ثم ساروا إلى طليطلة فزاروا مسجدھا الأعظم، وركب الغزال مع الحاكم للطواف على الآثار الإسلامية بها، ومكثوا هناك ثلاثة أيام ثم ساروا متقلين فى القرى والبلاد إلى قرطاجنة، فلما أشرفوا برز للقائهم جماعة من المسلمين رجالاً ونساء وصبياناً معلنين بالهيلة ثم يتبعونها بالدعاء للسلطان ولهم ضجة، وكانوا مسرحين وحكمهم حكم الأسير لا يستطيعون الخروج من البلاد إلا بعد أداء ما أوجبوه عليهم ووعدوهم وبشروهم بأداء ما يطلبون به وحملهم لبلادهم، فأخذت نساؤهم فى الزغاريت وصبيانهم يرقصون والرجال يشكرون الله ويدعون للسلطان الذى أنقذهم.

وقد خرج للقائهم حاكم المدينة وأمراء البحر وغيرهم ودخلوا على العادة فى ازدحام عظيم، ثم بعد ذلك ذهبوا لرؤية الأسرى بحضرة المكلف بهم فتلقوهم بالإعلان بالشهادة والدعاء للسلطان، وأخبروهم بما أتوا لأجله، وجعل الغزال يكتب اسم كل واحد ولقبه والشيخوخ الذين يقع الاختلاف فى قوتهم طلب الغزال أن يحكم فيهم الأطباء، فأحضروا فكان المسرحون من الشيخوخ اثنين وستين نسمة، ومن أهل المغرب أربعين وجدت أسمائهم مكتوبة على أنهم مغاربة، ثم ألحق بهم عند الاستعراض واحد وعشرون ثبتت مغربيته، والمتسبون الذين لم تثبت نسبتهم آخروا للاستفسار.

ثم بعد ذلك فرقت عليهم الأموال المنعم بها عليهم، ثم أخذت السفارة فى مخاطبة الحاكم فى الأسرى المرهونين فى الأداء فأحضرت رسوم فكاكهم فوجدت صحيحة، فأدت السفارة عنهم الواجب وكان بينهم امرأة لها بنتان وأبوهما لا يزال أسيرا ففدى منه .

ثم أخذ الغزال يبحث عن الأسرى الذين بيد أفراد الناس ليعطيهم صلتهم، فكان من جملتهم بنت من ناحية تلمسان قد بلغت الحلم يملكها جيار منعها من الذهاب للسفارة حتى سمع أن ذلك إنما هو لأخذ الصلة، فلما جاءت أخذت تبكى وتطلب العتق وذكرت أنهم يريدون بيعها ببلدة بعيدة، وأن ربها تدعوها لدينها، وأنها لا تريد بالإسلام بديلا، فوقع فداؤها بعد توسط الحاكم عند مالكها الذى علق ذلك على مشورة زوجه، وهذه أجابت لذلك بعد المشقة الفادحة، فأضيفت للنساء وأجريت عليها النفقة.

كما وقع إنقاذ أسيرين آخرين، أحدهما كان عند «الضون اسدر كم صلص» التاجر الجميل الأخلاق الذى أنزلت بداره السفارة فى إكرام بقرطجنة، وكان يريد أن يفتدى والسفارة لا ترى من المروءة أن تخاطب صاحبه فى شأنه وهى فى داره موضع إكرامه، فلما بلغه ذلك قدمه هدية وأبى أن يقبل عنه عوضا، فلما أبى الغزال قبوله إلا بعوضه قال: فلتكن المكافأة عند وصولى لبلادك فى المسائل التى تعرض لى بالبربرية، والثانى تونسى مسن كان عند ضابط اسمه «سبيكيلطو» قدمه صاحب هدية ورجع مشكورا.

وقد حمل الأسرى من قرطجنة لقالص فى مركب حربى أعد لهم حيث يذهبون مع السفارة من هناك، وذهب أصحاب النساء والأولاد فى مركب اكترى لهم بمائتى ريال وخمسين ريالا خشية حدوث ما لا يحمد من الجنود.

وبعد ذلك ذهب السفارة لزيارة مرسى المدينة ورؤية معاملها البحرية، ثم غادرتها إلى لروقة، ثم سارت في طريقها إلى غرناطة إلى أن بلغت قالص، فخرج القوم للقائها يتقدمهم السفير الإسباني الذى سيراقتها للمغرب، والتقت بداخل المدينة بمن فك من الأسرى القادمين من قرطجنة، وقد انضم إليه من ورد من «برطونة» و«الكراكة» فصارت جملتهم ثلاثمائة إلا عشرة، وبعد انتظار هدية الملك التى يذهب بها سفيره، أبحر الجميع إلى تطوان فوصلوها بعد أربع وعشرين ساعة.

وقد ضمن الغزال أخبار هذه الرحلة كتابه (نتيجة الاجتهاد، فى المهادنة والجهاد) وصف فيه المدن التى مر عليها، والقصور والمشاهد التى رآها وبقية آثار الإسلام التى هناك امتثالا للأمر المولى.

وفى سنة ١١٨٢ كتب ملك الإسبان للسلطان يطلب توسطه بين صاحب الجزائر وبينه فى شأن مبادلة أسرى الفريقين، فكاتب المترجم والى الجزائر يعرض عليه المفاداة فامتنع، فكرر الكتب إليه ثانيا وثالثا فى الحض على فكك أسرى المسلمين فأجاب لذلك بعد الوعظ والتحذير، فكتب المترجم حينئذ للملك أن تبعث أولئك الأسرى فى مركب للجزائر وينتظر هناك وصول السفير الذى سيرسله من قبله ليتولى المفاداة بنفسه، وكان هذا السفير هو الغزال مع صاحبيه، فلما وصلوا للجزائر أرسى مركب الإسبان بظاهر مرساها، وأنزل من فيه من الأسرى، فاخرج أهل الجزائر مثل عددهم من الإسبان وانقلب الغزال راجعا إلى الحضرة السلطانية.

وذكر الكاتب ابن عثمان فى آخر رحلته إحراز المعلى والرقيب أنه لما قدم من سفارته للمغرب سنة ١٢٠٢ أمره المترجم بالورود عليه لمخيمه بالحياينة قال: فتلاقينا معه أدام الله تعالى عزه فبقينا مخيمين هناك ثلاثة أيام، وقد كان ورد عليه

جمع من أسارى المسلمين بعثهم إليه عظيم الإصبيول على سبيل الإهداء والإكرام لكونه لما عمل الصلح مع أهل الجزائر ووقع فداء الأسرى بينهما من الجانبين على ما تقتضيه قوانين الصلح امتنع أمير الجزائر من إعطاء المال فى هؤلاء الأسارى كما فعل النصارى فى إخوانهم، ولم يقبل أن يفديهم بالنصارى، بل قبض المال فى أسارى الإصبيول الذين عنده، ولم يرد بهم بدلا بأسير مسلم، وأهمل هؤلاء المسلمين وأبقاهم بأيدي الكافرين فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فلما سمع ذلك عظيم الإصبيول اغتاز من ذلك وأعطاه ما أراد من المال فى النصارى إخوانه، وجمع هؤلاء الأسرى من المسلمين وبعثهم مجانا إلى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين على سبيل الإهداء والإكرام لما يعلم من حرصه أيدى الله تعالى على إنقاذ المسلمين، وأن هدية الأسارى عنده لا يعادلها شىء من هدايا الدنيا وقد كان عند هذا الجنس من الأسارى الآلاف فأنفذهم جميعا لسيدنا أدام الله علاه، وأبقاه وتولاه، منذ عمل معه الصلح، وهو أيدى الله فى كل حين يخرج منهم حصّة، فكان آخر من بقى من المسلمين بأيدي الإصبيول هذه الجماعة.

ثم ذكر أن المترجم كلفه بإيصالهم إلى بلادهم ناظرا إليهم فى ركوبهم وأكلهم وشربهم حتى يوصلهم لتلمسان ويدفعهم إلى عاملها ويفرق عليهم الصلة هناك عشرة مئاقيل لكل واحد، ففعل ما أمر به وتوجه بهم إلى تلمسان وقضى الغرض.

وقد ذكر ابن عثمان فى الرحلة المذكورة أنه رحل لبلاد الأندلس عام ١١٩٣ كما أشار فى رحلته البدر السافر إلى ذلك وإلى سابق معرفته بملكها كارلوس الثالث، وإلى وصفه لمدينة قادس فى رحلته المسماة (بالأكسير، فى فكاك الأسير) وغير ذلك مما يفيد أنه تولى السفارة للمترجم إلى إسبانيا وقد صرح بذلك أخيرا وذكر أنه عقد معها معاهدة صلح من شروطها عقد صلح مع ملك نابولى الذى هو

ولد ملك الإسبان، فتكون هذه معاهدة ثانية بعد معاهدة الغزال التي من شروطها الصلح برا وبحرا المشار لها في قضية حصار مليلة.

وفى سنة ١١٩٩ أسر أهل الجزائر أميرة من بيت ملك إسبانيا كانت ذاهبة في مركبها لزيارة عمها صاحب نابولي، وامتنعوا من فدائها فكتب الملك للسلطان أن يتشفع في فدائها بكل ما يطلبون فأسعفه، وكتب لصاحب الجزائر في ذلك فاعتذر له بأنها وقعت في سهم الجيش ولا يمكن إكراههم على الفداء فوجه السلطان كتابا للسلطان عبد الحميد العثماني يذكر له ذلك فكتب لأهل الجزائر يوبخهم على رد شفاعة السلطان ويأمرهم بتسريحها، ويذكرهم بما فعله السلطان من تسريح أسارى الأتراك فأرسلوها إلى حضرة السلطان وكتبوا إليه معذرتين بخشية بلوغ خبرها لسلطانهم والافتيات عليه في إطلاقها.

مع مالطة

وبعد أن أنقذ المترجم له الأسارى الذين كانوا عند الإصبان وجه همته لإنقاذ غيرهم من الأسارى الذين عند غيرهم، فوجه لجزيرة مالطة - وكانت يومئذ بيد الطائفة المعروفة بفرسان رودس - كاتبه السيد محمد الحافى وأمره بتقييد زمام أسارى الأتراك الذين بها فبقى هناك وثيقة ورهنا في مال بعض المالطين الذين كانوا بالحضرة السلطانية في بعض الدعاوى على ما فى البدر السافر، وقد تقدم نقلا عن الزياني أن أهل الجزيرة أنكروا الفداء وردوا المال، فوجه السلطان به إلى الدولة العثمانية.

وبعد ذلك بنحو سنة أرسل السلطان للجزيرة المذكورة كاتبه وسفيره السيد محمد بن عثمان السالف الذكر، ومعه أربعة من الطلبة وهم السيد عبد الكريم بن قريش، والسيد التهامي البنانى^(١)، والسيد محمد المير السلوى، والسيد الطيب بن

(١) تحرف في المطبوع إلى: «البنائى» وصوابه من الموسوعة.

جلول لقضاء الغرض المذكور، وأصحابهم ما ينيف على ستة وثمانين ألف ريال لصرفها في فداء الأسارى.

يبدأ بالنساء والصبيان والشيوخ وذوى الأعدار ثم غيرهم من الرجال، وأمرهم بالمكث هناك حتى ترد عليهم خمسة مراكب جهادية يركب الأسارى فى أربع منها والمركب الكبير تتوجه عليه السفارة من ثم إلى نابولى لعقد الصلح مع مملكتها وفداء الأسارى الذين بها، فسافروا من حضرته حمراء مراكش فى ثانى ذى الحجة متم سنة ١١٩٥ إلى طنجة فمكثوا بها اثنين وعشرين يوما فى انتظار الريح المساعد لركوب البحر.

وفى سابع ربيع النبوى سنة ١١٩٦ ركبوا فى مركب حربى بعثه ملك الإسبان لإبحار السفارة عليه لما سمع أنها تريد التوجه لقادس لكراء مركب لمالطة وقد وجدوه هناك، فبقى معهم فى الانتظار وقد حياهم بعد الركوب بإطلاق المدافع ثم سار بهم إلى قادس، فتلقاهم بعد الوصول كبير المراكب الحربية وأخبرهم أنه مأمور بتنفيذ ما يريدون من المراكب لهم، وتوارد عليهم الرؤساء ليلا للسلام، ومن الغد عند النزول أخرجت المراكب مدافعها جوابا لمدافع مركب السفارة وذهبوا فى احتفال بحرى للبر، ولما وصلوه حيثهم أبراج المدينة بمدافعها ثم توجهوا للمحل الذى أعد لتزولهم واقتبلوا حاكم المدينة وأعيانها وكتبوا للملك الإسبان يشكرونه على ما لقوا من رعيته ورجاله ويخبرونه أنهم سيتوجهون إلى ولده صاحب نابولى بعد قضاء الغرض من مالطة.

وأرادت السفارة أن تتولى الإنفاق على نفسها فأبى عليها ذلك حاكم المدينة، ثم جاء جواب الملك للسفارة مرحبا وكتب للحاكم بقضاء جميع مآربها وتحذيره من التقصير مما جعل الحاكم يعتذر لها عن أن يكون قد صدر منه شيء مما ذكر، وقد

بلغت نفقاتها مدة ستة وعشرين يوما قضتها بين ظهرانهم ألفى ريال وسبعة وأربعين ريالاً كبيراً.

وفى خامس ربيع الثانى ركبوا البحر ولما صعدوا المركب حيتهم المدافع، ومن الغد سار بهم إلا أن اضطراب البحر اضطهرهم للرجوع للمرسى فمكثوا بها ثلاثة أيام ثم سافروا إلى مالطة، فوصلوها بعد معاناة أهوال البحر وشدائده فى اثنين وعشرين يوما من يوم خروجهم الأول من قادس، فمكثوا بالمرسى سبعة عشر يوما فى الحجر الصحى، وبعث لهم صاحب الجزيرة يخبرهم بإسقاط ثلاثة أيام من الحجر عنهم لأن مدته كانت عشرين يوما، فحملت أمتعتهم ونزلوا من المركب فحيتهم المدافع وتلقوا فى البر بالأكداس لركوبهم، وفى طريقهم التقوا بصاحب الجزيرة مارا فى طريقه فحيوه بالإشارة، وساروا للمحل الذى أعد لنزولهم دون إجراء نفقة عليهم، لأن السفير الخافى كان لا يزال مقيما فى الجزيرة، فكأنهم لا يستطيعون الإنفاق على السفارتين.

وكان المحل دارا كبيرة فيها نحو السبعين قبة أحاطت به طائفة من الجنود لأداء واجب التعظيم، وبعد ثلاثة أيام أتاها وكيل كبير الجزيرة وأعلمهم بالملاقاة عند العصر، ولما دنا الوقت أتاها بكدش الحاكم موكله «منويل دروبلد» فركبوه وتوجهوا إليه، فلما دخلوا عليه وجدوه واقفا ولباسه لباس الرهبان، فنزع ما على رأسه وأبدى لهم البشاشة والانشراح وأشار إليهم بالجلوس فجلسوا وجلس، ثم أعاد عليهم السلام وسألهم عن سفرهم وعن البحر.

ثم أخرج ابن عثمان الكتاب السلطانى فقبله ودفعه إليه ففضضه فوجده بالعربية فأعطاه للترجمان وطلبوا منه الوقوف معهم فى أمر الفداء فأجابهم لذلك، وعين وكيله ثم انصرفوا عنه بعد هنيئة وتركوه واقفا.

ثم شرعت فى افتداء الأسارى الذين جاءت من أجلهم، وفى أثناء ذلك

راجت إشاعة فى البلد مضمونها أن السفارة جاءت لإحداث ثورة بدليل أن الأسارى إذا سرحوا لا يذهبون بل يجمعون، وأن الأدب المعهود منهم انقلب إلى غلظة، وأن السفارة تنتظر ورود خمس مراكب بحرية، وكان قد سبق قبل هذا بمدة أن اتهم الأسرى بمحاولة الثورة فلم يسع حاكم الجزيرة حينئذ إلا أن أرسل للسفارة يطلب منها ألا تبقى أولئك المسرحين فى البلاد أكثر من ثلاثة أيام قطعاً للقليل وتجنباً للكلام، وبعث من اكترى لهم المراكب، وبعد ثلاث ركبوا البحر فى مركبين أحدهما سار لبنى غازى والآخر لطرابلس وكان عددهم نحو المائتين وخمسين، ثم وقع افتداء أسارى آخرين بلغ بهم العدد إلى ستمائة وثلاثة عشر، واکترت لهم السفارة المراكب فسار بهم أحدهما لطرابلس، والآخر لصفاقص، والثالث لتونس بين زغاريت النساء ودعوات الرجال والأطفال.

وقد كانت جماعة منهم تستخدم فى مراكب الجزيرة، فما شعر القوم إلا وقد شملهم الفداء فأرادوا نقضه لما يؤدى إليه من تعطيل مراكبهم، وحصل الشجار بينهم وبين الوكلاء على ذلك، ثم تداخل كبيرهم فى القضية ومضى الفداء وأحصى الباقون من الأسارى المسلمين فكانوا سبعمائة وبضعا وعشرين، تكلمت السفارة مع أصحابهم فى قدر فدائهم وبعثت بتقييدهم للسلطان المترجم عسى أن يضيفهم إلى إخوانهم مشيرة عليه ببعث مال الفداء لكبير الجزيرة.

ثم استعدوا للسفر، وعين لهم صاحب الجزيرة وقت الوداع فذهبوا إليه فيه على الهيئة المتقدمة وتلقاهم آخر كما تلقاهم أولاً فشكروه على وقوفه معهم فى ذلك الفداء وودعوه، وكان يبعث إليهم فى مدة مقامهم لحضور الحفلات بقصره ويريهما ما اشتمل عليه.

وفى سابع شعبان من السنة بعد ذلك بثلاث أيام ساروا للمرسى فى الأكداش مع الأعيان المودعين، وركبوا فى السفينة التى قدموا عليها قاصدين نابولى.

مع نابولى

فوقع لهم بعد الخروج مثل ما وقع لهم أولا عند الخروج من قادس، واضطروا للرجوع لمرسى مالطة، وبقوا هناك ثلاثة أيام كان يتردد عليهم فيها كبار المدينة يهتئونهم بالسلامة ويدعونهم للعودة لمحلهم، ثم ساعدت الرياح فصار بهم المركب إلى نابولى، فلما وصلها أرسل صاحبها (الملك فرناند الرابع) أحد الأعيان عنده للسلام على السفارة وإبلاغها اشتياقه لرؤيتها، وأن الحجر الصحى ساقط عنها، ودعاها للنزول من يومها، ولكنها تأخرت للغد، وفيه جاءت الزوارق تحمل الأعيان ونواب الملك لإنزال السفارة، ولما نزلت من مركبها أخرج مدافعه تحية لها، ووجدوا على ساحل المدينة أفواج الخلائق مصطفى فركبوا فى الكدش الخاص بهم وتقدمت أمامهم طائفة من خيل الخاص بالمير مصلته السيوف تفسح لهم الطريق الممتلئة بسكان المدينة.

فما وصلوا لمحل النزول حتى كادت الشمس تزول، وكانت هذه الدار قد أعدت لهم قبل وصولهم بنحو ستة أشهر لما سمعوا بقدومهم، فلما وصلوها وجدوا العسكر مصفوفاً ببابها لأداء التعظيم، وتلقاهم فيها أحد أرباب الدولة بعثه الأمير لينوب عنه فى إعادة سلامه على السفارة والترحيب بها، ثم طاف بها على الدار يريها ما احتوت عليه، وقدم لهم ثلاثة أطباق كبار فيها فاكهة وحلويات يحملها ستة من الأسارى المسلمين الذين هناك هدية من الأمير، فتقبلوها شاكرين، وأشاروا إلى رغبتهم فى إلحاق الحامل بالمحمول، فأجيبوا لذلك فكان فاتحة عملهم هناك.

ثم ترادف للسلام عليهم الأعيان والأكابر وأرسل لهم الأمير خمسة أكداش لتكون مركوبهم، وعدة من الخيل العتاق المذهبة السروج المهداة إليه من الملوك،

وبعث لهم طبيباً خاصاً لملازمتهم، وبعد ستة أيام استدعاهم الوزير لمقابلته، فذهبوا إليه وأعطوه نسخة الكتاب لترجمه.

ثم أعلمهم الأمير بوقت الاقتبال قبل زوال الغد، ومن الغد جاءتهم الخيل التى سترافقهم، وجاء بعدها صاحب ملاقة مع السفراء مع الملك، فأخبرهم أن الملك مستعد للملاقة وكذلك الملكة زوجه الألمانية الأصل فى الانتظار بعد لقاء زوجها، وذلك وإن لم يكن عادة لكنها جعلتها فرحاً وسروراً بالسفير ومرسله.

ثم ساروا فى جمع حاشد للقصر الملوكى، وجعلوا كلما دخلوا قبة من قبابها وقف من فيها ونزع ما على رأسه إلى أن وصلوا قاعة الاقتبال، فاستأذن المرافق المذكور ثم أدخلهم إليها فوجدوا الملك واقفاً والقاعة مملوءة بالوزراء وأرباب الدولة، فلما قابله أزال ما على رأسه مسلماً فأشاروا إليه باليد ثم دنوا منه ففعل كذلك، وفعلوا هم كذلك حتى الثالثة.

فلما التقوا أخرج ابن عثمان الكتاب المولوى وقبله ودفعه إليه فتلقيه بكلتا يديه، ثم سأل ابن عثمان عن السلطان وذكر محبته فيه ورغبته فى مخاطبته وقضاء مآربه وعقد الصلح معه كما فعل أبوه (ملك إسبانيا)، فأجابه ابن عثمان بأنه ملحوظ ومقدم عند السلطان، وعن الصلح بأنه لذلك الغرض كان قدومه لما طلب له ذلك والده عاماً أولاً لما كان عنده المجيب بإصبانية، فأجابه الملك بالكلام مع وزيره، ثم خرجوا من حضرته وهو واقف ودعوا لمقابلة الملكة فأدخلهم حاجبها عليها فوجدوها واقفة والقبة ممتلئة بنساء الأكابر والأعيان فسلمت عليهم بالانحدار، حتى كادت تجثى على ركبتيهما على عادة نسائهم، فأشاروا لها باليد ثم فعلت ذلك ثلاثاً مثل زوجها وفعلوا مثله، فلما دنوا منها رحبت بهم وذكرت طول انتظارهم ووعدت بالوقوف فى الأمور الصعبة مع الملك، فشكروها على ذلك

وخرجوا مسلمين على الصفة المتقدمة، ثم امتطوا أكداشهم لمحلهم، فلما بلغوه أخذ الأعيان يفدون عليهم مهنيين بحسن اللقاء مع الملك.

ولما قرأ الملك الكتاب السلطاني وعلم ما اشتمل عليه من توجيه السفارة إليه بقصد عقد الصلح معه حيث طلب والده ذلك واشترطه في عقد الصلح الذي عقده معه ابن عثمان ثم فداء أسارى المسلمين الذين فى بلده وتحت حكمه أجاب عن ذلك ببعث ثلاثين أسيراً مسرحين على سبيل الهدية للسفارة إكراما لها قائلا: وأما فداء الأسارى المشار إليه فالأسارى الذين فى إيلتنا كلهم من تونس والجزائر وطرابلس وغير ذلك من البلاد المشرقية، وليس بيننا وبينهم إلا الحرب، وكذلك إخواننا عندهم أسارى بأيديهم ولو لم يكن إخواننا الذين عندهم لسرحنا جميع من عندنا من المسلمين ابتغاء خاطر مولانا أمير المؤمنين ورضاه، وحيث كان إخواننا فى الأسر نحبكم أن تسعوا فى فداء الجميع، فشكرته السفارة على ذلك وكتبت للحضرة السلطانية بذلك.

وأما عقد الصلح فشرعت فيه مع الوزير حسبما تقدم من تقديم الملك له لذلك، واشترط كل جانب ما فيه مصلحته، ثم استنسخت تلك الشروط وأمضيت.

ثم تيسر للسفارة افتداء مائة أسير أعدوا للبيع فضمتهم إلى إخوانهم، وكذلك استرجعت ما وجد فى أحد المراكب السلطانية كان السلطان قد بعثه للأمير طرابلس حاملا القمح بسبب المسغبة التى كانت فى بلاده، فتلقته مراكب نابلية وأخذته، ومع أن ذلك كان زمن الحرب فقد تمكن ابن عثمان من إقناعهم برد ما وجد فيه.

وقد رأت السفارة أثناء إقامتها بنابل بعض الأبنك ومأوى الأيتام ودار الآثار ونادى الأعيان بدعوة من أهله، والبركان القاذف للنيران، وآثار مدينة بومبى، ولما

رجعت منها لبلدة أخرى أنزلت فيها بالدار التي نزل فيها إمبراطور الألمان لما كان هناك، ورأت في هذه البلدة معامل السلاح والبارود والكاغد.

وكان الملك يستدعيها مرارا لمشاهدة التمثيل بالأوبرا كلما ذهب، وكذلك استدعاها تكرارا لزيارة الحديقة الصيفية، وذهبت بدعوته لمشاهدة تعويم مركب في البحر، فأعد لابن عثمان مقعد بإزاء مقعد الملك واستدعاها لزيارة قصره في بلدة (برطج) مقره في الخريف، فرأته يسوق الكدش بنفسه، ولعب بمحضرها كرة «التنس» كما استدعاها لزيارة قصره في مشته ببلده (كزرتة) وغير ذلك.

ولما انتهت أعمالها أعلمت الملك بعزمها على السفر، وكان إذ ذاك بمشته فأجابها بأنه سيأتي لنابل بقصد وداعها، ولما جاء إليها أعلمها باللقاء بين العشاءين فوقع ذلك على الوصف المتقدم في لقائه ولقاء الملكة، وبعد ذلك بعث الملك للسفارة جوابه عن الكتاب السلطاني مع هدية من صنائع بلاده وتحفها وبعث لها هديتها الخاصة بها.

وركبت السفارة ومن معها ممن فك من الأسرى البحر رابع المحرم فاتح سنة ١١٩٧ في مركب رئيسه من جنس (الراكوزة) تطوع به لحمل السفارة حيث تشاء دون عوض، فحياها بمدافعه وسار بها إلى أن أداه اضطراب البحر إلى صقلية، فخرجت زوارق أعيانها ونائب حاكمها للسلام على السفير، وعرض النزول عليه للمدينة للاستراحة فنزلوا من الغد نظرا لازدحام المركب بالأسارى في احتفال مثل ما جرى لهم في غيرها من البلاد التي كان ذهابهم إليها رسميا.

وأعدت لهم دار خاصة، ثم طلب منهم حاكم الجزيرة أن يعينوا له وقتا للمقابلة، فعينوه له وقابلوه كما قابلوا أعيان المدينة (بلرم) ونوابها فكان الجميع يرحب بهم ويظهر لهم السرور بقدمهم، ودعوا لمشاهدة التمثيل بدار الأوبرا، وبعد أن أقاموا ستة وعشرين يوما عادوا لمركبهم، فلما سار بهم ثلاثين ميلا وجد

البحر مضطربا فبقى هناك خمسة أيام اضطر بعدها للرجوع إلى صقلية مرة أخرى فتلقاهم أهلها، وأخبروهم أن الدار التي كانوا بها لا زالت بصددهم فنزلوا إليها، وكانت الليلة ليلة ميلاد الملك فاستدعيت السفارة لحضور الاحتفال الليلي بذلك كما دعيت لنادى أعيان المدينة، وفيه طلب بعضهم من ابن عثمان أن يلعب معه بالشطرنج فأجابه بعد إلحاح وغلبه فيه على مشهد من القوم، ورأت السفارة فى أثناء مقامها كنيسة (سان مرتيل) وأدخلوا خزانتها فوجدوا فيها عدة من كتب المسلمين كسيرة ابن سيد الناس وبعض كتب الطب، كما زاروا غيرها من المعاهد والمدارس، وبعد إقامتهم بها ثلاثة أشهر وثلاثة أيام فى انتظار سكون البحر، ركبوا سفينتهم فى سادس عشر ربيع الثانى راجعين للمغرب، فوصلوا طنجة بعد اثنى عشر يوما، ونزلت السفارة فى احتفال بحضور الحاكم ووجوه العسكر للمدينة، كما تلقى الأسارى بسرور وحبور وأنزلوا بديار بالمدينة بقصد الإرفاق على النفقة السلطانية، ووجه الكتاب للحضرة السلطانية بالإعلام بالوصول، وأقاموا بطنجة إلى أن ورد عليهم الجواب الشريف بالتهنئة بالسلامة وإعداد البهائم لحمل الأسارى وأمرهم بالقدوم عليه.

قال ابن عثمان: فتوجهنا إليه أيده الله وهو بحضرة مكناسة، فبتنا آخر ليلة من السفر بوادى فرى بقرب المدينة بنحو ساعتين، ومن الغد بعث مولانا أعزه الله عساكر الخليل لملاقاتنا ووجوه العسكر والقواد، ومن حضر من العمال وبالع فى التنويه والفرح بهؤلاء المسلمين جعل الله ذلك بمنه من خالص الأعمال، وبلغه من حسن نيته، وصفاء سريرته وطويته جميع الآمال، ومن هناك والخيل تلعب وتخرج البارود إلى أن دخلنا المدينة فبعث إلينا سيدنا أيده الله أحدا من خدامه بأن ندخل الأسارى المذكورين إلى ضريح جده المقدس المنعم المرحوم سيدنا إسماعيل برد الله ضريحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، وأحضر لذلك الفقهاء والأشراف والطلبة

وأعيان البلد، فقرأنا هنالك ما تيسر من القرآن ودعونا لسيدنا بما نرجوا من الله قبوله.

وبعث سيدنا الطعام للأسارى، فأكلوا، وأمرنا بإنزالهم بدور أعدها بالمدينة وأمرنا أن نستريح ونطلع لملاقاته عند العصر، فلما صلينا العصر توجهنا إلى بابه، ورحب جنابه، وأصبحنا إليه الهدية التى أصبحنا إليه الطاغية صاحب نابل فوجدناه داخل باب السوانى ففرح بنا وانشرح لقدمونا ودعا لنا بخير، تقبل الله منه.

ثم ناولناه كتاب الطاغية مع عقد الصلح الذى أبرمنا ووقع عليه الاتفاق، وهدية الطاغية التى بعثها من الخوف والإشفاق، وناولناه أيضا أزمة ما دفع فى الفداء وخطوط أيدى النصارى المفدى منهم مع قيمة المركب الذى غرموا وقد تقدم خبره.

ومن الغد أطلعنا إليه أسرى المسلمين وهو بالدار البيضاء، فسألهم عن قبائلهم وعشائريهم وعن مدة أسريهم، أطال معهم الكلام جبرا لخاطرهم، وقال لهم: الحمد لله الذى عجل سراحكم، وكمل بجمع شملكم مع المسلمين أفراحكم.

ثم هيا لهم البهائم حملهم إلى فاس فى الحين، وتوجهوا من عنده أيده الله فرحين، وارتفعت بالدعاء لسيدنا أيده الله الأصوات، حتى كادت أن تسمع الأموات، وكتب لعامل فاس أن يحسن للقوم القرى ويفيض عليهم من مطايب ما يشتري، ويزيل عنهم درن الأسر، ومذلة القهر والقسر، ثم يكتري لهم البهائم إلى الجزائر، ومنها يتفرقون فى البلاد كالمثل السائر.

قال المولى عبد السلام نجل المترجم فى درة السلوك فى مآثر أبيه: ومنها أنه لم يترك ببلاد النصارى أسيرا، ولا بالمغرب فقيرا، بفيض أياديه العظام، ومكارمه

الجسام، ففدى من أسارى المسلمين، من أهل المغرب والترك وأهل الشام وأهل الأرمين، ما يزيد على أربعة آلاف، ثبت الله له الأجر، وأناله الفتح والنصر».

وقد ألف ابن عثمان فى سفارته الثانية لمالطة و نابولى هذه التى قضى فيها سبعة عشر شهرا كتابه (البدر السافر، إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر) وكان فراغه من تأليفه بعد تلف المبيضة على يد اللصوص أوائل جمادى الثانية عام ١١٩٧.

وقد وقعت الإشارة إلى معاهدة ابن عثمان مع مملكة نابولى المشار إليها فى معاهدة السلطان المولى عبد الرحمن المجددة مع تلك الدولة سنة ١٢٥٠ على ما يأتى فى ترجمته إن شاء الله.

فتوحاته

فمن فتوحاته إجلاء البرتغال عن ثغر البريجة المعروفة اليوم بالجديدة وما والاها، حاصرها نحو أربعين يوما ونصب عليها المدافع والمهايز، ووالى عليها صيب القنابل إلى أن فتحها فى سابع عشر رمضان ١١٨٢ وهدمها وأمر بتسميتها بالمهدومة، وعمرها بأهل دكالة المجاورين لها، وأنزل معهم فرقة من عساكره، وكان ممن حضر هذا الفتح وأبلى فيه البلاء الحسن الحاج سليمان التركى معلم الرمى وشيخ طبجية الرباط قاله فى الترجمان العرب وغيره، وغنم أموالها ومدافعها ومهايزها وغير ذلك من معداتها ومقوماتها الحربية.

وحاصر مليلية وحاربها إلى أن صالحه أهلها طبق ما أشرنا إليه.

آثاره

قال نجله المولى عبد السلام فى درة السلوك لما ذكر مآثر أبيه: ومن مآثره أيضا اتخاذ الثغور بالمغرب وشحنها بالعساكر والجنود، والرايات والبندود، فمن ذلك ثغر الصويرة أحدث بناءه، ووسع قبائه، فاخبطه رضى الله عنه فى سابع عشر من

شوال عام ثمانية وسبعين ومائة ألف، وبنى له الأسوار العجيبة، واتخذ به البساتين، وشحنه بالمدافع والبنب والكور، فجاء من أعظم المدن وأشرف الثغور، واتخذ به المساجد والصوامع والأسواق والدور والحمامات ورغب فى سكنى هذا الثغر المبارك الناس، وقصده التجار وغيرهم من جميع الأجناس.

وكان سبب إنشائه لهذا الثغر أن المراسى المغربية متصلة بالأودية، وفى غير إبان الشتاء يقل الماء ويعلو الرمل بأفواه المراسى، فيمنع من اجتياز القراصين بها ويتعذر السفر، ففكر فيما يتأتى به السفر للمراكب القرصانية سائر أيام السنة، فبنى ثغر الصويرة، واعتنى به لسلامة مرساه من الآفة المذكورة.

وقيل: إن السبب هو أن حصن أكادير كانت تتداوله الثوار أهل سوس مثل الطالب صالح وغيره، ويسرحون وسق السلع منه افتياتا ويستبدون بأرباحها، فرأى أن حسم تلك المادة لا يتأتى إلا بإحداث مرسى آخر أقرب إلى تلك الناحية، وأدخل فى وسط المملكة من أكادير حتى تتعطل على أولئك الثوار منفعتهم فلا يتشوق أحد إليه.

ولما تم أمرها أمر أهل فاس أن يعمروها مناوبة تأتى ثلاثمائة رجل من أصحاب الحرف ويقيمون بها سنة كاملة، ثم تذهب وتأتى ثلاثمائة أخرى وهكذا، ونقل إليها العلماء لنشر العلم، ورتب لهم ما يكفيهم. قال الزيانى فى شرح ألفية السلوك: وجعل - أى المترجم - قضاء فاس للفقهاء الذين يتوجهون للصويرة كل من درس بها ستة أشهر يقضى بفاس ستة أشهر، وجعل كذلك للحكام كل متوجه للصويرة حاكما ستة أشهر يحكم بفاس ستة أشهر إلى أن مات.

وأنفق فى سبيل صيانة ذلك الثغر وتحصينه بالمعدات والمقومات الحربية برية وبحرية أموالا طائلة، وجلب إليها تجار النصارى بقصد التجارة بها وأسقط عنهم

وظيف الأعشار، ترغيبا لهم فيها فأسرعوا إليها فعمرت فى الحين (واستمر الترخيص لهم فيها مدة من السنين) ثم ردها إلى ما عليه سائر المراسى .

ثم قال المولى عبد السلام فى الدرة:

ومن ذلك أيضا بناء مدينة طيط (الجديدة) وقد كانت قديما بأيدي الروم كما قدمنا وخربها بعد الفتح سنة اثنتين وثمانين، وأمر بتجديد عمارتها سنة واحد ومائتين وألف، واتخذ بها ألفا من العسكر من جنود الوصفان، وأدار سورها وعظم بها العمران، فصارت إحدى مدن المغرب، يقصدها التجار من الآفاق، وترد إليها القوافل والرفاق، وترسى بها السفن الجهادية وسفن التجار، فجاءت من أشرف الحسنات وأعظم الآثار.

وكذلك تجديد مدينة أنفا وكانت اندثرت رسومها، وطمست معالمها، فجدد بناءها ورفع قواعدها فبنى بها المساجد والحمامات، واتخذ بها المعقل الجهادية وجميع الآلات، وسكن بها ألفا من أجناده، فقصدها التجار من جميع مملكته وسائر أقطار بلاده، فجاءت من أحسن الثغور، نسأل الله تعالى أن يضاعف له بها الحسنات وينيله الأجور.

وكذلك عمر ثغر فضالة، ورباط الفتح، ومهدية، والعرائش، وطنجة، وتطاوين وغيرها، وجدد جميع أسوارها واحتفل فى تكثير آلاتها وبنى بها المساجد والأسواق والحمامات، ضاعف الله له بذلك الأجور وأسنى له الحسنات.

ومن مآثره أيضا بناؤه المشهد الأعظم، والآخر الأفخم، على ضريح الإمام إدريس بن عبد الله الكامل فجاء فى غاية ما يكون من الإتقان، وعظيم الأبهة وعلو الشان، كسا القبة كلها من داخل بالحرير الأحمر وسفائف الذهب الأحمر، وبسطها بالبسط الأرمينية، وأوقف على الضريح المذكور أوقافا عظيمة للطلبة

والمؤذنين والوقادين والفراشين والمستعفين والمساكين، وكذلك أيضا بناؤه الضريح الأعظم على سيدى على بن حرزهم، وبناؤه أيضا على سيدى عبد الله التاودى خارج باب عجيسة أحد أبواب فاس.

ومن آثاره أيضا بناء المشهد الأعظم على القطب الولى سيدى أبى العباس أحمد بن جعفر السبتى، وأوقف بهذا الضريح أيضا أوقافا عظيمة على المدرسين، والحزابين، وذوى العاهات، والمساكين.

وبناؤه أيضا القبة العظيمة الشكل، المهندسة الأصل، التى لم توجد بالمغرب قبة تشاكلها، ولا بناء يماثلها، وهى قبة الشيخ الإمام، علم الأعلام، أبى عبد الله سيدى محمد بن سليمان الجزولى نفع الله به وبأمثاله.

وكذلك بناؤه على الشيخ التابع، والسيد عبد الله الغزوانى.

وبنى أيضا المشهد الأفخم، والمسجد الجامع الأعظم، بضريح جدنا مولاي على الشريف دفين باب هيلانة أحد أبواب مراكش، صانها الله، وضريحه مجاور لضريح القاضى عياض، وقد أوقف للذاكرين والحزابين والأرامل والمساكين، ولو تتبعنا مثل هذا من مآثره أيدى الله لطال الخطاب، وخرجنا إلى الإطناب، من دورة السلوك.

ومن آثاره مدينة فضالة ومسجدها ومدرستها، والمنصورية ومسجدها وله آثار أخرى بالرباط والعرائش وطنجة وتافيلالت ومراكش وفاس ومكناس وغيرها، منها المساجد والمدارس والدور والقصور والأسوار والأبراج والقصبات والأضرحة وغير ذلك، وقد أسلفنا ما له من الآثار بمكناسة عند الكلام على آثار ملوكنا العلويين بها.

ومن آثاره تجديد المسجد الأعظم بثغر آسفى حسبما يستفاد ذلك من كتاب له أصدره لأمناء الثغر المذكور بتاريخ تاسع قعدة الحرام عام ثمانية وثمانين ومائة

وألف، وعليه فإن ما جاء فى الجيش والاستقصا من أنه المؤسس للمسجد المذكور ومدرسته يتعين حمله على التجديد، لوجود النص على أن المسجد أسس قبل دولة صاحب الترجمة بأمد بعيد، وممن نص على ذلك قاضى آسفى العلامة الأديب أبو عبد الله محمد فتحا بن عبد العزيز المدعو بابن عزوز الآسفى، قال فى كتابه إرشاد السائل، إلى معرفة جهة القبلة بالدلائل، لما تكلم على انحراف محرابه أنه بنى بإثر خروج النصارى من آسفى، قال: فلبناؤه ما يقرب من مائة سنة، وقد كان متوليا خطة القضاء بالشعر المذكور قبل زمن المترجم حسبما أخبرنى بذلك مكاتبة مؤرخ آسفى الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد العبدى المدعو الكانونى.

أما المدرسة فقد أشرنا فى المنزع اللطيف إلى أن مؤسسها سيدنا الجد الأكبر أبو النصر والفدا إسماعيل، وأنه فرغ من تأسيسها فى رمضان سنة خمس ومائة وألف، وأفادنى مؤرخ آسفى المذكور أنه رأى ذلك بخط الشيخ الجيلالى بوخريص قاضى الشعر أواسط القرن المنصرم، وأن بناءها كان على يد عامل ذلك الشعر القائد العربى امزاج، والقاضى أبى محمد عبد الله بن محمد، وأن فى التاريخ المذكور كان تجديد الصف الأول من المسجد الجامع المشار على يد من ذكر وذلك مما يؤيد تعيين صرف كلام صاحبى الجيش والاستقصا عن ظاهره.

سكك

ومن آثاره السكك التى أمر بضربها فى داخل البلاد وخارجها للتعامل بها، وقد كان بعضها يضرب بالرباط بالدار المعروفة بدار السكة من حومة الجزاء حسبما يوجد اسمه منقوشا على بعض مسكوكاتها الفضية والنحاسية والبعض كان يضرب بالصويورة كتب على وجهيه معا «ضرب بالصويورة عام ١١٨٠».

وكذلك أمر بضرب أنواع السكك الذهبية والفضية بمديرى وإشبيلية سنة ١٧٨٧ ميلادية حسبما وقفت على بيان ذلك فى تقييد دفعه كبير دار السكة

بمديره، للخليفة مولاى العباس بن السلطان المولى عبد الرحمن لما ذهب لإسبانيا لعقد معاهدة مع دولتها سنة ١٢٧٨، ونص تعريب ذلك بلفظه من أصله على ركافة تعبيره وعاميته:

ما صنع فى القديم من السكة المراكشية المصنوعة فى هذه المدينة فى سنة ١٧٨٨ ثمان وثمانين وسبعمائة وألف بإذن المخزن فى ثالث عشر يناير عام سبعة وثمانين وسبعمائة وألف أن يجعلوا طوابع أربعة أشكال من السكك لسلطان مراكش، ولذلك كان موجود بطنجة المعدن ما يساوى مائة ألف ريال كبير لاستعمال سكة الذهب ووجهوا لنا المشطرات.

وفى شهر ينيه من العام المذكور صنعوا الطوابع وتوجهوا المشطرات للمخزن لينظرهم سلطان مراكش مجموعتين فى صندوق مغلق بالموبر اثنين منضات من الذهب كبار ثمن عشرة ريال لكل واحدة، واثنين أيضا من صغار ثمن ريال فى الواحدة، واثنين كبار من الفضة، واثنين صغار أيضا من الفضة.

وبإذن آخر من المخزن فى اثنين وعشرين شتبر من العام المذكور ظهر القبول متع المشطرات المذكورين وجميع المنضات التى تخدم هى عشرة آلاف من الذهب الكبير، ومائة ألف أيضا من الصغار، واثنين ملايين وأربعمائة وستة وخمسين ألفا ومائتين وثلاثة وستين كبار من الفضة، وتسعة ملايين وثمانمائة وخمسة وعشرون ألفا وأربعون صغارا من الفضة، وزائد لازم نعملوا طوابع جداد على خلاف القليل الواقع فى الدائرة والكتابة حتى فى المنضات الصغار من الفضة.

وفى شهر يناير عام ثمانية وثمانين وسبعمائة وألف أن الخلاف الذى كان فى المنيضة المراكشية هو أن نعمل مديره فى موضع مراكش لئلا يظهر أنها مطبوعة فى مراكش، وفى الشهر المذكور كان الإذن المشهور اللائق باش تكون المنيضة الكبيرة متع الذهب تساوى عشرة ريال مكمولة، والصغيرة واحد والكبيرة متع الفضة

تساوى مثل واحد من الفضة متاعنا والصغيرة متع نصف ريال بليون، لازم يطبعوا العدد من المنىضات الذى سىذكر:

من الأولين ١٠٠٠٠ .

ومن الثانين ١٠٠٠٠٠ .

ومن الثالثين ٢٤٥٦٢٦٣ .

ومن الرابعين ٩٨٢٥٠٠٠ .

وفى شهر يلىه عام ١٧٨٨ كملوا الطوابع الجداد، وفى شهر شتنبر الذى بعده انطبعوا العشرة آلاف منىضات من الذهب الكبار المذكورين، والجميع اندفعوا للرجل المأذون له بذلك فى سابع نونبر من السنة المذكورة، وأما المنىضات متع الفضة المذكورين ورد الإذن لتكون صناعتهم فى دار اشبيلية.

مدريد فى ٣ أكتوبر عام ١٨٦١ .

فيرمه :

كبير دار المنىضة :

ميكال بشيكو .

قضااته:

قال فى ذيل التاريخ المسمى بـ (اليواقيت الأدبية، فى محاسن الدولة المحمدية) ما نصه :

قضاة السلطان سيدى محمد بن عبد الله: الفقيه السيد عبد الرحمن بوخريص^(١) بفاس، الفقيه السيد^(٢) عبد السلام حركات بمكناسة، الفقيه السيد

(١) فى هامش المطبوع: «ولد أبى محمد عبد القادر قاضى فاس الشهير».

(٢) فى هامش المطبوع: «ليس هو صاحب النوازل وشرح التحفة وغيرهما من المؤلفات التى تبلغ ٥٠ أحد أعلام العصر السليمانى».

محمد بن أحمد الغربى الرباطى، والفقيه السيد عبد الله بنانى الرباطى، والفقيه السيد محمد بن اليسع الفيلالى هؤلاء الثلاثة كانوا يتناوبون القضاء بالرباط واحد بعد واحد ثلاثة أشهر للواحد، ويرجع بعده الآخر، والفقيه زنيير^(١) بسلا، وابن أخته الفقيه بناصر معين والفقيه السيد التهامى^(٢) ابن عمرو الرباطى بالصويرة.

ومن قضااته على فاس يوسف بوحنان ولاه بعد بوخريص، ثم نقله لمكناسة، وولى الهوارى مكانه، ثم أبو محمد عبد القادر بن شقرون أشار لذلك الزيانى فى شرح ألفية السلوك.

وعلى مراکش عبد العزيز العبدلى، ثم عزله كما مر ذلك، ثم أعاده بعد حجه وأشرك معه فى القضاء غيره كعبد العزيز بن حمزة، وابن الخطاب، وأبى بكر الشنقيطى، ثم تداوله جماعة من فقهاء مراکش كما فى الترجمان.

وعلى مكناسة أبو القاسم العميرى، ومحمد العربى القسمطينى، والطيب ابن محمد بصرى، والمولى أحمد بن على العلوى، وقد تقدمت لك ترجمة الأخيرين.

وعلى الرباط المهدي مرين، ثم ولده محمد، والحسن بن أحمد الغربى، ثم العربى القسمطينى، ويوسف بوحنان.

(١) فى هامش المطبوع: «هو محمد بن حجى شارح الهمزية المتوفى سنة ١١٩٤».

(٢) فى هامش المطبوع: «قال فى إتحاف أشرف الملا:

ومنهم القاضى ابن عمرو الأوسى	مجالس السلطان دون لبس
علامة مشارك رباطى	وهو التهامى أخو اغتباط
كان خطيبا بالعتيق لسنا	مدرسا وسمته قد حسنا
على أحاديث النووى علقا	شرحا جليلا للأمير اتسقا
يعرف بالأنوار وهو بالرباط	بخزنة الدار الشريفة يناط
رسمه المولى أبو عبد الإله	قاضى الصويرة فدام فى هداه
	إلخ».

ومن قضاته على الصويرة أحمد زروق.

وزرائه

منهم العربي أفندى قادوس، قال فى الجيش: إن السلطان سيدى محمد كان يدعوه بذلك يعنى أفندى إعظاما واستفخاما لشأنه، وكان من مواليه الذين نشأوا فى حجور تربيته ورضعوا أخلاق حضرة الملك وارتشفوا لبانها، قال: وأصله من علوج الإسبان كما أخبرنى بذلك ولده السيد محمد، وكان شعلة من الذكاء والفطنة، وركنا شديداً من أركان الدولة المحمدية فى حسن التدبير والحزم، وكان شأنه فى أمور الكتابة أن يأمره السلطان بأن يأمر الكتاب بالكتابة لفلان بكذا ولذوى فلان بكذا فيكتبون ما أمرهم به، فيأخذه عنهم ويطبعه ويدخل به إلى حضرة السلطان فيسرد عليه تلك الأوامر ثم يخرج بها ويدفعها لأربابها.

كتابه

من حذاق كتابه وكتاب جدته السيدة خنثة بنت بكار الأستاذ أبو عبد الله محمد المكى الشاوى حج معهما، والكاتب المشارك أبو العباس أحمد بن عثمان المكناسى كان من الرؤساء المهرة فى الإنشاء والترسيل، وأبو عبد الله محمد سكيرج الفاسى، وأبو القاسم الزياني، والطبيب كدران المكناسى، والمهدى الحكاك المراكشى، وعبد الرحمن بن الكامل المراكشى، وأحمد الغزال الفاسى، والطاهر بنانى الرباطى، والطاهر بن عبد السلام السلوى، وسعيد الشليح الجزولى، وإبراهيم اكيل السوسى، وأبو عبد الله محمد بن عثمان المكناسى، وعبد الكريم ابن زاكور، ومحمد الموزيرق المراكشى، ومحمد الحافى، ومحمد بن المبارك، والطبيب الحناش وغيرهم.

كان أهل الإنشاء والبلاغة قائمين بوظيفتهم الذى لا يقوم به غيرهم، وأهل الخط المبسوط يستعملهم فى مكاتب العمال والثغور والرعايا والشكايات، إذ تلك المكاتب لا تحتاج إلى صناعة ولا إعراب، وأهل الدفاتر والحساب يستعملهم فى مصارف الدولة وحسابتها داخلاً وخارجاً، قاله أبو القاسم الزيانى .

شعراؤه

منهم أبو العباس ابن عثمان، وقد تقدمت ترجمته وبعض ما له فيه من بليغ القول، ومنهم أبو عبد الله ابن الطيب سكيرج الآتى الترجمة، ومنهم أبو العباس أحمد بن المهدي بن محمد الغزال الحميرى الأندلسى الملقبى الفاسى السفير الكاتب المتوفى سنة ١١٩١، ومن شعره فيه قوله :

سلا بانة الجرعاء هل جادها قطر	وهل أمرعت أجزاع ساحتها الغر
وهل نسجت أيدى الحياء بروضها	برودالها من كف راقمها نشر
فيالك روضا من بكاء غمامه	تبسم من أثغار أكمامه الزهر
كأن به الأدواح تهتز نضرة	عرانس تزهو فوقها حلل خضر
كأن بها ورق الحمائم سجعا	قيان لها فى صوغ ألحانها جهر
كأن ثغور الأقحوان مباسم	تسلسل من ظلم الرضاب بها خمر
كأن الشفاء اللعس منها شقائق	تناسق فيها تحت قائنها در
كأن احمرار الورد فى ريق الحيا	خدود غوانى الغيد لاح بها بشر
كأن ذبول الترجس الغض عادة	لواظ من أهواه ماج بها سحر
كأن غصون البان والرند ميسا	خرائد دب فى معاطفها سكر
كأن شذا الأزهار ينفحها الصبا	فيماً أرجاء المتان لها نشر

خلال أمير المؤمنين (محمد)
إمام له فى باذخ العز رتبة
تسامى على سامى السماك مكانها
وماد لها شم الشوامخ هيبة
تذل لها الآساد فى أجماتها
تزلزل أهل الشرك منها وأذعنوا
وصاروا عبيدا من مهابة بأسها
يؤدون بالإذلال والهون جزية
ومن لم يرم إعطاءها متكبرا
كما حاق بالمهدومة الخير جهرة
تصدى لها فخر الملوك بغزوة
وصب عليها من بوارق بطشه
فأفسدها قهرا وخرب دورها
ومن ذا يلاقى صولة هاشمية
فيا لك من عز تكامل سعده
تقاصر عن إدراكه شأو سابق
فأخره الرحمن للعادل الرضا
بك اختتم الإحسان والعدل والندى
وكيف تدانيك الملوك سماحة

إذا صيغ فيه المدح أو نظم الشعر
تقاصر عنها الوهم والوصف والحصر
وصار إلى عليائها يخضع الدهر
وأمسى يراها فوق هامته البدر
وترتاع فى أغمادها القضب البتر
وعم على آفاق أجناسهم قهر
ولم ينجهم فى الأرض بر ولا بحر
يقون بها الأنفاس فهى لهم عمر
يحقيق به فى الحين من بأسه مكر
وحل بها من سوء أفعالها خسر
تزعزع منها الجو والبر والبحر
صواعق حتف لا يطاق لها أسر
وشدد أهل الكفر عنها لهم ذعر
إذا انتهضت للأمر يسبقها النصر
ويالك من فتح به سمح الدهر
وحاول أن يلقاه فانعكس الأمر
ليعظم فى الأعمال منه له الأجر
كما ختم الأشفاق فى فضلها الوتر
وعزا وفخر أو يكون لها خطر

ولم لا تفوق الناس مجدا وسوددا
وأنت سليل المصطفى سيد الورى
ورثت نداءه والسجايا وعدله
فأصبحت للإسلام طود حماية
تود البحور الزاخرات لو انها
تناسى الرشيد والأمين وصنوه
نسخت حديث القوم فى الجود والندى
أتتنا بك الأيام عند مشيبيها
وعادت رياض العلم عابقة الشذا
وشدت ذُرّاً الآداب فاعتز أهله
فخذها من العبد المحب قلادة
يؤد جرير والفرزدق حقها
تطرز عذب النظم منها بمجدكم
فقابل ثنائها بالقبول فإنه
وجزى كل الجزم أنك فاعل
وإن قصرت فى حصر مجدك إنها
إذا نحن أثنيّا عليك بمدحة
ولكننا نأتى بما نستطيعه
أدام لنا الرحمن ملكك عزة

وتعنوا إلى أوصافك الأنجم الزهر
ومن من نداءه الجم يغترف البحر
وسيرته فى الخلق فاكتمل الفخر
وغيثا لأهل الأرض إن نالهم فقر
يكون لها من جود راحتك العشر
وجعفر والمهدى والواثق الصدر
فأصبح وهو اليوم ليس له ذكر
فعادت عروسا بالبهاء لها قدر
تغرد فى أفنان أدواحها الطير
وصار لهم فى كل شاشعة فخر
تناسق من غالى المديح بها در
وتخجل من ألفاظها الأنجم الزهر
ونادى جهارا هكذا ينظم الشعر
عراس مدح والقبول لها مهر
وأنى بها لا شك ينضحنى البحر
ستنشد ما قد قاله العالم الخبر
فهيهات يحصى الرمل أو يحصر القطر
ومن بذل المجهود حق له العذر
وفخرا إلى الإسلام ما بعده فخر

وخلد رب العرش أمرك في الورى به تسعد الدنيا ويتهج الدهر
ودمت قرير العين للدين والهدى ودام مدى الأيام يخدمك النصر

وقد ألف فيه ثلاث رسائل فى مدح مخدومه فيها مسلكا لم يسبق إليه
واستنبط كما قال من أمداحه، ما لم يهتد إليه بلغاء مداحه، فلغزال أمداحه الباع
العريض، فى منافسة أهل الأدب وبلغاء القريض، وقد آلى على نفسه، ألا يأتى
فى أمداح سيده بما تستطيعه أبناء جنسه، وأن يخترع بكل عام من الأدب ما
يتعجب من إبداعه، على اختلاف أصنافه وأنواعه.

ولم يزل يجيل فرس الفكر بميدان التأمل والاعتبار، فيما يناسب من أمداح
هذا الملك الجليل المقدار، إلى أن فتح عليه فى طرق ما سلكها قبله ذو ذهن ثاقب،
ولا عبرها من سمت منه فى الأدب مناقب، أول تلك الرسائل (اليواقيت الأدبية،
بجيد المملكة المحمدية) وضع فيها أربعة أبيات فى مربع كل بيت من بيوت ذلك
المربع فيه تاريخ لبيعة الممدوح الذى هو حادى عشر المملكة العلوية فاجتمع من
بيوت ذلك المربع ستة عشر تاريخا، أضاف لها قصائد على عددها الذى هو عدد
البحور الشعرية، فجاءت كل واحدة من بحر، وافتتح حروف أوائل أبياتها بحروف
الأبيات الأربعة الموضوعة فى المربع، ثم أتى بعدها بستة عشر بيتا مفردا من كل
بحر بيت، وفى نقط حروف كل بيت تاريخ.

كذلك من قوله فى تلك القصائد من (نزهة الملك المنصور، فى مستعذب
وافر البحور:

(ر) حيب البذل بادی العدل مسدى	جزيل الفضل عن كرم وجود
(ف) ضائله الغزيرة ليس تحصی	ومن یحصی الجواهر بالعقود
(خ) لافته أمان فى أمان =	ولایتہ سعود فى سعود

(ط) ليق الوجه بادی البشر أوفى وفى فى المصـادر والورود

(ي) راعى العهد يحفظه امتنانا يفك أسير ظلم من قيود

وقوله من «نزهة الإمام الكامل ، فى جواهر الكامل» :

(ي) حمى ذمار المسلمين بعدله وبسيف حق كف كف المعتدى

(د) امت صنائعه الجميلة فى الورى أمد المدى أمدادها لم ينفد

(و) تراكت أمواج بحر نواله ومعينها مستعذب للورد

(ص) افى المشارب كوثرى طعمه فى ورده نيل المنى والمقصد

(ف) اضت علينا من زلال معينه نعم لها شكرى بيومى والغد

(أ) عظم بها نعماً إذا ما شئتها يمم حمى تاج الملوك محمد

أول حروفها من قوله «بعرف خطير» و«يشيد وصفا» فى أبيات المربع ومن

الأبيات المفردة فى قوله فى «المفرد الرابع ، للمحاسن جامع» من الوافر :

ولاية ملكنا وافى العهود بها نيل الأمانى فى الوجود

والرسالة الثانية (الأطروفة الهندسية ، والحكمى الشطرنجية الأنسية) ذكر فيها

مثمنا ثم شحنه كما قال بفصول أربعة ، تتألف بأخذ حرف من كل بيت على طرق

مبتدعة ، غير إن أحد الفصول يفتح غالب بيوت المثلث بحروفه ، وتعميره على

سير الفرس فى جمعه وتصنيفه ، إلخ .

والثالثة (نتيجة الفتح ، المستنبطة من سورة الفتح) استنبط فيها اشتمال حروف

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۖ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝﴾ [سورة الفتح ١ - ٣]

على اسم صاحب الترجمة واسم أبيه وجده وأخبار مملكته بما لفظه :

«محمد بن عبد الله نسل إسماعيل ينصر نصرا عزيزا رائقا، ويملك فتحا ذا غنى فتكون مملكته ممكنة ولكل خير كافية وأيامه طاهرة نقية» كرر من الحرف ما هو مكرر فى الآية وقابل كل حرف بمثله عدى الصاد من الصراط أبدله بالسین، على قراءة أحد المكيين، وخاطبه فيها بقوله:

وای عز وفخر	لمن له الذكر ذاكر
تلك السعادة ممن	حاز العلى عن أكابر
فكن إمام المعالى	لأنعم الله شاكر
فقد بلغت الأمانى	وحزت أسمى الذخائر

وذكر أن مما ثبت من أخبار ملوك الأعاجم، واعتنى به اليونانيون ووضعوا له الفصول والتراجم، أن للحروف خواص وأسرارا، يستخرجون بها أحاديث وأخبارا، وأعظم ما يعتنون به عند كل سنة، يقترحون على من له فكرة صقيلة حسنة، أن يجمع كلمات نقط حروفها ما مضى من الأعوام، فيتفألون بما أبرته القدرة عن الإلهام، فيكون غالب ذلك موافقا للمتوقع فى ذلك العام.

ولم تزل المشاركة تتمذهب بذلك فى سائر أوقاتها، وتستعمله الملوك فى مهماتها، ثم ذكر خمسة أبيات كل بيت منها فى مسدس فاجتمع من فواتح كلمات تلك الأبيات ثلاثون حرفا، إن جمعتها وجدتها هكذا «محمد بن عبد الله بن إسماعيل نصره الله» وإن عدت نقط حروفها خرج لك عام البيعة.

والرسائل الثلاث بخط مستنبطها الحسن المتسع موجودة بخزانتنا فرغ من آخرها ثامن عشر شوال سنة ١١٧٢ كما وقفت على رحلته نتيجة الاجتهاد بخط يماثل ذلك الخط، وإن كان أدق منه حروفا، وهى بخزانة الدولة بالرباط.

ومن شعرائه الأديب الماهر أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد النونان الحميرى التواتى الفاسى صاحب الأرجوزة الشهيرة بالشمقمقية المشتملة على كثير من الآداب والحكم ولطائف الإشارة لأيام العرب ووقائعها ومشاهير رجالها ومطلعها:

مهلا على رسلك حادى الأيتق ولا تكلفها بما لم تطق
فطالما كلفتها وسقتها سوق فتى من حالها لم يشفق
ولم تزل ترمى بها أيدي النوى فكل فج وفلاة سملق^(١)
وما ائتلى يذرع كل فدقد ذراعها وكل قاع قرق^(٢)
إلى أن قال فى التخلص لمديحها مشيرا إلى تقنية الممدوح لوالده بأبى الشمقمق لما كان عليه من جودة القريحة وغزارة المادة وحسن البديهة والمشاركة فى الأدب تشبيها له بأبى الشمقمق مروان بن محمد الكوفى الشاعر مولى الحمار آخر خلفاء الأمويين:

وإن أردت أن تكون شاعرا فحلأ فكن مثل أبى الشمقمق
ما خلت فى العصر له من مثل غير أبى فى مغرب أو مشرق
لذاك كناه به سيدنا السلطان عز الدين تاج المفرق
(محمد) سبط الرسول خير من ساد بحسن خلقه والخلق
أعنى أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن الأمير المتقى
خير ملوك الغرب من أسرته فى وقته على العموم المطلق

(١) فى هامش المطبوع: «سملق قاع صفصف».

(٢) فى هامش المطبوع: «قرق ككتف مشوى».

له محيا ضاء فى أوج الدجى
وراحة تغار من سيولها
ودوحة المجد التى أغصانها
فاق الرشيد وابنه فى حلمه
وساد كعبا وابن جدعان وطا
ولم يدع معنى لمعن فى الندى
مذ كان طفلا والسماح دأبه
نشأ فى حجر الخلافة ومذ
فبايعته الناس طرا دفعة
وأعطيت قوس العلا من قد برا
فصار فىء العدل فى زمانه
وشاد ركن الدين بالسيف وقد
وقد رقى فى ملكه معارجا
ورد أرواح المكارم إلى
والسعد قد ألقى عصا تسياره
يا ملكا ألوية النصر على
طاب المديح فيكم وازدان لى
لولاك كنت للقريض تاركا

سنه مثل القمر المتسق
سيول ودق وركام مطبق
بها الأرامل ذو تعلق
وعلمه ورأيه الموفق
هرا وحائما ببذل الورق
ولم يكن كمثلته فى الخلق
وغير مأخذ الثنا لم يعشق
شب فتى بغيرها لم يعلق
لم يك فيها أحد بالأسبق
أعوادها رعاية للأليق
متشرا مثل انتشار الشرق^(١)
حاز بتقواه رضا الموفق
لم يك غيره إليها يرتقى
أجسادها بعد ذهاب الرmq
بقصره وخصه بمعشق
نظيره بغربنا لم تخفق
فالفكر فى بحر الثنا ذو غرق
لعدم الباعث والمشوق

(١) فى هامش المطبوع: «الشرق الشمس».

وهي معروفة مطبوعة وقد شرحت فى مجلدات، وأول من شرحها أبو عبدالله محمد الحريرى قاضيه المتوفى سنة ١٢٤٠ فى نيف وتسعين كراسا، ثم الطاهر ابن العناية المكناسى المتقدمة ترجمته، ثم شرحها أديبا العدوتين أبو حامد المكى البطاورى الرباطى قاضيهما وأبو العباس أحمد بن خالد الناصرى السلوى وكل منهما فى مجلدين .

وكان ابن الونان ناظمها لما انتهى من نظمها قصد بها المترجم الممدوح بها، فتعذر عليه الوصول إليه، فتحين خروجه فى بعض الأيام واعترضه فى موكبه وصعد نشراً عاليا من الأرض ونادى بأعلى صوته :

يا سيدى سبط النبى أبو الشمقمق أبى

فعرفه رحمه الله وأمر بإحضاره بعد بلوغه إلى منزله فحضر وأنشده إياها فوقعت منه أحسن موقع فأجزل صلته، ورفع منزلته .

ومن شعره فيه قوله وقد أوقع بطائفة من الريف :

سعد الذى آوى لظلك طائعا	وسعى لخدمتك السعيدة وابتدر
لم يشق إلا خائن متمرد	نبذ الأمانة والشريعة مذ ختر
كبغاة أهل الريف لا قرت بهم	عين ولا أسقى بلادهم المطر
شقت عصا الإسلام منهم فرقة	سلك الغرور برأيها نهج الغرر
ضلوا عن النهج السوى ببغيهم	فسطا بهم سيف الإمام وما ائتمر
ألقي عليهم من صواعق بنه	ما كاد يمحو العين منهم والأثر
ظنوا صياصيههم لهم وزرا وإذ	خابت ظنونهم تنادوا لا وزر
ظهرت بقتلهم البلاد من الأذى	ولكم بهم قد كان فيها من قدر

وله فى مدحه قصيدة أخرى من البسيط على روى الدال يذكر فيها فتح ثغر الجديدة وإجلاء البرتغال عنها ويصف الحال، وهى طويلة وأخرى من الطويل على روى الحاء يعارض فيها قصيدة عوف بن محلم فى عبد الله بن طاهر، وهى مشهورة كما قاله الجريرى فى شرحه المذكور.

ومن شعره أيضا قوله على لسان الباب المواجه لقبة الضريح الإدريسي بفاس الموالى لسوق المجادلين الذى بناه المترجم هناك وهو منقوش عليه:

بديع محاسنى زان العيون	وحسن شمائلى سحر الجفونا
وموطنى السعيد يفوح عطرا	بذكر الله رب العالمينا
ومجدى ثابت لا ريب فيه	بقطب الغرب كهف العابدينا
وزدت مجادة لما كسانى	وطرزنى أمير المومنين
(محمد) الإمام أخو المزاي	وبانى المجد بنينا مكي
أجاد أمينه (الصفار) صنعى	وأحسن إذ تخيره أمينا
وتاريخى بشعبان جلى	يدوم به هناء المسلمينا

ويقال: إن الصفار أعطاه على البيت المذكور هو فيه خمسمائة مثقال.

سفراؤه

الحاج الخياط عدیل الفاسى، والطاهر بنانى الرباطى، والطاهر بن عبد السلام السلوى، وعبد الكريم راغون التطوانى، ومحمد الحافى، وعبد الكريم العمونى التطوانى، والمولى عبد الملك بن إدريس العلوى، ومحمد بن عثمان المكناسى، وأبو القاسم الزيانى، والقائد محمد الزوين بن عبد الله الرحمانى، والقائد الطاهر فنيش السلوى وغيرهم للدولة العثمانية.

وأحمد الغزال الفاسى وابن عثمان المكناسى إسبانيا.

وعلى مرسيل الرباطى والطاهر فنيش لفرنسا

ومحمد الحافى، وابن عثمان لمالطة.

والرئيس العربى المستيرى الرباطى لانجلترا.

والحاج التهامى المدور الرباطى، وفى روضة الزيانى مدون وكلا البيتين
موجود بالرباط، للسويد.

وابن عثمان لنابولى.

عماله

على فاس الحاج محمد الصفار، ثم ولده العربى، ثم المنكاد ثم عزله وأعاد
العربى الصفار، ثم عزله وولى عبد السلام الجعيدى، ثم محمد بن حدو الدكالى
فشدد فى الأحكام على أهل الجرائم، وكان من أحسن العمال إلى أن وقع بينه
وبين القاضى ابن شقرون خصام فعزلهما، وولى ولده المأمون خليفة فاس العليا،
وجعل ثلاثة خلائف عنه من أهل فاس، ولما مات المأمون ولى العربى الصفار،
وبعد سنة وجهه للمشرق سفيرا، وولى أخاه محمد الصفار وكان حازما ضابطا
أحسن من أخيه، ثم بعد مدة جعل الأحكام منابذة لقواد الصويرة إلى أن توفى.

وعلى الرباط على مرسيل، والعربى المستيرى، والحاج عبد الوهاب
أشكلانطو.

وعلى تطوان عبد الكريم بن زاكور.

وعلى طنجة محمد بن عبد الملك الريفى لما قبض على صاحبها عبد الصادق
ابن أحمد الريفى.

وعلى العرائش ابن زاكور ثم نقله لطنجة، وكان عليها سنة ١١٧٩ الزياني .

وعلى درعة الباشا سعيد بن العياشي .

وعلى تارودانت القائد الشيخ البخاري .

وعلى دكالة، وتامسنا، البوزراري الجابري، ثم محمد وعزيز .

وعلى شفشاون وقبائل غمارة والأخماس ونواحيهما الباشا العياشي .

وعلى الغرب الهاشمي السفيناني والحبيب المالكى .

وعلى آيت إدراسن ولد محمد وعزيز كبير البربر .

وعلى الشاوية عبد الله الرحمانى .

وعلى تادلا المولى إدريس بن المتصر .

وعلى الشياظمة القائد محمد وبلا وأخوه أحمد .

وعلى سوس عبد الرحمن الوفريتي والباشا عبد النبي المنبهي .

نقباؤه على الأشراف

منهم المولى الرشيد بن عبد الهادي بن عبد النبي الدرقاوى الحسنى المتقدم
الذكر فى ظهير المترجم للشيخ التاودى فى باب عطايه وأحباسه، ومنهم الأشراف
الاثنا عشر الذين أسند إليهم النقابة بفاس ونص ظهير ذلك بعد الحمدلة والصلاة:

«عن أمر عبد الله، المتوكل على الله، أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين،
المجاهد فى سبيل رب العالمين، ثم الطابع بداخله: محمد بن عبد الله بن إسماعيل
الله وليه ومولاه وبدائرتة ومن تكن إلخ البيت، حرس الله جوانبه، وخلد فى
صفحات الدهر مزايه ومناقبه، يستقر هذا المكتوب الكريم، المصحوب إن شاء الله
باليمن والتعظيم، بيد حملته ساداتنا الشرفاء الأخيار الأنجابه، المذكورة أسماؤهم

عقب تاريخ هذا الكتاب، وجملتهم اثنا عشر، صانهم الله فى الورد والصدر، يعلم منه أنه لما ثبتت لدينا نجدتهم، وتحققت عندنا ثقتهم وأهليتهم، قلدناهم بعون الله خطة النقابة على الأشراف بحضرة فاس القرويين عمرها الله.

وأذنا لهم فى تصفح الرسوم الحادثة والقديمة، والبحث عن أصول المتسبين للنسبة الطاهرة الكريمة، والاطلاع على ما فى أيديهم من البيانات والعقود، والنظر فى الموجبات والشهود، وتصحيح النسبة وإبطالها بالموجب الشرعى، والوجه الواضح المرعى، على السنن المعروف، والنهج المعهود لمن قبلهم والمألوف.

وحسبهم أن يحكموا فى ذلك بالظاهر، والله سبحانه يتولى السرائر، وعليهم حفظهم الله بالثبوت واتباع الشريعة ونبذ الشهوات، وإمعان النظر فيما يرجع للخطة المذكورة من الجزئيات والكليات، وكل من أثبتوه أثبتناه، ومن نفوه نفيناه، استنادا منا لأمانتهم وحسبهم، واعتمادا على دياتهم وشريف نسبهم، تقليدا تاما صحيح المبنى، شاملا لجميع من كان من أهل فاس بالأصالة أو بالسكنى، ونأمر أهل الدعوات الذين يدعون هذه النسبة الشريفة ويزعمونها أن يتكلموا معهم فيها ويعملوا بقولهم، ولا يخرجوا عن رأيهم وحكمهم، ومن نازعهم فيما قلدناهم، أو عارضهم فيما وليناهم، فليكن من العقوبة على وعد إن شاء الله، وحسب الواقف عليه من القضاة، والحكام والولاة، أن يعمل بمقتضاه، ولا يتعدى ما أبرمه أمره الشريف وأمضاه، والسلام وفى أواخر جمادى الأولى من عام واحد وسبعين ومائة وألف.

ذكر السادات الشرفاء الموعود بذكرهم صدر الكتاب:

مولاي عبد المالك بن مولاي أحمد الحسنى العمرانى الجوطى، مولاي عمر ابن مولاي حم الحسنى الجوطى، مولاي الطب بن مولاي حفيد الحسنى الجوطى، ولد عمه مولاي عبد الله بن عبد الرحمن الحسنى الجوطى، مولاي هاشم بن

مولای عبد الواحد الطاهری الحسنى الجوطی، ولد عمه مولای علی بن التهامی الجوطی، مولای محمد بوغالب بن العربی الحسنى الجوطی، مولای عبد الهادی ابن عبد الرحمن عرف بالدباغ، مولای الفضیل بن محمد الکتانی الحسنى، مولای أحمد بن مولای إدريس الطاهری الصقلی الحسینی من أهل النعال الشریفة، مولای حفید بن مولای محمد الصقلی الحسینی، مولای أحمد بن مولای إدريس العراقی الحسینی، وبه تم بتاریخ الكتاب یسرتة».

نظاره

منهم ناظره علی جمیع الزوايا القادرية وأوقافها بالمغرب المولى الطیب ابن علی القادرى وقد تقدم فى ترجمته الظهير المتولى به علی ذلك.

ومنهم ناظره علی الرباط الحاج المکى برکاش تولاهما سنة ١١٨٥.

ومنهم ناظره علی مكناسة الحاج الطیب المسطاسى وقد تقدمت لك بعض الوثائق الدالة علی ذلك والمحاسبات التى أوقعها فیما بیده وما وقفت له علیه فی هذا الباب ما نصه:

«تقیید محاسبة الناظر السید الحاج الطیب المسطاسى فیما دخل علیه من مستفاد المسجد الأعظم من محروسة مكناسة وأوقاف السور ومسجد مولانا إسماعیل، ومسجد الأزهر، وأوقاف المساكين، وروضة مولای عبد الله بن أحمد عن مدة من أربعة عشر شهرا أولها المحرم فاتح عام اثنين ومائتين وألف وآخرها شهر صفر من عام ثلاثة ومائتين وألف:».

جملة الداخل أربعة آلاف مثقال ومائتا مثقال ثنتان وسبع وثمانون أوقية واثنان وعشرون فلسا:

فمن أوقاف المسجد الأعظم ألف مثقال واحد وستمائة مثقال وخمسة وعشرون مثقالا وخمس أواقى وستة عشر فلسا .

ومن أوقاف مسجد الأزهر ستمائة مثقال وتسعة وخمسون مثقالا وأوقيتان .

ومن أوقاف المساكين خمسمائة مثقال وأربعة وتسعون مثقالا وثمان أواقى وأربعة أفلس .

يضاف لذلك ما دورك عليه فى المحاسبة قبل هذه ألف مثقال وواحد وأربعون مثقالا وخمس أواقى ونصف وثمانية أفلس اجتمع فى الداخل المذكور والمدرک خمسة آلاف مثقال ومائتا مثقال ثنتان وخمسون مثقالا وأوقيتان وثلاثة أرباع الأوقية وستة أفلس والداخل المذكور فى المشاهرة ومسانهة جامع الأزهر فقط» .

«الحمد لله تقييد الصائر فى المدة المذكورة أعلاه عن المرتب وسائر الكنايش : جملته خمسة آلاف مثقال ومائة مثقال واثنان وثلاثون مثقالا وست أواقى إلا ربع أوقية .

فمنه فى مرتب المسجد الأعظم ثمانمائة مثقال وسبعة وستون مثقالا دراهم . ومنه فى مرتب مسجد مولانا إسماعيل وضريحه ومسجد قصبة هدراش ومدارس القصبة السعيدة ، ومرتب الشريف الضرير ، والفقير السيد محمد بن المهدي المدرس بالزاوية الإدريسية ألف مثقال واحد وثلاثمائة مثقال واثنان وثمانون مثقالا وأوقية .

ومنه فى مرتب مسجد الأزهر ومدرسته وما صار فى إصلاح رباعه ومرتب السيد عثمان التازروتى ستمائة مثقال وسبعون أوقية .

ومنه فى صائر الكنايش على إصلاح الرباع وأجرة الناظر على الداخل والخارج وأجرة المحاسبة ألف مثقال واحد وثمانمائة واثنان وتسعون مثقالا وثلاث أواقى .

ومنه فى صائر حبس المساكين وروضة مولاي عبد الله بن أحمد ثلاثمائة
مثقال وتسعون مثقالا وخمس أواقى إلا ربع .

يسقط من الداخل الصائر المذكور يبقى مدركا عليه لجانب الحبس مائة مثقال
واحدة وسبعة عشر مثقالا وسبع أواقى ، وجميع الداخل والخارج المذكوران أعلاه
مبين جميعه فى أصل المحاسبة التى تحت يد الناظر فمن أراد تفصيله فليقف
عليها .

ومنهم الحاج سعيد بن الحاج العربى بن الصغير الفيلىلى ، وقفت على دفتر
صائره على الأحباس ابتداء من سنة ١١٨٧ إلى سنة ١١٩٢ على بتر وقع فى أوله
وآخره وصف فيه المذكور بالنظارة وذكرت فيه الصوائر بشهادة عدلين كل نصف
شهر على حدة ، وهى فى المدة تختلف من ألفى أوقية وخمسمائة أوقية ارتفاعا إلى
مائتى أوقية ونيف نزولا وعلى الدفتر خطاب «محمد المكى بن محمد المزوار
بكناسة» بخطه ، وفيه محاسبة الأمناء الثلاثة الحاج العياشى بن محمد حميش ،
والشافعى بن عبد الله بادو ، والحاج قاسم بن عبد السلام بن مومو الناظر المذكور
بما لهم من النظر فى الأحباس بالأمر المولوى على بعض ما تحصل فى يده من مال
الأحباس ، وكان ينوب عنه إذا غاب الحاج الهادى غريط .

ومن نظاره السيد على مرسيل ، كان على المسجد الأعظم بالرباط ولا زال
توقيته بيد أحفاده إلى الآن ، ولما مات أسند ذلك إلى والده ونص الظهير الذى
أصدره بذلك لأمناء العدوتين وفيه الأمر بالوقوف فى إحصاء مستفاد موازين
البلدتين وما أضيف إليها بعد الحملة والصلاة والتوقيع السلطانى بخطه أعلاه وهو
«وعلى هذا يكون العمل» :

«كافة خدامنا أمناء ثغر سلا والرباط ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد ، فالذى يكون عليه عملكم فى موازين سلا والرباط أن يقف أربعة من أمناء

سلا مع الطالبين الواردين من حضرتنا العلية بالله عليكم، وهما الطالب المأمون عlish وولد أخ الطالب عبد الرحمن الكدميوى على إحصاء مستفاد موازين الرباط، وما هو مضاف إليها إحصاء ضابطا.

ويقف أربعة من أمناء الرباط مع الطالبين المذكورين أيضا على إحصاء مستفاد موازين ثغر سلا وما هو مضاف إليها أيضا من رحاب وغيرها، بحيث لا يغيب عنكم من ذلك كله شاذة ولا فاذة، وحين يتم شهر شعبان أخبرونا بما استفيد من كل مدينة فى الشهر المذكور لتكون على خبرة بجميع ذلك، وولد خديمنا على مرسيل الكبير وليناه ما كان بيد أبيه يقف عليه كما كان أبوه وحتى المسجد يبقى ناظرا عليه كما كان أبوه قبله، ورتبنا له عشر موزونات عن كل يوم، ويقف فى خدمتنا بالمرسى وغيرها والسلام فى سابع عشرين رجب ١١٨٨».

ونص ما أصدره فى ولاية السيد أحمد ولد المذكور التوقيت بجامع السنة الذى أحدثه المترجم بأكدال الرباط بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«يستقر هذا الظهير الكريم، المقابل بالإجلال والتعظيم، بيد ماسكه خديمنا الطالب أحمد ولد خديمنا الطالب على مرسيل الرباطى، يعلم منه أننا وليناه التوقيت بمسجد جامع السنة وكلفناه به من غير معارض يعارضه ولا منازع ينازعه، وأنعمنا عليه بقبض ثلاثين أوقية فى كل شهر من الحبس إنعاما كليا، صدر أمرنا بهذا فى ٧ محرم الحرام فاتح اثنى عشر مائة ١٢٠٠».

ونص آخر بعد الحمدلة والتوقيع السلطانى وهو «أوقية ٣٠»:

«ليعلم من كتابنا هذه أسماء الله أننا أذننا لناظر الأحباس برباط الفتح أن يدفع لأولاد السيد مرسيل من مال أحباس رباط الفتح زيادة على ما يقبضونه ثلاثون أوقية عن كل شهر من شهر المحرم المؤرخ به والسلام وفى ٢٢ محرم الحرام فاتح ١٢٠١».

ونص آخر بعد الحمدلة والتوقيع بـ «١٢٠٢» :

«نأمر خديمنا أولاد مرسيل أن يمكننا لخديمنا الزوين المكانتين الاثنتين اللتان إحداهما فيها السفن والأخرى التى فيها النصرانى يدق على أطرافها فالتى فيها السفن ستفاهها فى صندوقها والأخرى تبقى على تستافها ٣» .

ومن نظاره الحاج التهامى بن يحيى السوسى السلوى ولاه النظر فى سائر مساجد سلا، وأوقافها مع نيابة بيت المال فى إرث المنقطعين وغير ذلك ونص ظهير ولايته بعد الحمدلة والصلاة:

«عن الأمر العلى العلوى، الإمامى المولوى، الفاطمى المؤيدى أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين (ثم الطابع بداخله محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه).

أيد الله أمره، وأبد فى معالم السعادة فخره ونصره، هذا ظهير ظهرت عليه آثار الإجلال، وتكاملت لديه عساكر الإفضال، يتعرف منه بسابغ يمن الله وطوله أن حامله الطالب الحاج التهامى بن يحيى السوسى أصلا السلوى دارا، وليناه النظر فى سائر مساجد ثغر سلا المحفوظ بالله وفى جميع المواضع المحبسة عليها جليلها وحقيرها، بحيث لا يشذ عن نظره شىء منها، وكذلك جعلنا له التولية على إرث المنقطعين الذى يستحقه بيت مال المسلمين عمره الله، كما جعلنا له قبض مستفاد غلات أملاك ابن عزوز الكائنة بثغر سلا، وقصرنا عليه النظر فى ذلك كله، وكلامه منه إلينا وعليه بضبط الجمع وإصلاح كل ما يحتاج إلى الإصلاح من المساجد ورباعها والوقوف على ذلك جهد استطاعته، بحيث لا يعتريه كسل ولا ملل، وعليه بتقوى الله ومراقبته فيما وليناه عليه وحسب الواقف على هذا المسطور الكريم من خدامنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه، والله يصلحه ويوفقه لصالح العمل، والسلام سابع شعبان المعظم عام ١١٨٠» .

ووقفت له على ظهير شريف بالأمر بمحاسبة أولاد ساسى السلويين عما كان بيد والدهم السيد العربى ساسى من مال الأحباس بحضور القائد عبد الحق فنيش ونصه بعد الحمدلة والطابع :

«حملة كتابنا الكريم، المتمسكون بخطابنا الجسيم، السيد عبد الله ولد الصائر لعفو الله السيد العربى ساسى السلاوى وولد أخيه سيدى محمد بن محمد ساسى أسدلنا عليهم أردية الاحترام، وجعلناهم على كاهل المبرة والإكرام، بحيث لا يضرب إليهم أحد ساحة، ولا يقرب إليهم مساحة، ومن اهتضم لهم حرمة يخاف على رأسه، وقد أبرأناهم من متخلف الحاج محمد بن يوسف وعلال بن مبارك والزعرى من حراطين سلا فقد أديا ما وجب عليهم لبيت المال عمره الله حسبما تضمنته الرسوم التى بأيديهم ولم تبق عليهم تباعة، ومن كانت له دعوى عليهم فليسلك معهم الشريعة، وإن كانت لهم دعوى على أحد فليصحبهم للشرع الكريم.

ونأمر قاضى مدينة سلا حرسها الله السيد عيسى، والفقيه السيد محمد ملاح، وعدول الصائر أن يحاسبوهم بحضور خديمنا القائد عبد الحق على ما كان بيد والدهم من مال الأحباس وما أبرزته المحاسبة من وفر يجعل فى مصارفه وفى ثانى شعبان المبارك عام اثنين وسبعين ومائة وألف».

ومن نظاره السيد محمد فتحا بن محمد ساسى كان على أوقاف المسجد الأعظم بثغر سلا، حسبما جاء بوثيقة شرائه الموطأ بالنيابة عن المسجد من الكاتب السيد الطاهر بن عبد السلام ونص ذلك بعد الحمدلة :

«اشترى الناظر على أوقاف المسجد الأعظم من مدينة سلا أمنها الله تعالى سيدى محمد بن البركة الأجل سيدى محمد ساسى، وهو نائب فى الشراء ودفع الثمن عن المسجد المذكور، ولا حق له فى ثمن ولا مثنى من البائع له الفقيه

الأجلّ العلامة السيد الطاهر بن الأبر السيد الحاج على بن عبد السلام جميع المجلد المحتوى على موطأ الإمام سيدنا مالك بن أنس رضى الله عنه المكتوب هذا على أول ورقة منه للحاجة إليه اشتراء تاما، بثمن قدره له ثلاثون أوقية دراهم سكة تاريخه، قبض البائع المذكور جميع الثمن دراهم عينا معاينة، وأبرأه من ذلك القبض أتم إبراء، وتملك المشتري للمشتري له المذكور تملكاً تاماً وحازه بالدرك عرفاً قدره شهد به عليهما من أشهاده بأكمله وعرفهما فى الثانى عشر من جمادى الثانية عام أربعة وسبعين ومائة وألف».

ومنهم السيد محمد بن أحمد الشامى المدعو النقيب، كان ناظراً على مسجد القرويين، ورد ذكره كذلك بدفتر الأحباس المكناسية.

ومنهم الشيخ أبو مدين الفاسى أسند إليه النظارة وغيرها بزاوية جده سيدى عبد القادر بفاس، حسبما مرّ ظهير ذلك فى باب اعتنائه بالعلم وأهله.

أولاده

وكان له رحمه الله عدة أولاد أكبرهم أبو الحسن على خليفته على فاس المتوفى سنة ١١٩٧، وأشقاؤه المأمون خليفة فاس المتوفى سنة ١٢٠٠، وهشام أحد المبايعين من أولاده بعده وعبد السلام مؤلف درة السلوك واقتطاف الأزهار، أمهم ربة الدار العلية المولاة فاطمة بنت عمه المولى سلمان بن إسماعيل.

ثم سليمان السلطان وشقيقاه الطيب خليفة أخيه على مراكش وقائد جيوشه وموسى أمهم حرة من الأحراف.

ويزيد السلطان ومسلمة أحد المبايعين، وشقيقتهما السيدة حبيبة زوج ولد الشريف سرور شريف مكة، وقد ردها أخوها اليزيد لما مات الزوج كما عند الضعيف، أمهم شهرزاد علجة من سبى الإسبان.

والحسين أحد المبايعين وعبد القادر أمهما من الأحلاف .

والحسن وعمر أمهما من الأحلاف أيضا

وعبد الواحد أمه حرة من أهل رباط الفتح .

وعبد الرحمن أمه حرة من هوارة السوس .

وعبد الله أمه حرة من عرب بنى حسن .

وإبراهيم أمه علجة رومية .

ومن أولاده أيضا أحمد والتهامى .

ومن بناته بنت كانت عند المولى عبد الملك بن إدريس وهى التى تشفعت له عند أخيها المولى سليمان، ومنهن السيدة لبابة وقفت على كتاب للسلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن أيام خلافته قبل ولايته بعثه للقائد الجيلانى بن بوعزة جوابا عن كتابه فى الإعلام بوفاتها ونصه بعد الحمدلة والصلاة:

«وصيف مولانا الأرضى القائد الجيلانى بن بوعز أعانك الله وأصلحك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدنا أيده الله .

وبعد: فقد بلغنا كتابك مخبرا بوفاة عمه سيدنا لال لبابة قدس الله روحها نسأل الله أن يجعلها ممن قدم صالحا، وسعى سعيًا رابحًا، والله يعينك والسلام فى ٢٦ من شوال عام ٢٥٩» ثم الطابع سفل الكتاب فيه «محمد بن أمير المؤمنين وفقه الله» .

مؤلفاته

منها كتاب (الفتوحات الإلهية، فى أحاديث خير البرية، التى تشفى بها القلوب الصدية)، فى مجلد جمع فيه ما اتفق عليه الأئمة الستة أبو حنيفة

والشافعى وأحمد والبخارى ومسلم ومالك، يذكر أولاً ما اتفق عليه الستة، ثم ما اتفق عليه خمسة منهم، ثم ما اتفق عليه أربعة، ثم ما اتفق عليه ثلاثة، ثم ما اتفق عليه اثنان، ثم ما انفرد به كل واحد من الأئمة الأربعة، ثم ثنائيات البخارى ومسلم، والتزم تقديم أكبر الأئمة سناً فى الذكر مقتصرًا فى الأسانيد على ذكر الصحابى .

ثم ختم بذكر مناقب آل البيت، والعشرة، ومن استشهد منهم ووفياتهم رضى الله عنهم، وافتتحه بعقيدة ابن أبى زيد القيروانى التى صدر بها رسالته، وأول حديث فيه إنما الأعمال وإن كان رباعياً لأن الأعمال كما قال كلها موقوفة عليه، وذكر آخر كل فصل من الفصول المذكورة عدد ما اشتمل عليه من الأحاديث فكانت جملة أحاديث الكتاب ١٥١٦ حديثاً .

وعقد آخر الكتاب بعد ذلك فصلين أحدهما فيه معنى قوله فى ترجمة الكتاب «قال محمد بن عبد الله المالكى مذهبنا الحنبلى اعتقاداً»، والثانى ذكر فيه اعتقاده فى الأئمة الأربعة فذكر فى الأول: «أن الإمام أحمد ثبت الله المسلمين بثبوتهم سد طريق الخوض فى علم الكلام، وقال: لا يفلح صاحب الكلام أبداً، ولا ترى أحداً ينظر فى علم الكلام إلا وفى قلبه مرض، وهجر أباً عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى وكان ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن وذلك لتصنيفه كتاباً على المبتدعة، وقال له: ويحك أأست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة كلام أهل البدعة والتكلم فيه! فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث، فاختفى المحاسبى، فلما مات لم يصل عليه إلا أربعة، وإلى ذلك ذهب الشافعى ومالك وسفيان وأهل الحديث قاطبة، حتى قال الشافعى رضى الله عنه: لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام، فلزم السكوت عن الخوض فى علم الكلام إلى أن نبغ الإمام الأشعرى فاشتغل يرد على

المعتزلة أقوالهم الفاسدة ويجيب عن آرائهم الواهية، فأتبعه المالكية على ذلك وسموه ناصر السنة، وهو ومن تبعه على صواب، موافقين في اعتقادهم للسنة والكتاب، لا في الخوض مع الخائضين، والتصدي لذكر شبه المبطلين، وتخليدها في الأوراق إلى يوم الدين.

وأما الحنابلة فأنكروا عليه، وفوقوا سهام الانتقاد إليه، وقالوا له: كان ينبغي لك أن تسكت كما سكت الأئمة قبلك من السلف الصالح المهتدين الذين يرون أن الخوض في علم الكلام من البدع المحدث في الدين، أمالك فيهم أسوة؟ أفلا وسعك ما وسعهم من السكوت عن تلك الهفوة؟ فطريق الحنابلة في الاعتقاد سهلة المرام، منزهة عن التخيلات والأوهام، موافقة لاعتقاد الأئمة كما سبق مع السلف الصالح من الأنام، أعاشنا الله على ما عاشوا عليه، وأماتنا على ما ماتوا عليه، بجاه النبي وآله.

وذكر في الثاني أن اتباع كل إمام من الأئمة الأربعة يعظمونه ويذكرون أحاديث وردت عن النبي ﷺ فيه ويزعمون أن من تمسك بمذهبه فقد تمسك بالعروة الوثقى ويرجحون مذهبه على سائر المذاهب قال: «وأنا أقول قد صدق الجميع من أئمة الهدى المذكورين أعاشنا الله على هديهم وطريقهم بجاه النبي وآله إلا في كلمة واحدة، وهي كلمة الترجيح، لأن اعتقادي في الأئمة الأربعة أنهم على هدى وكلهم على التساوى لا يرجح أحدهم على الآخر، وكل من تمسك بمذهب من مذاهبهم فقد تمسك بالعروة الوثقى، فكلهم والحمد لله آخذون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وأقول: هم الخلفاء الأربعة على أمة رسول الله ﷺ فجعل أبا حنيفة خليفة أبي بكر، ومالكا خليفة عمر، والشافعي خليفة عثمان، وأحمد خليفة علي رضوان الله على الجميع.

وقد فرغ من تأليف هذا الكتاب الذى لم يسبقه إليه أحد من أئمة الحديث
المبرزين على هذا الصنيع العجيب فى جمادى الثانية عام ١١٩٨ .

ومنها كتاب (الجامع الصحيح الأسانيد، المستخرج من ستة مسانيد) وهو
مرتب على أبواب الفقه مبين فيه عقب كل باب ما فيه من الأحاديث مفصول
الكتب التى هى فصوله بالبسملة على عادة قدماء المحدثين، وذكر فى آخره
الفصلين المتقدمين فى شرح قوله الحنبلى اعتقادا مذهبا، وبيان اعتقاده فى الأئمة،
وختمه بذكر اشتغاله بالحديث وكيف استخرج مصنفاته فيه وإدخاله المسانيد الثلاثة
للمغرب فقال :

«إن من أعظم نعم الله على ، وأجل منته لى، أن وفقنى للاشتغال بالعلم
والبحث عنه والمذاكرة لأهله، وإنى بعد ما خضت فى علم اللغة برهة من الزمان،
وحفظت من كلام العرب وأشعارهم جملة صالحة معينة على فهم السنة والقرآن،
اشتغلت بعلم الحديث فاعتكفت على قراءة صحيح الإمام أبى الحسين مسلم بن
الحجاج النيسابورى، ومراجعة صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل
البخارى، وموطأ الإمام مالك بن أنس إلى أن ورد على مسند الإمام أبى حنيفة
النعمان بن ثابت فقرأته حتى ختمته والحمد لله .

ثم بعثنى الحديث الوارد عن الرسول ﷺ من حفظ على أمة الأربعين حديثا
من دينها حسبما سبق ذكره فى طالع هذا الكتاب على تأليف جملة من الأخبار،
من غير تطويل ولا استكثار، فألفت كتاب (الفتوحات الصغرى) معتمدا فى ذلك
على المسانيد المذكورة: مسند الإمام أبى حنيفة، ومسند الإمام مالك المسمى
بالموطأ، ومسند الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، ومسند الإمام
أبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى .

ولما أراد الله تعالى إكمال منته، وإتمام نعمته، وجزيل عطيته، ورد علينا مسند الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ومسند أمير المؤمنين في الحديث الإمام أحمد بن حنبل فاعتكفت على قراءتهما، ودأبت على مطالعتهما ومراجعتهما، فبعثنى صدق النية، وفرط محبتى للسنة النبوية، على جمع عيون من كلام خير البرية وسلكت فيها مسلكا لم أسبق إليه، ونسجت على منوال لم نر من نسج عليه، وسميته (الفتوحات الكبرى) فجاء بحمد الله كتابا بديع التصنيف حسن الترتيب والترصيف، يعد في المسندات.

ثم بدأ لى أن أجمع أربعمئة حديث من مسانيد الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب المتبعة، خاصة بهم دون غيرهم مائة حديث لكل واحد منهم، فأعدت قراءة المسانيد المذكورة مرة أخرى واستخرجت منها على الوجه المذكور كتاب (الجامع الصحيح الأسانيد) ثم ظهر لى أن أجمع هذه المصنفات الثلاثة التى هى الفتوحات الصغرى والفتوحات الكبرى والجامع الصحيح الأسانيد وأضمت بعضها إلى بعض، وأرتبتها على أبواب الفقه وأضيف إليها من حديث الأحكام، ما يكمل به الغرض والمرام، مأخوذا ذلك كله من الكتب الستة المذكورة التى هى مسند الإمام أبى حنيفة النعمان بن ثابت، ومسند الإمام مالك بن أنس المسمى بالموطأ، ومسند الإمام محمد بن إدريس الشافعي، ومسند أمير المؤمنين فى الحديث الإمام أحمد بن حنبل، ومسند الإمام سيدى محمد بن إسماعيل البخارى، ومسند الإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى.

فأضفت ذلك كله بعضه إلى بعض، ورتبته على أبواب الفقه وفصوله، ليسهل أخذ الحكم من قواعده وأصوله، وسميته كما تقدم بالجامع الصحيح الأسانيد، المستخرج من ستة مسانيد، فجاء بحمد الله كتاباً بديعاً نافعا، ولما يحتاجه الطالب من أدلة الحلال والحرام جامعاً، جعله الله خالصاً لوجهه الكريم، ومقرباً من رضوانه العميم.

ومن مؤلفاته كتاب (مواهب المنان، بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان) قال فى أوله «لما كان غالب اعتناء طلبة الوقت بحفظ القرآن والتفنن فى قراءته بالروايات، وإهمالهم ما فرضه الله على الأعيان مما يدان به من علم العبادات والاعتقادات، وإن كان فضل كتاب الله ماثورا، ومقام حفاظه بين أولياء الله مشهورا، لكن لاعم الجهل بما يعبد الله به من ضرورى الدين، فإنه على الموصوف بهذه الصفة حجة فى كل حين، لأن المقصود الأهم من حفظ القرآن، هو تعلم أحكام الدين التى بها الله يدان، إذ مجرد حفظ مجموعة فرض كفاية بلا ارتياب، ومعرفة ما تبرأ به الذمة فرض عين وإيجاب».

ثم قال: «وكننت لقيت حال سفرى من مكناسة إلى مراكش سنة ١٢٠٣ ثلاث بعد المائتين والألف من الأساتيد الجم الكثير، وألفت كل من اختبرت منهم لم يتمسك من علم دينه بقطمير، حملنى ذلك لما انطوى عليه الفؤاد من حب النصح للمسلمين، أن أجمع لهم مسائل مهمة من علم أمور الدين، قريبة المقاصد، شهيرة الموارد، مقتصر فيها على الضرورى ليسهل حفظه على الصبيان وهى أيضا نافعة لمن اقتصر عليها فى دينه من الشيوخ والكهول والشبان، راغبا بذلك فى محصول قوله ﷺ فيما أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح: إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر يصلون على معلم الخير الناس، وما رواه ابن ماجه من أنه ﷺ قال: أفضل الصدقات أن يتعلم المرء المسلم العلم ثم يعلمه أخاه المسلم».

وقد أوقف رحمه الله مؤلفاته وبالأخص المسانيد على خزائن المشرق والمغرب، وأوقف على تدريسها أوقافا وشرحها غير واحد من الأعلام، وذكر الضعيف فى تاريخه أن شيخه ابن أبى القاسم السجلماسى الرباطى ختم كتاب الفتوحات المذكور فى متم جمادى الثانية ١٢٠٠ وابتدأ البخارى عقبه أرشد الله

إمامنا لإحياء مآثر سلفه الصالح وألهمه طبع هذه الكتب القيمة ونشرها بين الناس .

وفاته

أصيب برد الله ثراه عند خروجه من مراكش للنظر فى أمر ولده اليزيد المعتصم بجبل العلم بمرض خفيف تزايد به فى الطريق، فلما وصل عين الحمارة بين وادى «الشراط ووادى يكم من أعمال الرباط أدركته منيته، وهو فى محفته على نحو نصف يوم من الرباط بعد العشاء من ليلة الاثنين السادس والعشرين من رجب عام ١٢٠٤^(١) ودفن عشية يومه كذا ببعض التقايد، وقيل: إنه مات يوم الأحد الرابع والعشرين منه وحمل لداره بالرباط حيث دفن بإحدى قبابها بحضور الفقهاء والعلماء والشرفاء والطلبة، وصلى عليه العلامة محمد بن أبى القاسم السجلماسى وضريحه هناك مشهور .

ولخاتمة الحفاظ المحدثين بالديار المشرقية الشيخ محب الدين أبى الفيض السيد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى الحنفى صاحب شرحى الإحياء والقاموس وغيرهما يرثيه ويهنئ بالملك ولده المولى اليزيد رحم الله الجميع بمئه:

وجدى يجد وحسرتى تتجدد	وطويل حزننى وافر لا ينفد
ومصيتى ذهبى بكل جلادتى	وذهبت لا أقوى ولا أتجلد
وأسى أقام وإننى من قبله	ما كنت أعلم ما المقيم المقعد
ما لى أرى بعد النباهة والنهى	بين المعالم باهتا أتبدل
سيان عندى عاذر ومعنف	ومحسن ومقبح ومفند
حجبت وجوه الرأى دون تصبرى	والرشد قل لى كيف ويحك أرشد

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «عام ١٣٠٤» .

لله غرب مدامعى شققته
 يا صاح عذراً إن عصيتك فى العزا
 يهنيك سيل الدمع قد بلغ الزبى
 وقد التقت حلق البطان فلا تلم
 فصمت عرا الصبر الجميل وخاننى
 كبد مفتتة وجسم ناكل
 يا دهر بع رتب المعالى كلها
 أعنى أمير المؤمنين وعصمة الـ
 ملك الملوك الصالحين وحرزهم
 نجل الملوك الطاهرين رئيسهم
 الصالح البر التقى العالم
 الحازم اليقظ^(١) الذكى اللين الـ
 الناسك القرم الوفى بعهدده
 ملك المغارب سيد الصيد^(٢) الجحا
 ابن النبوة والمروءة من سما
 حلت عزائمها الغمام على ثرى
 لو كان ينفع غلتى ويبرد
 مالى بذاك لا لسان ولا يد
 وأنقذنى الجوف القوى والأكبد
 لا أمس أمس ولا غد عندى غد
 ما كنت تعلم يافلان وتعهد
 وهوامع تجرى وقلب مكمـد
 مات الشريف ابن الشريف (محمد)
 مجد المكين المستغاث المسند
 بيت القصيد المرتجى والمقصد
 تاج الأئمة والفخار الأوحد
 الورع الولى العابد المتعهد
 خشن الرضا المتمر المتأسد
 القانت الحبر الحفى الأسعد
 جح^(٣) من قصى والكريم الأمجد
 وزكا وطاب غراسه والمحتد
 فيه استقل ضريحه والملحد

(١) فى هامش المطبوع: «اليقظة محركة نقيض النوم ورجل يقظ ككتف وسكران».

(٢) فى هامش المطبوع: «الصيد جمع أصيد كهيم جمع أهيم، والأصيد الملك كما فى القاموس».

(٣) فى هامش المطبوع: «جمع جحجاج والجحجج السيد».

ديما ترى وجه الدموع وتفترى
خرجوا به تتلوا المعالى خلفه:
وبكت قلوب كالحديد لفقده
يا تربة ضمت على أعضائه
هذا نسيمك إن تنسم راحة
لازالت الرحمات تغشى روحه
وتقدست نفس له بمكان ما
نزلا يكون له الرضا من ربه
والله أكرم ما استعيض فعاضنا
ما غاب مولانا وفرقد سعده
عادت لنا الحسنى وكانت فارقت
إلى أن قال:

يا أهل إسماعيل يا أهل الوفا
القائلين الفاعلين المطعمين
ما منكم إلا زعيم ماجد
هذى الخلافة ما تعدت بيتكم
بيت له عند الملوك جلالة
بيت له شرف أشم وعزة
بيت (يزيد) مليكه وبنو أبيه

وتصوب طورا فى الضريح وتصعد
(اليوم عهدكم فأين الموعد)
فرأيت كيف يذوب ثم الجلمد
يهنى رحابك غار منك الفرقد
مهما يراوحنا وتربك إثممد
يجرى بها أبدا عليها سرمد
يتنافس المتنافسون ويجهد
ومقام صدق فى النعيم ومقعد
عوضا خليفته الأشم الأجود
حتى بدا وجه اليزيد المسعد
والعود من بعد التفرق أحمد

يا من لهم ذاك العلا والسود
من المصطلين لنار حرب توقد
شيخ وكهل فى الكمال وأمرد
فارعو المعروف المهيمن وأحمد
وهم لديه راكعون وسجد
ومهابة وصلابة وتسدد
له معاضدوه فكيف لا يتأيد

إلى أن قال :

لا زلتم تتوارثون سيادة أبدا يقوم بها وينهض سيد
وإليكموها فى الهناء وفى الرثا غراء ينشدها حبيب معبد
تسرى بها الركبان ما بين الورى مثلا وتتهم فى البلاد وتنجد
خلعت ثياب الحزن منها واكتست ثوب السرور واقبلت تتأود
الله أولى من شكرت صنيعه وأحق من يثنى عليه ويحمد
أصبحت مسرور الفؤاد ولم أقل وجدى يجد وحسرتى تتجدد

١٧٩ - محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل
السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن
السلطان.

حاله : من خيرة بنى أبيه وأكثرهم برورا به ، وأشدّهم اقتداء به وامثالا
لأوامره حتى إنه كان لا يراجع فيما يقال له إن والده كان وعد به ، وكان يمضى
ذلك اعتمادا على أخبار المخبر من غير بحث ولا مناقشة ، وهذا بعد وفاة والده ،
فما ظنك به فى حياته ، فهذا لعمرى غاية البرور وبسبب ذلك حصل على المكانة
المكيّنة لديه .

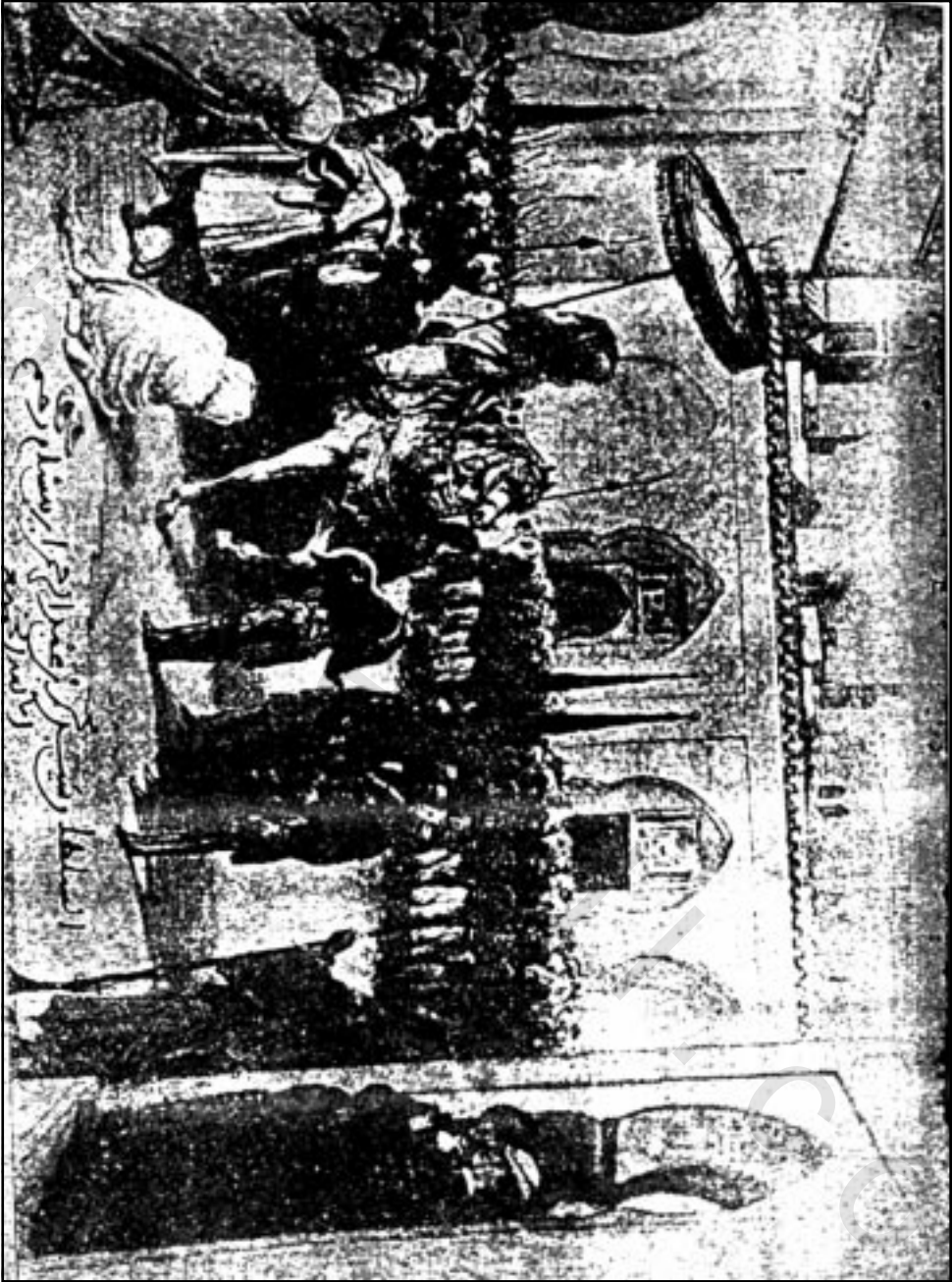
أخذ عن الفقيه السيد الطيب بن اليمنى بو عشرين السالف الترجمة ، وهو
الذى تولى تأديبه ، وتربيته وتهذيبه ، وعن العلامة السيد المدنى بن الكبير الفيلالى
الغربى قاضى مراکش ، والأستاذ المقرئ السيد محمد بن عبد الواحد الزجلى
الفاسى المعروف بابن تمّو حسبما وقفت له على ظهير شريف أصدره لأحفاده
بالتوفير والاحترام .

١٧٩ - من مصادر ترجمته : إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٦٤٧/٧ .

ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير بداخله «محمد بن عبد الرحمن الله وليه» ويزوايا خاتمه السليماني «وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب» ثم اسم الجلالة ومحمد وأسماء الخلفاء الاربعة وبدائره ومن تكن إلخ البيتين: «كتابنا هذا اسماء الله وأعز أمره، وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره، يستقر بيد حملته أحفاد شيخنا الفقيه الأستاذ المقرئ البركة سيدي محمد بن عبد الواحد الزجلي ثم الفاسي المعروف هو وقومه بأولاد ابن تمو، وهم أولاد ولديه الموقت الحيسوبي السيد على، وأخيه الحاج محمد ويتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أنا سدلنا عليهم أردية التوفير والاحترام، وحملناهم على كاهل المبرة والإنعام، والرعى الجميل المستدام، وأسقطنا عنهم التكاليف المخزنية، والوظائف السلطانية، لما لجدهم علينا من الحق بتعلم كتاب الله العزيز ولانتمائهم للنسبة الشريفة، ولانخراط البعض منهم في سلك خدمتنا السعيدة، فمن حام حول حماهم بما يخالف هذا فلا يلومن إلا نفسه، ونأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعدها، صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله في رابع قعدة الحرام عام ١٢٨٥هـ».

وكان ذكيا زكيا فاضلا جامعا لأوصاف الخير والنبيل، محبا في العلماء محسنا إليهم معتنيا بشأنهم، مشاورا لهم لا ييرم أمراً دونهم، له باع طويل وقدم راسخ في العلوم العقلية كالحساب والتوقيت والتنجيم والهندسة والهيئة والموسيقى، درس تلك الفنون بالنقد والتحرير، وختم كتاب إقليدس في الهندسة عام واحد وسبعين ومائتين وألف.

أحيا رحمه الله دارس تلك العلوم، ونفق في زمانه سوقها بعد الكساد وأسس مدرسة لتلك الفنون في خلافته على عهد والده المقدس جوار القصر السلطاني من فاس الجديد تخرج منها جماعة من الطلبة النجباء النبلاء، منهم الفئة



وجدت هذه الصورة محفوظة عند بنت باشادور الإنجليز بطنجة الميسطر (جان هي) أخذت عند
مقابلته الرسمية مع الجلالة السلطانية المحمدية والقنصل المذكور هو الواقف أمام الجلالة مع
أعضاء سفارته وعن اليمين زوج السفير المذكور وبنته.

وقد امتد مقام هذا السفير بالمغرب من الدولة العبد الرحمانية إلى أواسط الدولة الحسنية



ظهیر سیدی محمد بن عبد الرحمن لأحفاد شیخه ابن تمو

الموجهة لتتيم دروسها بعواصم أوربا، كالفقيه أبى عبد الله محمد العلمى الشهير
بينانى بإيطاليا، وآخرون فى فرنسا وألمانيا وذلك فى حدود ١٣٠٠ حسبما مر
بسطه .

وكان ولوعا بجمع الكتب الغربية، حتى إنه جمع وهو خليفة عددا من
النساخ وجعل لهم محلا مخصوصا لنسخ كتب الحديث وغيرها ورئيسا هو الفقيه
الأديب الكاتب السيد محمد بن محمد غريط .

وكان آية عظمى فى السماحة والجود. قال فى اقتطاف زهر الأفنان: أخبرنى
من يوثق به ويعتمد على خبره ممن لازمه يعنى المترجم الملازمة لخاصة أنه لم يقل
لا فى شىء سئله قط، وهذا من أغرب ما يتحدث به من كرم الشمائل مع كثرة
السؤال وتعدد أنواعه كما هو معروف، وهو متأس فى ذلك بصالح سلفه كسيدنا
زين العابدين القائل فيه الفرزدق .

ما قال لا قط إلا فى تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وكان كثير الإغضاء بحيث كان ييغت بعض خاصة الأتباع وهم على غير ما
ينبغى فيرجع متعوذا من الشيطان الرجيم، كما أنه كان من التواضع بمكانة، ومن
تواضعه أنه كان يخرج للصلوات الخمس متأبطا لبدته سواء فى ذلك الحضر
والسفر .

وكان مقبلا على شأنه، برع فى نظم الأزجال وفاق، يأتى بالتخييلات
العجيبة والتشبيهات البديعة والنوادر .

وكان له ولوع بالطرب والنغمات الموسيقية، اتخذ لتعلم ذلك جماعة من
الإماء وعين لتعليمهن المعلم الساورى أمهر أرباب الصناعة الموسيقية فى عصره،
فتعلمن وبرعن فى ذلك أعرف بعضهن بالعين والاسم، ولا زالت واحدة منهن

حية ترزق إلى الآن، واقتفى أثره من بعده فى ذلك نجله الإمام المقدس مولانا الحسن برد الله ثراه، وكذلك حفيده إمام عصرنا الكوكب الدرى الأصعد، أبد الله علاه ونصره، وأبهج بالعلوم والمعارف عصره، أمين.

وكان المترجم من أعلم أهل عصره بالسياسة، وأمثلة البررة إخوته طموحا للمعالى، حريصا على نفع العباد، بصيرا بعواقب الأمور، ذا تأن وتؤدة ووقار كم رشحه والده للمهمات، وكشف به من مدلهامات، استخلفه بفاس على حداثة سنة عام ١٢٥٥، واستوزر له السيد الطيب بو عشرين إذ كان مؤدبا له، فأحسن السيرة وقام بمأموريته أحسن قيام، فازدادت مكانته عند أبيه وفوض إليه، وألقى زمام المملكة بين يديه، لم يستثن عليه شيئا منها فاتخذ العساكر وجند الجنود، وأمر ونهى وولى وعزل وقدم وأخر.

وقفت على كثير من ظهائره التى أصدرها فى خلافته للقائد الجيلانى ابن بوعزة والقائد فرجى وغيرهما، وكان يختمها من أسفل بختم نقش عليه «محمد ابن أمير المؤمنين وفقه الله».

ولما وجهه والده لناحية وجدة وجرت على جيشه الهزيمة الشهيرة بوادى ايسلى فى شعبان سنة ١٢٦٠ ورجع لفاس حجب عنه وجهه رضاه، واستشار الوزير الصدر ابن إدريس فى شأنه فأشار عليه بعزله من الخلافة وتولية أحد إخوته، فلم يعمل بإشارته، ثم استشار عامل السراغنة السيد أحمد بن القائد فى شأنه أيضا فأشار عليه بإقراره على الخلافة، وقال له: إن ما وقع من انكسار الجيش لا عهدة عليه فيه إذ ذاك كان من تهاون كبراء الجيش وإخلادهم إلى الراحة وطمع الجنود فى خزينة مال المؤنة، وإذا عزلته فربما يظن الأجانب أن عزله كان لأجل ما ضاع من المال والأخوية والآلات.

فأعمل رأيه وأقره على الخلافة، وعزل الفقيه بو عشرين عن وزارته ونكبه، وعين لوزارته الفقيه السيد محمد غريط، ومن ثم أخذت حالته تتدرج لديه فى

الاستحسان وحظوته تتزايد إلى أن صار يولى من أشار بولايته ويعزل من أشار بعزله، ثم أرجع الفقيه بو عشرين لوزارته، وفوض له أمور القبائل المندرجة فى خلافته، فبنى قبة سيدى عمارة خارج باب القصبة بمراكش، وبنى مسجد مولاي عبد الله بفاس الجديد، غير أنه انتقد عليه بناء ذلك، وأمر باتخاذ مسجد مولاي عبد الله مخزنا للشعير وإغلاقه حيث إن الناس فى استغناء عنه بتعدد المساجد، ولم يقبل شفاعة الشافعين فى فتحه إلى أن خطب الفقيه الخطيب سيدى علال الفاسى فى جمعة من الجمع بالمسجد الأعظم بفاس الجديد والسلطان إذ ذاك حاضر، فقرأ فى خطبته قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...﴾ [البقرة: آية ١١٤]. فتأثر السلطان لما سمع ذلك وأمر بفتح المسجد حيناً فكان للخطيب بذلك جميل ويد بيضاء لدى المترجم وأولاه الإنعامات والتنايذ الجزيلة التى ورثه بنوه من بعده.

ولما توفى الوزير الصدر المذكور، وتولى الوزارة السيد العربى الجامعى حملته الدالة بالمصاهرة والأثرة لدى السلطان على أن صار لا يبالى بالمترجم ويغض من مكانته، فتذمر لذلك، واشتكى لوالده بأن الأوامر المهمة لا تصله مكاتيبها إلا بامضاء الوزير مع أحقيتها بالطابع الشريف، وكان ذلك عند ملاقاتهما ببلاد الشاوية، فواعده والده بأنه إذا وصل لمراكش عزله ومن ثم تغير للوزير، ووظف عليه مائة ألف ريال غرامة فأدى منها سبعين ألفاً وعجز عن الباقي، ولما وصل لمراكش عزله كما وعد المترجم، وولى الفقيه السيد محمد غريط بإشارته.

وكانت العادة بينه وبين والده أنه إذا كان والده بمراكش نهض هو للقيام بأعباء الخلافة بمكناس وفاس والعكس، وعلى هذا استمر عملهما إلى أن لى والده داعى مولاه بالعاصمة المكناسية يوم الاثنين التاسع والعشرين من المحرم عام ستة وسبعين ومائتين وألف.

ولما ختمت أنفاسه أجمع أهل الحل والعقد بالعاصمة المذكورة على بيعة المترجم، وقال أبو عيسى المهدي ابن سودة المرى فى كناشته ومن خطه نقلت: كانت بيعته بمكناس فى الساعة السابعة من يوم الثلاثاء فاتح صفر العام انتهى. وتبعهم على ذلك أهل فاس وغيرهم من الإيالة المغربية ولم يختلف فيها اثنان لما أنسه الناس فيه وسابروه من عدله وتقاه وسيره فى الرعية على أقوم سنن، ووجهت له البيعات مع وفود التعزية والتهانى.

ولم يكن لديه من الخبر إلا أن والده مريض، فلم يرعه إلا ورود الخبر من أخيه المولى العباس والصدر أبى عبد الله محمد الصفار التطوانى بأن أباه قد أشرف، فخرج من مراكش مزعجاً كى يدرك والده حياً، ولما صدر عن العاصمة الجنوبية بيوم أو يومين بلغه نعى والده وبيعات العصمتين مكناس وفاس ومن انضم إليهما من القبائل والقرى، فوجهها لمراكش وسار هو إلى أن حل بالعاصمة المكناسية فى صفر وأقام بها إلى ثانى ربيع الثانى كما قرأت ذلك بخط العلامة القاضى أبى عيسى المهدي ابن سودة المذكور.

ولما وصلت البيعتان المكناسية والفاسية للعاصمة المراكشية اجتمع أهلها بجامع الكتبيين كما حضر معهم العسكر السوسى، وأعيان الرحامنة، وأهل الحوز، والدير وغيرهم، وحضر معهم كبار إخوته وفى طاعتهم أبو الحسن على العلامة المشارك، وعامل البلد أحمد بوستة، وباشا الجيش القائد إبراهيم الأجرأوى، وعمال الرحامنة وشرفاء البلد وعلمأؤها، فلما غص الجامع بالخلائق قرئ عليهم الكتاب المتضمن للأخبار بموت السلطان أبى زيد والبيعة لولده المترجم فلم يختلف فى ذلك أحد، ولا استنكف ولا جحد، فاتفق رؤساء ذلك المشهد على كتب البيعة المحمدية.

هذا محصل ما أفاده صاحب الجيش العرمم وهو من جملة من حضر،
وإليه أسند كتب البيعة باقتراح من العلامة أبي عبد الله محمد السعيد حسبما حكى
ذلك عن نفسه قائلاً: فكتبت نسخة مباركة على لسان الرحامنة، وعين وفد منتظم
من الأشراف والأعيان والرؤساء للوفادة بالبيعات على المترجم للحضرة المكناسية
للتهنئة والتعزية.

ولما وردت تلك البيعات على صاحب الترجمة أصدر أوامره بقراءتها
بالعاصمتين مكناس وفاس، وإليك نص البيعة المراكشية وإن كان صاحب الجيش
مرصع جواهرها لم يثبتها في تاريخه، وكان يود إثباتها ولكنها لم توجد عنده بعد
البحث عنها في حال التقييد حسبما صرح بذلك في تاريخه المذكور:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليماً.

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تجم

إن ينصركم الله فلا غالب لكم، نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين،
الحمد لله الذي أطلع شمس الخلافة في مطالع السعود، وأثمر في رياض مننه
لأمله كل عود، وأنجز لمن أهله لإدراك التقدم على عباده صادق الوعود، وفتح
أبواب السعادة لقارعها، وأربح بيعة ملتصقة بفضله لمشتريها وبائعها الذي بنوره
تنجلي الغما، وتتصل النعما، نحمده حمدا يتكفل بتحسين العواقب، وترقية
الآمال إلى أرفع المراقى والمراقب، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد
الذي تفجرت بوجوده بحور المواهب، وجاءت شريعته بأوضح المسالك والمذاهب،
وأنزل عليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الفتح: ١٠] صلى

الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما، والرضا عن أصحابه الذين كانوا له خير أنصار وأعوان، وخصوصا أهل بيعة الرضوان.

أما بعد: فهذه بيعة شريفة مباركة ميمونة، بها سعادة الدين والدنيا إن شاء الله مقرونة مضمونة، بيعة كريمة يصلح الله بها الأمة، ويفيض بسببها سحائب النعمة، ويشمل ببركاتها جميع الأقطار بكل رحمة:

تولى اختيار الله حسن اختيارها فلم يحتج الإنسان فيها لإنسان
بيعة حسنية علوية إسماعيلية هشامية محمدية، بيعة عاطرة تعبق في رياض
البشائر أزهارها الفواحة الندية، بيعة صحيحة شرعية، ثابتة شروطها المرعية، بيعة
لا يحوم حولها زيغ ولا طيش، يشيد بناءها الأئمة من قريش، فلا ينحل عقدها،
ولا ينقض عهدها:

تمد بنود النصر منها ظلالها على الأرض طرا بالمسرة والأمن
حضرها العامة والخاصة، والملائكة الذين أضحت بهم البسيطة غاصة،
واحترف بها القبول والسرور، وكانت مركزا تطوف بها الكمالات وتدور، وتتمنى
محاسنها الشموس والبدور، ما تخلف عنها أحد من أهل هذه الحضرة المراكشية
وأحوازها وبواديها، ولا بقى أحد من أعرابها وبرابرها إلا حضر فى ناديتها،
وأجاب دعوة مناديتها، من الشرفاء والعلماء والصلحاء والقضاة والعدول، والكبار
والصغار وكل فاضل ومفضول:

جحاجة غر الوجوه كأنها إذا أسفرت ليلا بدور كوامل
وخصوصا الأعيان والرؤساء والرمماة، الذين هم لحوزة الإسلام أسوار
وحماة، إلا صرح بالإذعان والقبول حين حضر انعقادها، وأضمر اعتقادها، وكل
فرد من أولئك الأشهاد، يعلن بالإشهاد على نفسه غاية الإشهاد، وما منهم إلا من

آمن بها وأمن عليها وصدق، وغض بصره خاشعا من هيبتها وأطرق، وينادى
أشهدوا فإنى أشهدكم وأشهد الله، وأقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا
لنهدى لولا أن هدانا الله .

ثم إنه لما استأثر الله سبحانه بمولانا أمير المؤمنين، وإمام المسلمين السلطان
الهمام، المعتصم بالله مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام، ونقله من دار الإسلام
إلى دار السلام، وأثره بجواره وقربه، ومهد له بساط الكرامة إلى جنبه، وأقدمه
إلى مدخرات حسناته الجسام، وحوز له من جزيل المثوبات أوفر الأقسام، واختار
له فى مقر رحمته من جملة حزبه وأوليائه فريقا، مع الذين أنعم الله عليهم من
النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، أكرم الله مثواه
وأحسن مأواه، آمين .

ووالله ثم والله لولا أنه خلف فىنا خلفا صالحا، واتجر لنا متجرا رابحا،
لكان من فقدته تضيق الأرض بما رحبت، وتجزى كل نفس بما كسبت، وتخر الجبال
هدا، وتصد الأرواح عن أجسادها صدا، ولم يكن فى النسب العلوى الطاهر، ولا
فى البيت الإسماعيلى الشهير الظاهر، ولا من بيوت الحلفاء من بقية أولئك الآباء
والجدود، بل ولا ممن تنتج به الليالى وهى عاقر غير ولود، من تسلم فى يده الأمة
زمامها، وتقدمه فى محراب السلطنة العظمى إمامها، إلا واحد قد اختص بجميع
الكمالات البشرية وتفرد، وذلك الواحد هو الإمام المؤيد المنصور، والأسد الورد
الهصور، أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين، سيدنا ومولانا محمد بن سيدنا
ومولانا عبد الله بن سيدنا ومولانا هشام بن سيدنا ومولانا محمد بن سيدنا
ومولانا عبد الله بن سيدنا ومولانا إسماعيل أعز الله ذكرهم، وخلد فى صفحات
الأيام مجدهم وفخرهم .

فلذلك وقع هذا الاتفاق على بيعته، والدخول تحت طاعته والإذعان لكلمته والرمى على نبعته، وتمت له كلمة ربه الحسنی، بإدراك هذا المقام الأكبر الأجل الأسنى، واحتياز ميراث النبوة والملك المتخلف عن آبائه، الغائظ لأعدائه السار لأحبابه، فيا لها من بيعة تامة غاية التمام، جاءته عفوا على طرف الثمام، محبوكة على عادة أيمان البيعة وحدودها المحدودة، وشروطها المؤكدة فى أقسامها المعدودة، ويا له من إمام، أسعد الله به جميع الأنام:

هذا الذى هبت نواسم حمده	وأنت بعرف الروضة المعطار
هذا الذى طلعت شمس سعوته	تغشى أشعتها قوى الإبصار
هذا إذا افترت مباسم بشره	وهب النفوس وزاد فى الأعمار

والله المسئول سبحانه أن يبارك لمولانا فيما وهبه، ويوضح فى اتباع الحق وأفعال الخير مذهبه، ويجعل مفاتيح جميع السعادات فى يمينه، كما مسح فى الأزل يمينه المقدسة على جبينه، ويملكه مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها وشاهدها وغائبها، ويجعل النصر والظفر مصاحبين لأعلامه، والفتح والقبول عن يمينه وشماله ومن خلفه ومن أمامه، ويقر بولايته المباركة عيون أهل ملة الإسلام، بجاه جده سيدنا ومولانا محمد عليه وعلى آله أزكى الصلاة والسلام، قال ذلك وكتبه شاهدا على الجموع المذكورة بما فيه بإشهادهم قوة وفعلا العبد الضعيف محمد بن أحمد أكنسوس لطف الله به» من خطه.

ونص بيعة الصورة بعد البسملة والصلاة:

«لما استأثر الله بعبده إمام المسلمين مولانا عبد الرحمن بن هشام، نقله عن سرير الخلافة إلى جواره مع أسلافه البررة الكرام، قدس الله ضريحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، وورد الإعلام بذلك من نجله الشريف، وخليفته العلم المنيف،

الفقيه العالم الأجدد الأسعد، سيدنا ومولانا محمد، على عامله وأمينه بثغر السويرة وهو الحاج عبد الكريم ابن الحاج أحمد الرزيني التطاوني وكافة من بها من المسلمين.

اجتمع أعيان البلد من الشرفاء والعلماء والتجار وكافة الجيش السعيد الذى بها وقرئ عليهم الكتاب الشريف معلما بذلك وباجتماع أهل الحل والعقد على بيعة نجله المذكور، وسليله المنصور، فتأسف جميعهم لما حل بالمسلمين من المصيبة العظيمة واستبشروا لبيعة نجله الميمونة، التى هى بكل خير كفيلة مضمونة، وأشهد إذ ذاك القائد المذكور وأعيان البلد المذكورون وشرفاؤها وعلماؤها وجيشها الذى بها وجميع كبراء أهلها أنهم بايعوا أمير المؤمنين المؤيد، سيدنا ومولانا محمد، على السمع والطاعة، وتلقين أوامره بالقبول والرضا، وأحكامه بالنفوذ والإمضا، جهد الاستطاعة، موافقة لجميع المسلمين، ودخولا فى زمرة المؤمنين، وعملا بقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ [النساء: ٥٩]، وفرارا من الخروج عن كلمة جماعة المسلمين لما ورد أن جماعتهم لا يخالفها إلا شيطان بيعة تامة، ألزموا أنفسهم أداء واجبها فى أموالهم وأبدانهم، ودعوا لجنابه بالظفر والفتح المبين، والظهور والنصر المستبين، عرفوا قدره، شهد به عليهم وهم بحال صحة وطوع وجواز وعرفهم، وفى خامس عشرى صفر الخير سنة ستة وسبعين بموحدة بعد السين ومائتين وألف».

بعض ما قام به من الأعمال ذات البال

بعد جلوسه على العرش

غير خاف ما كان له من الاهتمام بمصالح الرعية، وأنه كان ناظرا إليها فى مصالح دينها ودنياها عامها وخاصها، حريصا على إيصال كل خير إليها، مناضلا

ومدافعا لكل من يروم اغتصاب شىء من حقوقها على قدر الإمكان، ولننبه من ذلك على نقط تكون أنموذجا لغيرها:

فمن اهتمامه بمصالحها فى أمور دينها ما أصدره لنائبه وخديمه أبى عبد الله بركاش ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد تساهل الناس خصوصا الأغنياء وأهل الوجاهة فى أمر الأحباس حتى صاروا يتوصلون إلى ما أرادوه منها بأى وجه أمكنهم، ويجعلون ذلك فى صورة المعاوضة، وصار النظر والقضاة يعتبرونهم فلا يردون لهم حاجة، حتى انتقل بذلك كثير من الأحباس.

فبلغ لمولانا المقدس بالله ذلك فأمر الولاة خصوصا القضاة الذين لهم دخل فى هذا الأمر بعدم معاوضتها رأسا، وتقرر هذا الأمر بمراكشة وفاس فلا يوجد أحد يعاوض شيئا منها، وحتى إن تعينت المصلحة فيها فلا بد من رفع أمرها لسيادته لينظر فيها بما اقتضاه نظره، ولما ولانا الله سبحانه هذا الأمر اقتفينا أثره فى ذلك وسددنا الأبواب فى وجوه طلابها، على أن هذه المعاوضة إنما قال من قال بها من العلماء على شروط، وأين هى تلك الشروط! وما تقرر بهذه المدن أردنا أن يتقرر بذلك الثغر السعيد وها نحن أمرنا القاضى هناك وأكدنا عليه فى عدم الموافقة على المعاوضة رأسا، كما أمرنا وصيفنا القائد محمد بن عبد الكريم الجبورى بأن لا يساعد أحدا عليها بوجه، وأعلمناك لتكون على بصيرة، وقد توعدنا القاضى والعامل على ذلك والسلام ٤ من صفر عام ١٢٧٩».

ومنها أيضا ما أصدره له أيضا ونصه :

«خديمنا الأرضي الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإننا كنا أمرنا خديمنا القائد الطيب ابن هيمة بأن يكون عملهم في أملاك الأحباس التي بأسفَى أن تستمر كل سنة حتى تقف على آخر زائد فيها لكون كل من بيده محل منها يحب أن يتقاعد عليه ويملكه ولا يزيد في كرائه، سواء غلا الكراء أو رخص، فأجاب بأنه تكلم مع نواب الأجناس فلم يحصل معهم على طائل في ذلك ما عدا قونص النجليز فأجاب بالموافقة، وقد أمرناه بأن يسمسرها على كل حال وحين تقف يظهر ما يكون في أمرها، وأنت ولا بد تكلم مع نواب الأجناس في ذلك ليكتبوا لخلائفهم بالإذعان للحق وعدم تعرضهم لما لا يعنى، فإن أملاك الأحباس لا ينبغي أن تبخس ويتصرف فيها بغير حق، فإن الأحباس النظر فيها للقاضي الذى هو نائب فيها عن جماعة المسلمين ولا دخل فيها للمخزن إلا من جهة شد العضد والمحبس قصد بما حسبه انتفاع المسلمين بمستفاده وصرفه في مهماتهم الدينية، فلا وجه لمن يريد أن يحول بينه وبين ما قصده، وهذه أمور دينية ينبغي الاهتمام بها والسلام في ٣ جمادى الأولى عام ١٢٩٠هـ.

ومن هذا القليل أيضا ما أصدره إليه في شأن إغاثة حجاج بيت الله الحرام.

ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله «محمد بن عبد الرحمن الله

وليه»:

«خديمنا الأرضي الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبر وصيفنا الحاج سعيد جسوس أن البابور الذى رجع بالحجاج من طنجة توجه لجبل طارق وأرسى هناك، وأن الذين فيه فى حيرة مما وقع لهم لا يعلمون أين يذهبون ويتوقعون الهلاك، ولولا أن أهل جبل طارق أذنوا لهم فى الإرساء واشتراء ما يحتاجون إليه من المؤنة لكانوا معرضين للتلف فى البحر جوعا، وذكر أن جميع أهل جبل طارق أنكروا ما حكمت به جماعة السنيذة وأنهم عدلوا عن الصواب وحكموا بشهوة أنفسهم، وأن حكم جميع الأجناس مخالف لهذا ومن جملتهم الصبنيول، جعلوا لمن يتوجه من جبل طارق لقالص خمسة أيام كرنطينة، وأما رد هؤلاء بالكلية من بلادهم وتعريضهم للهلاك فلا يقول به أحد من الأجناس.

وأخبر أنه يلزمهم فى جبل طارق صائر كبير فى كل يوم، وطلب تدارك أمرهم، وقد قدمنا لك الكتب فى شأنهم وأعدنا لك هذا تأكيدا، والذى فهمناه من الكتب الواردة على حضرتنا العالية بالله أن أمر السندة مسند إلى نواب الأجناس، لكن لا يمكنهم أن يحكموا فيه بغير العدل بل يجرونه على القوانين، وقد أمرنا الأمانة بأن يدفعوا لك ألفى ريال لتوجهها لجبل طارق تفرق على ذوى الحاجة من الحجاج الذين فى البابور المضطرين بقصد الاستعانة بها على حالهم، وذلك على يد الحاج سعيد جسوس، والرجل المعين معه المقيد بالطرة والسلام فى ٢٤ ربيع الثانى عام ١٢٨٢» والمقيد بطرته الحاج الطاهر بن المليح بنانى والتاجر العربى ابن كيران ومن اهتمامه بمصالح دنياها أنه لما بلغه ارتفاع ثمن الحبوب التى يقتات بها بتطاوين وطنجة والعرايش، أصدر ظهيرا شريفا لبعض عماله فيه ما نصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بن عبد الكامل الصبيطى وفقك الله،

وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن الحبوب غلت أثمانها وارتفعت بتطوان وطنجة والعرائش حتى وصل ثمن المد بها إلى ست وثلاثين أوقية، وهو فى الزيادة إن لم يحصل لطف من الله تعالى، واستغاثوا بجانبنا العالى بالله فى توجيه الزرع إليهم بثمانه، فاقتضى نظرنا أن نوجهه إليهم من الدار البيضاء والجديدة وآسفى، فأمرنا أمناء الدار البيضاء باشتراؤه مما يرد عليهم من الشاوية بأمرنا الشريف عليهم، وأمناء الجديدة باشتراؤه مما يرد عليه من ذكالة، وأمناء آسفى مما يرد عليهم من عبدة، فنأمرك أن توجه من يريد بيع ما عنده من الحبوب من إيالتك واصلا لأمناء الجديدة ليشتروه منه ويخلصوه فيه، فإن فى هذا أجرا عظيما لأنه من الرفق بالمسلمين وإعانتهم.

فقف فى ذلك ولا بد أصلحك الله وأعانك، وإن شق على المتوجهين للمرسى بالزرع لبيعه بها وأرادوا الاقتصار على بيعه بسوق قريب منها فلهم ذلك، وقد أمرنا الأمناء بتوجيه من يشتريه من أقرب سوق إليها إن شاء الله، وحيث فمن وصل للمرسى منهم فيشتريه منه الأمناء، والله يعينك والسلام فى ٢٣ من ربيع النبوى الأمور عام ١٢٨٢هـ.

ومن اهتمامه بماليته وما ينضبط به نمو بيت مالها وداخل مراسيها، ما أصدره للنائب المذكور، وغيره من عمال الثغور، عند تبديل أمناء المراسى.

ونصه: «خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فلما تقرر لدينا وثبت عندنا ما يقع بالمراسى من التساهل فى الأمور، وعدم إجرائها على مقتضاها فى الورود والصدور، حتى أدى ذلك إلى ضياع مال، بها له قدر وبال، وكان فى ذلك من المفسدات العظيمة، ما لا ينكره من له أدنى مسكة من العقل لا سيما أهل العقول الكاملة والآراء المستقيمة، وجب رد البال

إليها وحسم مادة فسادها وسلوك طريق تنضبط به أمورها، منها: أنا جعلنا لكل أمين من المرتب الشهري ما يعينه على القيام بأوصاف الصدق والأمانة، واجتناب ما يزرى بجانبه من السرقة والخيانة، ومن عثرنا له بعد ذلك على خيانة أقمنا عليه حد السارق وأهناه، وزجرناه زيادة على ذلك وعاقبناه.

ومنها أن لا يتجر أحد بالمرسى التي يكون أميناً بها بل يجاوزها إلى غيرها.

ومنها أن يجعل بكل مرسى واحد من أهلها مرضى وآخر كذلك أجنبى.

ومنها أن يجعل أمين معروف بالحزم والأمانة، والعفاف والصدق والصيانة، وإجراء الأمور على مقتضاها، وسلوك طريق النصح التي يحبها الله ويرضاها، يكون مشرفاً على جميع أمناء المراسى ليفتقد أحوالهم، ويراجع أعمالهم، من كل ما يرجع للداخل والخارج ويرد باله للسلع التي تظهر في البلدان، من الحرير والصقلى والجوهر والمرجان، وغير ذلك مما هو رائج ليعلم هل أعطى عليها بالمرسى ما هو لازم، أو أغفلها الجالس بها والملازم.

ومنها أنا جعلنا لكل من رئيس المرسى وخليفته والعدول، من المرتب الشهري ما يكفيهم من مصروفهم ليحصل لهم ما يغنيهم ويعدلوا به عن الخيانة أى عدول، ومن الله تعالى أسأل لنا ولهم وللمسلمين التوفيق، والهداية إلى أحسن طريق.

هذا وقد عينا لمرسى طنجة الأمين الحاج بوجنان البارودى، والحاج عبد الكريم أحرضان الطنجوى ونفدنا للأول منهما تسعين ريالاً، وللثانى ستين ريالاً فى كل شهر، ولكل واحد من العدلين اللذين أمرنا القاضى بتعيينهما عشرين ريالاً عن كل شهر فى مقابلة خدمتهما، وخصصناهما بأمر المرسى من غير إشراف لأحد عليهما ولا دخول معهما فى عملهما كائن من كان، وعينا لرئيس المرسى خمسة عشر ريالاً، ولخليفته سبعة ريال عن كل شهر، ووجهنا صحبة بوجنان الحاج الطاهر بن المعطى بل المدنى القباج بقصد الخدمة معه بمرسى طنجة، حتى تفتح

تطوان ويكون بها من يعين معه من أهل البلاد إن شاء الله، وقد نفذنا له ما نفذناه للبارودي مشاهرة والسلام فى متم رمضان عام ١٢٧٨».

وبمثله وتاريخه كتب لغيره من العمال مع اختلاف فى الأواخر.

وقد جاء فى ظهير القائد محمد بن إدريس الجرارى عامل الدار البيضاء ما نصه: «هذا وقد عينا لمرسى الدار البيضاء الأمين الحاج محمد بن عبد المجيد بن جلون وسيزاد عليه أمين آخر من العدوتين، وقد نفذنا لكل واحد منهما تسعين ريالاً مشاهرة، ولكل واحد من العدلين الذين أمرنا القاضى بالرباط بتعيينهما عشرين ريالاً مشاهرة لـخ».

ومن اهتمامه بأمور السلاح والحرب ما أصدره لبركاش أيضاً ونصه: «خديمنا الأراضى الطالب محمد بركاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلت الخمسون جملاً التى وجهت من الكور والبنب وبينت عدد ٥٦٩٦ ما فى الجميع، وذكرت أنك بصدد توجيهه وقر الإبل ٥٠ الباقية من العدد ١٠٠ الذى وجهناه بقصد ذلك، وأنت قمت بعلف الإبل المذكورة ومؤنة من معها من المخازنية مدة إقامتهم وزادهم عند سفرهم، وصار ذلك بالبال وها نحن وجهنا مائتين وخمسين بغلة لحمل ما بقى من الكور والبنب لما فى توجيه الإبل من تعبها لفرط الحرارة والله يعينك والسلام ٢١ صفر عام ١٢٧٨».

وما أصدره للمذكور ونصه:

«خديمنا الأراضى الطالب محمد بركاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصل ما وجهتموه من البنب ٧٠٨ محمولاً على الجمال ٥٠ الباقية من الإبل ١٠٠ التى كنا وجهنا لكم لحمل ذلك فوجد موافقاً لما فى كتابك، والله يعينك والسلام فى ٢٣ صفر عام ١٢٧٨».

وما أصدره له أيضاً ونصه:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد وصلنا كتابك مخبراً بأن العدة التى أمرنا بجلبها على يد نائب الطليان وصل منها لمرسى الصويرة ٣٥٢ ما ذكرته ثم أخبرك النائب بعد ذلك أنه وجه للصويرة عدد ٣٢٠ آخر مع صناديق ١٢ من القرطوس ١٢٠٠٠ وأن تمام العدد ١٥٠٠ الذى أمرنا بجلبه سيصل بحراً فى الإثر، وطلبت أن ننفذ لك ثمن الجميع ٣٣٣٣٠ ريالاً لتدفع له منه ثمن ما وصل منها وما يصل حتى يتم العدد المشار إليه، فها نحن كتبنا لولدنا الأرضى سيدى حسن أصلحه الله بتوجيه العدد المذكور من الريال واصلاً لأمناء مرسى الصويرة ليدفعوه لنائب الطليان هناك، والله يعينك والسلام فى ١٣ جمادى ٢ عام ١٢٨٥».

وما أصدره له أيضاً ونصه:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإننا أجرينا الخفيف مجرى آلة الحرب مثل الكبريت والبارود وملحته، وصدر أمرنا الشريف لولاية المراسى بتثقيفه، وأن لا يختص به إلا المخزن لئلا يتوصل الفساد به إلى أغراضهم، وأعلمناك بهذا لتكون على بصيرة، وتتكلم مع نواب الأجناس ليأمرؤا تجارتهم بعدم جلبه وبإجراءاته مجرى غيره من آلة الحرب والسلام فى ١٣ جمادى الأولى عام ١٢٨٦».

وأما نضاله ومدافعته عن آحاد رعيته، وحقوق دولته، فقد كانت له فيها مواقف شهيرة، فى قضايا كثيرة، نذكر منها أمثله تكشف عن ذلك، وتبين بعض ما كان هنالك، فمن ذلك ما أصدره للنائب المذكور فى قضايا السوق للخارج.

ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك جوابا عما أمرناك به من تجديد الإعلام مع نواب الأجناس فى شأن انصرام الأجل المحدود لوسق الصوف والحبوب، وفى الوفاء بما كنا شرطناه فى تسريحها ليقى الأمر منضبطا، وذكرت أنك كنت تكلمت فى ذلك مع نائب الفرنصيص وبينت له ما فى خروج التجار ونوابهم للقبائل من المضرة والمفاسد فقبل الشرط المذكور، كما كنت قدمت الإعلام به وأنه جدد الكلام معك فى ذلك واستفهمك عن موجب منع جنسه مع قبوله الشرط، فلاطفته واعتذرت له بما ذكرته، ولم ينفصل عنك حتى وعدته بتجديد الكتب إلينا فى ذلك.

وذكرت أنك كنت أجبت باشدور النجليز ونائب الصبليون بأنك لا تشاورنا على تسريح ما ذكر إلى أن قبلوا الشرط المشار إليه فكتب الباشدور بذلك لتجاره فقبلوه، وكتب لك به حسبا فى إحدى كتابيه اللذين وجهت، ثم دار الكلام بينك وبينه فى ذلك أيضا إلى أن أطلعك على كتاب للحاج عبد الرحمن العاجى يتضمن أنا لا نمنع الوسق لا فى الداخل ولا فى الخارج إلى أن يوفى أمر السلف، وأن محبته فى جانبنا العالى بالله حملته على المساعدة على هذه الشروط، وتفاصيل معك على أن تكتب لنا بأن نأمر بتسريحهما على شرط عدم خروج أحد من التجار ولا نوابهم لاشترائها من البادية، وإن خرج أحد من الأجناس واشتراهما منها يقع المنع ويكون هو سبب الكلام مع ذلك الجنس كالصبنيول إن لم يقبل، وذكرت ما أجبت به نائب الصبنيول لما أخبرك بصدور أمرنا لأمناء آسفى بمنع وسق الصوف والحبوب، وذكر لك أنه كتب لدولته فى ذلك ولم يرد عليه جواب عنه، ودار بينك وبينه من الكلام ما لم تنفصل معه على طائل فيه حتى يأتية الجواب من دولته، وأن نائب جنس الطليان تكلم معك فى هذه القضية فأجبت به بما أجبت به غيره، وذكرت أنهم ذكروا أن المراكب مكتراة عندهم لوسق ما وجده الحال بأيديهم

مشتري من الحبوب ولم يعجلوا بوسقها ظنا منهم أنهم باقون على عملهم لما شرطه عليهم نواب الفرنضيص والنجليز والطلليان، وأن الضرر يحصل لهم بوقوع المنع، ولا يبقى لهم هناك جلوس، وصار كل ذلك بالبال.

وقد صدر أمرنا لأمناء المراسى بتسريح وسق الصوف والقطاني لتجار النجليز والفرنضيص والطلليان، وحين تخبر بقبول غيرهم من الأجناس الشرط المشار إليه نأمرهم بالتسريح لتجارهم إن شاء الله، وقد عينا للأمناء أمد التسريح وهو سنتان مبدؤهما من أول شهر نونبر العجمي إن شاء الله، وأيام أكتوبر زائدة عليها في التسريح فلا تعد من السنتين، وما احتج به الباشدور بما في كتاب العاجي إنما كان توثقا للسلف وسلفهم صرنا نخلصه من عندنا، فلا تعلق للسلف بالتسريح والله يعينك والسلام في ١٧ من ربيع الثاني عام ١٢٧٩».

ونص آخر في الموضوع: «خديمنا الأرضي الطالب محمد بركاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك جوابا عما أجبتك به عن قضية التاجر الصبنيولي الذي طلب وسق العظام من مرسى آسفى، وجعل الاسترعاء على منع الأمناء له من وسقها، وذكرنا لك أن منع وسقها كان بعد جعل ستة أشهر أجلا ليسق فيها كل من عنده شىء منها، وأنه إن عمل موجبا يشهد له بأنه جمعها في وقت التسريح تسرح له، فذكرت أن الستة أشهر التى تقدمت بالتسريح ليسق فيها كل من عنده شىء منها هى الحجة عنده علينا حيث وقع التسريح بعد مضى الأجل المذكور بالخصوصية، لأن الستة أشهر مجعولة ليسق كل من عنده شىء منها، والذي تأخر عنها فتكون عهده عليه.

وذكرت أنك تكلمت مع الباشدور فى هذه القضية بما أشرنا به فقام وقعد، وأجاب بنقض الشروط وعزم على الفساد ووقع بينك وبينه ما أشرت إليه،

وتأجلتم معه خمسة عشر يوما بعد أن نزلتم وثيقة من ألفى ريال كبيرة على وجه الأمانة إلى أن يرد عليك جوابنا قبل انصرام الأجل المذكور بما طلبه فى كتابه الذى وجهت ، وإلا فينزل الصارى ويركب ولم تؤخره عما كان عزم عليه خمسة عشر يوما إلا بعد المشقة العظيمة .

وجعلت لنا النظر فى جوابه بالمنع وحوز الوثيقة المذكورة ووقوع الغيار مع جنسه أو يجاب بالمساعدة فيما طلبه ميلا للمهادنة ، فحيث بينت أن فى وسق غيرهم العظام بعد مضى الستة أشهر التى كنا أجلنا التجار فيها ليسق منهم من كان عنده شىء منها - حجة له فيها نحن أمرنا أمناء آسفى بوسقها للتاجر الذى طلبه وها كتابهم يصلك فوجهه لهم على يدك والله يعينك والسلام ٢٨ صفر عام ١٢٨٢ .

ونص آخر فى عتق أمة ادعت الضرر ووقع كلام من أراد الدخول فى قضيتها :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد : فاعلم أن أمة غير تامة العقل بأسفى ادعت أن سيدتها أضرت بها وتعلقت بنصرانى اسمه كنبير واحترمت به ، فوعدها بأن يعطيها ما تفك به رقبته ففعل ودفعته لسيدتها فعتقتها وجعلها من جملة من له تعلق بالفرنصيص واحتماء به ، ثم أعلمنا عامل آسفى بالقضية فأجبنه بأن سيدتها حيث أضرت بها فقد أعتقها الشارع بمجرد وجود الإضرار بها لأن الشارع لا يقر أحداً على ظلم ، وأن ما فعلته سيدتها من عتقها بعد أن قبضت ثمنها لم يصادف محلا ، لكونها معتوقة الشرع ، وأعلمناك لتخبر نائب الفرنصيص بالقضية وتقول له : إن شرعنا لا يقر أحداً على

ظلم، وأن من أضر برقيقه يعتق عليه كرها، وأن العتق الصادر من سيدتها لم يصادف محلا وولاؤها لمسلمين، والله يعينك والسلام ١٥ صفر عام ١٢٧٨».

ونص آخر فى قضية لأهل قلعية مع الإسبان فى حدود مليلية:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبر عامل الريف أنه وجه جماعة من كلعية واصلة إليك ليتكلموا معك فيما حل لهم من الضرر من جهة نصارى أمليلية، ويشرحوه لك مشافهة لتفاصيل بينهم وبين باشدورهم، وفى الشروط أن يتلاقوا بحدود الريف ويحصر الكبراء ويتفاوضوا فى نوازلهم ويذكر كل واحد حجته ومطلبه ويقع الفصل هناك.

وأما القدوم لطنجة والمفاصلة فيها فليس من الشروط فى شىء، وربما يتفصلون مع الباشدور بما لا ترضاه قبيلتهم ويجعون للنزاع، وحيث وقع ونزل فرد بالك لما يذكه الباشدور لهم ويريد أن يلزمه لهم مما عليهم ضرر فيه وهو لا يلزمهم والسلام فى ١٣ صفر الخير عام ١٢٨٢».

ونص آخر فى بعض القضايا من الباب:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنك متوجه على بركة الله لهذا الوجه التى عينت لها ولم ندر هل استحضرت قضاياك العويصة المتعددة، وأعددت لها حججك الواضحة البينة لتكون مستعدا للمحاجة فيها وطلب الحق والقانون إن تلاقيت مع نواب الأجناس هناك أم لم تستحضر شيئا من ذلك، وغرضك أن تتوجه خالى الذهن من ذلك متفرغا منها

حتى تتلاقى معهم كذلك ويلقوا عليك من الحجج ما يعمر ذهنك ويثقل ظهرك على عاداتهم فى التعلق بالأمور الواهية، وتصحيح الحجج المتلاشية، فتذهب خفيفا وتثوب مثقلا.

ولذا أردنا تنبيهك لقضايا شنيعة وقعت بهذه الإيالة لتنظر فى رتق خرقها، وتدارك أمرها معهم حتى تحسم مادة فسادها، وإن كانت كلها مرت على يدك وتداولها ذهنك مخافة أن تكون نسيته أو أهملتها: فمن جملتها قضية مسعود ولد عبد القادر التلاوى الذى مكث الزمان الطويل فى الحرمات وهو مطالب بالأموال الثقيلة التى احتجناها وخان فيها مدة ولاية والده ومدة ولاية أخيه وبعد موته مما هو من حقوق الناس ومال بيت المال، وكان يتلوى هكذا وهكذا، ولم يوجد فى تلك المدة من يقول إنه فى حمايته أو متعلق به، حتى إذا وجد فلتة ركب برأسه وذهب إلى الصويرة، فوجد نائب النجليز هناك فحماء ومنعه من المخزن على وجه الخرق للقانون والخروج عن الحد، مع أن المتعلق بالخدمة لا يدخل تحت حماية أحد، ومع هذا فلم يكف عن فساد بل صار يفعل بفساده ما أراد، ويعطى العدة والبارود للفساد من قبيلته ويغريهم على الخروج على العامل وإيقاد نار الفتنة متجاهرا بذلك من غير استتار ولا استخفاء، فهل هذا الفعل من القانون؟ وهل الصبر على مثل هذا من الحق؟ وهل يستقيم حكم لأحد مع بقاء هذا على حاله؟

ومن جملة موبقاته أنه تلاقى برجل من امتوكة على يد اليهودى قرقوز وغره على أنه يصرف له عدة ريال بالضبلون حتى حاز منه ثمانية آلاف ريال، وتقاعد له عليها ومنعه منها ولم يذعن لحكم حاكم ولا لأمر آمر، ولعل القضية تكون وصلتك بأبسط من هذا، فكيف يسوغ السكوت على مثل هذا!

ومن جملتها قضية الشريف الذى قتله الصبنيولى بطنجة، وكانوا زعموا أنهم أرادوا الحكم على القاتل وتحيلوا حتى أخرجوه من البلاد، ثم صاروا يتلاعبون،

مع أنهم فى قضية مرطوس تعنتوا غاية التعنت وألزمونا قتله فصبرناهم ريثما تتم الموجبات ويحكم الشرع بقتله، فلم يصبروا وما قصرُوا فى التعنت وطلبوا رفع النازلة لغير القاضى فوقع الحكم عليه بالقتل، ومع ذلك طلبوا أداء المال فى القتل فكان ذلك كله، فأى فريق بين هذا وذاك وأى قانون يحكم بقتل هذا ومنع هذا من القتل؟ وقد بلغنا أن القاتل المذكور قدم لطنجة وسكن غير مكترث بأحد، فبأى موجب سرح وبأى موجب لم يقتل مع ثبوت قتله وبأى وجه يسكت عن دعوته؟ فلا صبر على هذا، ولا بد من الكلام فيه حتى يعمل فى دعوته الحق بحول الله وقوته.

ومن جملتها قضية أملاك ابن الغنيمى التى بأسفى، أراد المخزن حيازتها لاستغراق ذمة مالکها بمال بيت المال، فتعرضوا لها وقالوا: إنه فى حمايتهم مع ندائه هو بالتبرى منهم وإعلانه بأنه ليس فى حماية أحد إلا حماية المخزن، وما زالوا يتعنتون فيها ويطلبون ما ليس لهم بقانون ويدخلون فى الأمور التى لا دخل لهم فيها بالحق، ومن جملتها أمر حماية البادية التى أسقطوها وكتبت أنت بذلك وكتبت تحت اليد بذلك، ومع ذلك فلم يكفوا عنها ولا زالوا يحمون بها ويدافعون ويتعرضون لما ليس لهم فيه حق إلى غير ذلك من القضايا العويصة المتعددة التى سردها يؤدى إلى التطويل الكثير.

فلا بد استحضر هذه القضايا كلها واستعد للكلام فيها كلها، فإنها من أهم أموركم وأكدها، ومما لا يمكن السكوت عليه ولا يسوغ الصبر عليه حتى لا تذهب سفركت مجانا بلا طائل، بل ربما إن تعاميت عليها يلقون عليك من حججهم ودعاويهم ما يثقلك ويذهلك فتزيد الثقل على عدم قضاء مآربك المهمة والسلام فى ١٨ ربيع الثانى عام ١٢٨٤هـ.

ونص آخر فى المكاففة فى مسائل الديون:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك تذكر فيه أنه كان بلغك أن قائد الصورة قبض أناسا من أهل سوس مكاففة فيما على إخوانهم الفارين من الديون لتجار النصارى وسجنهم حتى أعطوا ما بأيديهم، فطلب منه القونصو إبقاءهم مثقفين فى الباقى حتى يتفصل إخوانهم الفارون مع أرباب الديون، فاستبعدت ذلك ولم تعلم حينئذ مستنده فيه، فكتبت له بعدم المكاففة وبعدم قبض البرىء فى الغريم الفار من الدين، ثم كتب التجار فى ذلك لنوابهم وتكلم معك فيه قونصو المركان فحاججته بما ذكر فأجابك بأننا أذنا لعامل الصورة فى ذلك متابعة لمولانا المقدس بالله واحتياطا لأموال التجار، وأطلعك على نسخة من كتابنا الشريف بالعدول فأجبتة حينئذ بأن لا محيد عن الامثال، وأنه لا بد من الاقتصار على الرسوم القديمة التى كانت قبل تاريخ صدور المنع الذى أوهمت أنه من قبلنا عملا بما كنا أمرناك به من التنبيه بما وقع فى وردیغة، فأدخلت فى ذلك كل القبائل التى لا تنالها الأحكام منهم دواخل سوس، وتكلمت مع النواب بأن ما يتجدد بعد ذلك لا يقبض فيه أحد ممن يتسوق المدينة للمصلحة التى أشرت إليها، وأفصحت لهم عن هذا الشرط فاستصوبوه، وكتبت للعامل بالمشى على العادة على الشرط المذكور من كونه فى الرسوم القديمة لا غير، فلم يلتفت لما كتبت له به، وبقي الأمر موقوفا فأكثروا عليه من الاسترعاءات، وكتب لقونصو الصورة بما فى النسخة التى دفعها لك بأشذور النجليز، ووجهتها مع ما كتب لك به هو فى القضية طالبا رفعها لجانبا العالى بالله لنجرى أمر التثقيف على الرسوم القديمة، ذاكراً أن ذلك إن لم يقع لا بد من إحضار المدينين كما فى الشروط حسبما فى كتابه الذى وجهت.

فاعلم أن لتجار الصويرة مخالطات مع أهل سوس ثم منهم - أى أهل سوس - من له مخالطة مع تجار غير التاجر المكافف، ولم يقطع المعاملة مع التاجر المخالط له، ومنهم من له مخالطة مع التجار وقطع رجله عن القدوم عليهم وعن مخالطتهم، فأما من لم يقطع المعاملة أو كان فى قبيلته من هو مخالط للتجار وقبض هو أو إخوانه كفافاً فلا شك أن إخوانه يقبضون أصحاب من كاففهم ويكاففونهم ويتسع الخرق حينئذ، وأما من قطع المعاملة مع التجار وقطع رجله عن المدينة ولم يكن فى قبيلته من هو مخالط مع التجار فلا بأس بقبضه، إذ لا محذور فيه إن ظفر به أو قبض إخوانه .

وبالجملة إن فى كفاف من له مخالطة مع التجار أو قبض إخوانه قطع أرجلهم عن المدينة، وتعرضهم لقبض أصحاب التجار وفى ذلك من الضرر على التجار من جهة كفاف أصحابهم وأخذ ما بأيديهم من متاعهم، ومن جهة المرسى بقطع ما يرد من سوس على التجار بقصد وسقه، بخلاف ما إذا كان المكافف قطع رجله رأساً ولم يكن لإخوانه مخالطة مع التجار فلا ضرر فى كفافه، أو كفاف إخوانه .

وعليه فى الكفاف تفصيل، والذى يقبض كفافاً يكون هو أى المدين المطالب بعينه أو قرابته، لأنهم إذا قبضوا والحالة هذه فلا بد أن يفاصل عليهم إخوانهم وأما إذا كان المقبوضون كفافاً أجنيين من المدين المطالب فإنهم يتركونهم ولا يعبأون بهم ولا يفاصلون ما عليهم، إذ ليس الأجنى الذى لا يعبأ بأمره كالقريب الذى يعبأ به ويخلص عليه، وهذه الكفافة المشار لكيفيتها تكون فى الرسوم القديمة خاصة والله يعينك والسلام فى ٢٢ رمضان المعظم عام ١٢٨٤هـ .

ونص آخر فى نصرانى أسلم وطلبت دولته تسليمه إليها:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك جوابا عما كتبنا لك به فى شأن النصرانى البرطقىزى الذى أسلم بالصورة، فذكرت أن كبيرهم بطنجة تكلم معك فى أمره فأجبتة بما قدمناه لك من عدم تمكينهم منه، ونهت على ما كان عليه هذا النصرانى بالجديدة من الاشتغال بالفساد ومخالطة أهله، والدخول للسجون وتسريح من وجب عليه الحق إلى غير ذلك مما وقعت الشكوى به لدولته، فعزل من الخدمة فكان عزله سبب ما أظهره من الإسلام، وأنه إن قبل وقرب وتكلم عليه يظهر لهم أن ما اشتكى به أولا سفسطة وعملا بيد، ويرجع اللوم على كبيره، وأشرت بأن يجرى مجرى أمثاله من العلوج ويذهب حيث شاء ليظهر ما يبطنه، فها نحن أمرنا الأمناء بأن يكسوه كسوة تستره ويدفعوا له ما يجعله فى يده ويذهب حيث شاء والله يعينك والسلام فى ٢٨ صفر عام ١٢٨٥».

ونص آخر فيما يقع فى حقوق النزائل المقامة لحفظ الأمن بالطريق:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد تشكى أهل النزائل الذين يقرب الرباط بأن الجمالة أصحاب النصارى يأخذون من أصحابهم بطائق ويمرون بها عليهم ولا يعطون حق النزائل، ثم يبيعونها لجمالة آخرين ليسوا من أصحاب النصارى ويسلكون بها مجانا، وإذا حاول أحد منهم مخاطبتهم بحق النزالة يرمون بعض حوائجهم ويدعون أنهم نهبهم، حتى صار أهل النزائل لا يقدرّون على مخاطبة جل الناس بحق النزالة خوفا على أنفسهم.

فلا بد تكلم مع النواب فى ذلك، وقرر لهم أن هذه النزائل أنزلت هناك قديما من عهد جدنا مولانا سليمان وسيدنا الوالد قدسهما الله لمصلحة حفظ الطريق والقيام بحراستها ليلا ونهارا، وما يقبضونه من القوافل هى إعانة لهم على ذلك وما قط وقع فيهم كلام منهم فى شأنهم فى هذه السنين الماضية إلى هذه الأيام أرادوا خرق القانون الذى وجدنا عليه أسلافنا معهم، وذلك فيه ما فيه ومخالف للشروط، وان ادعوا أنه فى الشروط فما سبب سكوتهم ولم يتكلموا فى ذلك إلى هذا الوقت. وبين لهم - أى النواب - ما صار أصحابهم يفعلون من بيع نفائلكم لأصحاب قوافل أخرى هروبا من الإعطاء، ليعرفوا ما آل إليه أمر عدم الإعطاء حتى أدى لأمر آخر، وهو عدم إعطاء غيرهم مع أنهم - أى النواب - لا يوافقون على هذا ولا يحبونه، وليس سبيل هذا الإعطاء سبيل الكنطرة، لأن هذا الإعطاء هو لأجل تحصين متاع التجار وتوجيهه فى الأمان، فليس الإعطاء إلا على نفعهم بخلاف الكنطرة، فإنها لمصلحة الإيالة فلا كلام فيها مع التجار، فإذا وسع الله تعالى على المخزن فإنه يسقطها كما كنا أسقطناها قبل إلى أن دعت الحاجة إليها والسلام فى ١٠ رجب ١٢٨٥».

ونص آخر فى قضية اعتداء فرنسيين على يهودى مراکشى:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا جوابك عما صدر من التاجرين الفرنضييين بملاح مراكشة من التعدى والجسارة وهتك حجاب الوقار على وصيفنا القائد إبراهيم الأكروى بما ارتكبه فى إيالته من الأفعال الشنيعة التى تمجها الاسماع، وتنفر منها الطباع، من تعليق اليهودى والاستيلاء على ملك زوجته وغير ذلك مما قدمناه لك، وبيننا لك ما دار بين كاتبنا الطالب ابن إدريس وبين قونصو الفرنسيين فى الدعوى، وما وقع به

الصلح بينهما فيها وتوجه به الحكم على النصراني المعلق مما لا معنى له من الاكتفاء بسجنه أياما ودفع ٤٦٠ ريال ذعيرة لمخزنهم مما يستبعد في هذه النازلة، ولا يسلم لما أوضحناه لك، وبيننا لك وجه عدم تسليمه وما يترتب على قبوله وإمضائه، فذكرت أنك تكلمت في ذلك مع باشدورهم بطنجة وشرحته له على نحو ما أمرناك به وصرحت له بأن ما حكم به قونصوهم بالصويرة في هذه الدعوى غير مقنع عندنا، فأجابه بأن القونصو المذكور هو المتولى الحكم في هذه النازلة بإذن من دولته إلا إذا تم الحكم منه فيها ولم نقبله فيكون لنا الحق في طلب رفعها للحكم عليها عنده بطنجة وتمنى فصلها بالصويرة بوجه جميل، لما ظهر له من أن فصالتها هناك أفضل من رفعها لطنجة، وذكر أن فيها دعوتين واحدة لهما والأخرى عليهم، وأن تعليق اليهودى لم يكن من عنقه للقتل، وإنما هو ربط من وسطه كالضحك عليه كما يفعلون ببلدهم بحيث إن لم يصبر المعلق واشتكى لمخزنهم بالمعلقين يعاقبون بسجن يسير وذعيرة لأجل المسخرة التى فعلوا، وأن طلب حسم مادة هذه الدعوى لما ذكر أنه ينشأ عن وصولها لدولته من إمعان النظر فيها والبحث فيما يدعيه التاجران وتوصلهما بما يثبت لهما لما وصفهما به.

ودار بينك وبينه فى القضية حسبما سطرته وطلبت فصلها على يد كاتبنا المذكور لما وصفته به وأثبتت به عليه وأشرت بتقليل المشاحنة مع هذه الدولة لما ظهر لك من أنها مهما تشعر بشيء من الإهمال والدوران إلا وتشعب، فتكون فى مطلب وترجع فى مطلب آخر، وصار ذلك منا على بال.

فاعلم أن الناس عندنا فى الحق سواء، لا نحب إبطال حق ولا تحقيق باطل، وحاصل أمر هذه القضية أن هذين التاجرین ثبت عليهما تعليق اليهودى ظلما وافتياتا على العامل كما ثبت عليهما إفساد دار اليهودية بما أحدثا فيها من الهدم والبناء بغير رضاها، مع ما آل إليه الأمر من الجسارة على جانب العامل حسبما

قدمنا لك، وكل ذلك بحجج وقف عليها نائب جنسهما بشعر الصويرة وسلمها غير أنه حكم عليهما بعقوبة لا تقى ببعض فعلهما، وللبحث فيها مجال، فلذا لم تقبل لأنها لو قبلت وعلم الناس قبولها لتشوف بعض من لا خلاق له بهذه الإيالة السعيدة لأن يفعل مثل ذلك بتاجر من تجار الأجناس، وتهون عليه العقوبة المذكورة، فسد الذرائع متعين.

وقول الباشدور، إن التعليق لم يكن من العنق وإنما كان ربطا من الوسط هو على كل حال تعليق فى الهواء ورفع على الأرض، سواء كان من العنق أو غيره وأمره شنيع، وفعله هائل فظيع لا صبر لليهودى على ما هو أدنى منه، فكيف به ولو عاين الباشادور هرجهم ومرجهم وارتفاع أصواتهم فى حارتهم وقت تعليق اليهودى، حتى إنه ربما تسقط حواملهم ما استسهل الأمر وإنما يستسهل الأمر من اعتاده وفيه استخفاف وافتيات حتى بالدولة، لأن المعلوم بالتعليق والشنق هو المخزن.

وكل من سمع هذا الفعل من الدول والأجناس يمجبه ويستقبحه، وربما عيوا حتى على من سكت عنه، وأما ما يدعيان به على العامل الاكراوى فإن أثباته بحجج مسلمة فنحن أولى بالانصاف ولا يسعنا إهمال حقهما، وإن لم يكن عندهما إلا مجرد القول بغير خاف أن الدعوى المجردة عن الحجة لا توجب لصاحبها شيئا شرعا وطبعاً، ولو كان كل من ادعى بشيء ولا حجة له يمكن منه لضاعت الحقوق، وتسارع لأموال الناس أهل الفجور والفسوق، ولم يبق لأحد بما فى يده وثوق، فالشرع والطبع متطابقان على أن الدعوى المجردة عن الحجة غير ملتفت إليها، وحتى لو رفع التاجران أو الباشادور القضية للدولة، فهذه الدولة الفرنصيصية بمكان من العقل والعدل فى الحكم، فإن بلغتها القضية على تحقيقها فكيف تسامح التاجرین فى قبيح فعلهما أو تطلب ما ليس من حقهما ولا حجة لهما عليه والله يعينك والسلام فى ١٢ من ذى الحجة عام ١٢٨٦هـ.

ومن ذلك ما أصدره له أيضا ونصه :

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة

الله تعالى .

وبعد: فقد أخبر عامل الريف أن نفرا ثلاثة من أهل كلعية كانوا خارجين من أميلية فتعرض لهم بعض العسكر على الباب يمازحهم فعمد أحد المسلمين إلى عسكرى وضربه بيده فأسرع إليهم العسكر وهرب نفر الثلاثة، فعثر العسكر على رجل آخر قرب الباب فضربوه بعمائر أربعة وقتلوه، وذكر أنه كتب لك فى القضية وأن حاكم أميلية أجابه بأنه تأسف وتغير على ما صدر من العسكر من قتل هذا المسلم، وأنه قبض على قائد العسة والذى ضرب وسجنهما حسبما تقف عليه فى النسختين الواصلتين إليك فى طى هذا.

فانظر إلى هذا الفعل، وهذا الظلم والتعدى، وقد علمت أن المسلمين لا يصبرون على أخذ ثأر أخيهم المقتول، وعليه فلا بُدّ أكتب لباشادورهم بطنجة واشرح له القضية واسترع عليهم واجعل لهم خمسة عشر يوما أجلا، فإن أخذوا الحق لإخوان المقتول فى دم أخيهم فذاك، وإلا فلا ملامة على المسلمين إن أخذوا الحق لأنفسهم والسلام ٢١ صفر عام ١٢٨٦».

ونص كتاب عامل الريف المشار إليه المترجم:

بعد تقبيل حاشية سراق بساط سيدنا نصره الله وأداء ما يجب للحضرة العالية بالله، ينهى لعلم سيدنا أعزه الله وخلد فى الصالحات ذكره أن أمس تاريخه كانوا ثلاثة من المسلمين المجاورين لميلية من آل قلعية خارجين على باب البلد المذكور، فتعرض لهم بعض العسكر الذين فى العسة على الباب يمازحهم، وكان أحد المسلمين دون عقله، فضرب المسلم العسكرى بيده لا غير، فأسرعوا إليهم

جماعة من العسكر فهربوا الثلاثة من المسلمين فوجدوا العسكر مسلما آخر قرب الباب فضربوه بأربعة من العدة وقتلوه فى الحين، ولا أحد من المسلمين ضربهم ولا تعرض لهم بشيء، وآل كلبية يريدون أخذ ثأر أخيهم المقتول لا محالة حيث قتلوه ظلما وتعديا، والنظر لسيدنا نصره الله، وبطىّ هذا كتاب قائد مليلية بهذه القضية وقد كتبنا لنائب سيدنا الطالب محمد بركاش وأعلمناه والعبد على خدمة سيده طالبا صالح أدعيته والسلام عائد على حضرة سيدنا العالية بالله ورحمة الله وبركاته والسلام فى ٩ صفر عام ١٢٨٦ خديمك العربى بن عبد الصادق أمنة الله».

ونص كتاب قائد مليلية المشار إليه لعامل الريف:

«محبنا الباشا سيدى العربى بن عبد الصادق سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فليكن فى علمك أن فى عشية هذا اليوم فى السبعة أن أربعة أناس كانوا خارجين من المدينة وأرادوا أن يأخذوا المكوصلة لورضية الباب قهرا عليه، ولما رأى ذلك الورضية خرج فيهم بالمكوصلة وضرب من غير إذن أحد وقتل واحداً منهم اسمه على، والخليفة السيد محمد العسرى توجه أمام الرجل المقتول وفى الساعة المذكورة قبضت على قائد العسة والذى ضرب وجعلتهم فى السجن ليكون تحقيق الدعوة ونكتب به للكبرنوا وأنا مغير على هذا، وتأسفت على هذا الرجل لأنه رجل مسكين فى ٢١ ماى عام ١٨٦٩.

عن إذن بطر وبمنط».

وما أصدره له كذلك ونه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبراً بأن عامل الريف كتب لك فى شأن قضية العسكرى الصبنيولى الذى قتله أهل كلعية داخل الحدادة، وبين لك السبب فى ذلك وهو قتلهم للريفى الذى تكرر منه إذايتهم والتعرض لهم، وذكر أن قتلهم إياه كان بإذن عامل مليلية فتعرض إخوان المقتول لعسكرهم وقتلوا منه واحداً فى أخيهم وما أشار إليه ابن عبد الصادق من أن ذلك المحل ينبغى أن يكون عامراً بالمخزن لينكشف الناس عن مثل ذلك بهيبته، وعلمنا ما أجابك به باشادور الصبنيول حين أخبرته بما كتب به عامل الريف، وحاولت رد الملام على حاكم مليلية حين أمر بقتل الرجل الريفى وما احتج به من أن ذلك الرجل كان يقطع الطريق وتكرر منه ولم يقع فيه تصرف من العامل، وأن من يكون مثل ذلك حقيق بأن يضرب بالبارود وصمم على ما كتب به أولاً، وذكر أنه لو كان هناك مدد المخزن يتقوى به العامل على المصالح لم يقع مثل هذا.

فاعلم أن الباشادور فيما كتب به فى هذه القضية رجع ما أخبر به حاكم مليلية على ما أخبر عامل الريف، مع أن عامل الريف أكبر مرتبة من حاكم مليلية، فبأى وجه يرجع خبره؟ وأنت ينبغى لك أن تحتج عليه بذلك وتقابله به وذلك شأن النائب الحازم، وليس الشأن أنه كلما احتج عليك بحجة تقبلها وتسلمها كيفما كانت، مع أنك تعرف أنهم إذا رد عليهم الإنسان بالحجج التى يقبلها القانون والعقل ينصفون وينصتون، فلا نترك من جهدك شيئاً يمكنك فى مدافعته والله يعينك والسلام فى ٧ محرم عام ١٢٨٥هـ.

وما كتب إليه به ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك مخبرا أن ترجمان الصبنيول لم يقبل ما اعتذرت به عن وسق البقر الذى طلبوه، وأن باشدورهم كتب لك من طنجة بما يدل على تبديل سيرتهم ونيتهم بارتكاب ما يحصل منه الغيار، وأنه أمر ترجمانه الذى قدم معك بالسفر لطنجة على الحالة التى ذكرت أنها تشعر بقطع المعاملة، وأنه كتب مسترعا بأن نصرانيين صبنيولين قتلا بقبيلة بنى حسن، وأنه كتب لأعتابنا الشريفة بما تخوفت وقوع الشنآن من الجواب عنه، وأنه كتب لك أيضا يطلب دارا بالجديدة لسكنى قونصوهم بها، وكان كرر طلب الإنعام بها فتغافلت عنه كما يطلب خلاص كراء سكنى قونصوهم بدار بالجديدة اكترها عن أشهر ٢٩، وكتب لك بأن ما يدخل لامليلية من الخطب والفاخر محصور وطلب الكتب للعامل بالتسهيل فى ذلك، ونهت على أنك لم تكتب فى قضية البقر حتى بذلت المجهود فى المدافعة بما يمكن فلم تجد سبيلا للرد ولا لعدم الرفع، لما علمت من أنهم إن لم تقع لهم مساعدة فى طلب أمر يخوضون فى أمور شاقة ويكثرون المطالب الصعبة ليركبوا عليها الشنآن.

أما الدار التى طلب وخلص الكراء فما كان منفذا لغيره فينفذ له، وأما النصرانيان الصبنيوليان اللذان ذكرت أنهما ماتا ببني حسن فالقاعدة أن من يريد التوجه منهم لمحل لابد أن يعلم عامل المرسى المتوجه منها ويعطيه من يتوجه معه من المخازنية، ولأى شىء توجهها، على أن توجه النصارى لبني حسن غير معهود، فَلَا بُدَّ بَيْنَ المسألة بيانا شافيا، وأخبر بسبب توجههم لنامر بالبحث فى القضية ويظهر ما يكون بعد إن شاء الله تعالى، وبين فى إيالة من وقع ذلك، ومن حَقَّ أن تثبت فى الأمور وتحققها وتراجع معهم فيها، وتعرف السبب، بعد ذلك تخبر، لا أنك تقتصر على حكاية كلامهم والسلام فى ٨ شعبان عام ١٢٨٧.

وما كتب به للمذكور ونصه :

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما كنا كتبنا لك به من أن حضور خلائف نواب الأجناس بمجلس الشرع مع كون الدعوى إنما كانت ليهوديين أحدهما فى حماية الماركان، والآخر فى حماية الإصبنيل لا مستند له، وليس فى الشروط ما يقتضيه حسبما قدمنا لك، ونبهناك على ذلك مخافة احتيالهم على الدخول فى الأحكام الشرعية والمشاركة فيها.

وعلمنا اعتذارك عن ذلك بأنهم صيروا جميع الدعاوى على العمال والأشياخ كدعوى واحدة لأجل الاسترعاء المتقدم، مع ما ذكرت من أن بعضهم يحذر من بعض حتى فى التقديم والتأخير فى الدعاوى إلى غير ذلك مما ذكرت، فنحن نراهم يريدون تتبع الدعاوى والنظر فيها دعوى بعد أخرى، ولو صيروا جميع الدعاوى كدعوى واحدة لاكتفوا بوكيل من جهتهم ووكيل من جهة العمال والأشياخ، والتقديم فى الدعاوى والتأخير يكون له تأويل بقرعة أو شبهها كما يفعل بالمراسى فى دعاويهم على غير العمال والأشياخ، ولكننا نبهناك لتزداد فطنة وتيقظا لحيلهم، حتى لا يجدوا فيك بعد قابلية لارتكاب ما لا تقتضيه الشروط.

وذكرت أن أمر هذه الدعاوى ليس بهين وأنه لابد فيها من سياسة يخرج بها الإنسان منها فى عز وأن إجراءاتها على طريق الأحكام الشرعية يطول أمره جدا، وتلزم فيه صوائر لها بال، وأشارت على وجه السر بأن نأذن لك فى التماس طريق للصلح بنحو الربع أو الثلث فى جميع الدعاوى وتحسم مادتها بعد حيازة جميع الرسوم وخطوط الأيدى، والتزامهم عدم الرجوع للمخالطة مع العمال والأشياخ، فلا يخفى أن هذه الدعاوى من قبيل دعاوى المعاملات وهى شرعية الحكم فيها،

إنما هو بالشريعة المحمدية كما هو مصرح به فى الشروط، ولا علينا فى الطول الذى ذكرت نعم حين ينصرم الأجل وتتمحض المصلحة فى السداد الذى أشرت به أعلمنا لنجيبك بما يشرح الله له صدرنا فإن الله سعى الصلح خيرا والسلام فى ١٠ صفر الخير عام ١٢٨٩هـ.

حرب تطوان

وإن أعظم النضال والدفاع ما قام به حين فاجأ جلوسه على العرش تشغيب جنس الإصبيان وتكالبه على قلب عزة الإسلام طالبا الإتيان باثنى عشر مسلما من قبيلة الأنجرة وقتلهم صبرا بين أظهر المسلمين أمام الأجانب بثغر طنجة عقوبة على هدم بعض القبيلة المذكورة بيت العسة الذى بناه الإصبيان فى الحدود - مخالفين ما جرت به العادة من اتخاذه من لوح - هناك مصمما على أحد أمرين، إما إجابة مطلبه وإما المناجزة وإشهار الحرب.

والحال أنه لا جيش وقتئذ منظم، ولا قوة حربية كافية فقابل المترجم ذلك بالثبات، ووازن بين المطلبين فتحقق أن الوبال على الإسلام والمسلمين بالمساعدة على أولهما، فصمم على رفضه لذلك وبعث خديمه الحاج محمد الزبيدي الرباطي لطنجة مندوبا عاليا مفوضا للنظر فى تلك المطالب، واستشارة الدول واستنابتهم فيها فكان آخر أمره معهم الانفصال على الحرب.

قال مولاي العباس بن السلطان مولاي عبد الرحمن أخ المترجم فيما كتبه بخطه: إن مقدمة هذا الأمر ومبدأه فيما بلغنا عن كان يباشره أن آل أنجرة ذهبوا إلى محدة الرومى وكسروا له حجرا كان عنده هنالك فيه رسم طابعهم الذى يعبرون عنه بالرومية اكرونة، فمن حيث وقع ذلك جاء الرومى إلى محدته واشتغل يبنى برجا ليدفع به عن نفسه، فجاء المسلمون وكسروه وتربوه، فجاء الرومى إلى المكلف من قبل السلطان الوالد رحمه الله وشكا له بجرأة أنجرة عليه وإن لم يقع

عليهم الأحكام يكون ذلك سبب الفتن، فكتب لهم ذلك المكلف وهو محمد الخطيب التطوانى، ووجه لهم بعض السادات ينهاتهم ويأمرهم بالكف عن العتو والفساد، فأجابوه بأقبح ما يسمع وقالوا له: إنه على نفس النصارى وعادوا لعتوهم وفسادهم، ووجه لهم عاملهم بعد ذلك من طنجة ينهاتهم فما رفعوا له رأساً.

ثم رفعت القضية إلى سيدى محمد، فلما اطلع على مكاتب النائب الخطيب بيان الواقع وطلب الإصبا ن قتل أناس من أهل الأنجرة بباب سبتة، وإعطاء طرف من بلادهم توسعة، استنكر ذلك وعرضه على غيره فكبر ذلك على الجميع لما فيه من إهانة المسلمين المستلزمة لإهانة الدين.

فحينئذ استنفر من الرعية للذب عن بيضة الإسلام من سارع لإجابته فيه، ووجه القائد المأمون الزرارى إلى تطوان فى نحو مائة فارس وخمسمائة رام فرابطوا خارج تطوان من ناحية سبتة، ولزم هو عاصمة ملكه لتدبير النجدة وإرسال الأموال والعدة والعدد، ولئلا يختل ضبط الداخلية أو يحدث فيها منتهز فرصة تشويشا فيكون عوناً باطنياً للعدو، فبرز الإصبا ن فى حدود سبتة فى جيش محكم النظام يحتوى على عشرين ألف مقاتل وذلك فى ثالث ربيع الأول عام ١٢٧٦ سلك بذلك الجيش مسلك إظهار القوة مع المطاولة وعدم المبادرة للمناجزة وقصد به جهة تطوان يتقدم مرة ويتأخر أخرى دام على ذلك مدة أربعة أشهر، وقبائل الناحية من الأنجرة تقابله وتعرضه فى المضايق وتناوشه القتال.

وفى أثناء ذلك جهز المترجم طائفة أخرى من الجيش بها خمسة آلاف من المتطوعة أكثرهم من عرب سفيان وبنى مالك والحياينة وخمسمائة من الودايا والعبيد بقيادة صنوه عم والدتنا المولى العباس، ونزل بضواحي تطوان وقبائل أنجرة ومن ساعدتهم من أهل الجبال الهبطية فى مناوشة مستمرة مع جيوش الإصبا ن التى تكاثرت بالتدريج وصارت تعد بخمسين ألفاً.

وقد وقفت فى كناشة عالم البيت السودانى فى عصره سيدى المهدي ابن سودة، على أن المترجم لما بلغه ما يقصده الإصبان من الاستيلاء على تطوان بعث لحفظه جماعة من ذوى النجدة والثبات برياسة أخيه المولى العباس، فلما كان الإصبان بجموعهم الكثيرة التى لا يفى بعدها ديوان على نحو الساعة من تطوان، تلقتهم البعثة المذكورة فى ألفين ومائتى فارس فانهزم الإصبان وقتل منهم نحو خمسة آلاف، ولم يفقد المسلمون فى الوقعة إلا خمسة وأربعين من رجالهم.

ثم وقع القتال ثانيا حسبما وقفت عليه بخط المولى العباس، وكان من الثامن والعشرين من جمادى الأولى، فتكبد الإصبان فيها ما استعظموه وأقلق راحتهم، وكان الفرار نتيجته، ولم يقتل من المسلمين إلا نحو الخمسة، ثم أعادوا الكرة فى يوم الخميس ثالث جمادى الثانية فكان المآل عليهم أدهى وأمر ومات من المسلمين نحو الثلاثة.

ثم اتقدت نيران الحرب أيضا يوم الأحد سادس جمادى الثانية فقتل منهم نحو الثلاثة آلاف، ومات من المسلمين نحو الستة، وتمادى القتال بين الفريقين واشتدت الحرب، وأظهر المسلمون من البسالة ما أبهر أوروبا وقضت منه بالعجب، حتى ذكروا فى بعض مكاتبتهم أنهم كانوا يظنون أنهم يلقون رجالا كالرجال الذين يعرفون، فإذا يقوم مثل الجبال لا يضجرون من الحرب ولا يهابون الموت تحملهم شجاعتهم على مصادمة المدافع والقبض على رؤسائها باليد، حتى إن رجلاً من أولاد البقال قتل أربعمائة من الإصبان كما حكى ذلك عنه من شاهد الوقعة، وكذلك استمرت الحرب متوالية والإصبان فى انكسار إلى أن وقع ما سيذكر.

ثم بعث المترجم فى تلك الأثناء صنوه جدنا للأم المولى أحمد فى جيش من مكناس ونزل فى خامس رجب فى موضع يسمى فم الحبيرة - بالتصغير - وتواردت على المسلمين زرافات المتطوعة من سائر أنحاء المغرب وعواصمه وبواديه،

فما أفادت كثرتهم مع النظام الذى ظهر به الإصبان لذلك العهد، وكان أهل المغرب لا يعرفون إلا المناجزة إن أمكنت وطريقة الكر والفر.

ولما أحس جيش الإصبان القوة من نفسه، ورأى أن حالة أهل المغرب لا تتغير لا ماديا ولا أدبيا زحف على تطوان فى ستين ألف مقاتل على طريق الساحل يعصدها الأسطول ويسايرها فى حالة سيرها، إلى أن حل الجيش بساحة قلعة مرتيل بين تطوان والبحر بعد ما هلك من الجانبين خلق كثير.

ولما نزل الإصبان هناك واختلط الحابل بالنابل والمخلص بضده وكثر نهب القبائل بعضها بعضا وارتبكت الأمور واختل النظام، ورأى الجبليون وكانوا عمدة أعيان جيش المسلمين أن لا مطمع فى حفظ مدينة تطوان من العدو، وقل زادهم، دخل السفهاء منهم عامة ضواحيها ومدوا أيديهم للسلب والنهب حتى اضطر التطوانيون للخروج إلى قائد جيش الإصبان النازل بمرتيل وتخابروا معه فى الدخول للمدينة دخولا سلميا خوفا من هتك الأستار ومس الحرم، فلبى قائد الجيش طلبهم ودخل المدينة ضحوة الاثنين الثالث عشر من رجب السنة فى كبار الجيش وأركان حربه ورغمما عن كمال استعداده ووافر قوته لم ينل ذلك اليوم من احتلال تطوان المتصلة بحدوده إلا بعد أن تزود ممن حضر لقتاله من المسلمين على غير تعبئة ولا انتظام الخسائر الفادحة فى الرقاب والأموال، وبذلك صار أشد رغبة فى الصلح والسلم، عكس ما كان عليه ابتداء من الرغبة فى الحرب حين كان يظن الغلبة، حتى إن جيشه بمجرد إبرام الصلح كاد يطير فرحا وصار يهنئ بعضهم بعضا، وكذا للمسلمين بقبولهم الصلح، وأكبر شاهد على ما ذكر من ابتهاج الإصبان بالصلح وشدة فرحهم به ما شوهد مما أظهره القائد الحربى اردنيل لدى مقابلته للمولى العباس للمفاوضة فى إبرام الصلح من الخضوع والإجلال والاحترام.

هذا مجمل أخبار تلك الوقائع والحوادث، وقد عثرت على تفصيل كثير منها في الوثائق الرسمية السلطانية الصادرة في شأنها فرأيت إدراجها هنا بنصوصها علي حسب تواريخها، ونص أولها في التفويض للحاج محمد الزبيدي في مفاوضة الإصبان في مطالبهم بعد الحملة والصلاة والطابع بداخله «محمد بن أمير المؤمنين وفقه الله»:

«يعلم من كتابنا هذا أسماء الله، أننا وجهنا من حضرتنا العالية بالله تعالى خديمنا الأنجد الحاج محمد الزبيدي للكلام مع نائب جنس الصبنيول في المطالب المسطرة في كتابه، وإجرائها على القوانين المقررة، والطرق المبسطة، وفوضنا له في ذلك والسلام في ١٤ من ربيع النبوى عام ١٢٧٦».

ونص الثانى فى الإذن للمذكور باستشارة سفير الإنجليز فى القضية بعد ما ذكر:

«يعلم من كتابنا هذا أسماء الله أننا أذنّا لخديمنا الأنجد الحاج محمد الزبيدي فى المشاورة مع نائب جنس النجليز والمفاوضة معه فيما يرجع لنازلة جنس الصبنيول لمحبتة فى جانب أسلافنا الكرام، قدس الله أرواحهم، ونعم أشباحهم، والسلام فى ١٤ من ربيع النبوى عام ١٢٧٦».

ونص الثالث فى الإذن له باستنابة من أراد استنابته من السفراء فى القضية:

«يعلم من هذا أننا أذنّا لخديمنا الحاج محمد الزبيدي فى استنابة من أراد استنابته من نواب الأجناس مع نائب الصبنيول فى المطالب التى سطرها فى كتابه والسلام فى منتصف ربيع النبوى الأنور عام ١٢٧٦».

ونص الرابع فى جواب الزبيدي عن بعض ما دار بينه وبين الإصبان من الكلام:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الزبيدي أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه أنك وجدت الطالب محمد الخطيب تعين عليه من جهة مراعاة المصلحة والسداد، أن يسلم لنائب جنس الصبنيول المطالب الأربعة التي وجهناك لأجلها، وأن دولة الصبنيول أهلكها الله لما بلغها ذلك لم تقنع به وطلبت أن تعطاها جبل موسى الذي ذكرت أن مساعدتها عليه لا تمكن، ولو وقفت عند مطلبها، وأن تكون عقوبة أهل لنجرة بالقتل أمام عسكرهم، وأن يكون الجواب عن هذين المطلبين يوم التاسع عشر من شهر تاريخه وإلا يكسر سنجقه ويتوجه هو وجميع تعلقاته.

وذكرت أن ما طلبه من تعجيل الجواب عنهما ليس من قانون البحر، وأنك استرعت عليه بكتبك بما دار بيننا وبينه كتباً لجميع نواب الأجناس لتوجهها إليهم إن لم يقف عند القانون المذكور، وأنه ساع في الفتنة مستعد لها.

وطلبت لأجل ذلك توجيه محلة تنزل في تبهدارت والكتب على اثني عشر من معلمى الطبجية بالعدوتين وتوجيههم لشجر طنجة لافتقاره إليهم، وصار الكل بالبال.

أما ما طلب من قتل أهل لنجرة فلا يحل فى شرعنا قتل مسلم إلا بموجب شرعى، نعم العقوبة التامة تكون لهم فيعاقبون عقوبة تامة إن شاء الله، وأما ما طلب من الجبل فلا نعطيهم بلاد المسلمين من غير قانون، نعم ما ادعاه من حقوق المضرة له من الأماكن التي أراد، فنحن نتكفل له بعدم حقوق مضرة له منها، وأما ما أشرت به من توجيه محلة للنزول بالمحل الذي ذكرت فإننا نوجهها إن شاء الله كما نوجه الطبجية لذلك الشجر المحروس بعناية الله ورب البيت يحميه والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به فنعم المولى ونعم النصير.

وقد كتبنا لسائر المراسى بأخذ الأهبة والاستعداد أولاً، وأكدنا عليهم ثانياً، ولا تغيبوا عنا خبراً والله يعينك والسلام فى ٢٤ من ربيع النبوى عام ١٢٧٦هـ.

ونص الخامس من الوزير بوعشرين للزبدى فى الجبل الذى يطلبه الإصبان
والشروع فى أخذ الأهبة بعد الحمدة والصلاة:

«محبنا الأعز الأمين الأرضى الأمين الحازم الضابط الأحظى السيد الحاج
محمد الزبدى، أمنك الله ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره
الله.

وبعد: وصلنا كتابك بينت فيه اسم الجبل المذكور فى مطالب الكافر
الصبنيولى خذله الله، وذكرت أنه لا يمكن إسعافه عليه لما عزم عليه من الخروج،
وأشرت بالتعجيل بالمحلة والخفيف المفروغ، وذكرت أنك تفقدت جميع الأبراج
وحرضت على عمارة أهلها، وأن ذلك الثغر السعيد فى غاية الخصاصة، وطلبت
صدور الأمر الشريف للسيد محمد الخطيب بجعل المئونة للملازمين للأبراج
ليتفرغوا لحراستها، فها سيدنا أيده الله كتب له بذلك وعلى المحبة والسلام ٢٧
ربيع النبوى عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى آمنه الله».

ونص السادس فى استعداد طنجة للحرب:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الزبيدى، أعانك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصل كتابك أخبرت فيه أنك لما حققت بأن الكافر الصبنيولى
دمره الله لا رجوع له عما أراده من الكرة، قمت على ساق ووجهت على العامل
وتكلمت معه فى شأن الأبراج وتعاهد الآلات الجهادية، ففهمت من كلامه
التراخى، وقويته بما لا ينفعه معه إلا القيام على ساق فى ذلك، وتكلمت مع
الطالب محمد الخطيب فى شأن مئونة الطبجية والبحرية الذين يعمرون الأبراج

فنفذ لهم ثمان موزونات للواحد لضعف حالهم، وفرت العدة على الجيش السعيد وأهل البلاد، وظهرت مخايل الخير والسعادة وسر جميع الناس بذلك.

وإن العدو المذكور لما رأى ما عليه الناس من الحزم والتيقظ لمحاربتة، ظهرت فيه مخايل الفشل، وصار يقتصر على طلب المليون فدون بعد ما كان يطلب العشرة أميال فأكثر، وفهمتم منه أنه يتعلق ببعض نواب الأجناس كالنجليز والنبطان والماركان في جعل سداد بيننا وبينه، وأن نائب الثالث منهم أشار عليكم بعدم مساعدته اليوم حتى يظهر صدقه، لأنه لا عهد له، وطلبت تعجيل توجيه مجلة للرباط بها في حد الغربية وصار كل ذلك بالبال، وقد أصبت الصواب فيما فعلت من الإشارة بإعطاء المؤنة لمن ذكرت إعانة لهم على ما هم بصدد إذ ذلك واجب لا بد منه، وكيف يقابل الإنسان الخدمة مع فراغ اليد من... كما أحسنت في التنبيه على أهل ذلك الثغر أحسن الله لك وقد نفذنا لفرسانهم عشرة مثاقيل لكل واحد ولرجالتهم خمسة مثاقيل لكل واحد، ولنجباء الطبجية والبحرية عشرة مثاقيل، ولن دونهم ستين أوقية لكل واحد، ولكبرائهم مقدمين وقواد على نسبة ذلك، وقد كتبنا بهذا كله للطالب محمد الخطيب وبيننا له ما يفعل في ذلك والسلام في ٢٨ من ربيع النبوى عام ١٢٧٦هـ.

ونص السابع من الوزير بوعشرين للزبدى صحبة الظهير السلطاني:

«محبنا الأعز الأَرْضى، الخير الأبر المرتضى، السيد الحاج محمد الزبدى أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وها جواب سيدنا أيده الله يوافيك فيه كفاية وعلى المحبة والسلام في ٢٩ ربيع النبوى عام ١٢٩٦هـ.

الطيب بن اليماني آمنه الله».

ونص الثامن من مولاى العباس كبير المحلة السلطانية للزبدى فى الإعلام
بالوصول للقصر، وطلب تعيين محل الرباط بعد الحمدلة والصلاة:

«محبنا الأرضى وأمين مولانا الصديق الأرشد الحاج محمد الزبيدى السلام
عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد حصلنا مدينة القصر وخيمنا بها بمحلة مولانا السعيدة ونحن على
نية النهوض يوم الاثنين لنواحى طنجة، ولابد تلاقى مع الخطب على المحل الذى
نربط فيه هل بالحد أو نزيد عليه، قدموا لنا ذلك لما فى المشاورة من المصلحة
أعانك الله، وقمنا بالمحل المذكور لقضاء بعض المآرب ولا تغيب علينا خبرا
والسلام فى ١ ربيع الثانى عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به».

ونص التاسع فى الاستعدادات:

«محبنا وأمين سيدنا الأنجب الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله
وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك وعلمنا ما ذكرت فيه من شأن الصلة الباقية موقفة، فها
نحن نكتب لماسكها يسرحها وكذلك ما ذكر فى شأن حمل الشعير لتطوان ينزل
على يد عاملهم من القصر وغيره، فها نحن إن شاء الله نكتب لمولانا يأمر بذلك،
وأما قبائل الجبال فها نحن جادون فى جمعهم وعند كل منهم كتاب تأمره بالقدوم
علينا وعلى من بقرب تطوان لتطوان، ومن فى إيالة العرائش للعرائش، وحين
يحلوا نفذ لهم المئونة لشبثهم، وفهمنا ما ذكرت فى شأن البابور الانجليزى الذى
رده صبنول دمرهم الله وخروج الآخر له، وأن الله خلص المسلمين والحمد لله
على سلامتهم وعافيتهم، وكتاب الخطيب نوجهه للحضرة العالية والكتاب الآخر

قرأته وها هو يرد عليك، وقد شافهنى بهذا الكلام رجل صبيحة هذا اليوم فحملته على التحامل.

لكن تحققت الآن وأن البعض واقع لا محالة ووصلونا الخزائن ع^{٢٢}دة بركائزهم والعشرون الألف ذكر السيد عبد السلام بن عبد الكريم أنه ورد عليه الأمر بدفعها لابن عبد السلام لكن لما وصلت للخطيب وجه جوابه لسيدنا فصفنا أمرها وسلمت، لأن الكل فى المصلحة والله يعينك والسلام فى ٦ ربيع عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به.

ونص العاشر فى استنفار الناس للحرب:

«محبنا وأمين سيدنا الأنجب الحاج محمد الزبىدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتاب من السيد محمد الخطيب وفهمنا منه شدة خوفه وضجره، فلا مهول إن شاء الله، ونجيك أن تثبته وتقول له فلانا لا يهمل كلامه ولا يضيعه، وقد كتبنا لجميع قبائل الجبال ولقبائل غمارة واستنفرنا الناس وبرحنا بالجهاد، ومرت طائفة من أهل تطوان على الفندق ذاهبة لناحية مولانا نصره الله ولا تغيب علينا خبرا، وكلم ولد السعيدى على القبائل يوجهها أعنى الذين بالمدينة وكل ما تتوقف علينا فيه اكتب لنا فيه فإنك والحمد لله ثابت مثبت والله يعينك والسلام فى ٦ ربيع الثانى عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به»

ونص الحادى عشر من بو عشرين للزبىدى صحبة الظهير السلطانى:

«ومحبنا الأعز الأرضى السيد الحاج محمد الزبىدى حفظك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه أن الكافر الصبنيولى دمره الله كسر سنجقه علامة على الكرة، وركب البحر بعد أن استتاب نائب جنس الفرنضيص، وأنكم دفعتم نسخا من الكتب التى دارت بينكم وبينه لليلة التى بينت، وأنكم قائلون على ساق فى ترتيب العسة فى الأبراج والمرسى وتفريق العدة والبارود على أهل ذلك الثغر السعيد، وأنهم فى غاية الثبات والنشاط لملاقاة الكافر دمره الله، إلى غير ذلك مما شرحته وبيته وصار كل ذلك.

وها جواب سيدنا يوافيك فيه الكفاية، وما ذكرته مما أشير به عليكم من جمع قبائل الجبال للرباط بمحلة سبتة مع أهل لنجرة، وخروج معلمين طبجييين من تطوان بمهرايين بقصد التضيق على الكافر بسبتة وإرهابه فها سيدنا أجابك عن ذلك وعلى المحبة والسلام فى ٥ من ربيع الثانى عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى آمنه الله.

ونص الثانى عشر فى قطع العلائق بين الدولتين، ومبارحة السفير الإيبانى أرض المغرب وما يجرى من الاستعداد على الحدود وتوزيع الزبدى كتب المفاوضات على سفراء الدول بعد الحملة والصلاة والطابع بداخله «محمد بن عبد الرحمن الله وليه»:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الزبدى أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه أن الكافر الصبنيولى خذله الله كسر سنجقه علامة على الكرة وركب البحر بعد أن استتاب نائب جنس الفرنضيص، وأنكم دفعتم لنواب الأجناس نسخا من الكتب التى دارت بينكم وبينه ليعلموا منها كذبه وعدم صدقه فيما يظهره لهم من التظلم وعدم التوصل ببعض حقه، فطالعوها

واستحسنوها ووجهوها لدولهم وذكرت أنكم قائمون على ساق فى ترتيب العسة فى الأبراج والمرسى بعد أن سردتم الجيش السعيد وفرقتم عليهم ما فيه الكفاية من العدة والبارود والخفيف، وزدتم لهم-أى للعساسة-درهما واحدا على ما يقبضونه لضعف حالهم، وأن الجميع فى غاية الثبات والنشاط والاستعداد لمبارزة الكافر، وأنه خذله الله لا يهول ولا يهتم به لما سلط الله على عسكره من الوباء والجوع.

وذكرت أن المدافع الجديدة التى جلب مولانا قدس الله روحه مفتقرة لمعلمين طبعية نجباء عارفين بنیشان فرمتها، وأنكم كتبتم للطالب التهامى بن محمد بن عبد السلام فى شأن المعلم عبد النبى الشديد الرباطى ورفيقه لنجابتهم ولقربهما بالعرائش، فاستبطنأتموهما.

وذكرت أن بعض أعيان قبيلة لنجرة قدموا عليك عازمين على الوفود على حضرتنا العالية بالله فغضضت عنهم الطرف، ووعدتهم بذلك، فأما ما ذكرتم من وقوفكم على ساق الجذ فى ترتيب العسة إلى آخر ما ذكرتم من القيام فذلك الواجب أصلحكم الله ورضى عنكم، وأما ما ذكرته فى شأن الكافر فنسأل الله أن يعجل بالانتقام منهم آمين، وأما ما ذكرته فى شأن الطبجيين اللذين بالعرائش فهنا نحن أمرنا الطالب التهامى بن عبد السلام بالتعجيل بتوجيههما إليكم وأكدنا عليه فى ذلك غاية غاية، وأما ما ذكرته فى شأن أهل لنجرة فقد وردت على حضرتنا العالية بالله تعالى جماعة منهم على يد سيدى عبد السلام ولد سيدى الحاج العربى الوزانى وليتهم تأخروا لكن حيث وفدوا علينا لا يسعنا إلا معاملتهم بما ينبغى أن يعاملوا به، والطبجيان المشار إليهما أعلاه متوقف توجيههما إليكم على استغناء عامل العرائش عنهما، وإلا بأن توقف عليهما فإنه يقيهما عنده، وفى الطبجيين اللذين وجهنا لكم من حضرتنا العالية بالله تعالى كفاية لنجابتهم وفطنتهم بهذا أمرنا العامل المذكور.

وما أشرت به من توجيه معلمين من الطبجية بمهارس المرمى بها على سبته وبالكتب لقبائل حوز تطوان بحصارها هو حسن لو تيسر، فإن عامل تطوان كتب يطلب توجيه المحلة من هنا لتطوان وألفين من العدة والكتب لأهل تطوان وحوزها بضرب الكافر، وذكر من ضعف أهل البلاد وعجزهم ما يقضى بقله فائدته وعدم نجاته، وأين هذا مما أشرت به أصلحك الله: والذي ظهر لنا واقتضاه نظرنا هو أن نوجه عشرة فرسان بكتابنا لأهل لنجرة وجيرانهم من القبائل بالكون عينا وأدنا على الكافر بحيث إن رأوه خرج من خربته قاصدا جهة من الجهات يجتمعون عليه ويضربونه، فإنه لا يعجزهم بحول الله، ثم إن رد على عقبه وظهر المسلمون عليه فيحسن حينئذ أن يقصد بالرمى المشار إليه بعد الاستعداد له إذ له شروط، وإلا ففي قصده ابتداء بالرمى ما لا يخفى.

وها نحن وجهنا العشرة المذكورين بكتابنا لمن ذكر، وأعلمناك لتكون على بصيرة والسلام فى ٥ ربيع الثانى عام ١٢٧٦هـ.

ونص الثالث عشر من بوعشرين صحبة الظهير:

«محبنا الأعز الأَرْضَى السيد الحاج محمد الزبدي أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه، وها جواب سيدنا يوافيك بما فيه الكفاية، وقد نشط أيده الله ونصره بما أخبرت به من أن المسلمين رموا الكافر فأصابوا، ورمى هو فأخطأ، لله الحمد وله المنة والسلام ٨ ربيع الثانى عام ١٢٧٦هـ الطيب بن اليماني عن عجل».

ونص الرابع عشر فى مرابطة مولاى العباس والقائد عبد السلام بن عبد الكريم وغير ذلك:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الزيدى، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه بأن أخانا مولاى العباس كتب لكم من القصر يستفهمكم عن تعيين محل رباط المحلة هل بحد الغربية كما قدمتم أو غيره، فظهر لكم أن تربط بموضع يقال له ابن قلى قرب الوادى للمصلحة التى بينت، وأن يربط الطالب عبد السلام بن عبد الكريم بالحد المذكور حتى يظهر لكم ما تقتضيه المصلحة من إبقائه به أو انتقاله لغيره، لما ثبت لديكم من أن الكافر دمره الله يحمل عسكره المخدول بسبته قاصدا تطوان حسبا جدد لكم الإعلام به نائب النجليز الذى تأخر عن السفر مع نواب الأجناس، وطلب أن يبقى بمدشر من المداشر التى بحوز المدينة فساعدتموه وكلفتم بحراسته بعض أصحاب العامل لكونه طلبهم أيضا، وأن القمح كان وصل إلى واحد وعشرين أوقية للمد هنا كم فساقط الأقدار مركبا منه وتعين نزوله هنا كم. وصار يباع قمحه بإحدى عشرة أوقية للمد، وأن الطالب التهامى بن عبد السلام وجه لكم المعلمين الطبجيين الرباطيين اللذين قدمت إعلامنا بهما.

أما ما ذكرته فى شأن الرباط فقد كتبنا لأخينا مولاى العباس حفظه الله بأن ما اقتضته المصلحة فى ذلك يفعله، وأما ما ذكرته فى شأن القمح فذاك من الألفاظ الخفية، وأما ما فعلتموه مع نائب النجليز فذاك المراد وقد أحسستم فيه، وأما ما ذكرتموه من وصول الطبجيين إليكم من العرائش صار بالبال، ولم تخبرونا هل وصلكم الطبجية الذين كتبنا عليهم للعدوتين ولا الذين وجهنا لكم من حضرتنا العالية بالله؟ فلا بد أخبرونا إن وسلوكم، فإن الأمناء أخبرونا أنهم زودوهم ووجهوهم إليكم، وبقي الخاطر متشوقا لخبرهم.

هذا وقد أمرنا عامل العرائش أن يوجه لأخينا الأَرْضِي مولاى العباس حفظه الله خمسين ألف مثقال ليصيرها فى مئونة الجيش وغيره من المجاهدين ، وإن قرب نفادها يزيده مثلها إن شاء الله ، وسنوجه له ما تيسر من الدقيق والبجماط شيئا فشيئا إن شاء الله ، وأعلمناكم لتكونوا على بصيرة كما أمرنا الطالب عبد السلام بالرباط بالمحل الذى أشرتم إليه والسلام فى ثامن ربيع الثانى عام ١٢٧٦هـ .

ونص الخامس عشر من مولاى العباس فى مسائل :

«خديم مولانا الأَرْضِي ، الحاج محمد الزبيدي ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله .

وبعد : فقد وصلنا كتابك وعلمنا ما ذكرت فيه فى شأن القبائل ، وأنهم بلا أشياخ ، وإن قدم علينا أحد منهم نعين له شيخا ضابطا حازما ولا نترأخى فى ذلك ، وطالعنا كتاب سعيد جسوس وعلمنا ما ذكر فى شأن المعلمين ، فان رأيتم أنكم فى الحاجة فيهم فلا بأس ، فإن الشارع أباح لنا الاستعانة بالمشارك فى الخدمة ، وكذلك كتاب الفاسى وعلمنا ما ذكر لك وما طلب منك من الشيخ لقبيلة آفجرة فذلك عين الصواب إذ لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا حكام ، وبالحكام تنظم الأحكام وتؤمن السبيل ، وهأنا فى انتظار ما يرد علينا من تطوان بأخبار من وفد عليهم من القبائل التى كتبنا لها ترد عليهم ، فعند ذلك يظهر لى هل نقدم بنفسى نرتبهم ونجمعهم على من يكون كبيرا فى وسطهم يظهر ذلك إن شاء الله ، وأما ما ذكر فى شأن أحواز آصيلا فإن الطالب عبد السلام بن عبد الكريم هو الذى يكون هنالك ، ولعله اليوم ينزل الحد أو نزل به وأهل العرائش جميع قبائل إيالتها وجهناهم لها ، والإعانة بالله وحده ، والقبائل الجبلية لا تمر ثلاثة أيام حتى تجتمع كلها عندها إن شاء الله ، وأما الخزائن فما وجهتم ها هو عندى وكتبت للعرائش على ما عندهم وساعتئذ نكتب لتطوان على ما عندهم ونأمرهم بإنشائهم ولا

نقصر، ولا نروا إن شاء الله إلا المسرات بفضل الله ورضاء مولانا الوالد رحمه الله وسعادة سيدنا المنصور بالله والسلام فى ٨ ربيع الثانى عام ١٢٧٦ .

العباس لطف الله به» .

وبطرته :

«وساعة كتبنا هذا سمعنا أربعة مدافع ما علمنا سبب ذلك ولا بد بين لنا أعانك الله» .

ونص السادس عشر :

«خديم مولانا الأرضى الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد : يرد عليك الطبعيان الذى ذكرت ، وذكر لك مولانا فى كتابه الذى طالعنا ، وقد وصل المعلم وها هو عندى إلى غد إن شاء الله يصلح ويروح ، وقد وجه لنا مولانا خمسين قنطارا فاروك وأشبار ومثلها خفيفا إن احتجنا إليها أو احتاجت القبائل .

فها هى عندنا وما ذكره سيدنا من أن رأى أن لا تبدأ سبتة بالضرب هو الذى يظهر لى لأن أمر القبائل لا ثبات فيه بدون مخزن ، ورباطها ليس بالسهل فيؤثر عمن تقدم أن مولاى اليزيد كان بعد وعدد ومع ذلك رأيت ونحن نرجو من الله خرابها إن شاء الله ، وأن يبقى بقدر الله يبقى مذلولا لا شوكة له ، وكتاب بوهلال تركناه عندنا لحاجة لا تخفأك والله يعينك والسلام .

ومنه أنه علمنا ما وجه لك الطالب التهامى وما وجهتم له من البنب فرمئة الكل فى سبيل الله وفى الجهاد والحمد لله ، وبمثل ما كتب لك سيدنا جاءنا كتاب

من عنده، وأحواز مكناسة سالمة هانية والحمد لله، وكذلك غيرها من النواحي لله
الحمد والسلام ثانياً في ١٠ ربيع عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به».

وبطرته:

«وقد جاء ناس من بلاد أحمر بقصد الجهاد في سبيل الله ساعتئذ صح به،
وكذلك العشرة الموجهون لأنجرة باتوا اليوم عندنا وغدا يتوجهون والبهائم الواصلون
عليها الطبعيان وجههما لنا غدا إن شاء الله.

والحاج عبد الكريم إن لم تكن عليه مشقة وجهه وأنت تعرف المناسب من
حاله».

ونص السابع عشر في وفود أعيان تطوان على مولاي العباس واجتماعه مع
الزبدى والخطيب:

«خديم مولانا ومحبنا الأمين اللبيب، الحاج محمد الزبيدي، السلام عليك
ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وردوا حضرتنا آل تطوان كبارؤهم وتلاقوا بما أتوا به في يدهم
وولد عاملهم من جملتهم الحاج محمد الرزيني الكبير، والحاج عبد المجيد يعلا
وكلمونا بأمور ولا بد من الاجتماع معك ومعهم والطالب محمد الخطيب، والآن
إن كان لكم أن تقدموا عندنا تجدهم هنا فلا بأس، وإن كان إبقاؤكم في البلاد
أولى وأردتم أن أركب مثل يوم دخلت هناك إلى محل قريب كائى وردت أطوف
بأحواز البلاد وتلتقى، فما هو الصواب أشير به أو افعله أعانك الله والسلام في
١٢ ربيع عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به».

ونص الثامن عشر للخطيب والزبدى:

«خديمينا الأرضيين الطالب محمد الخطيب، والحاج محمد الزبدى، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا أن الكرة إذا أريد عقدها لأبد من اتفاق المتنازعين في وقتها، بأن يجعل أجل لها وفي محل الخروج للقتال بأن يقال مثلا المحل الذى يخرج به الكافر هو المحل الفلانى لا غيره، فإن كان هذا الذى بلغنا صحيحا وقانونا فنحب أن يجعل مع الكافر أجل ريثما يأخذ الناس أهبتهم على الوجه الأكمل، وأن يعين هو المحل الذى يخرج فيه ليقابل بما يجب أن يقابل به، وإن كان ذلك غير صحيح فلا علينا فيه والاستعانة بالله، وما هذا إلا كلام بلغنا فأخبرناكم به والسلام فى ١٣ ربيع الثانى عام ١٢٧٦».

ونص التاسع عشر من بوعشرين جوابا للزبدى عن الاستعداد والاستنفار وحصار الإسبان للمراسى الثلاث بحرا:

«محبتنا الأعز الأرضى، الأمين الحازم الضابط المرتضى، السيد الحاج محمد الزبدى، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك واستفدنا منه وصول سيدى مولاي العباس حفظه الله ورباطه برمل ابن قلى، وما أشرتم به عليه من الكتابة لتلك القبائل للرباط بناحية تطوان وطنجة، وأن يرتب لهم ما يكفيهم من المئونة.

وذكرت أنه لأبد لهم من الخزائن وطلبت توجيه محلة تربط بناحية تطوان، والأمر بجلب الشعير لها ولطنجة على بغال مولانا أيده الله لفقده هناك، وأشرت بحراسة ما بين طنجة وآصيلا، وأخبرت بالأجل الذى أخبرتم به أنه بقى لخروج العدو الكافر دمره الله، وأنه آخذ فى الاستعداد وما أخرج من المراكب لمنع دخول المراكب للمراسى الثلاث.

أما ما ذكرته من وصول سيدى مولاى العباس لطنجة، فقد أخبر أنه دخلها حفظه الله ووجدك فى غاية الحزم والضبط وترتيب أمور أبراجها وعستها، وأنهى لسيدنا جميع ما رأى من حزمك وضبطك، ودعا لك أيدى الله بخير غاية.

وأما ما ذكرته فى شأن استنفار القبائل للجهاد، فقد كتب مولانا نصره الله لجميع القبائل الجبلية حتى أحواز فاس كيالة ابن الطالب، والصنهاجى، وابن عوده ولم يقصر أيدى الله فى وعظهم وتحريضهم على الجهاد، وتوجهت إليهم كتبه الشريفة صحبة القائد المأمون الرازى وغيره.

وأما ما ذكرته فى شأن المثونة للمرابطين، فقد كتب سيدنا أيدى الله لسيدى مولاى العباس ولعامل تطوان فى شأن، وأمر أيدى الله بجعل مائة خزانة، وفى الإثر إن شاء الله تصل ليد سيدى مولاى العباس.

وأما ما طلبته من المحلة لتطوان فقد وجه لهم سيدنا مددا معتبرا صحبة القائد المأمون المذكور، ووجه لهم نصره الله مددا آخر مع أهل تطوان الوافدين على حضرته السعيدة.

وأما ما ذكرته من فقد الشعير بتلك الناحية وأشرت بجلبه، فقد أمر مولانا قواد الشراردة بجلبه لتطوان وطنجة بقصد بيعه، وأكد عليهم فى ذلك غاية.

وأما ما ذكرته فى شأن الكافر وحصره الداخلى للمراسى الثلاث، فقد أعلمنا به سيدنا وصار بباله، ونسأل الله أن ينتقم منه وينصر جيش الإسلام عليه آمين، كما أعلمناه بوصول الطبقية إليكم من العدوتين وبقدر ما يخرج فى الصائر اليومى هناك وعلى محبتك والسلام فى ١٤ من ربيع الثانى عام ١٢٧٦ الطيب بن اليمانى».

«والله يجزيك خيرا على الاهتمام بأمور المسلمين آمين».

ونص العشرين فى توجيه البارود لآصيلا :

«خديمينا الأرضين الطالب محمد الخطيب والحاج محمد الزبدي وفقكم الله
وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإننا وجهنا خمسة عشر قنطارا من البارود الرومى لأخينا مولاي
العباس أصلحه الله، بقصد ثغر آصيلا، وأعلمناكم لتكونوا على بصيرة والسلام
فى ١٥ من ربيع الثانى عام ١٢٧٦».

ونص الحادى والعشرين :

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الزبدي أعانك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه بما عليه أهل ذلك الثغر السعيد من الحزم
والضبط والاستعداد، وأن أهل تطوان لما سمعوا بوصول مولاي العباس حفظه الله
لتلك الناحية، وورد عليهم بعض القبائل الجبلية فرحوا وزال عنهم ما كان بهم من
الخوف والجزع وحصل لهم من الحزم واليقظ ما وصفته، وأن الطالب عبد السلام
ابن عبد الكريم ربط بحد الغربية، وأن بذلك الثغر السعيد من المهاريس الجيدة
والبونية المعتبرة ما يرغب أنف العدو ويكبه، وأنك وجدت بخزينه من طاكوس
البونية عدداً فاسداً بالسوس فوجهت لتطوان مثالا منه ليخرطوا عليه عدد ١٠٠
ويوجهوه لكم، وأن المعلمين الطبجيين الواردين عليكم من ثغر العرائش مشغولان
بصنع التخليطة لتعمير الطواكيس المذكورة، وأنه ليس هناك من يحسنها ويتقن
معرفة المهراس مثلهما، لافتقار ذلك الثغر لمن يحسن هذا الفن، وأن نجابة اللذين
وجهنا لكم من حضرنا العالية بالله مخصوصة بعلم المدفع فقط، ولم يبلغا مرتبة
الأولين، وأنك لما ورد عليك أمرنا بإبقاء الطبجيين المشار إليهما بمحلهم بالعرائش

تخيرت في امثال الأمر وارتكاب المصلحة، ثم ظهر لك فوجئت أحدهما للعرائش ووجهت معه من ارتضاه من نجباء طبعية العدوتين، وأبقيت الآخر عندكم مع الباقيين .

وذكرت أن الأخبار تواترت عليكم من جبل طارق بما حصل للكافر الصبنيولى دمره الله من الرعب والفشل لما رأى عليه المسلمون من الضبط والاستعداد، والقيام بأمر الجهاد، وتبين كذبه وفجوره، فيما كان زعمه من أن جنس الفرنضيص وعده بالأخذ بيده فيما يحتاجه، وأن نائب الفرنضيص ورد عليه الكتب من دولتهم بتكذيب الكافر الصبنيولى والتبرى من إعانته وإمداده، وظهرت ثمرة ما دفعته من نسخ ما دار بينكم وبينه لنواب الأجناس، وأنه دمره الله وخيب سعيه لما رأى ما عليه الثغور من التحصين طمع في الإتيان لآصيلا لما علم من تفريطها فوجهتم من ينظر في أمرها بما أشار به عليكم نائب النجليز، وأن طبعية الرباط أخبروك أن بها برجا صائنا وفيه عدد من المدافع بلا كرايط .

وأما ما ذكرته في شأن ثغر طنجة وتطوان صار بالبال، وقد بلغنا عنك من الضبط والحزم ما كنا توسمناه فيك أصلحك الله ورضى عنك .

وأما ما ذكرته من توجيه أحد الطبجيين للعرائش مع الذى اختاره من طبعية الرباط وإبقاء الآخر عندكم لنجابتة، فقد أحسنت في ذلك وأصبت الصواب فيه .

وأما ما ذكرته مما حصل للكافر دمره الله فقد عرفناه زاده الله رعبا وهوانا، وهلاكا وخسرانا، آمين وصار بالبال ما كتب به دولة الفرنضيص لنائبهم .

وأما ما ذكرته في شأن آصيلا عرفناه، وقد أحسنتم في التنبيه عليه وها نحن وجهنا خمسة عشر قنطارا من البارود الرومى بقصده واصله لأخينا الأرمى مولاي العباس حفظه الله والسلام ١٥ ربيع الثانى عام ١٢٧٦هـ .

ونص الثاني والعشرين من بوعشرين صحبة الظهير :

«محبتنا الأعز الأَرْضِي الأَمِين الضابط الأَحْظَى السيد الحاج محمد الزبدي
أَمْنَك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فقد وصلنا كتابك ذكرت فيه افتقار أصيلا لعامل مستقل يضبط أمرها
لعدم نجدة الخليفة الذي بها، وذكرت ما وقع بين الكافر خذله الله وبين أهل
مرسى وادي التان وبين عسة المسلمين التي بقرب سبتة، كما وصلت نفولة الخطيب
في شأن ما أخبر به نائب النجليز مما يتعلق بأصيلة وزمام تسراد الجيش السعيد،
وطالع سيدنا ذلك وصار بباله، وها جوابه الشريف يصلك بما فيه الكفاية وعلى
المحبة والسلام ١٨ من ربيع الثاني عام ١٢٧٦ .

الطيب بن اليماني».

ونص الثالث والعشرين :

«خديمنا الأَرْضِي الحاج محمد الزبدي أعانك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته .

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما كتبنا لك به في شأن الثلاثين ألفا التي
تحت يد خديمنا الطالب عبد السلام بن عبد الكريم، وذكرت أنك بعد ما كتب
الطالب محمد الخطيب بطلب الصائر اختبرته فأجاب بأن تحت يده من الوفر ما
ينيف على العشرة آلاف مثقال، وأن تحت يد القائد محمد بن العربي السعيدى ما
يقرب للثلاثة عشر ألفا من واجب القبائل زيادة على ما ينيف على الخمسة آلاف
مثقال الفاضلة من العشرين ألفا التي دفعت منها صلة الجيش والطبجية، وأن هذا
وفر معتبر، والصائر اليومى إنما هو نحو المائتين مثقالا، فلا يحتاج للثلاثين ألفا
المشار إليها، وأن كتابتك مع الخطيب فى جل كتبه إنما هى مساعدة له لاقتضاء

الحال لها، وأنت في انتظار الجواب عن الذين توجهوا لأصيلا، وأن أمرها لا ينضبط إلا بعامل مستقل، وأن المدافع التي بها مفتقرة للكراريط، وطلبت أن نأمر عامل العرايش بتوجيهها إليها، وأنت وجهت بطاقة مشتملة على ما أخبره به نائب النجليز الذي كان بأصيلا.

أما ما ذكرت في شأن الوفر وعدم الاحتياج للصائر فقد بينته وكشفت عنه غطاءه، حتى صار كأنه بمرأى منا، وما قط سبقك أحد لبيانه أصلحك الله، وأما مساعدتك للخطيب في الكتابة معه فهي من تمام عقلك.

وأما افتقار أصيلا إلى عامل مستقل وإلى الكراريط فقد أمرنا أخانا مولاي العباس أن ينظر رجلا حازما ضابطا ويكلفه بها حتى يفوت أمر الكافر، ونتفرغ لها وننظر في أمرها ولا نتركها مهمة إن شاء الله، وقد أمرنا عامل العرايش أن ينظر كراريط يوجهها لها بما أمكن.

وأما البطاقة المشار إليها فقد وصلت وعرفنا ما فيها والسلام في ١٧ من ربيع الثاني عام ١٢٧٦هـ.

ونص الرابع والعشرين من مولاي العباس للزبدى والخطيب في تغيير رباط المحلة وما يصنع بالأسرى وغير ذلك:

«خديمي مولانا الأنصحين الحاج محمد الزبيدي والطالب محمد الخطيب السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد بلغنا كتابكما وعرفنا ما ذكرتما فيه من القرب بالمحلة إلى البلاد إلى المحل الذي يعين لنا القائد العباس امقشد وما ذكرتم من توجيه مائتي فارس لاشقار تزيد على السعة هنالك، ومن أن عدو الله صبنيول جد في تنزيل عسكره

المخذول بعناية الله بسبته ومكاتب جبل طارق التى وردت عليكم بتفصيل أمر
عسكره .

أما ما ذكرتم على المحلة فكذاك يكون إن شاء الله، وما ذكرتم على المائتى
فارس فسنوجهها لاشقار، وما ذكرتم على عدو الله فنحن له إن شاء الله، والله
أشد تنكيلا، وقد زدنا هذا اليوم بتطوان لأنهم كانوا فى غاية الضيق التام حيث لم
ترد عليهم جوارهم كبنى حسان وغمارة والأخماس وأرادوا خروج أولادهم، فهذا
موجب قدومى عليهم، وأنا أثبطهم وأرسى بحلول الله أمره وبعد تاريخه نروح
للمحلة بحول الله إن شاء الله، وقد أخبرنا قائد المحلة وأن بنى عروس وردوا
للمحلة، فها نحن أمرناه بإبقائهم هنالك يقبضون مؤنتهم حتى نقدم يوم الجمعة إن
شاء الله، وقد فهمنا ما ذكرت من أنكم خرجتم لاشقار وانتظرتونا جميعا فلم
نقدم، لأنى قدمت لما هو أهم وهو أمر تطوان، وما ذكرتم من أنا إذا قبضنا
الأسارى نبقوهم حيا بذلك نوصى جميع القبائل المجاهدين وهو السداد المعروف
والله يعينكم والسلام فى ٢٠ ربيع الثانى عام ١٢٧٦ .

العباس لطف الله به .

ونص الخامس والعشرين من سفير إنكلترا للنائب الخطيب فى شأن الأسرى
بعد الحمدلة :

«خديم سلطان مراکش والنائب عنه أسماء الله فى الأمور الفقيه المحب السيد
محمد الخطيب سلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد: فقد كنا ذكرنا عن الأسرى إذا قبضوا فلا يضر ويجعلهم فى محل
يأكلون ويشربون إلى تمام القتال بين الجانبين، فبذلك يسهل الفصال ولا تزد
الفتنة، وإلى الآن لم نسمع بقبض الأسرى من الإسبنيول بسبته، نعم بعض
المساجين الذين هربوا من الاسبنيول وقتلهم لا كلام لنا عليهم .

وهذه الأيام سمعنا أن آل الريف بكلعية قبضوا فى القتال مع اسبنيول قرب
مليلية خمسة وثلاثين عسكر، وأخذوهم ووجهوا بهم للحضرة الشريفة وفرحنا
حيث سمعنا ذلك، إذ حيث يكن الأسرى بيد السلطان يسهل الأمر فى المستقبل.

ونحبك تكتب للحضرة الشريفة أنهم إذا كانوا ذلك الأسرى عسكر لا
يجعلون فى السجن ولا يضر بحيث يجعلون فى محل يأكلون ويشربون إلى حين
الفتح فيما يكون إن شاء الله، وكذلك إذا رضوا بالكتب لأهلهم وديارهم ويسموا
جميعهم ففى ذلك الخير، وهو العادة فى الجرة بين الأجناس نعم تكون المكاتب
مفتوحين، والذي فيه الضرر لا يوجه.

ونحبك توجه هذا الكتاب بظله عن خطرنا، إذا الاسبنيول يذكرون أن
المسلمين بعد ما ذكروا لنا على مطلوبنا من رحمة الأسارى فإنهم لا يرحمهم بل
يقتلوهم ويقطعهم أطرافا، ومن ذلك الكلام يسمعون الأجناس ويظنون بالمسلمين
كل ما قبضوا من الأسارى بسببة قتلوهم ويعييبهم الأجناس على ذلك، وحتى
الأجناس الذى يحب لكم الخير إذا يثق بهذا الكلام يقلب خاطرهم، ونحب
بشهادة المكاتب واسوم الأسارى يظهر الحق ويبطل الباطل، إذ لا نحب القول الذى
فيه الضرر لهذه الإيالة.

ونحبك لا تغفل فى هذا الأمر وتخبرنا بالجواب عن هذا الكتاب حيث يرد
من الحضرة الشريفة، وأنت عارف بهذه الكرة لا تطول، إذا فيها الضرر الكثير بهذه
الإيالة لا يخرج منها فائدة على كل حال، والسلطان أيده الله من فور عقله يحب
الصلح أولى من الفتنة، والاسبنيول هم الذين بحثوا فى ذلك لا المسلمين وعلى
المحبة والسلام فى ٣٠ دجنبر سنة ١٨٥٩ عن إذن النائب المفوض فى أمور سلطنة
اكريت ابرطن أيدها الله جان هى در منضو هى» وأسفله إمضاؤه الإفرنجى.

ونص السادس والعشرين من بوعشرين:

«محبنا الأعز الأَرْضِي الأَمِين الضابط الأَحْظَى السيد الحاج محمد الزبدي
أَمْنِكَ اللهُ، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك واستفدنا منه ما حصل لأذل الأجناس من الحزن
والدهش والحيرة لما رأى ما عليه قبائل تلك الجهة من حراسة مراسيها والقيام على
ساق الجد في الذب عنها، زيادة على ما حل بالفاجر قصمه الله من الجوع والوباء
حسبما أخبر به الذين كان أسرهم وأنقذهم الله من يده زاده الله الرعب والهوان،
والهلاك والخسران، أضعافا مضاعفة وجعله غنيمة للمسلمين آمين.

وذكرت أن بتطوان من المقاتلة ما بينته ٧٠٠٠ ومن البارود ما ليس غيرها من
الثغور، وأن ما حصل لهم الجزع من عدم نجدتهم، وبينت ما وجهه لكم السيد
التهامي بن عبد السلام من إمداد الزرع ١٣٧ ودفعتموه للعامل ليزيده على ما تحت
يده من زرع المخزن، وأعلمنا سيدنا بذلك كله وصار بباله، وما قط أطلعنا سيدنا
على كتبك إلا ونشط بها ودعا لك غاية غاية، ونسأل الله أن يجازيك عن
المسلمين خيرا آمين وعلى المحبة والسلام في ٢١ ربيع الثاني عام ١٢٧٦ الطيب بن
اليمانى آمنه الله».

ونص السابع والعشرين من بوعشرين أيضا:

«محبنا الأعز الأَرْضِي الأَمِين الضابط الأَحْظَى السيد الحاج محمد الزبدي
أَمْنِكَ اللهُ، والسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك واستفدنا منه أن الكافر خذله الله اشتغل بعمارة مراكبه
بالعسكر وآلات الحرب وعزم على الخروج في اليوم الذي ذكرت حسبما في المكتب
التي ورد بها البابور، ووجهتها لسيدى مولاي العباس حفظه الله، وأشرت عليه

بالانتقال لقرب البلد للمصلحة التى بينت ووجهتهم على عدد من رماة الجيش وغيره لعسة اشقار، وركبت إليه أنت والخطيب والقائد العباس فوجدتم ببعض مراكب العدو قصمه الله قريية من البر، ولم تقصروا فى التأهب والاستعداد وكتبتم لعامل العرائش وتطوان والسيد عبد السلام يأخذ الحذر، وصار كل ذلك بالبال فنسأل الله تعالى أن يعينك ويأخذ بيدك وينصر جيش الإسلام آمين وعلى المحبة والسلام فى ٢٤ من ربيع الثانى عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى».

ونص الثامن والعشرين من مولاي العباس:

«خديم مولانا وأمينه الأرضى الحاج محمد الزبيدى، السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وقرأنا مكاتب جبل طارق وما تحدث الكافر به نفسه خيب الله رجاء ومناه أمين، وها نحن كتبنا حذرنا الطالب عبد السلام بن عبد الكريم كما كتبنا لأهل تطوان ولأهل آنجرة وحذرناهم خروج هذا الفتان الكافر المهان، نسأل الله أن يبطل كيده وما ذلك على الله بعزيز.

وأما توجهننا لاشقار فلا يمكن غدا لأن الأشغال عندنا كثيرا وردت كمانية كثيرة من عند سيدنا ليلا، وغدا إن شاء الله ننظرها، ولا بد تكلم مع القائد العباس امقشد على الدار التى أردنا بها الكمانية ولا بد ولو بالكراء والله يعينك والسلام فى ٢٤ ربيع الثانى عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به».

ونص التاسع والعشرين من بوعشرين:

«محبنا الأعز الأرضى السيد المجاهد المعتنى الخير الدين الأجل الحاج محمد الزيدى أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه بما شرح الله صدوركم إليه من توجيه القائد العباس امقشد مع من ذكرت بما ذكرت للغرض الذى بينت بعد المفاوضة فى ذلك مع مولانا العباس حفظه الله، واستحسانه ذلك على الكيفية التى شرحت، بعد أن عرفك نائب النجليز بأوصاف البلاد التى خرج به عدو الله قصمه الله، وبأن القبائل الجبلية ترادفت على أهل آنجرة لما بلغهم خروج الكافر لناحياتهم واشتغالهم بالقتال معه حسبما فى كتبهم التى وجهت بطى كتابك بقصد إطلاع مولانا عليها، وأنهينا الكل لسيادته الشريفة فدعا لك بخير غاية تقبل الله منه كما دعا للمسلمين بالنصر والتأييد على أعداء الدين، وبالهلاك للكافرين نسأله جل وعلا أن يستجيب دعاءه آمين وعلى المحبة والسلام فى ٣ جمادى الأولى عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى آمنه الله».

ونص الثلاثين من بوعشرين:

«محبنا الأعز الأرضى الأمين الضابط الأحظى السيد الحاج محمد الزيدى أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه أنكم أشرتم على سيدى مولاي العباس حفظه الله بالانتقال لبيانة، وبالكتب للسيد عبد السلام بالانتقال لشرف العقاب، وأن الكافر قصمه الله نزل بالعدد الذى بينت بالمحل الذى سميت فأمددتم أهل لنجرة بنى مصور، واستنفر سيدى مولاي العباس ودارس ومن عطفت عليهم من

القبائل لإعانة أهل لنجرة وأشرتم عليه بالكتب لأحد رؤساء المحتلين اللتين بتطوان للرباط بقبيلة آنجرة، وتجتمع عليه القبائل وبالكتب لمولانا نصره الله فى شأن الشعير لتطوان وحمله على البغال لعجز الإبل عن السفر به من كثرة الوحل لتحصل للناس الكفاية، ويتقووا على العدو خذله الله، فقد كتب سيدى مولاي العباس بذلك لمولانا المنصور بالله وأجابه أيده الله بما فيه الكفاية، ودعا لكم سيدنا أيده الله غاية لوقوفكم واعتنائكم بأمر المسلمين، فالله يجازيكم عنهم أحسن الجزاء ويأخذ بأيديكم لما فيه رضاه آمين وعلى المحبة والسلام ٨ جمادى الأولى عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى».

ونص الحادى والثلاثين من بوعشرين أيضا:

«محبنا الأعز الأرضى الأمين الحازم الضابط الأحظى السيد الحاج محمد الزبدي أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه أنك وجدت هناك عددا كثيرا من الكبريت وتخوفت أن تتولد منها الإذاية إن وقع ضرب من الكافر خذله الله، وظهر لك أن توجهها لفاس على الإبل الواردة عليكم بالكمانية، وأعلمت سيدى مولاي العباس والسيد محمد الخطيب بذلك، وشرعتم فى توجيهها وطلبت إعلام سيدنا نصره الله بذلك، فقد أعلمت به سيادته فاستحسن أيده الله فعلك غاية، غاية، غاية، ودعا لك بخير وعلى المحبة والسلام فى ١٠ من جمادى الأولى عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى آمنه الله آمين».

ونص الثانى والثلاثين فى بعض الوقائع:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الزبدي أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه أن المبارزة وقعت بين المسلمين والكافر يوم الجمعة واستشهد من المسلمين مَنْ مَنْ الله عليهم بالشهادة، ومات من الكفار عدد كثير، واستلبت أسلحتهم وآلة حربهم وأسر منهم، وشرحت ما صدر من أهل تطوان للبابور الفرنصيصى المار بهم بقصد تبديل الهوى وما قابلهم به المرباط من الضرب بالعدد ١٠٠٠ الذى بينت من الكور، وأنتك باشرت أمر ذلك بمن ورد نائباً فى الكلام عنهم، واعتذرت عن أهل تطوان وتلطفت فى الجواب عنهم رعيًا للسداد وعدم الفتنة، وأن المدفع الذى سمع يوم السبت من ذلك وذكرت أن المجاهدين اتفقوا على الضرب على الكافر ليلة الثلاثاء، وأنه قصمه الله يركب ببعض خيله ليقطع على الكمانية الواردة من تطوان فأشرت على أخيها مولاي العباس حفظه الله بالكتب لمولاي إبراهيم ومن معه من العسكر بالرباط بالمحل الذى سميت ليحصره، وأن الخبر ورد عليكم من جبل طارق أن الكافر حمل من بقالص من العسكر قاصداً به سبتة وأشرت بتوجيه عدد من رماة القبائل وغيرها والخزائن والكمانية والشعير للخيال التى بتطوان خوف ضياعها.

أما ما ذكرته فى شأن الكافر فقد صار بالبال، وسنوجه إن شاء الله ما يسره الله من الخيل وفى الأثر يرد عليكم ما تيسر من البارود والخفيف والاشفار والكمانية، وأما الشعير فقد كتبنا لعاملى العرائش والغرب فى شأنه وأكدنا عليهم فى شأنه غاية.

وقد أحسنت فيما باشرت به أمر ما صدر من أهل تطوان للبابور الفرنصيصى أصلحك الله ورضى عنك، مع كونهم لا ينبغى لهم أن يرتكبوا ذلك، إذ ليسوا بجاهلين بطريقة البحر وقانونه، كما أحسنت فيما أشرت به من رباط مولاي إبراهيم ومن معه بالمحل الذى يحصرون فيه الكافر عن التعويض لما يرد من تطوان، وكان من حقهم أن يركبوا هم للتعرض للكافر، لا أنه هو الذى يركب ويتعرض لهم، لأننا لم نوجههم للجلوس بتطوان، وإنما وجهناهم ليكونوا عينا

وأذنا على عدو الله ويقعدوا له كل مرصد والله يعينك والسلام فى ١٠ من جمادى الأولى عام ١٢٧٦هـ.

ونص الثالث والثلاثين فى الموضوع:

«خدمنا الأمين الأرضى الحاج محمد الزبى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبراً بما فتح الله به على المسلمين فى جهاد الكافر المخذول عدو الدين حيث قاتلوه يوم الأربعاء الفارط، وأنهم مع قتلهم وكثرته قتلوا منه عدداً كثيراً وغنموا من أسلحته كذلك، وهزموه إلى أشبار جامع بارباشن، وأخذوا له السنجق الذى عمل هناك بعد أن مات من المسلمين من ختم الله له بالسعادة، فما على ميتة عز من ندم.

والحمد لله على إعزاز دينه وإظهاره على دين الصليب زاد الله المسلمين عزا وظهوراً وفتح عليهم فى قريب، إنه سميع مجيب، وعلمنا ما ذكرت من تنبيهك على قدوم المجتمعين بتطوان بلا طائل من المخزن والعسكر والقبائل وكتابة أخينا مولاي العباس حفظه الله على قدومهم، فلم تطب نفوس أهل تطوان بقدومهم، مع أن العدو الكافر لازال يزيد العسكر، وطلبت توجيه المدد من رماة الجيش والقبائل مع الخفيف والبارود الجيد لا الفاسد كالموجه من مكناسة، كما طلبت توجيه الكمانية والبغال لحمل ما عندك منها مع المعلمين الجراحية من فاس ومكناسة وغيرهما لمعالجة مجاريح المسلمين.

فأما ما أشرت به من توجيه المدد فقد وجهنا ما يسره الله، ولا زلنا نوجه إن شاء الله، وقد وجهنا عدداً معتبراً من البارود وتوابعه لأخينا مولاي العباس قبل التاريخ بأربعة أيام وكذا البغال، ووجهنا فى يوم التاريخ الجراحية وقد أحسنت فى

الإشارة بقدم من بتطوان من المخازنية والعسكر، ونسال الله أن يعجل بهلاك الكفار آمين والسلام ١٣ جمادى الأولى عام ١٢٧٦هـ.

ونص الرابع والثلاثين كذلك:

«خديمنا الأرضى الحاج الزيدى أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وفى طيه كتاب خديمنا القائد العباس امقشد فطالعناه، واستفدنا منه ما من الله به من الظفر والتأييد للمسلمين وهزمهم أعداء الله الكافرين، فسرنا ذلك غاية، ووددنا أن لو كنا معهم لنفوز فوزا عظيما، فالحمد لله حق حمده، وما كل خير إلا من عنده، وهو المسئول سبحانه أن يشفع هذه الواقعة بأختها أو أكثر منها حتى لا تقوم قائمة لأهل الكفر آمين.

وعرفنا ما وجه أخونا مولاي العباس أصلحه الله من رماة المخازنية الذين وجهنا، ومن رماة الجيش لإعانة المسلمين المجاهدين، فالله يعينهم ويظفرهم، ويجعل الألفاظ تحفهم، وما ذكرت من نزول مطر غزير ووصول ثمن المد من الشعير إلى خمس وعشرين أوقية ورطلت توجيه الخزائن من الشعير لاحتياج المجاهدين إليهما غاية، فأما الخزائن فقد وجهنا منها مائة وأمرنا بفصالة مئة أخرى وتوجيهها بمجرد الفراغ من خياطتها، وأما الشعير فقد وجهنا أمينا لاشرائه من أسواق أهل سوس أزغار، وعيناً من جمالنا التى بالغرب مائة لحمله، ولا تغفل من توجيه غير ذلك مما يقوى جانب المسلمين، ونسأل الله أن يمنحهم تمام الظفر بأعداء الله الكافرين، والسلام فى ١٩ من جمادى الأولى عام ١٢٧٦هـ.

ونص الخامس والثلاثين من النائب السلطانى بطنجة الخطيب التطوانى فى شأن مركب يريد الإتيان بالبندق للمغرب ووصول النجدات من الداخل بعد الحمدة والصلاة:

«حبنا وخلاصة ودنا الأبر الأرضى، خديم مولانا وأمينه المرتضى، سيدى الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله، وأدام لنا والمسلمين وجوده.

وبعد: البارحة قدم علينا فارس من الحضرة العالية بالله بكتاب من عند مولانا نصره الله لنا ولك، يذكر لنا فيه بأن قائد بلاد آسفى كتب لمولانا أيده الله أنه قدم مركب مزر كان لمرضتهم بقصد الوسق، ثم إن رائسه ذكر إلى عامل آسفى إذا خصتكم لمكاحل يأتى لهم بما تتوقفون عليه، وقد أمرنا أيده الله فى كتابه الشريف لنا ولك إذا يتأتى قدومهم فى هذه الساعة نوجهوا على عشرين ألفا من المكاحل، وإذا لم يتأت قدومهم فى هذه الساعة قدومهم يعنى من أجل هذه الكرة فالله يختار منها، وهذا الذى ذكر عليهم إلى قائد آسفى هو الرومى الذى كنا ذكرنا قبل هذا بنحو خمسة عشر يوما، كان قدم من جبل طارق وتكلم معنا هنا لأنه كان ذكر لنا كان فى بلاد آسفى وتكلم مع عامل البلاد جاوبه يشاور سيدنا نصره الله على ذلك، والآن خبرناك بهذا وترانى نجاب سيدنا نصره الله، ونعلمه بأنك اليوم سفرت مع سيدنا الخليفة سيدنا ومولانا العباس حفظه الله، ونذكر له بأنه هذا النصرانى قدم أيضا لهنا وتكلم معنا وخبرنا أنه تلکم مع عامل آسفى، ونذكر إلى سيدنا أننا كتبنا إلى هذا النصرانى يصحب زوج مكاحل وإلا ثلاثة مشترى، ولما يوجه لنا المشتري تبقى تحت يدنا حتى تقدم علينا بالسلامة، ويكون الفصال معه إن شاء الله. وأيضا البارحة قبضنا كتاب من عند القائد العباس مقشاد خبرنا أنها قدمت عليهم قبيلة الأخماس بعدد ١١٠٠، وأيضا ذكر قدموا عليهم الزراهنه بعدد ٦٠٠ وذكر تخبار قدموا لتطوان من أهل الريف مع صنهاجة عدد ٢٥٠٠، نطلب الله يكون ذلك صحيح، ودخلنا من ذلك سرور كثير، ربنا سبحانه يزيد فى قوة المسلمين وينصرهم بجاه النبى وآله.

وقد ذكر لنا لقائد العباس مقشاد على حساب البارحة يضربوا على الكافر
وذكر بحول الله ذلك تكون بهلاك الكافر إن شاء الله، ونحن نرتجوا فى هذا اليوم
يأتوا المكاتب من عندهم نطلب الله يأتى الذى يسر الخاطر، لأن البارحة كان سماع
المدفع كثير من سبته لاشك أن المجاهدين دخلوا فى وسط محلته، وقد أكد على
البارود يوم تاريخه متوجهة له برامل عدد ٢٤ مع صناديق الذى كانوا قدموا من
فاس عد ٦ مع حمال خفيف، لأنه أكد غاية على البرود مع الخفيف وذلك حاجة
لا يكون فيها تراخ، وسلم منا على سيدنا الخليفة سيدنا ومولانا العباس ونطلب
منه صالح الدعاء، وقد ترك علينا فيزة كبيرة والله يا سيدى ما بقينا من شوقكم إلا
مثل الغريب الذى ليس له أحد من قرابته، ربنا سبحانه يكمل عليكم بخير
وترجعوا على خواطركم، كما تريدوا بحول الله والسلام وفى ٢٥ جمادى الأولى
عام ١٢٧٦.

محبتكم محمد الخطيب وفقه الله» من تعبيره إلا أغلطا خطية أصلحناها
وكذا ما يأتى.

ونص السادس والثلاثين من الخطيب أيضا فى الموضوع:

«حبنا وخلاصة ودنا الأبر الأرضى، خديم مولانا وأمينه المرتضى، سيدى
الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمه الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله
وأدام لنا وللمسلمين وجوده.

وبعد: وصلنا كتابك جواب ما كتبناه لك على كتاب سيدنا الشريف الذى
بعثه لنا ولك يأمرنى على شرى عشرين ألفا من المكاحل، وذكرنا لك أننا جاوبنا
مولانا عن ذلك وعرفناك بما جاوبنا سيدنا نصره الله بأنك توجهت مع سيدنا
الخليفة سيدنا ومولانا العباس حفظه الله، وأنا نكاتبوا على زوج من المكاحل، ولما
يأتوا نعلمك ويكون فصال ذلك فيهم بمحضرك، هكذا جاوبنا سيدنا نصره الله

ونحن الجواب الذى جاوبنا سيدنا نيتنا لما كنت مسافر ذكرت لنا نكاتب مولانا
ونعرفه بسفرك مع مولانا الخليفة.

وأما المكاحل فلا كانت نيتنا إذا قدموا زوج منهم حتى تنتظرهم أنت وتصفى
أمرهم بنفسك، لأنك أعرف بذلك منا، والآن بعدما كنت كتبت كتاب للتاجر
المذكور ثم به البابور هذه سبعة أيام من الذى سفر من هنا وإلى الآن لم قدم وجد
الحال كتاب التاجر لم رسلته له ترانى عملت خيرة، فلا نرسله ولا نكاتبه حتى
يأتى جوابك كيف يكون فى ذلك، وذكرت نوجه له كتاب سيدنا نصره الله بظله
يوصلك داخل هذا وما ذكرت من أمر اليهود ترانى نجواب بالذى ذكرته لنا عن
عدم قدومهم، نطلب الله سبحانه ينجينا وإياكم فى الصواب ويرزقكم الإعانة
والنصر والظفر بعدو الله حتى لم يبق اسمه يذكر بجاء النبى وآله وهذا ما نعلمك
به والسلام وفى ٣ جماد الثانى عام ١٢٧٦.

محجكم محمد الخطيب وفقه الله.

ونص السابع والثلاثين منه فى شأن البارود:

«حبنا وخلاصة ودنا الأبر الأرضى، خديم مولانا وأمينه المرتضى، سيدى
الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله
وأدام لنا وللمسلمين وجوده.

وبعد: اعلم حفظك الله يوم تاريخه قدمت لعند صهركم الفقيه الأجل
سيدى محمد بن خضراء وذكرت له نقدموا إلى دار البارود ننتظر الذى فيها من
البارود قدمنا لها وجدنا خزين فيها عامر، لكن لا يصلح لشيء، كله تراب يعنى
غبرة، ومن الملح الذى قدر لنا مشنين كبير الطبيعة ذكر نحو الستمائة برمىل، فلما
رأينا نحن مع الفقيه صهركم ذلك كتبنا لك على أن تعلم سيدنا الخليفة بذلك

ويكاتب عاجلا على سيدنا نصره الله على جميع البارود الذى عنده بفاس ، والذى عنده بمكناس يأمر قائد الشرارضة وغيرهم من العرب الذى لهم جمال يحملوه جملة لها .

ويكاتب أيضا للرباط على البرود يأتى منها ، لأن هذا الكافر ليس له قدرة للقدوم لمراسى الحوز ، وإنما عدو الله قوته كلها جعلها فى سبته ، ويكاتب إلى مراكش ، يأمر على البرود الذى بها كله يصحبوه أهل دكالة ، لأنه يا سيدى أنت عارف الذى يخرج كل يوم من البرود ، فلا تكن تأتى عشرين حملا ولا أكثر منها على مرتان فمن الواجب تأتى الأربعمئة حمال وخمسمئة فى رفقة وزوج ، ويكون العجال الذى بفاس يأتى من يومه كله ، والذى بمكناس كذلك ، والذى فى الرباط يأتى عدد منه ، ويكاتب مراكش كذلك فلا تكون الماطلة ولا تكون الكتابة لموضع واحد ، وأنت تبارك الله عنك لا تقصار فى ذلك ، لأن البرود هو مثل المثونة فأكثر ونحن كتبنا إلى سيدنا الخليفة مثل ما ذكرناه لك هنا مع هذا ، والسلام وفى ٨ جماد الثانى عام ١٢٧٦ .

محبتكم محمد الخطيب وفقه الله .

وبطرته :

«ويوصلك كتاب صهركم الفقيه البركة سيدى محمد بن خضراء على ما ذكر والسلام»

ونص الثامن والثلاثين منه فى شأن البارود والخفيف والنجيدات :

«حبنا وخلاصة ودنا خديم مولانا وأمينه الأرضى سيدى الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، عن خير مولانا نصره الله وأدام لنا وللمسلمين وجوده .

وبعد: وصلنا كتابك جواب ما كتبناه لك فى أمر البرود، اعلم حفظك الله
أنى جعلت البعض من معلمين فى خدمة البرود بالقشلة التى تجاور رياض المخزن
الذى أنت نازلا فيه هنا ودفعنا لهم نحو عشرة برامل من البرود الذى ذكرنا لك
فاسداً فلما فتحناهم وجدوا وسط البرميل مليح غاية، وأطرافه رجع غبرة كاين
البرميل الذى يجدوا نصفه مليح، وكاين البرميل الذى كان قرب الحائط ثلثه مليح،
والثلثان غبرة، وصحبوا غرائل المليح فجعلوه فى برامل ويشاد البرميل والذى هو
غبرة يفتلوه والآن خدامين فيه يخرج بحول الله عدد مليح مثل الذى كان يأتى
لكم، والغبرة تصلاح، وتكون مثله إن شاء الله.

وذكرت على فرغ الخفيف اعلم حفظك الله بأن العامل كل يوم يأخذ أجرة
ستة أناس عنده ذكر يفرغوا الخفيف، وذكرت على عدو الله هو بحيدة ومحلة
المجاهدين مقابلة له نطلب الله يأتى المدد الكثير من سيدنا نصره الله، ترانى يا
سيدى من يوم خرجتم من هنا بالسلامة رسلت إلى سيدنا نصره الله ما يزيد على
أربعة رقاصة، وكلهم فى أجل المدد نؤكد على سيدنا نصره الله يوجه العدد
الكثير.

وقد ذكرت له يوجه عدد كثير من البربر ويأتوا القواد متاع كل قبيلة لأنه
العامل متاع القبيلة إذا قدم يأتوا معه كبراء القبيلة وإذا بعث عدد ولم يأت العامل
متاعها بأمر أشياءه يفرضوا له العدد الذى طلبه فلم يأت سوى الخماسة والرعى
بالكرى فلا تظهر منهم مزية، وإذا قدم عامل القبيلة فلا يأتى معه إلا كبراء القبيلة
وأيضاً لما يكونوا عمال القبائل بأنفسهم كل واحد يريد يورى مزيته فذلك هو
الصلاح، وأنت يا سيدى تأكد فى هذا الذى ذكرناه عاجلاً عاجلاً لأن هذا الكافر
جمع عسكره من أرضه كلها وقدم به فى البحر لأرض غيره، فلا يأتى إلا بالقوة
الكبيرة يوجب علينا جميع القوة التى عندنا نقابلوه بها، ذلك الذى عندنا فيه
الصلاح.

وأنت يا سيدى تأكد على سيدنا الخليفة سيدنا ومولانا العباس حفظه الله
يكاتب مولانا نصره الله على المدد عاجلا عاجلا عاجلا، حتى إذا يأمر عليه سيدنا
نصره الله يأتى بليل والنهار ويكون عدد كثير، ويكاتب مولانا نصره الله إلى عمال
الحوز قبيلة الشاوية ودكالة وقبيلة السراغنة وغير ذلك من القبائل كل قائد يوجه
جمال زرع وشعير ولو يوصل بما كان، لأننا هذه الساعة لا نجعلوا حساب اللهم لا
تتوقف الناس على شيء هو الفائدة وك... سيدنا الحمد لله فلا تكون حاجة
بعيدة فإنها ترجع قريبة، والله سبحانه يكمل بخير وهذا الكافر فلا يتكسر إلا
بالعدد الكثير من المسلمين، وهذا ما نعلمك به وربنا يكون لنا ولك معين والسلام
وفى ١٢ جماد الثانى عام ١٢٧٦.

محبتكم محمد الخطيب وفقه الله.

ونص التاسع والثلاثين منه فى نكبة الأسطول الإسبانى البحرية وما تكبده
من البر وغير ذلك:

«حبنا الأرضى، وخلاصة ودنا المرتضى، خديم مولانا وأمينه، سيدى الحاج
محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله، وأدام
لنا وللمسلمين وجوده.

وبعد: لا زائد على ما كتبنا لك به قبل هذا وخبرناكم بما وقع لعدو الله فى
مراكبه التى تكسرت له ما يزيد على عشرين مركب بين بيورات قراسيل ومزركان
وفركاظة قرسان ولشون بالمدافع ومراكب حاملين الكمانية، الحاصل أنزل الله عليه
سخطه فالله يزيده ما هو أكثر، وذلك صحيح كأنك ترى ذلك فلو كانت لنا عمارة
من المراكب فى البحر وقاتلت مراكبه فلا يوقع مثل هذا حتى لو غلبوه كان يهرب،
وهذه قدرة الله سبحانه نفدت فيه كما يكون مع الباقي من عسكره ومراكبه يهلكوا
جميعا عن قريب إن شاء الله.

وبعد وصلنا كتابك خبرتنا على القتال الذى قتلوا المجاهدين عدو الله يوم
الثلاثة وتفرقوا المسلمين على ثلاثة مواضع ورزقهم الله سبحانه النصر، وقتلوا منه
العدد الكثير الذى لم يحص فالله تبارك وتعالى يزيدهم من القوة والنصر على
عدو الله حتى يفاصلوه، ولم يبق اسمه يذكر فى الدنيا، وقد كتبوا من جبل طارق
إذا رزق الله الصبر والثبات للمجاهدين وقتلوه جميعا فإنه من يومه يهلك لأنه
الكافر دخله الرعب الكبير، وهذا العسكر الذى يأتيه الآن فلا يصلح لحاجة الأول
الذى كان عنده هو كان عنده عسكر من قبل، ومع ذلك ذليل حقير وهذا الذى
يأتيه فلا يكون منه ما كان لا يصلح لشيء، والأول الذى كان عنده كثيره مات له .

وذكرت لنا سيدى على فرغ الخفيف، فقد زاد العامل ستة أناس آخرين، لأن
الخفيف كله تحت يده البارحة بعث أجرة اثني عشر واحد والآن يا سيدى يكاتب
مولانا الخليفة على الخفيف من فاس وغيرها، لأن الذى كان هنا برت مائتين
وخمسين تفرق منها برت صحاح للقبائل على يد العامل شيئا لما كان يعطى لهم
البارود قبل، وأنت باقى هنا بعد ما تكون خرجت ذلك الساعة خمسين تبقى
مائتين هى حاجة قريبة، يكاتب الآن مولانا الخليفة عليه إلى سيدنا ويذكر له يوجه
منه مائة حمال فأكثر ليس يأتى القليل، فإننى نعرف قبل فلا كان يشتريه أحد سوى
المخزن بفاس، لا بد يكون هناك كثير، والإنسان يكاتب على تاسع فى كل حاجة
أفضل مما يتأنى حتى لم يبق منها شيء، لأن هذه الأمور هى الحجة وعليها العمدة
اللهم تشييط ولا تخص، وأنت تبارك الله أعرف منا فى ذلك، ونحن يا سيدى
والله حالتنا فلا يعلم بها سوى الله يجوز النهار كله ونحن نرتجوا ما يأتى من الخبر
من عندكم نطلب الله سبحانه يعجل بهلاك هذا الكافر فى قريب، ولا شك فى
هلاكه إن شاء الله، لأن الله سبحانه سلط عليه جميع المصائب، وكمال ذلك

يكون بخرب ملكهم وتشيت شملهم فى قريب إن شاء الله، وربنا سبحانه يكون
لنا ولك خير معين والسلام وفى ١٨ جماد الثانى عام ١٢٧٦.

محبيكم محمد الخطيب وفقه الله.

وبطرته:

«اعلم يا سيدى البجمات الذى كانوا يصنعوه قبل كان يوقع فيه الفساد من
أجل يجعلوه قرصة صغيرة ولما يمشى للكوشة مرة واحدة لم يزيده الثانية، ثم
ذكرت إلى مقشاد يجعله خبزا ولما يطيب يقصم الخبزة ويمشى مرة أخرى للفرن
يتبجمات ذلك يبقى مليح».

ونص الأربعين منه فى مسائل:

«حبنا وخلاصة ودنا الأبر الأرضى، وخديم مولانا وأمينه المرتضى، سيدى
الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله
وأدام لنا وللمسلمين وجوده».

وبعد: وصلنا كتابك ومعه كتاب سيدنا نصره الله الذى وجهه لنا ولك،
وقد طالعتة وجعلته فى موضع عندى محفوظ، كما ذكر نصره الله وذلك حاجة
التي ذكر أيدى الله على ما كتب به لأهل وجدة الكافر فلا يكون ذلك، وإنما فعل
ذلك من غير إذن من دولته ولا يوافقوا له على شىء من ذلك، وبحول الله لما
تصفى هذه الدعوة متاع الصبنيول وتكلموا نحن وأنت مع نائبهم فإن دولتهم
تعاقب صاحب ذلك الكتاب لأنه كتب بحاجة خارجة على القوانين، ولا تكون
أصلا ولم يقبلها أحد، والآن نتأخروا ويأتى بحول الله وقت الكلام فى ذلك، ولا
شك دولته يعاقبه على ذلك الكتاب أشد العقوبة، وذكرت نعلمك عن أمر
المكاحل إلى الآن لم قدم البيور ولما يأتى الجواب نعلمك بالذى يكون إن شاء الله.

وما ذكرت لنا بأنه مات واحد من كبراء عسكر الصبنيول وماتت عليه ستة خيالة لأجل يحملوه الله أعلم، هو ذلك الكافر الكبير الذى كتبوا عليه من جبل طارق إذا يموت ذلك كأنه مات له نصف عسكره، وخبرتنا على ما غنموا المجاهدين من بغال وخيل وحمير من محلة الكافر فقد دخل علينا سرور كثير بالأخبار الذى تكاتبوا بها لنا، والله يا سيدى ما كنا إلا من جملة الأموات ولما كتبتم لنا بجيوش المسلمين الحمد لله فى زيادة كل يوم مع أنها الحمد لله عندكم عدد كثير بذلك يزداد لك الفرح الكثير لأنه يا سيدى هذا الملعون هلاكه هو بقوة جيوش المسلمين، فالله تبارك وتعالى يرزقهم القوة الكبيرة والنصر بجاه النبى وآله، ويذكروا بأنه عدو الله دخله الرعب الكبير وجميع كبراء عسكره ماتوا عن آخرهم، والباقيين الآن فلا يصلحون لشيء، إذا سخر الله للمجاهدين فيه فإنهم يأكلوه عن آخره بحول الله وقوته.

وأنت فالله سبحانه يزيد فى قوتك ويعينك، فإنك تجرى على هذا الدين الشريف بحول الله وقوته دائماً يبقى الله ستره عليك وعلى أولادك إلى يوم القيامة، هنيئاً لك بهذه الخدمة المباركة التى فيها خير الدنيا وخير الآخرة فى الدنيا دائماً جميع المسلمين تدعو لك بخير، وفى الآخرة النعيم المقيم، وهذا ما نعلمك به وربنا سبحانه يعجل بهلاك هذا الملعون إنه على ما يشاء قدير، وهذا ما نعلمك به والسلام وفى ٢١ جماد الثانى عام ١٢٧٦ محبكم محمد الخطيب وفقه الله - وإذا ظهر خبر من جبل طارق نعلمك إن شاء الله لأنه يأتى خبر هذا الكافر الذى مات والسلام».

ونص الواحد والأربعين من بوعشرين فى بعض الوقائع:

«محبنا الأعز الأرضى، الأمين الضابط المرتضى؛ الحاج محمد الزبدى أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك مخبرا بوقعتى يوم الاثنين ٢٨ من جمادى الأخيرة ويوم الثلاثاء ٧ من رجب، وأن الله بفضلله أظهر فيهما من قوة المسلمين وصبرهم وثباتهم ما أقر عيون أهل الدين، ونكس أعلام أهل الشرك المتعدين، حتى هزموا العدو الكافر وأوصلوه إلى داخل اشباراته وقتلوا منه وسلبوا عدداً كثيراً، فله الحمد وله المنة، نسأله سبحانه كمال المراد.

ولقد شفيت بكتابك الغليل، واستوعب الخبر فيه، وبيته بيانا شافيا على عادتك، وأدخلت علينا بذلك غاية الفرح والسرور، فلا شلت يدك ولا فض فوك، وقد أطلعنا سيدنا على كتابك ونشط بما أخبرت به ودعا لك أيده الله بخير، وصار بباله ما ذكرته من اتفاق الناس هناك على روجان الريال ٢٩ والدرهم ١/٤ ٢ الثمانى بما بيته، وأشرت بأن الأولى أن يكون نفع ذلك لبيت الله وفره الله فادفعوه - أى الريال - هناك عن أمر سيدنا أيده الله بما يروج به، ولا بُدَّ ولا بُدَّ وهو تسع وعشرون أوقية وكذا الدرهم، وأما القبض فلا يقبض إلا بما كان يروج به سابقا، وقد أحسنت فى التنبيه على ذلك وعلى المحبة والسلام فى ١٥ من رجب عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى آمنه الله.

ونص الثانى والأربعين وفيه كلام على بعض ما تقدم فى كتاب الخطيب الأخير ووصول مولاي أحمد بن عبد الرحمن بمحلته وبعض الوقائع:

«خدمنا الأمين الأرضى الحاج محمد الزبدي، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك مخبرا بوصول كتابنا إليك وبطيه الكتاب الذى وجه المنتصر حاكم البيض لبنى كيل وأولاد فارس وذكر لهم فيه من أمر بنى يزناسن

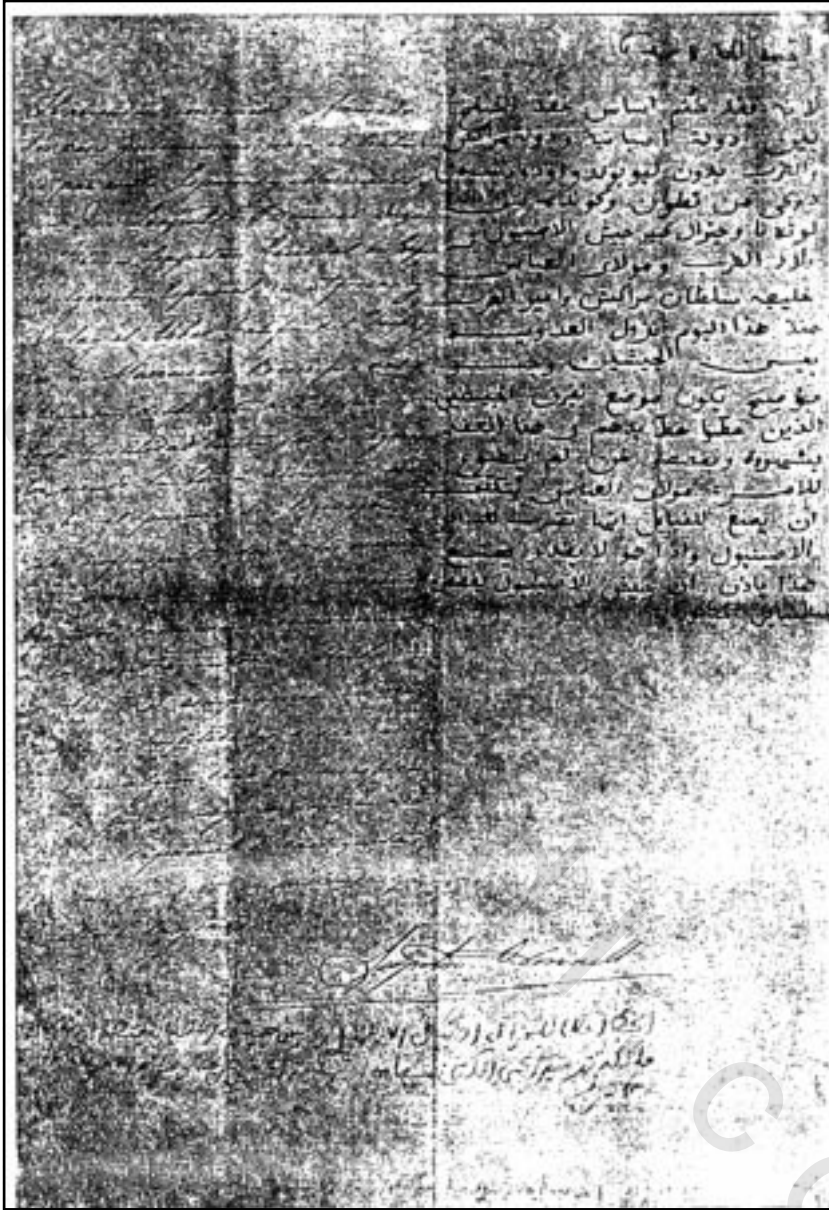
وغيرهم مع الفرنجيين ما ذكر، وذكرت أنك وجهت الكتائب معاً للأمين الطالب محمد الخطيب، وكتبت له بأن يحتفظ بكتاب المتنصر المذكور ويبقى ما كان على ما كان حتى يريح الله الإسلام وأهله بسيف قهره من عدو الدين الاصبنيول، ويقع الكلام في تجديد الشروط معه ومع غيره فيما هو خارج عن القوانين، فقد أحسنت فيما فعلت أصلحك الله والحاضر بصيرة يرى ما لا يراه الغائب وعلمنا ما ذكرت من توافر جيوش المسلمين وأنها مؤيدة محفوظة بعناية الله، وأن أحنانا مولاي أحمد حفظه الله قدم عليكم بمحلته في خامس شهر تاريخه وربط بها بفم الجزيرة مع محلة كانت هناك.

وفي سابع الشهر زحفت لعدو الدين، وقاتله المسلمون قتالاً يرضى الله ورسوله تسع ساعات، وكانت الدائرة عليه، وقتل منه المسلمون وغنموا كثيراً من خيله وأسلحته، وفلوا حد شوكتهم، فالحمد لله الذي أعز دين الإسلام، وأظهره على دين الكفرة اللئام، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون.

وذكرت أنك اليوم بالمحلة مع أحنينا مولاي العباس لا يمكن لك أن تفارقه حتى يحكم الله بينه وبين عدو الدين، وأنكم غضضتم الطرف عن أهل لنجرة وصحبتم منهم طائفة لتطوان، وظهر منهم بعض النصيحة، فذلك الذي ينبغي تأنيسا لهم وتأمينا وإزالة لما عسى أن يختلج في صدورهم والسلام ١٥ رجب عام ١٢٧٦هـ.

ونص الثالث والأربعين من مولاي العباس:

«محبنا الأَرْضِي الأجل السيد الحاج محمد الزبيدي السلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.



وثيقة تاريخية بتوقيع الجنرال أردنيل قائد الإصبان في حرب تطوان

(ترجمة الكتابة الإصبانية)

«إن القواعد الأساسية لمعاهدة السلم الواقعة بين إصبانيا والمغرب قد اتفق عليها وأمضاها كل من (دون ليوبول دوق) تطوان القائد العام ورئيس الجيش الإصباني بأفريقيا ومولاي العباس خليفة دولة المغرب وأمير الغرب. وابتداء من يوم تاريخه تحسم مادة المشاحنات بين الجيشين وتكون قنطرة أبي صخرة هي الخط الفاصل بين الجيشين على أن الموقعين يعطى كل واحد منهما الأوامر اللازمة القاطعة بحيث يعاقب المخالفون لها عقابا صارما. هذا وإن مولاي العباس ملتزم بحسم مادة المشاجرات بين القبائل وإذا وقع ذلك رغم إرادته فإنه يسمح للجيش الإصباني بمعاقبة القبائل المذكورة من غير أن يكون ذلك محلا بشروط الصلح والسلام».

وبعد: فعند توجهك من عندنا كنا أوصيناك بإعمال سرج جيد أخضر تام،
والآن ولا بد ادفعه لأخيـنا مولـى أحمد، وإن كنت جعلت له شـكـارة المهـماز
والمهاميز فوجه الشكار والمهاميز لحضرتنا، والله يعينك وبين لنا صائره والسلام فى
٦ ذى قعدة عام ١٢٧٦ .

العباس لطف الله به» .

ثم بعد ما تقدم كله من الحرب والاختلال والاحتلال فتحت أبواب المخابرة
بين قائد الإصـبان والمولى العباس فى شأن الهدنة والصلح وشروطه، وبعد
مراجعات انعقدت الهدنة والصلح بين الدولتين على أن ترجع إصـبـانـيا على
حدودها وتدفع لها دولة المغرب فى الغرامة الحربية مائة مليون من البسيطة، وهى
عشرون مليوناً من الريال، فقبضت نصفها معجلاً بحيث لم تبرح من تطوان حتى
حازته، وذلك بعد مرور سنة من عقد الصلح، والنصف الباقي مؤجلاً من شطر
مستفادات المعشرات بمراسى المغرب، وعين الإصـبان القبضة والمراقبين بالمراسى
المفتوحة لقبض نصف محصولها فدام الأمر على ذلك خمسة وعشرين عاماً بحيث
استوفت إصـبـانـيا الخمسين مليوناً المؤجلة، وزادت عليها خمسة وعشرين مليوناً فى
مقابلة الربا وأجور القبضة والمراقبين وأمور أخرى .

غير أنه ما التزم المترجم لهم بهذه الغرامة الحربية إلا بعد أن تحقق أنها لا
تفى بخسائرهم وبما ناله المسلمون فيهم وبما بنوه وشيدوه وقت الاحتلال فى
تطوان، وبأنه لا نسبة بين تلك العدة وبين استخلاص مدينة من علىـة المدن
الإسلامية وأعظم ثغوره، جمعت بيوتا بذكر الله وتلاوة كتابه عامرة وشيوخا
ركعا، وصبياناً رضعاً، وعائلات كثيرة نشأت وشبت وشابت فى الإسلام، لم
تعرف غير التوحيد وإقامة شعائر الدين، والعاقل البصير لا يذهب عنه أن ذلك
يضمحل فى شأنه ما يتراءى فى ظاهر القضية من ربح الإصـبان لتلك الغرامة، وإن

كان قاصر النظر يرى فيها نقمة وملامة وتقصيرا من ولايتها فهى فى الحقيقة منقبة لما تقدم عن أنها فاجأت على غير استعداد ولا إعدار لميعاد، لا سيما والعدو كان بمرأى منه ومسمع ما عليه من برز لقتاله من قلة العدد والعدة وعدم النظام، وكون قوتهم لا نسبة لها بالنسبة لقوته، ومع ذلك فقد تأبط منهم خسائر فادحة فى جيشه وعدته وماله، وما نال الصلح إلا بعد أن مسته منهم من الرزايا ما ادخره ذكرى.

والظن أن المترجم صار بذلك عند الله وعند رعيته وجيها حيث لم يعط يدا فى ذلة الإسلام، ولم يدخر فى نصرته والذب عنه ما فى وسعه مع القيام والثبات فيما يحفظ جمع الكلمة وضبط مصالح الداخلية، وجعله ذلك عظة وذكرى للانتهاض لتنظيم الجيوش والعساكر الحربية والاستعداد بها وبما يتبعها من القوة لمثل ذلك اليوم، فنظم العسكر وجلب المعلمين الماهرين لتعليمه وتدريبه على الأساليب المستعملة عند الدول الراقية، فكان أول من نظم العسكر المغربى على الطرز الأوروبى.

وإليك نصوص الوثائق الصادرة فى أثناء الصلح ودفع التعويضات، أما المعاهدات والاتفاقات فستأتى فى باب العلاقات السياسية.

فمن ذلك كتاب مولاي العباس لأخيه السلطان المترجم ونصه من خطه وإنشائه بعد الحمدلة والصلاة:

«أدام الله عز مولانا وعلاه، ومتعنا بحياته ورضاه، آمين، هذا وأُنهى لعلم مولانا أسماه الله أنى لما عقدت الصلح مع عدو الله صبنول على ما وجهنا به لمولانا من الشروط لم يكن لعدو الله توكيد إلا فى المطلب المالى، وأما غيرها فكلها تساهل فيها، ولما ذكر العدد المذكور وصمم على ذلك وما وصلناه إلى العدد المذكور إلا بعد لآى وشدة، لأن عدو الله كان قصده المدينة وقال لنا إن القبائل أحبوا ولايته عليهم واشتغل عدو الله بفسادها وهدم دورها وأسواقها ليفصلها على شاهيته مثل بلدانهم يصل الطرق بجر الكراريس، وإذا وليه جامع أو زاوية أو دار

أو سوق هدمه حتى أفسد منها حومات، وحيث قال إن القبائل أحبته رأينا مصداق ذلك، فليس أحد من هؤلاء القبائل جوار المدينة إلا ويريد البيع والشراء مع عدو الله لكونه يبذل لهم ويظهر لهم الأموال، وأهل الجبال هم أطمع خلق الله، واتخذ منهم جواسيس بعد أن حرسنا جهدنا.

ولما ترحزح عدو الله من تطوان لم تكن لهم شاهية فى ضربه ولا فى الدفاع عن البلاد، إنما تسابقوا لحمل أولادهم وتركوا له الطريق حتى كاد يصل إلى المحلة، وقام الروح فى الجبال كلها بسبب رحيل هؤلاء الناس، وكل قبيلة تقول أنا لا أفعل معه العيب لئلا يفعل بى كذا.

والقبائل غير المجاورة التى لم تحضر يوم دخول تطوان إنما كانت شاهيتهم كسر المحلة وتفريق الأمر بالترتيل، وإذا رأينا القبائل والمحال نقول إذا خرج الرومى لا يبقى له عسكر ولا فرس، وربما أخذناه بما معه، فإذا انتشب البارود لم يجد الإنسان النصف ولا العشر مما كان يرى ومن حضر مع هذا لا يقاتل كله، ومن قاتل صباحا بقى تجاه العدو حتى يفنى ما معه من البارود والخفيف ولم يجد من يشد معه ولا يشد عليه، ومن ذهب لينهض الناس أتعبوه إن وجدهم، وإنما شأن الناس أخذ شواهد الجبال بقدر رؤية العين، وليس هذا شأن المقاتلة، والعدو أخذ فى البلاد كثيرا، وحيث يزيد العدو شبرا يكتفى به ويظهر له فى حاله أكثر مما كان قبله، وقد عاينت كل الناس هذا الأمر وعايناه من جميع الناس حتى إن اليوم الذى ذهبت لمحلة الرومى دمره الله لم يكن أحد يصل معى إلا بمشقة عظيمة، وحين أشرفنا عليه ورأيناه حاملا على بهائمه وإبله وكراريسه قاصدا ناحيتنا، وجهنا للمحلة تأتى خيولها ورماتها لربما يصدر من هذا العدو أمر منكر، فلما بلغهم خبرنا هرب من هرب ومن بقى كان على أهبة للفرار، فحملنا هذا على الصلح ما أمكن، وكل ما كان من مال أو غيره الله يخلفه لمولانا ومن أعناق البغاة يخرج.

ومولانا يستعد إن شاء الله وعلى الله البلاغ، واليوم سيدنا هذا العدو التزم بالخروج من هذه المدينة ولا ضرر علينا أكثر من بقاءه ولو ساعة فيها، وحين طلب المال قال لى لا أخرج إلا بعد تمام الزمة، قلت له: هذا أمر منكر، لأنه ربما يصدر أمر ونعود للعيب ونحن قصدنا قطع العيب والإصلاح. فقال لى: لا بد من ذلك، ثم بعد أن لاطفته النصف^(١)، وعلى كم تقدرّون على أدائه من الأيام واليوم سيدنا هذا العدو أخذ فى تفريق عساكره، وحمل أثاثه فى مراكبه، ونقص من محاله ولا يتسنى إلا الجواب عن المال وعن الحال منه، فإذا توصل به ولو فى مدة قليلة يخرج من حينه، وسيدنا وإن كان هذا العدد كثيرا ضربنا مثل من يعطى مخ عظمه، والله أظن هو أشد على من ذلك، لأنه لا يمكن إلا بعد كسر العظم، لكن بقاءه هناك أشد وأفظع وأضر بالإيالة وبجانب المملكة.

وحين يخرج يتفرغ سيدنا لأمر عظام كالاشتغال بالعسكر، والنظر فى أمر هذه القبائل الذى هو أكد من ضرب العدو وغيره لعدم غيرتهم على الدين، وإنما كان يأتى بالناس أخذ الدراهم فقط فلا يأتى عدد من قبيلة إلا ناقص، ومع ذلك لا نية له إلا فى سلب الرومى يظنه سهلا، هذا ما رأينا فى أواخر الأمر.

وقبل هذا طلب منا نائب الإنجليز الملاقاة معنا، فقلنا له: لا بأس، فجاء هو والخطيب وتكلم معى وقال لى: ما فعلت مع عدو الله اصبنيول؟ لأنه يكرهه، فقلت له: صفيت معه بكذا وكذا وشرط ويخرج من المدينة قريبا ويحمل عساكره قريبا، ولا يتعدى المدينة.

فقال لى: كاتب مولانا أمير المؤمنين بهذا، وأخبره أن بقاء هذا العدو هو المضرة، لأن القبائل طماعة، وقل له يبادر بما أمكن حتى يخرج هذا العدو، فإن

(١) فى هامش المطبوع: «كذا بالأصل ولعل المراد لاطفته فى إسقاط النصف فقال وعلى ... هـ. مؤلف».

بمجرد خروجه يستريح من كل كلفة ويستريح المغرب كله، وتفصيل الدفع أن يكتب مولانا للسيد محمد الخطيب يكتري مركبا بابورا كبيرا من مراكب الكرة موثق من جبل طارق، ويأمر مولانا بحمل المال من الصويرة ومن آسفى بشرط أن يذهب معه أمناء إلى القنصو لجانب مولانا بجبل طارق، وينزل فى داره ويعد وتدفع لكبير اصبنيول اطرة يأخذه من هنالك، ويكون فى ذلك تموه أن مولانا لم يخرج من عنده، وإنما ذلك من ذمم التجار، ويبادر مولانا بذلك، هذا تمام لفظه، لأننى واجب على أن أخبر مولانا بالشادة والفاذة وكل ما أسمع.

ولما تم هذا الكلام قال لى: أزيدك مسألة أخرى، إنى لما كنت أنا مع كبير اصبنيول والمترجم بينى وبينه مسلم ورومى قال للترجمان كبير اصبنيول: قل لفلان يكون على بال من كرة أخرى مع جنس آخر فى الربيع، ثم إن هذا الترجمان كتم عنى وأنا كنت فهمت من وجهه أنه قال له شىء ولم يقله لى، وقال ذلك لنائب الإنجليز هو يكتب لدولتهم لعلهم يخبروه بما كان إن وقر ذلك سماعهم لربما يكون هذا العدو اصبنيول قصد بذلك شغل بالننا بهذه الكلمة.

ثم قال لى: كاتب مولانا أمير المؤمنين وأخبره بهذا، وقل له: لا بأس أن يكتب لحاكم وجدة ويقول له: إن المال الذى كان يعطون للفرانصيص فى هذه المدة يصفون حسابهم معه لئلا يكون هو سبب هذا العيب من هذا العدو، على تقدير أنه هو المقصود، ثم ذكر لى أن مولانا لا يقطع مسألة من الموسوقات مثل الذرة والقمح وغير ذلك، فإن ذلك ليس فيه إلا دخول المال والزيادة وتكثير التجارة وغير هذا من الكلام لا يكتب، إنما نشافه به، ثم إن مولانا لا يعد هذا منى فضولا ولا شطنا للبال، لأننى لا ينبغى لى أن أكتم عنك ولو لفظة واحدة لأنه شأن الخدمة والنصيحة، وعلى خدمة مولانا والجواب عزما، واعلم أنى ما سمع منى أحد مما كان عليه الفصال إلا بعض من حضر، وأعلم مولانا أنا أمرنا عامل طنجة بالخروج

إلى محدة سبتة وتحديد الأمر على ما يرضى مولانا، ووجهنا معه غيره، وعيناً أناساً من أهل البلد لذلك، وعيناً من يجلس هنالك، وفرح الرومى بذلك غاية، وعين هو لعنه الله من يقف من جانبهم كذلك، وحمل كثيراً من عسكره وأموره وعلى خدمة مولانا والسلام فى ٨ رمضان عام ١٢٧٦ العباس لطف الله به» بلفظه بلا زيادة ولا نقصان.

ومن ذلك التفويض السلطانى لمولائى العباس والنائب الخطيب التطوانى فى المفاصلة مع الإصبان على الجلاء عن تطوان ونصه:

«يعلم من هذا أننا بحول الله وقوته فوضنا لأخينا الأرمى مولائى العباس حفظه الله ولخدمنا الأنصح الطالب محمد الخطيب فى المفاصلة مع نائب دولة الصبنيول فيما سطرته دولتهم من الشروط الخمسة التى علقوا عليها الخروج من تطوان بما فيه مصلحة لكونهما مطلعين على أحوال الرعية، وحريصين على السعى فيما يديم المحبة بين الدولتين والوقوف فى الأمور المرعية، والسلام فى ٦ ربيع النبوى عام ١٢٧٧».

ونص ظهير المترجم لأخيه المولى العباس فى شأن دفع التعويضات:

«أخانا الأعز الأرمى، مولائى العباس حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه أنك لما ورد عليك كتابنا بالإعلام بتوجيه ابريشة لحمل مليونين من مراكشة للصويرة وجدك فى مشقة فادحة، مع نائب الصبنيول، فأخبرته بأننا يسرنا ما كان بقى عندنا وما بقى سنيصره بالسلف، ثم طلب منك توجيه مراكبه لحمل المال المذكور فأخبرته إلى خمسة وعشرين يوماً من الشهر، وبأنك لم تجد سبيلاً لأكثر من ذلك، وطلبت أن لا تجعل كل سكة

على حدتها لتطول مدة الحساب ريثما يظهر الخبر من الذين ذهبوا للسلف، وبأن نكتب لك بأن الإذن توجه للصورة ليدفعوا لهم المال بها لا للجديدة، وذكرت أن عامل آزمون منع من تعليق سنجقهم إلا بإذن.

أما تعليق سنجقهم فها نحن أمرنا عامل آزمون بمساعدتهم فيه، وأما المال فقد قدمنا لك أن ابريشة توجه لأجل حملة للصورة، وليس بخاف عليك أن التثبت في أمره مطلوب، وأن لا بد من تحقق عدم إعمال حيلة في أمره، وإلا فنكون قد زدناه على الخمسة الملايين الأولى التي دفعت وأفرغنا يدنا من المال، ونرجع معه للكلام الأول، لأننا إن دفعنا له هذين المليونين ولم يتيسر دفع الباقي الذي يطلب التعجيل به يقول: إنه ينزل سنجقه ويتوجه لبلاده ويذهب جميع المال في غير شيء.

وهم أهل حيل ومكايد وتلونات، ويكفى ما رأيت من ذلك النائب، فالدفع حيثئذ يكون على وجه لا يخشى معه ذهاب المال في غير طائل، وبقاؤنا فارغى اليد على أن المال له بال، ففي حملة مشقة وفي السفر به في وسط القبائل الذين حالهم كما علمت مشقة، فلا بد من توجيهه في رفقات على كيفية تظمن النفس بها وتأمين معها، ولا بد في ذلك من الطول، وفي توجيه المراكب لحملة قبل وصوله للصورة عجلة، وفتح لباب الكلام، لأنها إن وصلت ولم تجده ميسراً بها يقولون: إنكم قلتم لنا إن المال ميسر، وقد ذهبت مراكبنا فلم تجد شيئاً، وفي ذلك ما لا يخفى، نعم لو طلب النائب أن يوجه من قبله للصورة من يرى هل لما قلته له من توجيه المال إليها أصل لتسكن نفسه إن وجد ذلك صحيحاً لكان له وجه، وهو وإن كان لا يجده تاماً بها لكن يجد أوله وصل أو كاد أن يصل.

وأما توجيه المراكب لحملة فذاك فرع عن وصوله للصورة، والفرض أن في وصوله إليها ما ذكرناه من المشاق التي لا بد فيها من طول ولو في الجملة،

والحاصل أنه لا بد من دفع المال فى الثابت، وإلا ذهب هدرا ورجعنا للكلام الأول ووجدنا أنفسنا لا نحن بالمال ولا نحن بحصول المراد، فثبت ولا بد وأمعن النظر فى هذا الأمر، فإن الكفرة لا يوثق بهم.

وقد صرحت فى غير ما كتاب بما رأيت منهم من الخروج عن العهود والمواثيق، وبما رأيت منهم من التلونات والمكايد والروغان، ونحن على يقين من نباهتك، لكن الباعث الذى فى القلب لا يتركنا نسكت عن التنبيه ونتكل على نباهتك، والتذكار صيقل للأفكار، ومطلق الإشارة يكفى لمثلك لاسيما التصريح لا سيما التأكيد.

ونسأل الله أن يرزقك تأييدا وتسديدا بجاه رسوله صلى الله عليه وسلم، واستعجالهم للمال مجرد تضيق وروغان ليتوصلوا لمرادهم الذى أشرنا إليه، لأنهم حيث علموا أنا وجهنا الأمانة للسلف من الأجناس يحققون أنا مصممون على دفعه وعدم الرضا بتأخير المؤدى للكلام، مع أنا لم نستعجل خروجهم من تطوان، فهم فيها حتى يقبضوا المال ويخرجوا إن شاء الله، والله أسأل أن ييسر أمر السلف لنستريح من تعبهم ونتفرغ لغيرهم إن شاء الله.

وأما إن لم يتيسر فلا محالة يرجعون للكلام الأول ويجدهم الحال توصلوا لمرادهم من استخراج المال من يدنا وفوزهم به، وما يقال للرعية حينئذ إن قالت أعطيت مالنا للنصارى فلا هو بقى عندنا نستعين به عليهم ولا الغرض الذى دفع فيه قضى فنكون كأنا خناهم والسلام فى ٢٧ ربيع النبوى عام ١٢٧٧هـ.

ومن ذلك ظهير آخر لبركاش فى الموضوع:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك، وعرفنا محصل ما تضمنه خطابك، وما ذكرت من أن المصلحة اقتضت توجيه طرف من المال يشتغل به الصبنيول ريثما يتيسر ما يوجه له، فاعلم أنا أحرص الناس على ما ينقطع به كلامه ولو تيسر ما أخرناه ساعة واحدة، وفي علمكم أنا دفعنا ما كان عندنا بيت المال هنا بفاس، وما كان بيت مال مراكشة حتى لم يبق تحت يدنا إلا ما نقضى به حاجة مع الجيش، إذ لا يمكن صبرهم على الخدمة بالجوع والعري، ومع ذلك فهو قليل لا يقنعون به، وما تحصل بالمراسى فى ثمن الزرع وغيره بعد ما وجه أمنائها ما كان فيها للصورة فدفع لهم من جملة المال الأول الذى كملنا به الملايين الخمسة، إن كانوا يقنعون به ننفذه لهم.

وقد شرعنا فى الكلام مع الرعية فى شأن الإعانة، ولو كنا عرفنا أن أمر السلف يتعذر لخاطبتناهم من قبل، ولكن لما كنا طامعين فيه أخرنا الكلام معهم إلى أن نفرغ إلى الكلام مع الصبنيول ونتصدى حينئذ للكلام مع الرعية لنرد به المال المسلف، وأعلمناك بالواقع لتأخذ فى الكلام مع قونصو الفرنضيص الذى كنت أخبرت أنه لا يقصر فى الوقوف إن دعت الحاجة إليه، فتكلم معه ليعين على ما ينفع، ولا بد ولا تقصر فإن الاهتمام بأمور المسلمين متعين، والله يعينك والسلام فى ١١ رجب الفرد عام ١٢٧٧هـ.

ومن ذلك آخر لمولاي العباس نصه:

«أخانا الأعز الأَرْضى، مولاي العباس حفظك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك وعرفنا ما أجبت به عن الإعانة التى خاطبنا بها خدامنا أهل فاس، وموجب البداية بهم وما تمنيته فى ذلك، وعلمنا ما دار بينك وبين نائب الصبنيول لما تكلم معك فى انتهاء الأجل المضروب لدفع المال، وأنت لما

خيرته فى دفع الميسر من مستفاد المراسى على نحو ما كتبنا به، ذكر لك أنه لازال باقيا على الشروط، وأنه يقدر أن يسقط طرفا من الملاين ١٢ ١/٢ المذكورة فيها، وطلب منك بيان عدد المال الموجود بالمراسى والإذن فى حيازته، ودخول تطوان فى القبض من مرساها، وضرب أجل للمال المشار إليه، فأجبتة عن ذلك كله بما سطرته وبينته، وأعلمته أنك إنما تتكلم معه على سبيل الإخبار لا غير، وذكر لك أن من هذا الكلام ما تقبله دولته وما لا وأنه بصدد إخبارهم به، وأن شاهيتهم فى تمام الأمر بيننا ليكون الخير بين الجانبين.

وظهر لك أن هذا المال فرض الإعانة على تلك الإيالة لوجود المحلة هناك ليحصل منها نصيب إن شاء الله.

وأشرت بالكتب لكل مدينة وقبيلة بما يناسب من المواعظ المبكية التى ينفع لها الناس، ويذهب عنهم بحول الله الباس، وصار الكل بالبال.

وأما الإعانة التى أشرت بفرضها على تلك الإيالة فلا بد من المفاوضة مع أهل الدين من أهلها فى القدر الذى يليق أن يفرض على كل قبيلة، فتفاوض مع من تعرفه دينا عارفا بأحوال قبائل تلك الجهة وأعلمنا بما أشار به على سبيل التفصيل، لنكتب لهم به ولا بد ممن يباشر القبض منهم أن يكون فقيها إما من تلك الجهة أو من هنا ليصل الشئ محله، ولا يكون عرضة للأكل والنهب، والله يرعاك والسلام فى ٢٨ رجب الفرد الحرام عام ١٢٧٧».

ومن ذلك كتاب مولاي العباس لسفير الإصبان ونصه من خطه:

«نطلب الله أن تكون بخير بدوام المحبة والموافقة السالمة بين الجانبين.

أما بعد: فقد ثبت عندكم بالمشاهدة والأدلة الواضحة أن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين نصره الله جد وبالغ فى تمام الأمور المشروطة، وهو أعانه الله ونصره

لازال جادا فى وفاء ما استلزم به من الأمور التى تضمنتها الشروط المختومة بمدينة
مدريد قاعدة ملك إصبانية مضمن مفاد الشرط الثانى والثالث والخامس المذكورة،
وها نحن دفعنا لكم نسخة شروط التجارة المصححة بخط مولانا نصره الله، ودفعنا
لكم أوامر مولانا على أخذ نصف مستفاد مراسيه المحروسة لدولة إصبانيا و...
مضمن الفصل الأول من الشروط المذكورة أمرنا لكم بتمكين المليونين المسلفين من
ريال من نكلاطرة باطرة على التاجر لويز فورط ومكن دولتكم من ذلك، كما أخبر
الوكيل المذكور أمس تاريخه وهو ٨ عيد الفطر والمليون الثالث الوارد من حضرة
مولانا تسرعون فى حسابه وحيازته غدا، وهو ١٠ من الشهر المذكور لأنه كامل
عندنا بطنجة هذا.

وأما تسليم حدود مليلية، فإن مولانا نصره الله ما قصر مع عتاة أهل قلعية
وراودهم بما يدعن له صم الحجر، وإلى الآن ما أيسنا من إجابتهم وإذعانهم،
ولكن ها نحن نفعل معهم ما هو الواجب من تعويض بلادهم لهم بالمال كما
أشترتم علينا، ووجهنا ذلك فى مركبكم مع أناس تخيرناهم لذلك لصدقهم وعقلهم
السالم، ولتطيب خواطر أهل ذلك البقعة، ويعين إراءة المال على انقيادهم
وإجابتهم لأمر مولانا والدخول فى طاعته، بامثال أوامره الشريفة، كما وجهنا
لكم مكاتيب مولانا الشريفة يزيدهم أمرا ويواعدهم بالنكال على الامتناع.

وحاصله ما قصرنا كما فى علمكم، والمعوض به هو ثلاثون ألف ٣٠٠٠٠
ريال كبيرة، فإن حضر لهؤلاء الناس عقول وحضرت عقلاؤهم وأجابوا فذلك غاية
ما نريد منهم، وإن هم استمروا على امتناعهم فمولانا نصره الله يوجه لهم
عساكره تقودهم لمطلبه وتدفع المحادة لكم رغما على أنوفهم، لأن مولانا نصره الله
سلمها تسليما كلياً، وإنما أهلها أنفوا ولا بد من انقيادهم أحبوا أم كرهوا حتى

تمكنوا منها وتكون فى حيازة إصبانية فى تصرف سلطاتها أعانها الله وأكرمها إذ لها الحق فى ذلك. . . ما شرط فى حياة سيدنا الوالد قدس الله روحه آمين .

وما خاطب عليه مولانا نصره الله ولا يخافكم ولا يغب عنكم ما هو حال المغرب من أمور صارت فيه يشيب لها الرضيع ، وهجوم السفلة على الشريف والوضع ، وتواعد الباغية على حصون المملكة وقصدها بالجموع مثل مراکش ومكناسة ، ولولا عناية الله وإعانتة التى هى قوتنا لما عاد الشئ إلى مقتضاه ولا زالت الفتن تروج والناس فى فتن حال بعد حال ، ولما طغت البغاة فى الأرضين كان ذلك سبب خروج مولانا أمير المؤمنين بنفسه ولم يتكل على أحد ، وهو نصره الله بقبيلة بنى حسن يسدد أمرها ويردهم عن هواهم المضر بهم وعن حولهم من البرابر ، وقد سررنا والحمد لله لتمام الصلح والوفاء بما هو مشروط ، إذ به تحصل المحبة بين الدولتين ، وتكون المزية للواسطتين .

ولم تبق إلا حدادة مليلة ، وهى إن شاء الله تكون كما بمضمن الشرط الرابع وحضرة سلطنة إصبانية حيث علمت وتحققت ببذل مجهود مولانا المنصور بالله على الوفاء بما شرط ، نريد منها أن تعيننا على حصول المهادنة فى الرعية وبقاء العافية فى الملكة فإنها تسير على النهج القويم ، وقد بلغنا هذا المطلوب على يد نائبها المفوض النبيه الأمثل الساعى فى الخير المشير به القنصو فرانسيسكورى وكلوم الذى هو المخاطب بهذا الكتاب فى ١١ مارس الموافق ٩ رمضان عام ١٢٧٨ ، وإذا بلغ هذا فنحن ننظر الجواب عزمًا بدوام محبتنا وتم فى ٠٠٠٨ عام ١٢٧٨» بلفظه من خطه .

ومن ذلك الظهير السلطانى الذى وجه لعمال المراسى وأمنائها بتمكين نواب الإصبان من نصف مستفاد أعشارها ونصه بعد الخطاب :

«أما بعد: فإننا أذننا لدولة الإصبيول فى حيازة النصف من مستفاد مراسينا السعيدة، فإن ورد عليكم الذى عينوه من قبلهم للكون بمرساكم فاقبله واجعله مع أمنائنا، وأول مركب يأتى بعد وصوله إليكم يأخذ النصف من مستفاده والسلام فى ١٣ رمضان عام ١٢٧٨».

وقد وجهت نظائر هذا الظهير للصورة وآسفى والجديدة والدار البيضاء والعدوتين والعرائش وطنجة وتطوان التى كانت لا تزال محتلة، وسيأتى بيان بعض ما حازه من كل واحدة من تلك المراسى الثمان، وقد استمر أمناء الإصبيان بالمراسى إلى دولة السلطان مولاي الحسن كما تقدم فى ترجمته.

ومن ذلك أيضا ظهير شريف لبركاش ونصه:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإننا وجهنا من المليون الثالث الذى تقدم لكم الكلام فى شأنه خمسمائة ألف ريال فرنك وخمسة وعشرين ألف ريال ذهبيا، وبهذه الخمسة والعشرين تكمل خمسمائة ألف ريال من الذهب، فنأمرك أن تدفع لحملته الواردين بالمال مئونتهم حتى يسافروا وزادهم عند سفرهم وعلف البغال مدة إقامتها هناك، وأعط للمكلف بها ما يصيره عليها فى الطريق وليقيموا هناك يوما واحدا ولا يزيدوا عليه والسلام ١٧ رمضان عام ١٢٧٨».

ومن ذلك كتاب مولاي العباس لسفير الإصبيان فى شأن خرق نصوص المعاهدة التجارية الآتى ذكرها فى باب العلائق من خطه بلفظه:

«هذا وقد أخبرنا الباشا أنك أمرت أحد أصحابك بصيادة العلق وأمرته ألا يتعرض له أحد وما علمنا موجب ذلك ولا سببه ولا بد بينه لنا لأننى حيث جعلت

الشروط مع الوزير بمادريد لم يتعرض لكندرة العلق ولا لكنطرة الدباغ، ولا هي مذكورة فى المعشرات، وهى محوزة لجانب السلطان نصره الله، وأنت حيث أمرت الناس بالصيادة لابد أن يكون لذلك سبب، مع أن مولانا نصره الله أعطاكم نصف الكمرك من غير حدوث شىء فى مراسيه ولا وفى إيالته، وإذا كان هذا الأمر كذلك إنا لا نوافق، لأن الشروط ليس فيها خروج كنطردة العلق من يد مولانا نصره الله، ويشهد لذلك عدم ذكره فى المعشرات، والذى تكلم فيها الوزير هى كنطردة المرجان فقط، ومن المعلوم أن هذا الأمر حدث لسبب، وإن كانت كنطردة كل ما يوسق فى المستقبل لك فيه النصف وفى شروط الإنجليز استثناء الكطردتين لجانب مولانا وأنتم عملتهم مثلهم، واعلم أن هذا الأمر لا نوافق عليه ولا نقدر على سماعه، وإن أردت أن تحدث لنا مضره من جانب مولانا لكونه غير موافق ولا دولتك ذكرت لنا ذلك فأنت الظن بك أن لا تجلب لنا مضره مثل هذا، والجواب ولابد وختم فى ٧ شوال عام ١٢٧٨هـ.

ومن ذلك كتابه إليه فى شأن دفع التعويضات من خطه بلفظه:

أما بعد: فإن المال الذى ورد من عند مولانا نصره الله هو مليون من الريال تام، ورأينا مركبكم ورد فى هذا اليوم وظننا أن الحسابين وردوا فيه، وأنا أخبركم أنكم إذا أردتم أن تشرعوا فى الحساب والقبض ولو من الآن فنحن ميسرون موجودون لذلك.

واعلم أن البابور متاع الإنجليز الذى ورد البارحة أتانا بخبر السلك من عند التاجر لويز فورط على يد باشدور الإنجليز الذى بمادريد، يذكر لنا فيه أنه تلاقى مع أرباب الدولة الإصبيولية على سبيل الكنبى وتفصل معهم فيه فى الكنبى على ٤٩٤ إذا كان يدفع لهم فى الحين هناك، وإذا لم يدفعه لهم فى الحين يكون بالزيادة، وحين أخذنا هذا الجواب أجبناه بأننا كنا ذكرنا لنائب الإصبيول أن ندفعوا

له الاطّرة هاهنا وهو يوجهها لدولته على يده، حين نعرف كيف تكون الاطّرة موافقة للجميع.

وحين ذكر لنا فورط فى جوابه هذا الكلام، وأنه بأمر دولتكم أى الدولة الإصبانيلى كتبنا له وأجبناه، فإن كانت دولة الإصبانيول يقول لابد يكون الدفع فى مادريد فى الحين ساعدهم فى ذلك، والدولة الإصبانيلى تخبر نائبهم بطنجة أنهم طلبوا دفع ذلك عندهم، وإذا أرادوا الدفع لنائبهم هاهنا بطنجة، بين أنت لنا كيف كتبت الاطّرة حرفا حرفا على موافقة خاطر دولة الإصبانيول وموافقة أهل البنك حيث لا يكون منع قيدت فى ٨ شوال عام ١٢٧٨».

ومن ذلك كتاب مولاي العباس أيضا للنائب بركاش فى المشكلة الناشئة عن امتناع قبيلة قلعية من تسليم الحد الواقع عندهم للإصبان، وقد تقدمت الإشارة إليه فى كتاب مولاي العباس للسفير، وأن المخزن قد عوض القبيلة عنه بالمال وسيأتى ذكر الاتفاق الخاص بها:

«نائب مولانا الأرضى الطالب محمد بركاش، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد ورد علينا الحاج أحمد اليعقوبى وشفانا بخبر أهل قلعية فى شأن الحدادة، وذكر لنا أنهم عاجلوا أمرهم بكل ما يمكن فما رأوا الامتناع من الكل ولا أجابوا بالقبول، تارة يظهرون أنهم سامعون مطيعون، فإذا طالبوهم بالوفاء بما سمعوا منهم تمردوا كل التمرد، وبسبب هذا لم يظهر منهم انقياد ولا مفيد يعول عليه.

وحيث رأينا الأمر قد طال من غير فائدة ظهر لنا أن نوجه على من هناك من المهندسين والطبجية مما كنا وجهناه للفصال، لأن نهاية المدفع حضر عليها كل من

أصحابنا ومن الإصبيول، وعلموا نهاية الحداة وعلمها الإصبيول، وعليه فإن المحل الذى وصلته رماية المدفع بمحضر أصحابنا وأصحابهم أعطاه سيدنا لهم كما هو مشروط وكما فى كتب مولانا التى أعطيناهم النسخ منها، وكما هو فى الفصل الأخير الذى تفاصلنا به مع الإصبيول عن إذن وزيرهم الذى وجهنا منه نسخة لحضرة سيدنا نصره الله، فإن نائب الإصبيول يعرفه فيأخون القدر المشترط عليه فقط، لأنه هو الذى وقع الاتفاق عليه من السلطان ومنا، ومن تعرض له من أهل الريف فيبته وبينهم.

وأما ما ذكرت من أن نائب الإصبيول طلب توجيه نحو المائة أو المائتين من الخيل لتقف على الحد، فاعلم أن الحاج أحمد اليعقوبى ذكر لنا وأن نهاية الحداة علمت نهايتها، وحيث لا يحتاج إلى من يقف عليها وقد كان كتب لنا سيدنا نصره الله قبل هذا حيث كنا بطنجة، أنه كان عازما على توجيه محلة معتبرة للريف لتخليص الحداة، لكن لما ظهر ما ظهر من التأثير الفاسد حتى ترزع الغرب بسبب ذلك، لم يتأت لسيدنا أن يوجهها حيث فى ذلك الوقت، وكنا شافهنا بهذا الأمر نائب الإصبيول وبسببه وقع الاتفاق الأخير أنه إذا فرغ تطوان وامتنع أهل قلعية من إعطاء الحداة يأخذونها والآن بنفس ما فرغ سيدنا نصره الله من أمر المغرب وقع ما وقع بمراكش، فبسبب ذلك ذهب سيدنا نصره الله مستعجلا بجميع من معه من الجيش والعسكر، ولم يبق بفاس ومكناس إلا من هو ملازم للبلادين ولا سبيل إلى خروجه خوفا من وقوع مثل ما وقع، ولا يمكن توجيه طرف منه إلا على تقدير لو كان السلطان بفاس أو مكناس أو لازال بالرباط أو كان خليفته بفاس أو مكناس.

والآن لما طلع سيدنا مستعجلا لم يعين خليفة إنما ترك العمال كل واحد يحكم فى إبالته وما توقفوا فيه، يرفعون الأمر فيه إليه نصره الله، وعليه فلا نقدر على توجيه لا ما قل ولا ما جل، لأن سيدنا لم يفوض لنا فى شىء إلا فى الفصل مع الإصبيول وأتمنا فيه العمل.

وإنما كتبنا لك هذا لتعلم أنا حيث كنا هناك بطنجة وكنا نتكلم فى أمر الإصينول، كنا مأذونا لنا فى ذلك، وأما الآن فإنما أنا كأحد الناس ليس عندى إذن فى الدخول فى شىء أصلا حتى منذ سافر مولانا أیده الله من الرباط، ولم يأتنى كتاب من عنده أصلا فى أمر من الأمور إلا الكتاب الذى فيه إذا تم أمر الريف اذهب لدارى، وقل لنائب الإصينول: إن الفصال الذى وقع بينى وبينه وهو فى كتاب سيدنا نصره الله عليه العمل، ولم يتبدل الأمر فيه، وقوفا من الشرط.

وأما أمر الريف فلا دخل لى فيه، وإن وقف لك أمر من الأمور فاكتب فيه لسيدنا، وإنما أحلناه على الفصال الواقع فى الشروط المعلومة فالأمر لازال عليه، لأن النظر فى إصلاح أمور عامة المسلمين خير من النظر فى مصالح قلعية بخصوصهم، وتطهير جانب سيدنا نصره الله فيما هو مشروط لأنهم أجابوا بحضرته، وحيث بلغوا بلادهم امتنعوا كما فى الكتاب الذى وجهنا لك فى هذه الساعة لتطالعه، وتعلم منه أنهم أجابوا بالقبول، ثم حصل منهم الامتناع بعد ذلك.

واعلم أنا وجهنا للطالب محمد بن العربى السعيدى، والحاج عبد القادر احرضان ومن معهما من المهندسين والطبجية ليأتوا ويصبحوا معهم المال الذى كنا وجهناه لينزل بيت المال بطنجة على يدك ويد الأمناء، وأمرناهم أن يقولوا لأهل قلعية استرعاء عليهم أنهم إن كانوا طائعين للسلطان يمكنون الإصينول من الحدود، وإن كانوا لازالوا فى طغيانهم فإنى لا أدخل لهم فى أمر وينظرون لأنفسهم وبينهم وبين الإصينول.

ومن هداه الله وأراد أن يبيع أرضه يكتب له العامل كتابا ليأتى إليك وإلى الأمناء ويأخذ الثمن الذى فى رسمه، وها نحن إن شاء الله نكتب لك وللأمناء

كتابا مستقلا فى هذا الأمر، وأعلم نائب الإصبيول بهذا ليوجه هذه المكاتب التى تصلك لمن هو بالمليلية ليأتون ويصحبون المال الذى فى أيديهم هناك.

وأما بقاؤهم هنالك فلا طائل تحته، وقد كنت عارفا قبل هذا أننى إن وجهت لهم المال إلى بلادهم لا يستقيم أمر، لأن كبراءهم يستقلون بالمال ويأخذونه ولا عليهم فى أحد من أصحاب الأرض، لكن إنما ساعفنا فى ذلك الأغراض ويصلك نسخا مما كتبنا لأصحابنا وللقائد عبد الصادق فطالعه وارده لنا، ولو قدرنا على فعل شئ آخر لفعلناه لكن هذا الذى قدرنا عليه، والله يعينك والسلام وفى ٢٤ حجة الحرام متم عام ١٢٧٨ العباس بن أمير المؤمنين رحمه الله.

لطف الله به»

ثم بعد هذا بمدة أراد الإصبان التوسع فى ذلك الحد فأجيبوا عن ذلك بما يتضمنه كتاب المترجم للنائب بركاش ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فلما كتب باشدور الصبنيول ما كتب فى شأن إحداث تحويل الوادى ظنننا أن ذلك لا بأس به، فوجهنا من قبلنا من يتكلم مع أهل كلعية فى ذلك، فبمجرد ما وصلهم قاموا وقعدوا واحتجوا بأنهم ما سلموا تلك الأرض حتى شرطوا على الصبنيول لا يحدثوا بها شيئا وذلك على عين أخينا مولاي العباس وكبير مدينة امليلية، فكتبنا بذلك لأخينا مولاي العباس فصدقهم ومن المعلوم أن أصل هذه التوسعة التى أنعم بها عليهم مولانا قدسه الله إنما كان لما كان يلحقهم من أهل كلعية من التضييق بهم بسبب وصول الرصاص إليهم، حتى لا يكاد أحدهم يخرج من باب المدينة، ولما ألحوا على سيدنا رحمه الله وقدس روحه فى طلب ما يرفع عنهم ضرر كلعية حيث كانوا لا يقدرّون على الخروج من امليلية

وطلبوا من سيادته التوسعة عليهم، من أجل ذلك ساعدتهم بعد مشقة ثم إن الله تعالى لما استأثر به وتكلموا معنا فى الوفاء بما أنعم به قدسه الله لهم بقصد التوسعة فقط ساعدناهم فى التوسعة، فوق الفصل فيها بمحضر أخينا مولاي العباس وكبراء كلعية وكبير امليلية على أن لا يحدثون فيه ما يشوش على أهل كلعية وقوفا مع الفصل الذى حضر له أخونا وكبراء كلعية وكبير امليلية، فبوصول هذا إليك قرر لباشدورهم هذا المعنى وبينه له بيانا شافيا ليستحضر القضية وسببها وامتناع كلعية من المساعدة فى إعطاء الأرض إلا بعد وقوع الفصل على عدم إحداث شيء فيها والسلام فى ١٨ ربيع الأول عام ١٢٨٦».

ونص آخر فى الموضوع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما كتبنا لك به فى شأن وادى امليلية، من أن العمل على ما كنا كتبنا لك به قبل من أن أهل كلعية لم تطب أنفسهم بإعطاء البلاد إلا على أن لا يحدث فيها شيء كما وقع الاتفاق عليه بذلك بين كبرائهم وكبراء الصبنيول بمحضر أخينا مولاي العباس، وذكرت أنك لما وصلت طنجة وتكلم معك باشدور الصبنيول فى النازلة أجبتهم بمضمن كتابنا الشريف فلم يقبل منك، وطلب توجيه كتابه، وحين ورد الجواب عليك بإحالته عليك فى الجواب أعدت له الجواب بعينه فلم يقبله معتمدا على ما فى الشروط، قائلا: إنه لا يمكنه قبول ما يصادمها بحال، ثم أخبرك بأنه كتب لحضرتنا الشريفة فى القضية، وطلبت أن يكون الجواب لنا متضمنا للإحالة عليك إن اقتضاه نظرنا، ويبقى التردد ومراجعة الكلام بينك وبينه فى النازلة حتى يظهر لجانبنا العالى بالله ما يكون فيها.

فقد كتب لجانبنا العالى بالله ذلك ولم نجب عنه، إذ ليس بقانون أن نجيب النواب بما يكتبون له، وقد وجهنا لك كتابه على حاله لتجيب عنه أنت، وقد بينا

لك ما تجيبه به بياناً شافياً وشرحنا لك القضية لتكون على بصيرة فيما تجيبه به والسلام فى ٢٩ جمادى الأولى عام ١٢٨٦».

ومما يتعلق بدفع التعويضات تقييد وقفت عليه يتضمن بيان ما حازته اصبانيا من المال لآخر سنة ١٢٨٠ ونصه:

وقع الفصل مع جنس الإصبنبول فى قضية تطوان بعشرين مليوناً من ريال الذهب هكذا: ٢٠٠٠٠٠٠٠

دفع منها سيدنا أيده الله ثمانية ملايين أولاً: ٨٠٠٠٠٠٠٠

خمس من فاس واثنان من السويرة، وواحد مع الحاج محمد بن المدنى بنيس ودفع له بواسطة النجليز أى من سلفه اثنان ٢٠٠٠٠٠٠٠ فصار جميع ما حازه أولاً عشرة ملايين هكذا ١٠٠٠٠٠٠٠٠ والباقى لإكمال العشرين المذكورة، وهى عشرة خرج يقبضها من مستفاد المراسى الثمانية فحصل له فى حظه من مستفاد المراسى عن سنتين تامتين مليون واحد من الريال الذهبى وثمانية وعشرون ألف ريال وأربعمائة ريال وريال واحد وثلاثة بليون ونصف وثمان مائة هكذا ١/٢١/٨، ٣، ١٠٢٨٤٠١:

١ فمن تطوان فى عامين آخرهما ٢٢ قعدة عام ١٢٨٠ هكذا ريال ١٨٥٥٤

٢ ومن طنجة عن مدة خمسة وعشرين شهراً واثنين وعشرين يوماً آخرها ٢٣ قعدة عام ١٢٨٠ ريال ١/٤ ١٥٤٣٦٥ ١/٢

٣ ومن العرائش عن أشهر ٢٤ وأيام ٢٣ آخرها ٢٣ قعدة عام ١٢٨٠ ٤٢٦١٨

٤ ومن العدوتين عن أشهر ٢٤ وأيام ١٤ آخرها ١٥ قعدة عام ٨٠-٨١٨٤٤

٥ ومن الدار البيضاء عن أشهر ٢٥ وأيام ١٢ آخرها ٢٢ قعدة عام ١٢٨٠ ١٣٤٢٣١ ١/٥

٦ ومن الجديد عن أشهر ٢٥ وأيام ١٢ آخرها ٢٢ قعدة عام ٨٠ ٧
٢٠٦٨٧٠.

٧ ومن آسفى عن أشهر ٢٤ وأيام ٢٠ وآخرها ٢٣ قعدة عام ٨٠ ١/٤
١١٠٥٧٧

٨ ومن السويرة عن أشهر ٢٥ وأيام ١١ آخرها ٢٣ قعدة عام ٨٠ ١٨ ٢٧٩٣٣٩
١٠٢٨٤٠١، ٣ ١/٢ ١/٨

وقيد فى ١٩ غشت سنة ثلاث وستين وثمانمائة وألف ١٨٦٣ الموافق ٣ ربيع
الأول عام ١٢٨٠.

كما وفقت على التقييد الذى بعثه الحاج محمد الزبيدى من طنجة للنائب
السلطانى السيد محمد بركاش بباريس لما ذهب لمداواة عينه هناك وقضاء بعض
المآرب السياسية فى شعبان سنة ١٣٠١، وهو يتضمن ما حازه نواب الإصبيان فى
مدة عشرين سنة ونصه:

«تلخيص ما حازه نواب الصبنيول من المراسى الثمانية وذلك عن مدة أولها
إبريل سنة ١٨٦٢ وآخرها متم دجنبر ١٨٨٣ عجمية، وتقسيط الباقي له من كل
مرسى على نسبة المحرز منها فى المدة المذكورة أعلاه.

فمما:

سنتيم بليون ريال كبير

٢٠٣٧٥٨١	١٢	٥٤	حازه من مرسى الصويرة:
٩٢١١٤٣	٤	٩	ومن آسفى
١٥٣٢٠٢٩	.	٥٢	ومن الجديدة
١٦٦٦٠٦٧	٨	٥١	ومن الدار البيضاء
٤٨٦٩٠٠	٤	٢٦	ومن مرسى الرباط
٦٢٠٩٩٦	٨	٤	ومن العرائش
٢٠٣٦٥٣٥	١٦	٥٤ ١/٢	ومن طنجة
١٥٨٢٥٣		٨٢	ومن تطوان
٩٤٥٩٥٠٦	١٥	٣٢ : /٢	جملة المحوز فى المدة:

تقسيت الباقي له على نسبة ما حاز من كل مرسى:

سنتيم بليون ريال كبير

١١٦٤٢٢	٩	٢٧	الباقي له من الصويرة على نسبة المحوز منها
٥٢٦٣٢	٢	٩٨	الباقي له من آسفى
٨٧٥٣٦	٣	٣٢ : /٢	الباقي له من الجديدة
٩٥١٩٥		٩٩ : /٢	الباقي له من الدار البيضاء
٢٧٨٢٠	٥	٩٠	الباقي له من مرسى الرباط
٣٥٤٨٢	٤	٥١	الباقي له من العرائش
١١٦٣٦٢	١٤	١٨	الباقي له من طنجة
٩٠٤٢٣		٥١ : /٢	الباقي له من من تطوان
٥٤٠٤٩٣	٤	٦٧ : /٤	جملة المحوز فى المدة:

التقسيط على نسبة ما حاز من كل مرسى هو المسطر أعلاه، لكن ينبغي أن يضم الكسر من البليون والسنتيم ودار العشرات لمرسى طنجة.

١١٦٤٠٠	فمن الصويرة ريال كبير
٥٢٦٠٠	ومن آسفى ريال كبير
٨٧٥٠٠	ومن الجديدة ريال كبير
٩٥١٠٠	ومن الدار البيضاء ريال كبير
٢٧٨٠٠	ومن مرسى الرباط ريال كبير
٣٥٤٠٠	ومن العرائش ريال كبير
١١٦٦٩٣ ٤ ٦٧ : ٢	ومن طنجة ريال كبير
٩٠٠٠	ومن تطوان ريال كبير
١١٦٦٩٣ ٤ ٦٧ : ٢	

من كناش مبيضات دار النيابة.

ومن ذلك كتاب الأمين ابن المدنى بنيس للوزير بوعشرين فى مقدار الداخل على الإصبان من مال المراسى ونصه بعد الحمدلة والصلاة:

«سيدنا الفقيه الأجل، ومحل والدنا البركة المبجل، العلامة القدوة الخير الأكمل، سيدى الطيب بن اليمانى رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله، عن سيدنا أيدى الله.

وبعد: فإنك كنت أعزك الله كتبت لنا عن أمر مولانا نصره الله بأن نطالع كنانيش المراسى لنستفيد منه القدر الداخل على الصبنيول من المال من أول شروعه فى القبض إلى تاريخ الكتاب الذى كتبت لنا فيه ما ذكر وتاريخه ١٨ من رجب

عام تاريخه، وصادف الحال وقت ورود هذا الأمر علينا أن بعض المدة لم يصل حسابها من المراسى وعلما لوجود منها تحت يدنا حسابه، ووجهناه لشريف الحضرة ومضممه ريال ذهب ١/٢، ٩٠١٣٣٢ كما بورقة الحساب التي وجهنا، ثم بعده استدركنا الإعلام بما حازه من طنجة في ٨ أيام أخيرة شهر شوال من عام ٧٩ وقدره ريال ذهب /٥٤٦،٣، كما قدمنا لسيادتكم أنه حين يرد علينا حساب المراسى نكمل ما بقى بتمام المدة التي هي شهر رجب تاريخ الكتاب الذي أمرنا فيه بهذا العمل، وقد وصل حسابهما فعملنا فيه مثل عملنا فيما قبله، فتجمل فيما حازه فيما ذكر على حسب ما فصلناه بورقة الحساب الواصلة إليك في طيه ما اجتمع فيه من المثاقيل ٦/١١، ١٨٧٨٦٧٤ عنها ريال صغير ٣/٤، ٥٧٨٠٥ عنها بليون ٦٣/٤، ١٠٩٨٣٠.

وقد وصلنا من الصورة حساب عدد البليون الذي حازه الصبنيول في الثمانية أشهر الأخيرة من خدمة السيد عبد السلام جسوس، وهي التي كتبنا في شأنها لمولانا أيده الله ليأمرهم بتوجيهها لنا لنستخرج منها ما يجب في فرينسية الدرهم، وحيث وصلتنا ألفينا من فرينسيته أربعة عشر ألف بليون وأربعمائة بليون وتسعة بليون، كما استخرجنا من السبعة أشهر بعدها في الفرينسية المذكورة اثني عشر ألف بليون وستمائة بليون واثنين وثمانين بليونا، يزداد على ما في الورقة الواصلة صحبته فيجتمع من عدد البليون ٣/٤، ١١٢٥٣٩٢ عنه ريال ذهب ١٢٣/٤، ٥٦٢٦٩ تجمل فيما حازه الصبنيول من أول جلوسه بالمراسى إلى انتهاء تواريخ الورقة الواصلة صحبة هذا في شهر رجب عام تاريخه من ريال الذهب ١٧، ٩٥٨١٤٧ تسعمائة ألف ريال وثمانية وخمسون ألف ريال ومائة وسبعة وأربعون ريالا وسبعة عشر بليونا، فطالع شريف العلم به بارك الله فيك وهذا ما وجب به الإعلام والسلام ختام في ٢٩ رمضان المعظم عام ١٢٨٠.

محمد بن المدني بنيس لطف الله به»

ومن ذلك تقييد وقفت عليه بخط الشريف العلامة سيدى محمد بن الحسنى
الرباطى الذى كان عدلا بمرسى الدار البيضاء فى العهد الحسنى والعزىزى يتضمن
بيان ما حازه الإصبيان من أمناء تلك المرسى ونصه:

«الحمد لله هذا بيان ما حازه نائب الإصبيين من مرسى الدار البيضاء من
أمنائها فى الشطر عن مدة أولها فى شهر شوال عام ١٢٧٨ فحاز فى خدمة
الأمينين ج محمد بن عبد المجيد بن جلون الفاسى، والسيد محمد بن ج الطاهر
بوحديو، السلوى عن سنة وشهر، إلا أن الشهر الأخير منها الزائد على السنة دفعه
ابن جلون المذكور مع ج محمد بن المكى الحارثى السلوى بدلا عن بوحديو السابق.
ففى مدة خدمتهما دفعا له: ٦٤ ٢٠٨٣٧٣٠

وبعدهما ج المدنى الديورى والسيد محمد التازى ابتداء عام ٧٩ وجها فى
شوال من السنة المذكورة..... ١٤ ١٥٨٩٠٨٧

وج حفيظ برادة وج مصطفى جسوس عن سنة فى قعدة عام ٦٢٨٠
١٦٤١٠٩٨

ثم ج محمد الحلوى والسيد محمد بن ج العربى معينو عن سنة ٦٢
١٧٤٢٠٩٩

ثم ج عبد الكريم بن زاكور الفاسى وج أحمد الرجراجى : ٣٠
١٨٢٦٤٧٥

ثم ج محمد مكوار الفاسى وج مصطفى جسوس عن خمسة عشر شهرا
٢٠٧٨٦٣١ ٩٨ : /

ثم ج عبد الرحمن أقصى وج العربى افرج فى جمادى ١ عام ٨٥ إلى
جمادى ١ عام ٨٦..... ١٥٩٣٨٧٧ ٧٣

ثم الطيب بن كيران والأمين التازي عن ثلاثة عشر شهرا ١٥ ٨١ ١١٢٠

ثم الطيب الغربي والطالب أحمد التازي الفاسي عن سنة / : ٨٩
٢٥٦٩٧١٦

ثم ج محمد بن عبد الكبير التازي وج عبد السلام بلافريج سنة ٢ / ١٢٠
٤٧٣١٠ ١٨

ثم ج أحمد بناني السميرس والأمين التازي عن مدة مبدؤها قعدة عام ٨٩
٦٦٤٥٨٩١ ٣٦ وأخرها ربيع النبوي عام ٩١ / :

ثم ج المدني بن عبد الكريم بن جلول والسي محمد بن ج علي مرسيل عن
شهور ١٤ آخرها جمادى ١ عام ١٢٩٢ / : ٤١٢١٥٤٩ ٩٩

ثم حفيظ برادة وعبد الله حصار عن شهور ١٠ / : ٢٨٣٨٠٧٠ ٥٥

ثم ج محمد بن عبد القادر ابن كيران الفاسي والسي محمد بوصوف
الطنجوي عن ثمانية أشهر / : ٢٩٩٣٧٩٤ ٩٥

ثم عبد السلام بناني وج محمد بن العربي الطريس تسعة أشهر ٤١
٣٩٩٦٠ ٣٧

ثم ج محمد ابريشة وج محمد بن ج العربي القباج عن تسعة أشهر / : ٥٠
٣٣٣٤٠ ١٣

ثم السي محمد بن عبد القادر بناني والسي العربي بن المهدي بنونة شهور
١٣١٨٠ ٦٢ ٣٤ . / : ١١

ثم الغنمية وبرادة عن عشرين شهرا آخرها صفر ٩٨ / : ٢٧٧١٨٧٩ ٣٥

ثم ابن المليح والرزيني عما بعد ذلك إلى متم رجب عام ١٣٠٠ عن شهور
٨٧١٣٠ ٤٦ ١

٤٣

٤ / . ١٩ ٨٣٥ ٥٤٧٢ «

ومن ذلك ما كتب به سفير الإصبيان للقناصل ونواب إصبانيا الواقفين على قبض الأعشار بالمراسى بما يكون عليه عملهم فى ذلك، ونصه نقلا عن النسخة التى وجهها من ذلك لمولاي العباس من كناشته بلفظه:

«القنصوات أو الخلفاء المكلفين أو الواقفين على القبض يستقرون فى ديار الأعشار وفى كل وقت الذين يشتغلون فيهم فى وسق المراكب، ويأخذون زمام مستويا مع زمام أمناء السلطان ويكون لهم كناش من الداخل والخارج من السلع ومن الأعشار المؤديان فى كل عشية حيث تسد دار الأعشار والنائب الإصبيولى يقابل كناشه مع كناش الأمير متاع مراكش إلى أن تحصل لهم الموافقة فيها.

فى مراسى مراكش إذا كانت العادة فى أداء الأعشار عاجلا على السلع الداخلة والخارجة فى ذلك اليوم الذى يكون فيه القبض النائب الإصبيولى، يحوز فى كل عشية النصف فى ذلك الأعشار المقبوض ويدفع خط يده مختوم ومطبوع بيد الأمين متاع مراكش.

فى اليوم الأخير من كل شهر النائب الإصبيولى يحوز خطوط يده المعطاة منه فى كل يوم، ويمكن للأمين متاع السلطان مراكش خط يده من جميع العدد المقبوض فى ذلك الشهر حسبما هم مذكورون فى خطوط يده فى مراسى مراكش التى هى عادتهم هى قبض الأعشار بعد أجل قريب، وذلك بالاطرة على المدن التى يتوجه لها السلع، فنواب الإصبيول فى كل عشية كما ذكرناه قبل فى مقابلة كناشه مع كناش أمين مراكش إلى أن تحصل لهم الموافقة ويتمسكون نواب الإصبيول برسم مختوم من أمين السلطان مراكش ذاكراً فيه أن الأعشار الداخل اليوم هو كذا والنصف الواجب للإصبيول هو كذا، وفى اليوم الأخير من كل شهرين يجمعون المحصل ونائب الإصبيول فى ذلك اليوم يحوز ما وجب له دراهم سكية النصف من جميع الأعشار من الشهرين، ويدفع خط يده مختوم ومطبوع

من ذلك العدد بيد الأمين المسلم، ويرد ذلك الأمين جميع خطوط اليد التي مكنهم منها.

حيث المنفعة متاع إصبانية ومراكش، هو أن يكون الوقوف والنظر فى هذا الأمر مع استقام مباشرته حيث تعلم بفساد فى الأعشار تعلم بذلك الأمين متاع السلطان ليكف ذلك وينقطع حتى يكون الاستقام فى مراسى الإيالة، ويحصل حينئذ المنفعة لصبانية وكذلك الخير للسلطان إذا بهذا يؤدى عاجلا ما عليه الإصبنيول وينتقل حينئذ النصف فى الداخل فى المراسى الذى هو اليوم للاصبنيول.

لا شك أنك وأمين السلطان تسيرون فى هذا على الموافقة لتحصل المنفعة فى خدمة سلطانتنا وفى خدمة سلطان مراكش.

دولة سلطانتنا لها الصدق فى وقوفك وصدقك وعدلك فى ولايتك فى هذا الأمر المهم.

نسخة ثابتة النائب المفوض لجنس الاصبنيول مختوم.

افرنسيسكومرى وكلوم».

ومن الباب جواب السفير المذكور لمولاي العباس عن بعض المطالب ونصه:

«سعادة الشريف الأرضى مولاي العباس، لا زال السؤال عنك نطلب الله تكون بخير.

وبعد: فإننى قد حصل لنا غاية السرور بالبيان لديكم أن سعادة حضرة مولاتنا السلطانة أيد الله علاها قبلت ما طلبته منها بامليلية على اسم حضرة السلطان فى خروج آل الريف من الثغر المذكور، نرغب منكم توجيه لمكاتب السيد محمد برকাশ ليمكنهم وقت قدومهم بالدراهم الواجبة لهم وبالأرض لمعيشتهم،

كما طلبنا ذلك منكم بعد قبولنا المكاتب يذهب مركب قرصان لامليلية ويجلب
لطنجة هؤلاء الريف كما تريد حضرة السلطان لتقوية الصلح والمهادنة والسلام فى
١٨ اناير سنة ١٨٦٤ .

الوزير الوجيه لسعادة مولاتنا سلطنة إسبانيا قرب الحضرة الشريفة .

فرنسيسكومرى وكلوم» .

ونص آخر:

«السيد الذى عظم قدرا الشريف الأرضى مولاي العباس، بعد إهداء السلام
نطلب الله تكون بخير وقد أنهينا لحضرة مولاتنا السلطنة ما شافهتنا به بامليلية عن
اسم الحضرة الشريفة فى شأن مستفاد غياب هذه المملكة، ووافقت ما قصده
الحضرة العلية، وأمرتنا بالتأخر يحبى فى هذا الأمر الصعب وننبذوه إلى أن تقابلوا
حضرة السلطان وتتفاوض معها، وحيث ذلك لم يعمل على ما وجهنا من
الاسترعاء للسيد محمد بركاش، وهذا أقوى دليل على محبة سعادة مولاتنا
السلطنة فى الحضرة المنيفة وبحول الله لما يوجب تفاوضنا فى هذه القضية مع
حضرة السلطان ناولوا أمرها على وجه العدل والحق، وبما يناسب الجانبين، وهذا
ما أمرتنا به سعادة مولاتنا السلطنة الحاصل لنا به غاية السرور فى إنهائه لديكم
والسلام فى ٢٦ اناير سنة ١٨٦٤ .

الوزير الوجيه لسعادة حضرة مولاتنا سلطنة إسبانيا قرب الحضرة الشريفة .

فرانسيسكومرى وكلوم» .

ونص آخر:

«جناب الشريف العلوى الأعز المحترم الأرفع مولاي العباس خليفة سلطان
مراكش وباقي المغرب، السلام على من لا حال له عن المحبة .

وبعد: فإن غدا حلول ميعال الثلاثين يوم الموسم لتنفيذ المطالب الموضحة من دولة حضرة السلطنة المفخمة لدولة الحضرة الشريفة سلطان مراكش، فالمطلوب من فضلكم أن تقولوا لنا إذا دولة حضرة سلطان مراكش لا زالت على ما وضحت لنا به فى آخر مدة والأمر أدها فى بلوغ ما أشرنا به فى كتابنا المؤرخ بميو ١٩ المنصرم فورا والسلام فى ٢٣ يونيا سنة ١٨٦١.

حررها النائب المفوض والقنصل العام لحضرة سعادة سلطنة إسبانيا.
فرنسيسكو مري وكلوم».

ونص بطاقة وقفت عليها بخط ترجمان السفارة تتعلق بإخلاء تطوان:
«هذه نسخة من أمر موجه من الأمثل سيدى الوزير أمور البرنية للنائب المفوض لحضرة سلطنة اسبانية مضمينه:

فراغ تطوان سيقع من غير إبطال حتى كاد يكون حيننا واحدا بعد وفاء المشروط فى أمورنا السابقة، وحالة وقت التاريخ إذن ببء خروج الأثاث وتأهيب جميع الأمور لتسليم الثغر فى الوقت المذكور وهذا الكلام تحققة للخليفة والتمام.
مترجمة عن إذن النائب المذكور أعلاه.
فليب ريثو».

وقد أدت هذه الحوادث الحوالك بالترجم إلى الاستقراض من الدول الأجنبية، فعقد مع الإنجليز قرضا يشتمل على مليونين اثنين من الريال الكبير الذهبى حسبما مرت بك الإشارة لذلك فيما تقدم من الوثائق، وإليك بيان ما يتعلق بذلك كما وجدته منصوصا:

«بيان كيفية السلف الذى أخذه سيدنا أيده الله من تجار النجليز فكان عدده مليونين اثنين من الريال الكبير المعروف بالريال الذهبى ٢٠٠٠٠٠٠.

فوجب فيها أربعمائة وستة وعشرون ألف ليرة نجليزية هكذا ٤٢٦٠٠٠ .

جعلت كلها كواغد وصار كل كاغد الذى فيه مائة ليرة يعطى فيه خمسة
وثمانون ليرة فكسر العدد المذكور خمسة وسبعين ألفا ومائة وستة وسبعين ليرة
ونصف ليرة هكذا ١ / ٢ ٧٥١٧٦ .

فتزاد على الأربعمائة وستة وعشرين ألف ليرة فيصير المجموع خمسمائة ألف
ليرة ومائة وستة وسبعين ليرة ونصفا هكذا ١ / ٢ ٥٠١١٧٦ .

يجب فيها من عدد الريال الكبير مليونان وخمسمائة ألف وخمسة آلاف
وثمانية واثنان وثمانون ريالا ونصف ريال هكذا ١ / ٢ ٢٥٠٥٨٨٢ .

فيجب عليها انطريس فى مدة من عشرين سنة بحساب خمسة زيادة على
المائة مائتان وستة وخمسون ألفا وثمانمائة واثنان وخمسون ليرة وسبعة عشر شيلين
ونصف شيلين هكذا ١ / ٢ ١٧ ٢٥٦٨٥٢ .

فيجب فيها من الريال الكبير مليون ومائتان وأربعة وثمانون ألفا ومائتان
وأربعة وستون ريالا وأربع بلاطات ونصف هكذا ٠ / ٤ ، ١٢٨٤٢٦٤ .

فيزاد هذا العدد على المليونين والخمسمائة ألف وخمسة آلاف وثمانية واثنين
وثمانين ريالا ونصف المذكورة أعلاه فيصير جميع ما يدفع سيدنا نصره الله فى مدة
من عشرين سنة من عدد الريال الكبير ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف ريال وتسعين
ألف ريال ومائة وستة وأربعين ريالا وعشر بلاطات ونصفا هكذا ٨ / ١٠
٣٧٩٠١٤٦ .

يجب فيها ليرات سبعمائة ألف وثمانية وخمسون ألفا وتسعة وعشرون ليرة
وسبع شيلين ونصف هكذا ٦ ، ٧ ، ٧٥٨٠٢٩ .

فهذا العدد هو الذى يكمل دفعه فى مدة عشرين سنة حسبما هو مبين
انتهى .

بيان ما يدفع فى كل سنة :

بينيكى	شيلين	ليرات
٦	١٩	٢٥٠٥٨ .
١٠	١١	٢٤٧٤٥ .
١٠	٧	٢٤٤٣٢ .
٤	٢	٢٤١١٩ .
٨	١٧	٢٣٨٠٠ .
١١	١٢	٢٣٤٩٢ .

وهكذا كل ستة أشهر تنقص عن التى قبلها بيسير كما هو مبين فيما ذكر
أعلاه إلى أن ينتهى العمل فى الستة أشهر المكملة أربعين والسلام» .

وكان المال المدفوع من هذا الدين يوجه أولا لطنجة من أمناء المراسى
والخضرة الشريفة وبيوت الأموال بفاس ومراكش، ويجتمع هناك فإذا حل أجل
دفعة من الدفعات دفع منه مقدار، وهكذا حسبما وقفت على قائمة ما كان يوجه
من ذلك وما كان يدفع منه مشاهرة مؤرخا بالهجرى والمسيحى فى بعض أوراق دار
النيابة، وكانت الدفعة الأولى عن ستة أشهر حلت فى أول صفر عام ٧٩ موافق
أول غشت العجمى سنة ١٨٦٢ إلى سنة ٩٧ موافق عام ١٨٨٠ وجلب ذلك بنصه
يؤدى إلى التطويل الممل وفى الإشارة كفاية .

وإليك نص الكتاب الذى أسند فيه مولاي العباس بالنيابة عن أخيه المترجم
عقد السلف المشار إليه لريشار فلوير والحاج عبد الكريم ابن جلون

«الحمد لله وحده، ولا يدوم إلا ملكه،

محبتنا التاجر الكبير المعظم المركنطى ريكال اكليز أما بعد لازلنا نسأل عنك نطلب الله أن تكون كما تحب ويصلك كتاب مولانا الشريف أيده الله ونصره وهو أيده الله يفوض لك وللتاجر الحاج عبد الكريم فى سلف المال الذى عدده ملايين ستة وأن تجعلوا الأجل الذى تعرفوا منه أنه لا يضر بهذه الإيالة لأنكم أعرف بمصاليحها وهو نصره الله يلتزم بأداء ما تحملتم عنه من المال يؤديه لأربابه فى الأجل الذى يقع الاتفاق عليه وترضونه وبأداء فائدته^(١) كما تجعلون له، وعند قضاء الغرض إن شاء الله تكون لك الرعاية والمكانة فى هذه الدولة، لأن هذه فائدة ما وصلت على يد أحد من التجار مثلك، ولا تقصر أيها التاجر، واعمل جهدك وأخبرنا بخبر الخير إذا وصلت لبلاد الاندرة، فإن دولتكم تحبنا ونحن نحبها، وإذا لم يقض هذا الغرض من عندكم فلا يقضيه أحد بلا كلفة، واخترنا ملاقاتكم لأنكم أفضل من غيركم، والله ييسر الأسباب بمنه آمين والتمام فى ٢٨ ربيع الأبرك عام ١٢٧٧».

خليفة سلطان مراکش ونواحيها العباس لطف الله به».

من خطه، وبعده تعريف سفير الانجليز بذلك الخط ونص تعريبه:

«يشهد الواضع شكله عقب تاريخه بأن الرسالة فوقه المكتوبة بالعربية هى ممضاة من سمو الخليفة السلطانى المولى العباس وهى موجبة للمسمى ريشار فلوفير اسكير وللحاج عبد الكريم ابن جلون.

طنجة - ١٥ - اكتوبر ١٨٦٠.

دريموماى الوزير الإنجليزى المقيم ببلاد المغرب».

(١) فى هامش المطبوع: «إنا لله وإنا إليه راجعون ولكن للضرورة أحكام والضرورات تبيح المحظورات. هـ. مؤلف».

ونص ظهير شريف لمولاي العباس في ذلك :

«أخانا الأعز الأَرْضِي مولاي العباس حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد : فقد قدمنا لك كلام المليون الذي أرادت دولة النجليز أن تسلفه لجانبنا العالي بالله تعالى ، فإن طلب نائبهم الفصال فيه بالفعل حيث يراد دفعه فتعاط معهم الخطوط فيه بأن تعطيهم خطك فيه على الكيفية التي طلبوا ، وهي أن يدفعوه ويعينوا من يقبض أربعين في المائة من كمرك الصويرة حتى يستوفوه إن شاء الله ، ويعطوك خطهم بذلك أيضا ، والله يركاك والسلام في ٦ من صفر الخير عام ١٢٨٧» .

ونص ظهير آخر لبركاش في دفع ما حل من ذلك الدين :

خديمنا الأَرْضِي الطالب محمد بركاش ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد : فإننا نفذنا من وفر مرسى الصويرة أربعين ألف ريال لتدفع في مشاهرة سلف دولة النجليز الحالة إن شاء الله ، وأمرنا الأمناء بها بتوجيهها واصله لأمناء آسفى ليوجهوها بواسطة خليفة الطالب محمد بن بومهدى البوعريزي لأخينا الأَرْضِي مولاي رشيد أصلحه الله ، وهو يوجهها واصله إليك فإذا وصلتك فادفعها على يدك على العادة والسلام في ١٥ صفر عام ١٢٨١» .

كما أدت هذه الحوادث أيضا بالمرجم إلى طلب الإعانة من رعيته لما شدد الإصبان في طلب الاقتضاء ، وأوشكت الحالة أن تعود لما كانت عليه ، مما جعل المترجم يأمر بالتأهب والاستعداد مرة أخرى ، فلذلك كتب إلى عمال المدن وقواد القبائل بذلك حسبما مرت بك الإشارة لذلك فيما تقدم ذكره من الوثائق ، ومن ذلك ما كتب به لعامل سلا ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع :

«خديمنا الأرضى الطالب عبد العزيز محبوبه، وفقك الله وسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن أهل سَلا مِنْ خدامنا، الذين لهم كمال المحبة فى جانبنا، وممن
نعتقد أنهم يهتمون بأمر الإسلام، غاية الاهتمام، وممن لا نشك أنهم يبذلون
أنفسهم فى مرضاة الله تعالى ويدخرونها ليوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا فضلا عن المال، الذى لا يلقي له عند أهل الإيثار والخصوصية بال، هذا
وفى علمكم ما أصاب المسلمين من أمر الكافرين الذين أرادوا خراب الدين وما
قاسيناه معهم من الشدائد التى تشيب الطفل قبل المشيب، حتى رأينا أن لابد من
الصلح لأمر يطول شرحها وإيضاحها، وإن كنتم تعلمون بالسماع الفاشى جلها أو
كلها معتمدين على ما أفتى به الأئمة فى ذلك، سالكين فيه أحسن المسالك، وإلا
استولوا على ثغور المسلمين، وأفسدوا الدين وصار الناس متقادين لهم ومسالين،
فصالحناهم على مال دفعنا لهم منه ما كان بيت المال، ثم شددوا الآن فى
الاقتضاء، واستعجلوا، وراموا نقض ما عقدناه معهم ليتوصلوا لما فاتهم أولا من
الاستيلاء، لا أبلغهم الله ما أملوا، فتعين حينئذ الكلام هنا مع خدامنا أهل فاس
فى هذا المعنى.

فسارعوا إلى بذل الاعانة، غيرة على الدين وحرصا على أن لا يصل
لإخوانهم المؤمنين ذل ولا إهانة، وقد اقتضى ما نعلمه من غيرتكم وكمال محبتكم
أن يذكر لكم ما آل إليه الأمر مع الكافرين، ليقوم خدامنا المذكورون بما قدروا عليه
من إعانة المسلمين، وليسوا بدون هؤلاء الذين بذلوا مالهم فى مرضاة الله دينا
ومحبة وخدمة وإيثارا، والظن بهم جميل فليكونوا عند الظن بهم، ، وليشتروا
بذلك مرضاة ربهم.

الحمد لله

وكل الله على سرك ومولاك محمد بن عبد الله



حريتنا ارض الكلاب محبوا العزيم بحسرة وبعث الله وسلا عجلت رحمت الله تعالى كرامته
ويستوي اهل سلا محبوا العزيم كمال المحبة في جانبنا ومن نعتوا نعتهم يستوي باذل السلا
عذابة الاستماع ومن لا يشك انهم يزلون انفسهم في مرضات الله تعالى ونزولهم في نوح محبوا العزيم
قامت مريض محبوا بظلمة اللال انهم يلقوا محبوا العزيم رايا محبوا العزيم بال سلا واهل محبوا
ما اصاب المشايير من امر الكلاب من اذوا خراف الدير وقا عا سلا في معنى من اشر اكرامته في شت
الغفل من اهل المشايير محبوا العزيم لا يور القلم لا مور طول شرم من رسلنا في اكرامته وان كسب
تعلو من السلا في الجانبين او كرامته معنوي من على قاتل شرم في اكرامته في ذلك شاكير من اكرامته
المشاك والاسلو على نوح المشايير وامتنوا الدير وكرامته من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم
على عا ل قاتل من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم
معنوي من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم
عزامة اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم
المشايير من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم
ايه لاني مع الكلاب من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم
الدير من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم
نهم ويا شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم
مقصود من كل قاتل من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم
اهل السلا من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم
والفيل والشمس من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم من اكرامته في شرم

كتاب السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن

لعامل سلا محبوبة في شأن الإعانة

ولا شك أنه تعالى يخلف لهم ما يبذلونه، وينيلهم بإيثارهم وحسن قصدهم كل ما يأملونه، ولم نحد لهم فى ذلك حدا لأن المراد أن يعطى كل واحد على قدر حاله من غير إدخال حرج عليهم فى ذلك ولا مشقة ومن كان فى خدمة، وظهر عليه أثر النعمة، فهو أولى بالصبر والقيام، وإظهار شكر المنعم سبحانه على الإنعام، والسلام فى ٢٥ شعبان الأبرك عام ١٢٧٧هـ.

ونص ما خاطب به أهل فاس:

«الحمد لله الذى لا يضيع عمل عامل، ولا يخيب فى فضله العميم أمل، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد أصدق قائل، وقائد الخلق إلى ما فيه السعادة الأبدية فى عاجل وآجل، وملجئهم المنيع الذى يأوون إليه عند كل أمر هائل، وعلى آله وصحبه، وعترته وحزبه.

أبناء عمنا الشرفاء، وخدامنا أهل فاس أخص منهم العلماء، والأعيان والعرفاء، أنجح الله فى مرضاته أعمالكم، وبلغكم من فضله آمالكم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، ومرضاته وتحياته.

أما بعد: فغير خاف عليكم أن الكافر جنح لسلم المسلمين بسبب جهادهم، وتقلصت أطماعه بامتداد ظلال إمدادهم، فسالناه، عملا بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ...﴾ [سورة الأنفال: آية ٦١]، وللصلح فصالحناه، عملا بما نص عليه الأئمة، ومصاييح الأئمة، من جواز الصلح لمصلحة وإن عن مال ريثما يستعد المسلمون ويرجعون لأحسن أحوالهم، ويسفر الحزم والعزم عن وجه جمالهم، ارتكابا لأخف الضررين، وأخذاً بأيسر الأمرين.

وما برحنا من يومئذ نحالف الأسا، وتندارس فى جمل أمور الكافر باب لعل وعسى، فتارة نستفتح وجوه الصبر وهى جميلة، وتعلل بما نرجوه من النصر

فى مدة قرية قليلة، وتارة نفوض الأمر إلى من بيده الألفاف العجائب، ونغد المسلمين من الدعاء بأعظم الكتائب، حتى رأيناه كاد أن يجمع فى ميدان الجسارة هواه، ويعود إلى غدره وخداعه ومكره لينال من مراده ما كان نواه، فتَلَوْنَا عند ذلك: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ...﴾ [سورة الأنفال: آية ٦٢] وتعين علينا أن نعلم المسلمين بأمره قبل أن تدب عقاربه، وتعم مصائبه، خصوصا من كان فى الأقطار البعيدة ليأخذوا فى الأهبة والاستعداد، للتقدم للجهاد، إن حققوا غدر الكافر من غير توقف على استنفار، وهذا الغرض لا يحصل على التمام إلا بمشاركة منكم فى هذا الأمر تسوغه، وإعانة عليه بالأنفس من ذوى الفضل والدين تؤديه وتبلغه، وأخذكم فيه بالسهم الأكبر، والخط الأوفر، لأنكم معشر أهل هذه البلاد التى لا يعد فضلها ولا يحصى، قدوة لأهل هذا المغرب الأقصى، فبكم يقتدون، وبهديكم يهتدون، ومثلكم لا تفرح له العصا، ولا ينه بطرق الحصا، فقوموا لهذا الأمر قيام أمثالكم، واجعلوه من خير أعمالكم، وكونوا عند الظن بكم فى هذا الأمر لأنه بكل خير كفى، وظننا بكم جميل، وافرضوا له عددا معتبرا، وادخروه ليوم تجد فيه كل نفس ما عملت من خير محضرا، وأهل الدين والفضل منكم بهذا الأمر أولى، إذ هم لما خصهم الله به من مزيد الدين والغيرة على المسلمين أجل وأعلى، ونحن نحقق أنكم لم يلذ لكم شراب ولا طعام، منذ استولى عبدة الأصنام، على بلاد أهل الإسلام.

واعلموا أنا على نية النهوض لمكناسة إن شاء الله عن قريب، مستنصرين بالسميع المجيب، مستشفعين بالحبيب ﷺ، ومجد وعظم، فى كشف هذه الغمة، عن هذه الأمة، ومنتظرين ما يجيب به الكافر عما أمرنا أن يخاطب به من جانبنا العالى بالله عما شدد من الاقتضاء، فإن سالنا سالمناه، وكان أجرا وأجركم فى الاستعداد على الله، وإن أراد حربنا حاربناه بحول الله.

ولم نرد أن نستعجل المجاهدين منكم بالنهوض صحبة ركبنا، بل أردنا تأخيركم رفقا بكم لتستعدوا على سعة وتلحقوا بنا، وإن طيرنا الخبر بنكت الكافر لكم، هذا وقد ندبنا القبائل كافة، للاستعداد للجهاد ليقاتلوا المشركين كافة، كما يقاتلون المسلمين كافة. وحذرناهم مما تقدم من التساهل في أمر الكفار، وأرشدناهم إلى سلوك طريق الجدد التي سلكها في الجهاد من قبلهم من الأخيار، ليفوزوا من العز الدنيوى والأخروى بما فازوا به، ويحرزوا ما أحرزوه من اتباع ما نص عليه الشارع فى ذلك ويتمسكوا بسببه، فنسأل الله العظيم، بجاه رسوله المصطفى الكريم، أن يوفقنا وإياهم، ويبيض يوم تبيض الوجوه محياكم ومحياهم، آمين والسلام فى ٢٤ شوال الأبرك عام ١٢٧٧هـ.

ونص ما خاطب به قبيلة بنى ليث:

«خدامنا الأمجاد قبيلة بنى ليث وفقكم الله وأعانكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد فإن جنس الصبنيول ضيق فى اقتضاء المال المعقود عليه الصلح معه ولم يقصر فى التضييق، وجعل للاقتضاء أجلا ضيقا لا يمكن فيه حتى دفع بعض البعض من المال، ولما رأينا منه ذلك وجوزنا أن يصدر منه نقض للصلح، أعلمنا المسلمين بهذه النواحي بما آل إليه الأمر معه ليكونوا على أهبة واستعداد لمقابلته بحول الله وقوته إن سبق منه نقض وحل لما أبرمناه معه، وتعين إعلامكم بذلك لتكونوا على أهبة واستعداد له إن حل عقد الصلح، وأما إن جعل مسلكه وبقي على ما عقدناه معه فإننا لا ننقضه فكونوا عند الظن بكم، واشتروا بمقابلته مرضاة ربكم، وقابلوه مقابلة يرضاها الله تعالى ورسوله ﷺ ريثما ترد عليكم قبائل هذه الجهة، فإنها ميسرة موجودة، وإياكم أن تمدوا له يداً أو تحركوا معه ساكنا ما دام باقيا على الصلح والسلام فى ١٠ شوال عام ١٢٧٧هـ.

ومثله حرفيا لقبيلة بنى سعيد كافة.

هذا وفى أثناء ما تقدم ورد أبو زيد عبد الرحمن بن المولى أبى الربيع السلطان السابق سليمان من سجداسة يريد الوثوب على الملك الذى كان لأبيه باستدعاء بعض أمراء البيت الملوكى بفاس ومكناس وبعض رؤساء الجيش البخارى وآيت أدراسن له، ولما وصل لفاس هم بحصارها ولكنه لم يظفر بشىء بوقوف الوزير الصدر أبى عبد الله محمد العربى الجامعى - وكان يومئذ على شراكة - فى وجهه برجال قبيله وأحلافهم من شراكة وغيرهم، فصدوه حتى رجع على عقبه رغما على من أجلب بهم من البربر أهل فازار الذين واعدوه النصرة والإعانة على شأنه، وبقي يتردد بنواحى جبل العياشى إلى أن اضمحل أمره، وقد عثرت له على رسائل كان يبعثها لبعض كبار الدولة يدعوهم فيها للدخول فى حزبه، والانضمام إلى سربه، فمن ذلك ما كتبه للوزير أبى عبد الله الصفار يدعو لإقامة بيعته وقد ختم الكتاب بطابعه من أعلى، وألحق به إلخاقا بخطه من أسفل ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله «عبد الرحمن بن سليمان غفر الله له»:

«محبنا الفقيه السيد محمد الصفار السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فاعلم أننا سمعنا ما وقع بين محروسة فاس ومكناسة من النهب وأكل العزائب وسبى الأموال وشن الغارات وغير ذلك من الأمور العظام، فعلمنا أن ذلك يستحيل وقوعه بوجود الأمير، فتعين علينا القدوم لندرى ما سبب ذلك قبل تفاقم الواقع، واتساع الخرق على الواقع، ولما لم يتحقق فوته وجهنا ولدنا مولاي الكبير^(١) أصلحه الله للفحص عن الأمور بتلك النواحى، ولم نكاتبك معه

(١) فى هامش المطبوع: «اسمه سليمان وقد جرت العادة أخيرا فى العائلة المالكة أن من كان اسمه من البيت السليمانى سليمان لا يقولون له إلا مولاي الكبير وفى البيت الهشامى لا يخاطبون من اسمه عبد الرحمن إلا بسيدى الكبير ومن اسمه محمد يطلقون عليه سمدى سيدى ومن اسمه حسن يقولون له سمدى سيدى حسن تعظيماً وإجلال وإكباراً ومن ثم يشكل على من لا معرفة له بهذا الاصطلاح مخاطبة بعض الناس لى بعبد الرحمن والبعض بالكبير هـ. مؤلف.»

لعدم تحقق الأمر، فلما نعى به كاتبكم وبعده تقدموا بحول الله وقوته عليه تأهب ملاقاتنا، ولإقامة بيعتنا، وأعجل فى ذلك، فالسابق يفوز، وعجلت إليك رب لترضى.

وكنا أمرنا ولدنا حفظه الله بدخول مكناسة إن حقق الأمر حرصا على جمع كلمة المسلمين، واستقصاء فى الأعذار لقطع حجج الملحدين، وإنذارا لمن أراد الحق واتبعه، وإن وصلنا بلد صفرو، نأمركم بالقدوم علينا فيه فالحزم الحزم، فأنتم أولى بذلك والله يعين الجميع بمنه آمين والسلام فى ٦ من صفر الخير عام ٧٦ عبد الرحمن بن سليمان لطف الله به آمين وبأتمه نسلم على ابن الفقيه السيد إدريس بن محبنا المرحوم السيد محمد بن إدريس.

ونص آخر كتبه لما وصل صفرو للعربى الجامعى المذكور وشراكة وأولاد جامع يدعوهم لطاعته بعد الحمدلة والهيللة والطابع:

«خالنا الأوضى الفقيه السيد العربى بن المختار وكافة أحوالنا اشركة وأولاد جامع خصوصا وعموما أصلحكم الله ورعاكم وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد: فقد حللنا بصفرو، بقصد درء المفاصد وإطفاء نار الفتنة وهذه نحو الثمانية أيام، ونحن مجدين فى إصلاح هذه النواحي حتى أصلحنا بين البرابر واجتمعت كلمتهم على أن لا يقربوا ساحة الفساد ويكونوا عند الأمر والنهى.

والآن إن أردتم أن تتبعوا سبيلهم وتتعاونوا على البر والتقوى فذاك، وإلا فكل واحد لا يلوم إلا نفسه، وما حملنا على هذا إلا أننا رأينا الفساد شاع فى الأرض، وكثر نهب المساكين وأكل أموال الناس بالباطل، ولا ذاب يذب عنهم، وحينئذ تعين علينا القيام، حسبة لله الملك العلام، وأنتم والحمد لله اختاركم الله وجعلكم جيش الإسلام، فنحبكم أن تكونوا فى إعانتنا، وإن لم يظهر لكم الاتباع

فإننا نكف لساننا وأيدينا، وتروا الفساد الذى يقع من أهله، ويكفينا ثوابا وأجرا أننا أصلحنا هذه الطريق التى كانت شائعة الفساد من هنا إلى سجلماسة، فمن أراد اليوم بها المرور فليمر ولا يضيع له بحول الله وقوته قلامة ظفر، وقد حسمنا مادة الفساد قبل أن يتسع الخرق على الراقع، فكونوا فى إعانتنا لأنكم أخوانا وخدامنا بارك الله فيك والسلام فى ١٢ صفر الخير عام ١٢٧٦هـ.

وقد أسلفنا فى الترجمة الحسنية بعض أخباره وأخبار ولده المولى سليمان المدعو الكبير الذى خرج على مولاى الحسن لأول ولايته.

ثم فى عام سبعة وسبعين كانت فتنة الدجال المارق الجلالى الغرباوى المعروف فى لسان العامة بالروكى، وهو من عرب سفيان كان له رأى من الجن أو معرفة بضرب من السحر، فتن العامة بذلك فتنة عظيمة، اهتزت لها الأرض وربت، وكان المترجم يومئذ برباط الفتح، ثم لما أراد الله فضيحة هذا الفتان وإبطال سحره وشعوذته، هبأه للتوجه للزاوية الإدريسية من زرهون، فدخلها يوم الجمعة والناس فى الصلاة وقصد الضريح الإدريسى وبقته كان مكثه أولا ربما طلع لمنازه للإشراف على البلد، وشاع عنه ادعاء النسبة الإدريسية، ولأجل ذلك مع احترامه بالضريح المذكور كان يتعصب له بعض من لا يؤبه له من بلد الشرفاء الأدارسة.

وكان العلويون القاطنون هنالك على الضد من ذلك يريدون الإسراع بالفتك به ويتحينون الفرصة الموصلة لهم إليه خشية تفلته، وكانت تحدث بين الفريقين فى ذلك خصومات ومنازعات أفضت إلى إخراج الفتان من قبة الضريح وإدخاله للقوس الذى كان باب مدارج الضريح المذكور وإغلاقه عليه خشية الفتك به، ريثما ينظر السلطان فى أمره، فاحتال الشريف أبو العباس أحمد بن المأمون العلوى الإسماعيلى أحد سكان الزاوية المذكورة بأن أتى متجردا فى قميص غير متمنطق ولا لابس لرداء إظهارا لكونه غير حامل لسلح، وطلب أن ينظر حال المتدجل فى

محبيه هناك وعضده إخوته وأهل عصيته، فلم يسع حرسه إلا مساعدته، ففتح له فدخل وأسرع بالغلق عليه لئلا يضاف إليه غيره، فلم تمض عليه هنيئة هنالك حتى شاهد الحرس وغيرهم الدم خارجا على باب القوس ففتحوه، فوجدوا الشريف المذكور فتك بالمتنرد أجهز عليه بمدية صغيرة كان خبأها فى عمامته، فأسرع العامة إلى جثته فأخرجوها مجرورة إلى آخر أبواب الضريح وحزوا رأسه، وهياؤا وفدا للذهاب به للمترجم للرباط، وجرت جثته إلى باب الحجر أحد أبواب الزاوية وعلقت هنالك عظة وذكرى لكل باغ، وبقيت معلقة مدة، وإليك نص ما كتب به المترجم فى ذلك بعد المقدمات :

«وبعد فإن فتانا من سفيان مرق من الدين، وفتن بأمور شيطنته من اغتر به من المسلمين، وجمع عليه أوباشا من أمثاله، وأضرابه وأشكاله، وتقدم بهم لدار خديمتنا ابن عودة فقاتلوه، ثم تقدم بهم للشراردة فقاتلوه، ثم تقدم بهم لزاوية مولانا إدريس فقاتلوه قتالا يرضى الله ورسوله ولم يحصل لهم من قتاله ضجر، ثم قبضوا عليه وقتلوه وعلقوه بباب الزاوية المسمى بباب الحجر، وأغلقوا الأبواب بعد ذلك على من دخل معه من أتباعه، وأنصاره وأشياعه، فقبضوا عليهم وجعلوهم فى السلاسل والأغلال.

ونحن على نية إقامة الحد عليهم إن شاء الله تعالى جزاء وفاقا على ما ارتكبه من الفساد وقبيح الأعمال، وما كان منهم حينئذ خارجا عن الباب تختطفه الأيدى، وجنوا إثما وما سعوا فيه من البغى والتعدى وقطع دابر جمعهم فالحمد لله حق حمده، وما كل نعمة إلا من عنده، وأعلمناكم لتكونوا على بصيرة، إذ ربما يبلغ المرجفون على عادتهم النازلة على غير وجهها والسلام فى ثامن عشر شعبان المعظم عام ثمانية وسبعين ومائة وألف».

وفى مدة مقام المترجم بمكناس للنظر فى شئون محاربة الإصبان ثار الرحامنة بالحوز، وتحزبوا على تفريق الكلمة وتوطيد عرى التهافت على أكل أموال الناس بالباطل، فشنوا الغارة على سوق مراكش ونهبوه وسلبوا المارة وعتوا فى السابلة، ولم يتركوا بابا من أبواب التعدى والإفساد إلا وطرقوه، فاشتد الأمر وضاق النطاق، وارتفعت بسبب ذلك الأسعار والناس بين نارين بل نيران، نار فتنة الإصبان ونار فتنة الروكى وفتنة المفسدين من الرحامنة.

ولما أطفأ الله تلك النيران نهض المترجم لزجر المتمردين المذكورين، ولما علموا بذلك أجمعوا أمرهم بينهم وصمموا على محاربته، ولكن لم تغن عنهم تحزباتهم من سطوة الله شيئا، فأذاقهم أليم النكال جزاء على ما أجرموا ووجههم لسجون مراكش مقرنين فى الأصفاد، وبعد أن أوقع بهم كتب لأخيه المولى الرشيد بما نصه :

«الحمد لله الذى تدارك الأمة باللطف الكفيل بتمهيد أقطارها، وتيسير أوطارها، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الذين نصرنا الدين بالصفاح والأسنة، وأوضحوا أحكام السنة، أخانا الأعز الأرضى مولاي الرشيد أصلحك الله وأعانك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنه لما تواترت الأنباء المحققة بعد التباسها، وتواردت الأخبار التى يغنى نصها عن قياسها، بما ارتكبه ظالموا أنفسهم الرحامنة، من أنواع الفساد التى أذاعوها، وأظهروها وأشاعوها، وقد كانت فى صدورهم كامنة، صرفنا الوجهة إليهم، وطوينا المراحل من أجلهم.

ولما حللنا ببلادهم أرسلنا عليهم سيل العرم من العساكر المنصورة، والجيش الموفورة، فما كان غير بعيد حتى أتوا منهم برءوس كثيرة محمولة على أسنة الرماح، وأسارى من مقاتلتهم مجردين من الثياب والسلاح، ومن نجا منهم رجع

مجردا إلا من خيبة سعيه، وما سقى إلا بكأس بغيه، واستولت العساكر والأجناد، على جميع ما كان من أهل الفساد.

ومن المعلوم أن من سل سيف البغى يعود إلى نحره، ومن ركب متن... يغرق في بحر، وأن الفتنة نار تحرق من أوقدها، والمخالفة صفقة تعود بالخسارة على من عقدها.

ولما أردنا معاودتهم لقطع دابرهم. وتشتيت ما بقى من رماد أثرهم، تعلقوا بالمرابطين من ذوى الوجاهات، وأكثروا من الذبائح على المحال وتوجيه العارات، وقاموا بواجب السمع والطاعة، فى كل ما أمرناهم به جهد الاستطاعة، فأبقينا عليهم وإن عادت العقرب عدنا بحول الله لها وكانت النعل لها حاضرة.

فالحمد لله الذى خيب آمالهم، وأبطل أعمالهم، وأركد إعصارهم، وخذل أنصارهم، لما أعمى أبصارهم، وردهم ناكسين على الأعقاب، بعد سلب الأموال وقطع الرقاب.

ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب، ونعوذ بالله من الآراء المعكوسة، والحظوظ المنكوسة، وسوء الفعل الذى يورد المهالك، والحرمان الذى يجعل البصير كالأعمى فى دجنة الليل الخالك.

هذا ويصلكم ما قطع من رءوس قتلاهم لتعلق بباب المدينة ويعتبر بها المعتبرون، ويتذكر بها المتذكرون، والله أسأل أن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، وأن يكون لنا وللمسلمين بما كان لأوليائه، وأحبائه وأصفيائه، وأن يوفقنا وإياهم لما يحبه ويرضاه ويختم للجميع بخير والسلام فى ذى الحجة الحرام عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف».

وفى سنة ثمانين ومائتين وألف كانت هذة البارود بجامع الفنا من مراكش بسبب نار وقعت فى خزين مملوء بارودا، فهدت بسبب ذلك دور وتلفت نفوس، وعظم البوس.

وفى سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف كمل بناء القصر المحمدى الذى أنشأه بالثغر الرباطى، واستدعى لوكيرته علماء العدوتين سَلا، والرباط خصص لكل يوماً، فختموا فيه صحيح البخارى وشفاء القاضى عياض.

قال صاحب الاستقصا: فدخلنا من جملتهم وتقصينا منازلها ومقاعدها فرأينا ما ملأ أبصارنا حسنا وإتقانا وعجيب صنعة هـ وفيها ظهر بآنكاد الفتان بوعزى الهبرى المتقدم ذكره فى الترجمة الحسنية.

وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف كانت سفارة أبى عبد الله محمد بن عبد الكريم الشرقى والباشا أبى عبد الله محمد بن سعيد السلوى لباريس كما سيمر بك، وفى شوال منها اعترى السلطان مرض شديد حتى أشاع المرجفون فى الأرض موته فشبت الأهوال، واضطربت الأحوال، ولكن الله سلم وفيها كتب لبعض خدامه بما نصه:

«خديمتنا الأرضى الحاج قاسم حصار وفقك اله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بوصول أبان بيع مستفادات الرباط، ونبهت على العربى بوعياذ والعدلانى اللذين يكثران اللغظ فى أمر المبيعات ويدعيان الخسارة آخرا ولو ربحا، وأشرت بالكتب للأمناء بعدم قبول زيادتهما، فقد كتبنا لهم فى ذلك وحذرناهم منهما والسلام ٢٤ صفر عام ١٢٨٢».

وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف ظهر بالمغرب جراد منتشر أكل النجم والشجر وباض وأنتج.

وفى سنة أربع وثمانين ومائتين وألف وقع بالمغرب غلاء مفرط أرخ الناس

به .

وفى سنة خمس وثمانين ومائتين وألف عم الوباء، وفيها صدر أمر المترجم بضرب الدرهم الشرعى وأن لا يذكر فى عقد ولا معاملة غيره وشدد فى ذلك وأوعد.

فمن ذلك ما كتب به فى الإعلان بذلك ونصه :

«وبعد فإن أمر السكة من الأمور الواجبة المتعين رد البال إليها والاهتمام بشأنها، والنظر فيما يصدر سببها، من النفع والضرر للمسلمين وبيت ما لهم، وقد كان أسلافنا رحمهم الله اعتنوا كثيرا بشأنها وبضبط مصالحها ودفع مفاسدها وجعلوها على قدر شرعى معلوم لضبط أمرها والتبرك بتلك النسبة، إذ بذلك يعلم المسلم علم يقين كمال النصاب عنده، فتجب عليه فيه الزكاة التى هى من دعائم الإسلام أو عدم كماله، فلا يكون مخاطبا فيه بشىء .

ولما رأينا ما حدث فيها من التغير وعدم الضبط ونشأ عن ذلك من الضرر للمسلمين وبيت مالهم ما لم يخف على أحد، اقتضى نظرنا السديد ردها لأصلها الأصيل، الذى أسسه أسلافنا الكرام سنة ثمانين ومائة وألف، إذ لنا فيهم أسوة حسنة على الإجمال والتفصيل، فرددنا الدرهم الكبير المسكوك على وزن الدرهم الشرعى، والمنهاج المرعى، كما كان على عهد جدنا سيدى الكبير قدسه الله، وجدد عليه وأبل رحماء، بحيث تكون عشرة دراهم منه هى المثقال، كما هو معلوم أن عشرة دراهم من الدراهم التى كانت تروج قبل على عهد أسلافنا رحمهم الله هى المثقال، وبهذا العدد الذى هو عشرة منه فى المثقال تكون جميع المعاملات والمخلطات فى البيع والابتاع وغيرهما بين جميع رعيتنا السعيدة فى كل البوادرى والخواضر .

وبه أمرنا جميع العمال، ومن هو مكلف بعمل من الأعمال، وإشاعته ليبلغ الشاهد الغائب وبه يقبل بجانب بيت المال، وأمرناهم بالعمل بهذا الأمر الذى أصدرناه، وأبرمناه بحول الله وأمضيانه، وأن يعاقبوا كل من عثروا عليه ارتكب خلاف ذلك، وبأن يسلكوا به أضيق المسالك، جزاء وفاقا على مخالفته، وتعيده الحد وافتياته.

نعم ما سلف من المعاملات بجميع أنواعها فيما تقدم قبل تاريخ هذا الكتاب فحكمه حكم ما تقدم فى السكة، فلا يكلف أحد بزيادة ومن كان بذمته شىء فيما سلف يؤديه بحساب ما كانت تروج به السكة فى الريال والدرهم، والعمل بهذا الذى أمرنا به هو من الآن لما يستقبل إن شاء الله، وبهذا يزول الإشكال فيما تقدم بين الناس فى المعاملات، ونسأل الله أن يخلص العمل فى سبيله ومرضاته، ويجازى من فضله وكرمه على قصده وصالح نياته، والسلام فى شوال عام ١٢٨٥هـ.

وفيهما كتب للنائب بركاش بما نصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك مجددا فيه الإعلام بنازلة الفاسد عيسى ورفيقه وما كتب به لأهل تطوان من التخويف والتهديد إن لم يخرجوا العامل منها، وما نشأ عن ذلك من الفتنة والهرج والترويع، حتى دار بينك وبين نواب الأجناس بسبب ذلك ما سطرته زيادة على ما قدمت الإعلام به، وأشاروا بتوجيه رجل عاقل حازم وعدد من الخيل بكتاب شريف لأهل تطوان وجيرانهم بما يحملهم على القيام على ساق الجلد فى حسم مادة فساد هذين الفاسدين، وأكدت فى ذلك لما أشرت إليه ورأيت من حال نواب الأجناس، فها نحن نعين من يتوجه لحسم هذه المادة بحول الله وقوته وهو واصل فى الإثر إن شاء الله، وهو الذى يياشر هذا الأمر أولا ويرجع للوقوف على نازلة جرش إن شاء الله والسلام فى ٢٨ محرم عام ١٢٨٥هـ.

وفيهما كتب لبعض قواده على البربر بما نصه :

«خديمنا الأرضى القائد محمد بن محمد بن أحمد الشبلى وعزيز، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بما دار بينك وبين وصيفنا الطالب إدريس بن المكى وما آل إليه الأمر من الصلح والمهانة ورجوع كل لمحله، كما علمنا ما ذكرته من انحياش القبيلة إليك واجتماعها عليك بسبب ما وقع من البارود حتى من كان فارا منهم بالجبال أو نازلا بالقبائل، وأنهم لما رجعوا للقبيلة أعطوا مساجينهم كما فعل إخوانهم .

وذكرت أنك غير مقصر وتباشر الأمر برفق ولين مهما أمكنتك فرصة تنتهزها حتى لا يكون إلا ما تحمد عاقبته إن شاء الله .

وأخبرت أنك بصدد التهيؤ للعيد معنا وصار كل ذلك بالبال، إلا أن آيت ولال لا زالوا على فسادهم، فلا بدّ اشدّد الوطأة عليهم حتى تقضى الغرض فيهم بحول الله وقوته والسلام فى ٢٤ قعدة عام ١٢٨٥» .

وفى سنة سبع وثمانين كتب لبعض قواده بما نصه :

«خديمنا الأرضى القائد الغزوانى الموسوى، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد: فنأمرك بالتهيؤ للنهوض للحركة السعيدة بجميع خيل إخوانك الصحيحة كلها إن شاء الله، وعجل بها عزمنا ليجدكم العيد متأهبين، ويكون عيداً وحركة بحول الله وقوته، والعزم له بركة، وحين ننهض بحول الله تكون ملاقاتكم لنا بوادى أم الربيع، وسنعين لكم المشرع الذى يكون عليه عبورنا إن شاء الله تعالى والسلام فى ١٣ من صفر الخير عام ١٢٨٧» .

وفى سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف وقع بأكدير ما وقفت عليه فى نسخة من كتاب لعله صدر من مولاي الحسن لبعض عمال أبيه المترجم ونصه:

«وبعد: فبعد ما كتبنا لك بما أخبر به وصيف سيدنا بوتيش من ورود الفاسد الحسن انكرين مع مسكينة لأكدير وإرادتهم الدخول له والاستقرار فيه بقصد الفساد والإفساد، ومضاربة سكانه وجسمية معهم حتى منعوهم من الدخول له أعاد الفاسد المذكور غر مسكينة وأغراهم، وزين لهم ما يعود عليهم وباله فى دنياهم وأخراهم، وصاروا معه إخوانا، وعلى الشر أعوانا، ونهبوا جميع مواشى أهل أكدير وزاوية أبى القناديل ونازلوهم وحاصروهم وشدوا عليهم الطرقات والمسالك، حتى إنهم لا يجدون ما يقتاتون به وعزموا على الرحيل منه لأجل ذلك.

وعليه فبوصوله إليك شمر عن ساعد الجذ فى ترويع سربهم، وتشتيت حزبهم، وحذرهم من شؤم عاقبة ما تصدوا لارتكابه ووخيم مآله، واسترع عليهم بأن أكدير إنما هو زاوية وسطهم فيها عدة المخزن وبيت ماله، وأهله لا يقدرين على الكر ولا الفر، وإن غرم ما فيه أن نهب إليهم يئول وعليهم يقصر، ولا يسامحون منه فى قلامة، ويلامون ويؤاخذون عليه أشد مؤاخذه وملامة، ومرهم برد ما أخذوه لسكانه ولأهل الزاوية المذكورة، إن أرادوا لنفسهم السلامة.

وقد وجهنا حامله ابن عمنا مولاي المهدي والطالب عبد المالك الرذننى للوقوف مع من توجهه من قبلك على تشتيت عشهم وتفريق جموعهم ورد ما أخذوه لأربابه، والإشهاد على كل منهم بتوصله به، وإن حاز أحدهم شيئاً مما نهب له ولم يشهد عليه فإننا لا نسلم رده إليه.

وقد كتبنا لخدم سيدنا الدوبلالي بمثل هذا فى شأن حاحا، فامض على ما أمرناك به وأنذر كبراء مسكينة وأعيانهم وسلهم هل صدر ذلك من رعاتهم بموافقتهم وإشارتهم أم لا، وما موجب سكوتهم إن لم يكونوا موافقين عليه، وهل

أيقنوا السلامة من المؤاخذة به كلا والله إن المصيبة لتعم، وكم من قوم هلكوا بسفهائهم، فليستيقظوا ويتداركوا ويتلافوا هذا الخرق، ولقد أعذر من أنذر، اللهم هل بلغت، ألهمهم اللهم رشدهم والسلام فى ٢٧ ذى القعدة الحرام عام ١٢٨٨هـ .

وفى سنة تسع وثمانين أوقع بينى موسى من تادلا لخروجهم عن طاعة عاملهم .

كما وقفت على نسخة من ظهر تدل على أنه وجه فى السنة محللة للتسول للقضاء على فتنهم ونص ذلك :

«وبعد فإن قبيلة الدسول طالما جمحوا فى ميدان الجسارة والطغيان، واتبعوا سبيل الشيطان، واشتغلوا عن أداء ما تعلق بذمهم من الواجبات والحقوق، والسلوك فيها مسلك العقوق، وارتكبوا من إذاية جيرانهم مركبا صعبا، وساموهم بأسا وحربا، وكثرت بهم الشكايات إلى على بابنا، وشرح مساوئهم لشريف جنابنا، فأمرنا بإنذارهم وتذكيرهم، وتخويفهم من سطوة الله التى هى لكل ظالم بالمرصاد وتحذيرهم، وأعذرنا لهم رحمة بصيانتهم وضعفائهم وإشفاقا، وطلبا للهداية وإرفاقا .

فلما لم ينجح معهم عمل، وغرهم الإمهال والأمل، ولم يرد الله بهم خيرا لفساد نيتهم، وخبت طويتهم، وتعين زجرهم وقمعهم، وحملهم على الواضحة وردعهم، أمرنا المحلة السعيدة النازلة عليهم بالأخذ بمخنقهم وحصرهم، والتنكيل بهم والتضييق، والزحف إليهم وضربهم والمبالغة فى النهب والتحريق، فرجعت إليهم العساكر المنصورة، التى لم تزل ولا تزال بحول الله ألوية الفتح أمامها منشورة، وأحدثت بهم من كل جهة، وناوشتهم القتال من كل جهة، واقتحموا عليهم الأوعار، والنجود والأغوار، ودخلوا عليهم فى أعز أماكنهم، ولم يقصروا من تحريق مداشرهم، وبقوا فى أيديهم بين قتيل وأسير، وجريح وكسير، وقطعت

منهم رءوس، وأُتلفت مهج ونفوس، وشفى الله منهم داء، وأخذهم أشد ما كانوا اعتدادا واعتداء، سنة الله فى كل من طغى وبغى وحاد، عن سبيل الهدى والرشاد، وكل ذلك بقوة الله وحوله، وفضله السابغ وطوله، فله الحمد حق حمده، ولا نعمة إلا من عنده.

وأعلمناكم لتأخذوا حظكم من الفرح بما منح الله سبحانه من النصر العزيز، والظفر الذى له فى الأقطار دوى وأزيز، ليعتبر بما وقع بهم المعتبرون، ويتذكر به المتذكرون، والسلام فى متم محرم الحرام ١٢٨٧هـ.

وفى سنة تسعين كانت جائحة النار بكثير من بلاد المغرب اجتاحت فيها خلق وضاعت أموال.

هذا وكانت أيام المترجم فى أولها أيام شدة وأهوال، ثم تبدل عسرهما باليسر واتسع الحال، وكثر البذخ وعمت الخيرات وانتشرت العلوم والمعارف بين طبقات رعيته، بسبب ما اختص به من الشغف بذلك حتى صارت أيامه مثلاً مضروباً بين الناس.

علائقه السياسية

من الضروري أن العلائق السياسية هى أصل الدفاع الحى ومركزه الأساسى، وقد وقفت للمترجم من ذلك على ظهائر ووثائق مهمة تنبئ عما وراءها فمن علائقه:

مع الدولة الإصبانية

معاهدة حدود مليلية المنعقدة بين النائب السلطانى السيد محمد فتح الخطيب التطوانى والدون «خوان بلنكودى الباليا» فى تطوان يوم ٢٤ غشت سنة ١٨٥٩ الموافق ٢٤ محرم سنة ١٢٧٦ (أى قبيل بيعة المترجم بأيام) حسبما وقفت على ذلك

بخط ترجمان سفارة إصبانية بطنجة، وسيأتى ذكرها فى المعاهدات الآتية بعد كما أنه تقدم ذكرها فى معاهد سنة ١٣٠٨ المذكورة فى الترجمة الحسنية.

ومن ذلك عقد المهادنة الواقعة عقب الوقائع الحربية المتقدمة الذكر وتعرف عند الإصبان بمعاهدة ٢٦ إبريل سنة ١٨٦٠ على ما يأتى فى الاتفاقيات الأخرى الموافق رابع شوال سنة ١٢٧٦ كما بخط الترجمان المذكور، وتشتمل عن مواد وشروط هذا مضمونها على ما عند صاحب الحلل البهية، فى ذكر ملوك الدولة العلوية:

الأول: خروج الإصبان من تطوان وتسليمها مع ما والاها من الأرض ويدفع لهم السلطان عشرين مليوناً من الريال.

الثانى: يزداد للإصبان شئ يسير فى المحدة على سبيل التوسعة.

الثالث: تعيين جمعية من الجانبين للوقوف على الحدود عند الاحتياج لإصلاحها.

الرابع: أن يعين السلطان عاملاً بمليية وسبته لمداومة المهادنة.

الخامس: أن يبنى الإصبان تحصينات على الحدود كيف شاءوا.

السادس: أن يلتزم السلطان بالإنعام على الإصبان بأرض تكفى للصيد والقنص بها على ساحل البحر المحيط (سنط كروز الصغرى) ليصطادوا بها وتعيّنها جماعة من الجانبين بحدها المتفق عليه^(١).

(١) فى هامش المطبوع: «تأخر البت فى أمر هذه الأرض إلى عهد مولاي الحسن وكانت إسبانيا تطالب بتنفيذ هذه المادة فيطلب منها التأخير إلى أن كتب للنائب بركاش بأن كويدر الرجيلة هو المراد بسانط كروز وليس هو يفنى ونظرا لاتصال الدولتين ومحبتهما من قديم حتى أن جده مولاي عبد الرحمن آثر بالحجرة ووالده المترجم أنعم بكويدر الرجيلة فإن لها أن تبنى محلا لصيادة الحوت يفنى على وجه الخير والإحسان لا على وجه الشرط=

السابع: المساعدة على تأسيس بناء دار للفرايلية (القسيسين) بفاس وغيرها من البلاد التى يريدونها.

الثامن: إعطاء قطعة من الأرض بساحة القنصلية بتطوان لبناء^(١) كنيسة بها قرب القنصلية.

التاسع: التزام توقيير وتعظيم سكان ديار الرهبان والقسيسين فى المصارفة.

العاشر: عقد وفق تجارى وإجراء رعية إصبانية على القواعد التى يجرى عليها غيرهم من الدول الحائزين لتصرف الامتياز.

الحادى عشر: إذا تحرر الوفق التجارى فإنه لا ينتقض مبرم الشروط المذكورة.

=لأن «محالنا محالها ومحالها محالنا» فحيثذ وجه النائب المذكور كتابا بذلك لسفير الإصبان هذه نسخته:

«وبعد فقد أخبر المعينون من قبل سيدنا أعزه الله للبحث عن السنط كروز ادرماريكيا المتوجهون مع المعينين من قبل دولة إصبانيا الفخيمة أنهم بحثوا فى تلك المحال وذكر المعينون من قبل إصبانيا أن أفنى هو اللائق لهم مع كونه ليس هو بالسنط كروز حقيقة والسنط كروز المحققة هى كويدر الرحيلة من غير شك ولا احتمال، وأما أفنى فليس هو السنط كروز من غير شك ولا احتمال كما كان قرره السيد عبد السلام السويسى، حيث كان توجه سفيراً لدولة إصبانيا فى شأن ذلك ولم تقع معارضة فيه لكن من حيث مراد حضرة السلطان مولاي الحسن إظهار شهيته فى حفظ المخالطة الحسنة الحبية وازديادها مع حضرة السلطان ضن الفنس فلا يقع تردد فى تحقيق السنط كروز ويساعد أيده الله لأن يجعل فى أفنى المحل لصيادة الحوت المذكور فى الشرط الثامن من شروط الصلح على مقتضى ما هو مذكور فى الفصل المذكور فلا شك عندنا أن دولة إصبانيا ستقدر هذا السلوك الحسن الحبى الصادر من الحضرة الشريفة لنحوها حق قدره والسلام فى ١٨ حجة ١٣٠٠».

(١) فى هامش المطبوع: «وقد بنيت بالفدان منها».

الثانى عشر: لا يمنع الإصبان من وسق الخشب من مراسى المغرب.

الثالث عشر: تسريح الأسارى من الجانبين.

الرابع عشر: القيام بأمر المهادنة.

الخامس عشر: إصلاح الحدود من جهة إصبانية^(١).

السادس عشر: تعرض هذه الشروط على دول أوربا ليروا رأيهم فيها بالتسليم وعدمه وتنفذ بعد عشرين يوما من وقوعها.

وذكر أن الذى وافق عليها وأمضاها من الجانبين السيد محمد الخطيب، والسيد محمد بن عبد الملك الجبللى المفوض إليهما فى ذلك (ولويس غرشية) (وطماس لخليس بردجى) المفوض إليهما كذلك من دولتهما، إلا أن ترتيب المواد على هذه الكيفية وقع له فيه خلط وغلط حسبما ستفهمه من الإحالة على هذا الاتفاق فى المعاهدات الآتية بعد.

وبعد ذلك انعقدت المعاهدة التجارية المشار إليها بين الخليفة مولاي العباس والدون كلدرون عضو مجلس الشيوخ وأحد الوزراء السالفين بإصبانية، وهى تشتمل على أربعة وستين شرطا ونص عقدها بلفظه على ما فيه نقلا عن كناشة مولاي العباس:

«بسم الله القادر على كل شىء»

إن جناب الأميرين العظميين حضرة سلطان المغرب الشريف وحضرة سلطانة إصبانية الفخيمة أرادوا تسهيل مخالطة التجارة بين رعيتهما بغاية الاجتهاد على قدر احتياج الرعية المذكورة ومنافع بعضها ببعض، والملكين المعظمين المذكورين ظهر لهم موافقة ثابتة على ما يجب للقناصل الإصبنيول من الخصوصية فى أحكامهم

(١) فى هامش المطبوع: «وقد أصلح من جهة آنجرة حد سبتة وجانب البحر».

والاحترام والتبجيل المنعم لرعية إصبانية فى إيالة المغرب، حسبما وفق بالفصل الثالث عشر والرابع عشر من شروط المهادنة الموثوق بتطوان يوم السادس والعشرين إبريل سنة ستين وثمانمائة وألف، وبالفصل الخامس من الشروط المقررة بمدير يوم ثلاثين أكتوبر سنة التاريخ.

فالمفوض من جانب الحضرة الشريفة سفيره المكلف بغاية تفويضه خليفة أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين مولاي العباس، والمفوض من جانب حضرة السلطنة الكتولكية دون سترنين كلدرون كليانتس وزير الأمور الداخلية وأمور التجارة والعلم والمنافع البلدية كان وأحد أعضاء مجلس مشيخ الملكة والمفتخر بالنواشن العظام من الأصناف السلطانية لكرلوص الثالث ولايسبات الكتولكية وللجيون ذى انور الفرنصارية ولليوبلد البلجيكى وللحبر الأعظم بيو التاسع وليس الهاس درمستادى ولدنبروك الدنماركى وللنجمة القطبية السويدية وللمقدس جنار ذو الاسقليتين وللكنثيون البليابسيوسية البرتقيسية وللقولفين الانبرية وغيرهما وأول وزير المملكة فهولاء شرفاء المقام بعد إظهار بعضهم لبعض أمر التفويض وقع بينهما الانفصال على وفق ما بالفصول الآتى ذكرها حوله:

الشرط الأول:

إن الصلح والمحبة تكون دائما مؤبدة بين حضرة سلطان مراکش وحضرة سلطنة إصبانية وبين رعيتهما.

الشرط الثانى:

إن جانب سلطنة إصبانية تقدر تعين قنصوا عام أو قونصوات آخرين أو خلفاء أو خليفة الخلفاء فى إيالة الغرب كله، وهذه النواب المذكورين يقدرُوا يسكنوا فى أى مرصة كانت أو مدينة من المدن الذى تختارها الدولة الصبنيولية أو تناسب أخيار خدمة السلطنة.

الشرط الثالث:

أن نائب المفوض الصبنيول أو نوابهم الذى يأتى بأمر سلطانه بكتابها لسلطان مراكش والقونصوا العام أو القونصوات الآخرين أو خلفائهم أو خلفاء خلفائهم الصبنيولين الذين يسكنون فى ناحية الغرب، يكون لهم الاحترام وموقرين على قدر مرتبتهم هما وعيالهم وأصحابهم وخدامهم موقرين محترمين فى الحماية، ولا يقدر أحد يصلهم بمكره فى أقل المسائل لا بالفعل ولا بالكلام، وإن خرج أحد على ما ذكرناه تلزمه العقوبة الشديدة ويتربى به غيره، والنائب المفوض وهو قونصوا العام يقدر يجعل الترجمان والخدم من المسلمين أو غيرهم ولا يلزم الترجمان عنه والخدم له شيئاً من الجزية والغرامة ولا ما يشبه ذلك.

وأما القونصوات الذين هم خلاف النائب المذكور المستقرين بالمراسى لهم أن يختاروا ترجمانا واحداً وبواباً واحداً واثنين متعلمين من المسلمين أو من غيرهم، ولا تلزمهم الجزية أو الغرامة أو ما يشبه ذلك، وإذا جعل النائب المذكور خليفة فى خدمة قونصوات بمراسى سلطان مراكش من رعية السلطان يكون هو وعياله الساكنين بداره موقرين محترمين، ولا تلزمهم جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك، ولا يكون له أحد تحت حمايته من رعيته هذه الإيالة الإعياله فقط، ويأذن النائب المذكور للقونصوات المذكورين فى اتخاذ موضعا لصلاتهم، وفى جعل السنجق لجنسهم فى كل وقت بأعلى ديارهم الذى تكون بأيديهم داخل المدينة أو خارجها، وفى زورقهم إذا ارتحلوا فى البحر.

ولا يلزم النائب والقونصوات المذكورين صاكة على حوائجهم وأثاثهم ومسائلهم التى ترد عليهم لإيالة السلطان مراكش لأنفسهم ولأهل أقاربهم فى الإيالة المذكورة وللنائب والقونصوات المذكورين حيث يصلوا حوائجهم وأثاثهم للمرسى يحتاجون أن يوجهوا إلى الأمين خط أيديهم بالتاريخ، يذكر فيه عدد ما

يريدون جوازه من حوائجهم، وهذا الإنعام لا يكون إلا للقنصوات الذين لا يتجرون، وإذا دعتهم خدمة سلطانهم أو وجه آخر إلى خروجهم لا يمنعون من ذلك بوجه من الوجوه، ولا يثقفوا لأهّما ولا خدّامهم ولا حوائجهم ولا أمتعتهم، بل هم على حريتهم فى ذهابهم وإيابهم موقرين مكرومين، وللنائب والقونصوات المذكورين لهم ما يكون فى المستقبل لنواب وقونصوات الأجناس من الزيادة فى ذلك.

الشرط الرابع:

رعية حضرة سلطنة إصبانيا لهم أن يسافروا ويستقروا ويسكنوا حيث شاءوا بإيالة سلطان مراکش دون تعرض ولا منع من أحد نعم يتبعوا فى ذلك قانون حاكم البلاد مثل رعية خاصة الأجناس.

الشرط الخامس:

إذا اشترى أحد من جنس الصبنيول دارا أو مخزنا أو أرضا بإيالة سلطان مراکش، وأذن له الولاية فى ذلك يتصرف فى ملكه كيف شاء بأنواع التصرفات ولا يمنع، وكذلك إذا اكترى أحدهم حانوتا أو دارا أو غيرهما إلى أجل فلا يخرج قبل تمام مدته بزيادة عليه أو بغير زيادة حتى يكمل أجله، وكذلك المسلمين من رعية سيدنا إذا اشترى أو اكترى بأرض إصبانية ورعية الصبنيول لا يغصبهم أحد ولا يقبض منهم ذعيرة ولا تلزمهم خدمة المخزن برا أو بحرا، ولا يطلبون منهم سلف كرها أو إعطاء شيئا دون خاطرهم وديارهم ومخازنهم. وجميع ما ملكوه وما قربهم للسكنى أو للتجارة، يكونوا موقرين.

وعامل البلاد الذى يكون بها لا ينزل عندهم أحد ولا يسكنوه فى ديارهم كرها، ولا بحث ولا تفتيش فى ديار الصبنيول ولا فى كنانشهم ولا فى تجارتهم

ومكاتبتهم وكواغظهم إلا بإذن القونصوا وبموافقته أو نوابه فقط، وعلى كل حال عهد سلطان مراكش بأن رعية الصبنيول المستقرين بإيالته ونواحيه لهم الحق والأمان على أنفسهم وأمتعتهم مثل ما يكون لرعية سلطان مراكش فى حكم أرض سلطنة إصبانية، كما عهدت سلطنة إصبانية بأن رعية سلطان مراكش يكون له بإيالتها الحماية والإعانة مثل ما يكون لرعية خاصة الأجناس.

الشرط السادس:

رعية سلطنة إصبانية لا يقدر أحد يمنعهم من صلاتهم فى ديارهم أو جوامعهم فى شأن دينهم فى أى موضع يكون بها، ويكون لهم فى المحل الذى يكون به موضعا لمقابرهم ولا يتعرض لهم أحد من حكام رعية سلطان مراكش فى ترتيب دفن موتاهم ذهابا وإيابا ومقابرهم يكونوا موقرين من جميع الرعية، وكذلك رعية سلطان مراكش القاطنين فى إصبانية لا يمنعهم أحد من دينهم ولا من صلاتهم فى ديارهم مثل ما صار الآن.

الشرط السابع:

أن رعية إصبانيا تقدر تجعل خديما أو شريكا وتبعثه أين ما أراد بقصد تجارته برا أو بحرا فلا يمنعهم أحد من هذا ولا يتعرض له أحد، وإذا أراد تاجر من رعية الصبنيول وأراد أن يذهب لمركب فى مرسى من مراسى سلطان مراكش وكانت المركب خارجة المرسى، فله أن يطلع لها بنفسه أو بمن من أصحابه لا تلزمه غرامة على ذلك لا هو ولا أصحابه.

الشرط الثامن:

كل من هو من رعية سلطنة إصبانية أو من هو فى حمايتها لا يلزم بأداء دين ترتب على غيره من أهل جنسه إلا ما كان ضامنا له من ذلك برسم أو بخط

يد، وكذلك ما يكون من الديون لرعية سلطان مراكش القاطنين فى إصبانية لا يلزمهم مثل ما ذكر.

الشرط التاسع:

إن كان أحد من رعية سلطنة إصبانيا بالغرب وصدر منه ظلم لأحد مثل السب والجراحات وهتك المروة أو قتل أحد يرفع لقونصوا العام أو خليفته أين ما كان هو يزجره، وله النظر فيه على مقتضى حكم بلاده أو يبعثه إلى إصبانية مقيدا.

الشرط العاشر:

أن أحدا من رعية إصبانية إذا وقع بينهما خصام فقونصوا العام أو خليفته هو يتصرف فيهم، ولا يتكلم فى شأنهم أحد من ولاية سلطان مراكش لا قاضى ولا عامل ولا أحد من رعيته.

الشرط الحادى عشر:

فإن جميع الدعاوى والشكايات وجميع خصومات الشرع أو أسباب الخصام الذى يصدر بين رعية سلطان مراكش ورعية سلطنة إصبانية ففصالهم كما سيذكر فيما هو آت، وذلك إذا كان الشاكى من رعية سلطنة إصبانية والمشتكى به من رعية سلطان مراكش، فإن حاكم البلاد ونواحيها أو القاضى حسبما هو لائق بالدعوى، يكون له الحكم فيها فقط.

وعليه فإن كان صاحب الدعوى من رعية سلطنة إصبانية يرفع شكواه للحاكم أو للقاضى لمن يكون له الأمر بواسطة صاحب قونصوا العام أو وكيله، ولهم الحضور فى محل الحكم على الدعوى، ومثل ذلك إذا كان الشاكى من رعية سلطان مراكش والمشتكى به من رعية سلطنة إصبانية يرفع لمحل الحكم والفصال

لقونصوا العام أو خليفته أو نائبه فقط، بواسطة صاحب العامل أو القاضى من رعية المغرب، فإن لم يرضون بحكم الحاكم والقاضى والقونصو والخليفة فالحكم الواقع عليهم يرفع أمرهم لنائب السلطنة أو نائب سلطان الغرب.

الشرط الثانى عشر:

إذا أحد من رعية الصبنيول طلب أحد من رعية سلطان مراكش لدى ولاية إيالته على دين ترتب عليه من أحكام سلطنة إصبانية، فإنه ينبغي يستظهر بحجة كتابة بالعجمى أو بالعربى، ونزل عليها صاحب دعواه خط يده أمام القونصوا أو خليفته أو نائبه المتولى من جانب سلطان مراكش، وشهد عليه بذلك القونصوا المذكور، أو لدى شهيدين من أى جنس كانوا ومعرفا بالقونصوا المذكور أو نائبه فى الحين أو بعد الحين، أو بشهادة عدل من إصبانية حيث تكون المعاملة بأرض لم يكن بها قونصوا ولا خليفة من سلطان مراكش.

وهذه الحجة المذكورة حيث يكون شاهدا عليها القونصوا أو نائبه أو العدل على خط يد عامر ذمته كما ذكر، فإنها تكون جارية مقبولة لدى الولاية المدعى عندهم، وإذا أحد المديانين من رعية مراكش فر وهرب لبلد من إيالة مراكش وليس بها قونصوا من إصبانية ولا خليفته فإن دولة الغرب تبحث عليه وتوجهه لطنجة، وإلا لمرسه أخرى غصبا عليه باقتضاء نظر الدعوى لأى مرسه شاء، وفيها يصفى أمره على يد عامل البلد، وكذلك إذا جر أحد من رعية إصبانية بدين لأحد من رعية سلطان مراكش وتوجه إلى إصبانية فيجب على قونصوا العام أن يبحث عليه ويقبض منه الدين ويدفعه لصاحبه.

الشرط الثالث عشر:

إذا قونصوا الصبنيول العام أو خلفائه احتاجوا من دولة الغرب إعانة لهم فى القبض أو الحمل لأحد من رعية إصبانية، فإن الولاة يعينهم بالمخازنية والعسة والفلائك بسلاحهم لذلك وتكون سخرتهم مثل ما يعطون رعية سلطان مراكش.

الشرط السادس عشر:

إن كل دعوة كبيرة أو خصومة أو أسباب الشكايات التى تصدر بين رعية الصبنيول أو رعية الأجناس، لا يدخل ولا يبحث فى دعواهم قواد ولا قضاة ولا غيرهم من ولاة مراكش، نعم إذا ظلم أحد من رعية مراكش فى ذلك الدعوى فى نفسه أو فى متاعه فلهم الدخول حينئذ ويكون حاضرا أحدا من ولاة المسلمين أو من ينوب عنه لمحل الحكم بموضع القونصوا، وجميع هذه الدعاوى يكون الفصل فيها لدى القونصوات فى محل خدمتهم فقط دون دخول ولاة مراكش فى ذلك، ويكون الفصل والحكم على مقتضى القوانين المعلومين أو بما يقتضيه نظر القنصوات المذكورين.

الشرط السابع عشر:

وقع الفصل وانعقد بين الجانبين العظميين بأن لا يقبلوا فى خدمتهم ولا يستقر بإيالتهم أحد من رعية الجانبين الذى كان فى خدمة جنسه وفر منها، سواء كانت خدمته بالبر أو البحر عسكريا أو بحرية أو خدام بالكراكة وفر منها لما يهرب أحد من هؤلاء من إصبانية للغرب يقبض عليه عامل البلاد ويدفعه ليد قنصوا العام، أو القنصو يتصرف فيه بما عنده من الدولة الصبنيولية، وإذا دفع عامل البلاد شيئا على الفارين المذكورين لأعوانه أو ما صرفه عليهم فى أكلهم فإن القنصو يدفع له ذلك نعم إذ قدم أحد من هؤلاء المذكورين وأراد الدخول فى الإسلام فإن عامل

البلاد لا يقبله منه بهذا وقع الفصل وانعقد بين الجانبين ، فإذا سمعوه رعية الصبنيول أن الشرط بين الدولتين أن لا يقبل أحد منهم ولا يتركوه يدخل في الإسلام يكفوا عن الهروب والخروج من أوطانهم .

الشرط الثامن عشر:

إذا ورد مركب الصبنيول لمرسى من مراسى المغرب وفر منها بحرى من إيالة الصبنيول وبحث عليه قنصو العام أو خليفته فعامل ذلك الثغر يعينه على قبضه إلى أن يمكنه له ، ولا يحمى ولا يعينه أحد وكذلك ، مركبا من الغرب إذا قدمت لبر إصبانية وفر منها بحرى مسلما وبحث عليه رايى المركب أو القنصوا إن كان للمسلمين هناك يعينه عامل البلاد حتى يقبضه ويمكنه للرايى أو القنصو ، ولا يحمى ولا يعينه أحد .

وكذلك وقع الفصل بين الجانبين الدولتين أن بحرى من رعية الصبنيول كان يخدم فى مركب من مراكب الغرب وقدم لمرسى من مراسى الصبنيول وفر بنفسه ، فإذا طلبه قنصو الغرب أو خليفته فعامل البلاد يعينه ولا يمكنه له ويذهب حيث شاء ، وكذلك بحرى من رعية المسلمين إذا كان خدام فى مركب من مراكب الصبنيول وقدم لمرسى من مراسى المغرب وفر بنفسه فإذا طلبه قنصو الصبنيول أو خليفته فعامل البلاد يحميه ولا يمكنه منه ويذهب حيث شاء ، ومثلهم الوصيف المغربى إذا فر لبر إصبانية يمنع نفسه .

الشرط التاسع عشر:

رعية سلطنة إصبانية كائنا من كان إذا كانوا فى إيالة سلطان مراكش فى وقت الصلح أو فى وقت الحرب ، فلهم الحرية الكاملة فى ذهابهم لبلادهم أو لبلدة أخرى ، وفى ركوبهم فى أى مركب من مراكب الصبنيول ، أو مراكب الأجناس ،

ولهم أيضا التصرف كيف شاءوا فى سلعهم وأموالهم وغير ذلك من أنواع التصرفات، ولهم أن يصبحوا معهم جميع المسائل المذكورة ويحملون معهم عيالهم وخدامهم.

وإن كانت نشأتهم وتربيتهم فى بر المغرب أو فى موضع خارج عن إيالة إصبانية من غير أن لا يتعرض لهم أحد بمنع وتثقيف، لكن بشرط أن لا يخرج من المحل الذى يكون فيه حتى يعلم القنصو أو خليفته بسفره، ليختبر القنصو أمره هل بذمته دين أو مخالطة مع أحد يلزمه الجلوس بالمحل الذى كان به إلى أن يصفى أمره ويذهب حيث شاء، والقنصوات والخلائف لا يؤدوا شيئا على أحد من رعية الصبنيول إلا إذا كان بخط يد القنصو أو الخليفة، ومثل ما ذكرناه فى هذا الفصل كله يكون لرعية سلطان مراكش القاطنين بحكم إصبانية.

الشرط العشرون:

جميع رعية سلطان مراكش إن أراد أحد منهم يسافر لبر إصبانية لا بد لقنصو العام أو الخلفاء يجعلوا له البسبرط ليقبلوه فى إصبانية، وإذا ذهب من غير بسبرط لا يقبلوه أصلا ولا يلزمهم شيئا على البسبرط.

الشرط الحادى والعشرون:

إذا وقع نقض لهذا الصلح والمحبة التى بين الجانبين وجاء من ذلك حرب، فجميع إيالة إصبانية ورعيتهما ومن فى حمايتها ممن هو داخل إيالة سلطان مراكش فى أى مرتبة كان يكون لهم الذهاب لأى ناحية ارتضوها من الدنيا، ولهم حمل أمتعتهم وعيالهم وخدامهم، سواء خلقوا بإيالة سلطنة إصبانية أم لا، ولهم الركوب فى أى مركب أرادوا من مراكب الأجناس، ويكون لهم الأجل فى ذلك ستة أشهر لمن طلبه لصالح أمورهم، ويبيع سلعتهم، أو يفعلوا بها ما شاءوا فى

خاطرهم، ولهم فى خلل تلك المدة الحرية الكاملة والأمان التام على أنفسهم وأموالهم من غير أن يتعرض لهم بمكروه أو منع بسبب ما ذكر من الحرب أو غيره، وللولاة إعانتهم ومساعدتهم فى صلاح أحوالهم والوقوف معهم فى قبض ديونهم من غير ماطلة ولا مكافحة ولا مهلة فى شىء من ذلك.

ومثل ذلك كله لرعية سلطان مراکش فى جميع حكم سلطنة إصبانية، وإذا وقع الحرب بين الدولتين وقبض أحد فى مدة الحرب أو العسكر أو البحرية ويتخذوهم أسارى فيكون لهم التوفير من الجانبين، ويرد بعضهما لبعض من غير اختيار، سواء كان كبيراً أو صغيراً، وهذا الرد الذى يكون بين الجانبين فى رد الأسارى يكون فوراً، وهذا الرد المذكور يكون قبل السنة طال الحرب أو انقطع من يوم قبضهم، ومن رد أسيره يقبض خط يد الدولة به إلى أن يقع بين الدولتين الاعتدال، ولا يقع فيهم بيع ولا شراء من الجانبين.

وأما الكهال والنساء والصبيان لا يعدون من الأسارى بمجرد قبضهم يعتقوهم من حينهم، ويجعلوهم فى مراكب ليس لنا ولا لهم مثل الأرض المحرومة، ويذهب كل واحد إلى أرضه، وجميع ما صرف على هذه المعتوقين تؤديه دولتهم عنهم، وكذلك واعدت سلطنة إصبانيا أنها وافقت على الشرط المذكور، وبهذا وقع الفصال بين السلاطين وعقد كلامهم عليه، وإذا انقطع الحرب وبقي الزائد من الأسارى عند أحد من الدولتين من عنده خط يد بأسير يرد من غير نزاع ولا مطالبة، وبهذا انقطع الكلام.

الشرط الثانى والعشرون:

إذا مات أحد من رعية سلطنة إصبانية فى إيالة سلطان مراکش فجميع أموالهم وأمتعتهم لا يتصرف فيها أحد من قبل عامل البلاد المتوفى بها على أى وجه كان، ولا يثقف عليه، ولا يبحث فى أموره، بل جميع أموال الميت وما كان

تحت يده وفى حوزة من الأمتعة يحوزة ويأخذه وصيه الذى سماه فى وصيته واختاره لذلك كورثته إن كانوا حاضرين، فإن كان الوصى أو الورثة غير حاضرين، فإن قنصوا العام أو خليفته هما يأخذوا ذلك جميعا بعد أن يحصيه فى رقام مبين فيه كل مسألة بعينها، ويجعل ذلك فى حوزة حتى يدفعه لورثته أو لأقاربه، وإذا ترك الميت دينا على أناس من رعية المغرب، فإن عامل البلاد أو غيره ممن له التصرف فى تلك البلاد يقوم المديانين أن يدفعوا الدين الذى عليهم للقنصو أو نائبه، وكذلك إذا كان على الميت دين لأحد من رعية المغرب، فالقنصو أو نائبه يقف له على متاعه حتى يقبضه.

وإذا مات أحد من رعية المغرب فى حكم إصبانية فالعامل أو خليفته فى البلاد الذى توفى بها هو يقوم بأمره ويحفظ جميع متروكه، ويخبر به قنصو العام الذى بالمغرب، ويوجه له نسخة من متروكه والقنصو يخبر ورثته بوفاته ومتروكه إلى أن يتوصل كل وارث بواجبه من غير أن يضيع لهم شىء.

الشرط الثالث والعشرون:

أن مراكب الدولتين يقدرون يرسون فى أى مرساة شاءوا من مراسى إصبانية أو مراسى المغرب، ولا يتعرض لهم أحد من الجانبين، وأما مراكب بزرقان من الجانبين لهم لما يريدون السفر يحملون معهم كواغيط العادة من عمالهم ويقدر يرسى فى المراسى المذكورين قدر ما يحتاجوا فى أمور تجارتهم.

الشرط الرابع والعشرون:

أن جميع مراكب المغرب الحاملين السلعة من مراسى المغرب إلى مراسى إصبانية لازم عليهم يقيد الرايس جميع ما وسق فى مركبه من المرسى الذاهب منها فى قائمة، وينزل عليها خط يده، والقنصو يجعلها فى غشاء ويختم عليها باثنين

طوابع ، وينزل عليها شكله ويدفعها للرئيس ليقابل بها أمين المرسى الذاهب لها،
ويقبض من القنصو أو الخليفة البطينة لیسافر بها.

الشرط الخامس والعشرون:

اتفق سلطان مراكش وسلطنة إصبانيا أن ریاس القوارب من أهل الريف لا
يقدرّون یسافرون فی البحر حتى یذهب لثغر من ثغور الصبنيول الذين هم فی
ساحل البحر الصغير، ويقبضون منه البسبرط، وإذا كان قارب من أهل الريف
خارجا عن بلاده فی مرسى أخرى فإذا كان قنصو الصبنيول فی تلك المرسى يأخذ
منه البسبرط ویسافر، وإذا ما كان بها قنصو یذهب للمرسى التی بها القنصو القریبة
إليه ويقبض منها البسبرط ویسافر لبلاده، وهذا كله إذا ظهر فی ثغر من الثغور
المذكورين لا يتعدى علیه أحد وبهذا ينقطع عنهم الفساد والبسبرط الذی یقبضوا من
العمال أو من القنصوات أو الخلفاء لا يدفعوا شیئا علیه.

الشرط السادس والعشرون:

جانب سلطنة إصبانية وسلطان مراكش اتفقوا أن یصرفوا جهدهم فی
البحث فی جميع الطرقات على قطع الزمنطوط، وخص بهذا سلطان الغرب ذکر
أنه یبالغ جهده فی البحث عن هؤلاء المذكورين المشتغلين بالفساد برا أو بحرا، ولما
یقبض علیهم يؤدبهم ویزجرهم على قدر فعلهم ویكون إعانة لسلطنة إصبانيا
عليهم.

الشرط السابع والعشرون:

لقدّر دوام محبة الدولتين اتفقوا على أن من ركب من رعية سلطنة إصبانية
فی مركب لجنس آخر هو فی الحرب مع سلطان مراكش وقبضها قرصان المسلمين،
فما وجد فی تلك المراكب المغنومة من رعية الصبنيول وأمتعتهم ودخل بها لمرسى

من مراسى الغرب، فبوصوله يقدم عند قنصو العام أو خليفته ويدفع له ما وجد فى ذلك المركب المذكورة، وإذا كانت فيها بضاعة من غير صاحبها كل ذلك يدفعه للقنصو، وإذا وافقته الطريق على بر إصبانية ينزلهم فى أى مرسى كانت قربه ويدفعهم لعامل ذلك المرسى.

وإذا لم يساعده الحال لا يذهب إلى المغرب ولا إلى إصبانية ينظر مرسى من مراسى الصلح الذى يجدها فى طريقه أمامه وينزلهم بها هما وبضاعتهم وأمتعتهم على وجه الأمان والحفظ.

ومثل ذلك تفعل سلطنة إصبانية برعية الغرب هما وأمتعتهم وبضاعتهم على خط السواء، كذلك إن وجد أحد فى مركب الصبنيول من الجنس الذى نحن معه فى الحرب يوفره من جانب الذى هو تحت السنجق متاعهم، ونحن فى الصلح لكن إن كان بيده البسبرط صحيح وسلعته كذلك ليس عنده السلعة الممنوعة فى وقت الحرب.

الشرط الثامن والعشرون:

إذا مركبا من مراكب الصبنيول عنده بطينة صحيحة وغنم مركبا وامتنع بها إلى مرسى من إيالة سلطان مراكش فلهم أن يبيعوا ذلك المركب المغنوم والسلعة المغنومة من غير أن يمنعهم أحد من ذلك، ولهم أن يذهبوا بغنيمتهم ويخرجوا بها إلى حيث شاءوا.

الشرط التاسع والعشرون:

وإن كانت مركبا قرصان أو بزرقان للجانيين فى ثغر من ثغور إصبانية أو ثغور المغرب المحصنين وقدم لها مركبا هو معها حينه فى الحرب، فإن الثغر الذى هو فيه يحميه بمدفعه ويمنع مراكب العدو من الخروج من ذلك الثغر عن المحاربة حتى تخرج المركب أو القرصان من ذلك ويبقى امرسى بعده أربع وعشرين ساعة، وبعدها يخرج إلى ما شاء.

وكذلك الجانبين اشترطا إذا كانت مركبا امرسيه بساحل إصبانية أو سواحل المغرب، وكان ذلك الساحل قصير ولا تقدر تدخل للمرسى وأراد يغنمها قرصان العدو من أحد الجانبين داخل الثلاثة أميال أو قرب الشط، فإن جنس ذلك المركب المغنومة يطلبها لجنس ذلك الساحل، لأن المركب كانت تحت رمايته.

وإذا قدم العدو لمرسى من مراسى إصبانية أو المغرب وصحب فى يده مركبا قبضها فى وسط البحر قرصان وأراد يبيعها فى تلك المرسى فلا يبيعها، ولا يبيع ما فيها المركب الذى كانت مرسية فى قرب الشط المذكورة وكتمت ودخل بها لمرسى من مراسى الجانبين وثبت أنه أخذها، وهى مرسية يمنع منها ولا يتصرف لا فيها ولا فيما هو بداخلها.

الشرط الثلاثون:

إذا مركب الصبنيول قرصان أو بزرقان رست بمرسى من مراسى سلطان مراكش أو بساحل إيالته واحتاجت إلى المئونة ما يكفيها لبحريتها فقط بالسعر المعلوم لا يزداد عليه فى ثمنها، ولا تلزمه صاكة عليها، وإذا لم يقدر يخرج من المرسى يأخذ ما يكفيه فى مدة إقامته بها من المكولات والمشروبات مثل ما ذكر إلى أن يسافر.

الشرط الحادى والثلاثون:

مراكب الجانبين قرصان أو بزرقان لما يكونوا فى جو البحر وتلاقوا بينهما واحتاجوا إلى الأكل والشرب أو حاجة أخرى لإقامة سفرهم وهى عنده فلا يمنعه منها بثمانها المعلوم.

الشرط الثاني والثلاثون:

المراكب المكتربين على أمر الدولة الصبنيولية لحمل المكاتب المخزنية أو غيرها تكون موقرة محترمة مثل القرصان إذا لم يصحبوا معهم السلعة بقصد التجارة ذهابا وإيابا من مراسى المغرب، وإذا صحبوا معهم السلعة يلزمهم ما يلزم البزرقان.

الشرط الثالث والثلاثون:

إذا مركبا من مراكب الصبنيول توجهت لساحل من سواحل المغرب ولا أرادت تدخل المرسى ولا تباع وسقها، فلا يلزم عليه أحد أن يبحث فيه ولا يفتشه بوجه من الوجوه، لكن تقع عليه العسة بإذن أمين القمرق، ما دام رامى مخطافه لئلا يقع منه الكنطربانض.

الشرط الرابع والثلاثون:

إذا مركبا من مراكب سلطانة إصبانية قدمت لمرسى من مراسى المغرب وهى موسوقة، فإن أرادت تنزل البعض من الوسط المعين لتلك المرسى لا يلزمها القمرق إلا على الذى أنزلته بتلك المرسى، وأما ما بقى فيها لا يطالب فيه القمرق وتذهب به لأى مرسى شاءت ببقية الوسط الذى بها ورايس المركب لازم عليه يدفع لنواب أمين القمرق قائمة الوسط الذى فى مركبه عند وصوله للمرسى من مراسى مراكش، فبمطالعة يقع البحث فى المركب فى الدخول والخروج والعساس يكون بها من أجل الكنطربانض.

وكذلك مراكب إيالة مراكش لما يذهبوا للمراسى إصبانية يكون لهم مثل ما ذكرنا على خط السواء، ورايس مراكب الصبنيول لما يريدون السفر من مرسى من مراسى المغرب يأخذ من القنصو أو الخليفة الشهادة بالوسط الذى عنده فى مركبه ليظهر ما عنده، فإذا رسى بمرسى أخرى من مراسى المغرب وذكر له نائب المرسى

أن يطالعه على الشهادة الذى بيده لثلا يكون عنده الكنطربانض فيطالعه عليها
الرايس، وهذا كله فى انقطاع الشك من أجل الكنطربانض.

الشرط الخامس والثلاثون:

لا يلزم رياس مراكب سلطنة إصبانية فى مراسى المغرب، ولا يلزم رياس
مراكب سلطان مراكش فى مراسى إصبانية أن يحمل أحدا من الناس ولا من
السلعة كائنا من كان بوجه من الوجوه إلا بخاطره، وكذلك لا يلزمه أن يسافر إلى
بلد لا يريد السفر إليها ولا يثقف مركبه بوجه من الوجوه.

الشرط السادس والثلاثون:

إذا اكترى أحد من رعية سلطان مراكش مركبا من مراكب رعية الصبنيول،
على أن يحمل فيه سلعة أو أناسا من بلد إلى بلاد أخرى من إيالة المغرب، وهاج
عليها الريح والبحر ذلك المركب فى حال سفره ودخل إلى مرسى، فإنه لا يلزم
رايس المركب إعطاء واجب مخطاف ولا صاكة ولا غير ذلك بسبب دخوله لتلك
المرسى ما لم ينزل شيئا أو يحمله، فإذا نزل شيئا أو حملة يلزمه ما يلزم مراكب
الوسق.

الشرط السابع والثلاثون:

مراكب رعية سلطنة إصبانية التى وقع بها مضرة فى البحر ودخلت لمرسى
من مراسى سلطان مراكش بقصد الإصلاح، فإنهم يقبلوها ويعينها بكل ما تتوقف
عليه من الآلات فى مدة مقامها بتلك المرسى، وسفرهم للبلاد التى قصدوها إن
كانت الآلات موجودة فى تلك المحل، ويشترونها أهل المركب لأنفسهم كما
يشترىها غيرهم، ولا يثقفون ولا يمنعون من سفرهم بوجه من الوجوه.

الشرط الثامن والثلاثون:

إذا مركبا من مراكب الصبنيول قرصان أو بزرقان حرث أو تكسر فى ناحية من نواحي إيالة سلطان مراكش فله الاحترام والإعانة فيما يحتاج إليه بما يوافق المحبة، وهذا المركب كله بجميع ما فيه يكون فى الأمن والحفظ إلى أن يرجع لأربابه أو القنصو أو خليفته أو نائبه حتى لا يتبدد ولا يضيع شيئا منه والسلعة المغروقة إذا طلعتها صاحبها للبر وأراد بيعها هناك أو فى ناحية مراكش فله ذلك، ولا يتعرض له أحد بمكروه ولا يدفع على ذلك لا قمرق ولا غيره، وكذلك إن أراد وسق سلعته لبلاد أخرى فله ذلك، ولا يلزمه شيء، ورايس المركب وبحريته يذهبون حيث شاءوا ولا يمنعهم أحد فى أى وقت أرادوا.

ومراكب المغرب قرصان أو بزرقان لما يحرث لهم شيء فى ناحية من نواحي إصبانية يكون لهم مثل ما ذكرناه على مراكب الصبنيول، وإذا غرقت أو انكسرت مركبا أو قرصان من إيالة الصبنيول فى ناحية من نواحي وادنون، فإن سلطان مراكش يبالغ جهده فى منع رائسه وبحريته، ويكون لهم الاحترام إلى أن يذهبوا إلى بلادهم، وللقنصو والخليفة بموافقة سلطان مراكش يبحثون على من حدث له ذلك من رياس أو بحرية، ويكون له معينا إلى أن يمنعوا، وكذلك عمال مراكش وخلفائهم يكونوا أيضا معينين فى البحث لقدر المحبة.

الشرط التاسع والثلاثون:

أن مراكب الصبنيول بزرقان لما ترسى فى مرسى من مراسى المغرب يلزمهم على المخطاف من عشرين بليون إلى ثمانين من البليون، لكل واحد على قدر كل مركب حسبما نذكره أسفله فيما يدفعه الرايس على مركبه من طنلدات واحدة إلى خمسين يدفع عشرين من البليون، ومن الخمسين إلى مائة يدفع أربعين من

البليون، ومن مائة إلى مائة وخمسين يدفع ستين بليون، ومن مائة وخمسين إلى أعلاها يدفع ثمانين بليون.

الشرط الأربعون:

أن مراكب الصبنيول لما يقدمون لمراسى مراكب المغرب لا يطالبون بأكثر ما يدفعونه للبلوط أو لقائد المرسى مراكب المغرب أو رعية خاصة الأجناس، ولا يقدر يزداد شيئاً على هذا القانون الذى سنذكره، وإن زاد جنس آخر على ما نذكره فلا علينا فيه، إن قدمت مركبا من رعية الصبنيول لشجر الرباط والعرائش لابد لعامل الشجر يبعث البلوط للمركب ليدخلها للمرسى، ولما يرسى لازم على الرايس أن يدفع للبلوط أجرته على كل طنلادة ثمانين جزءا من البليون والبليون من مائة جزء ومثله فى الخروج.

وإذا ظهر فى مرسى أخرى من مراسى المغرب وأراد يدخله البلوط فليخرج إليه، ولما يدخله يقبض منه أربعين جزءا من البليون، ومثله فى الخروج ورايس المرسى يقبض على كل مركب صغيرة أو كبيرة ثمانية بليون لا غير فى مرسى رسى فيها من مراسى المغرب.

الشرط الحادى والأربعون:

مراكب الصبنيول لما يدخلون لمرسى من مراسى المغرب من كثرة الريح وهيجان البحر لا يلزمهم شىء لا مخطاف ولا غيره إن لم يبيعوا ولم يشتروا فى الدخول ولا فى الخروج، وفى شأن ما يلزم البلوط العمل فيه على ما فى الفصل الذى قبله، وأما فلانك الحوالة لا يلزمهم شىء مما ذكرناه.

الشرط الثانى والأربعون:

قراصين الصبنيول وقراصين المغرب إذا دخلوا لأى مرسى شاءوا من نواحي

الجانبيين، فلا يلزمهم شىء لا مخطاف ولا قائد المرسى ولا غيره، وجميع ما يطلبونه من الأكل والشرب والخطب والبياض والفريشك وما يحتاجوه لمئونتهم لا يلزمهم شىء على ذلك.

الشرط الثالث والأربعون:

أن من الممارسة ثبت أن قلة الضوء فى أشقار كيقع من ذلك ضرر كثير للمراكب المسافرين فى البحر وكذلك فى البيع والشراء من أجل الخسارة التى تقع للتجار حين ترد المركب ولا تجد ضوءا يحدث لها تكسير أو غيره، فينبغى لسلطان مراكش أن يكف هذا الضرر الذى يحدث للمراكب وأمتعة الناس، أن يجعل على أشقار منارا للضوء يشعله كل ليلة على الدوام والاستمرار.

الشرط الرابع والأربعون:

تكون التجارة جارية مستوية فى أرض المغرب وأرض إصبانية وتجار إصبانية لما يريدوا يبيعوا ويشتروا فى أرض من أرض المغرب الذين يدخلون لها ويخرجون من أجناس آخرين، فلهم أن يبيعوا ويشتروا فى السلعة التى ليس هى ممنوعة على الرعية سواء بالقليل أو بالكثير لمن شاءوا بما شاءوا، ولا يقع لهم ضرر فى أمتعتهم من أجل الكنطردات يميز سلطان المغرب أحد على غيره، وكذلك رعية الصبنيول تكون لهم المنفعة والتخصيص فى تجارتهم مثل خاصة الأجناس فيما يأتى.

ورعية المغرب فى أرض إصبانية تكون لهم مثل ما يكون لخاصة الأجناس مثل التجارة والمنفعة والتخصيص والاحترام.

الشرط الخامس والأربعون:

أن رعية سلطان مراكش لهم الحرية فى المخالطة مع بعضهم بعضا فى ثغر سبتة وثمر المليلية ونواحيهم، ولهم أن يبيعوا ويشتروا فى أقل المسائل من الأقوات والملبوس والأمور الغريبة الذى ليس فيها منع فى الدخول ولا فى الخروج من

سلطان مراكش، وولاية المغرب وولاية إصبانية الذين فى سبته وامليلية لهم أن يحموا رعية الجانبين فى أمورهم.

الشرط السادس والأربعون:

لا يلزم زيادة على القمرق المعلوم المذكور فى الفصل الخمسون اشتروا ذلك لأنفسهم أو نوابهم من رعية الصبنيول بقصد السوق، لكن السلعة المذكورة وغيرها المنتشة فى المغرب يخرجوها ويوسقوها من أى مرسى شاءوا من مراسى المغرب ويذهبوا بها لأى مرسى شاءوا من مراسى المغرب، باع أو لم يبع لا يلزمه قمرق آخر ولا غيره قليلا ولا كثيرا.

لكن يجب على صاحب السلعة أن يقبض كتابا من أمناء المرسى الذى وسق منها إلى أمناء المرسى الذى أراد الوضع بها يخبروهم أن تلك السلعة تخلصوا فيما وجب عليها من القمرق، وحينئذ لا يلزمه قمرق آخر.

وجميع ما يشترونه من داخل الغرب من المدن أو من أسواق البادية وأراد بذلك يذهب لمراسى المغرب، فلا يتعرض له أحد من خدام العامل أو من الرعية وقبضوا منه شيئا قليلا أو كثيرا على أى وجه كان فى شأن السلعة المذكورة، يؤدب وتلزمه العقوبة الشديدة، وتلزمه الخسارة الواقعة لرب السلعة من أجل المماطلة.

الشرط السابع والأربعون:

تجار رعية إصبانية القاطنين بالمغرب لهم الاشتغال بأنفسهم فى أمورهم أو يعينوا لمن شاءوا بالنيابة والتوكيل فى أمورهم، وأن يختاروا من شاءوا لأنفسهم، ولا يلزمهم أداء شىء لأحد إن حتم عليهم لخدمتهم.

نعم إن كان أحد خديما من رعية المغرب هو تحت حكم عامله يتصرف فيه كيف شاء على قدر جريمته، والبائع والشارى لا يتعرض لهم أحد فى مخالطتهم،

ولا مدخل للولاءة فى أمور تجارتهم، وإذا تعرض لهم قائدا أو خديما فى قدر الثمن من أمور البيع والشراء بين الرعيتين أو يمنعهم من البيع والشراء فى الداخل والخارج، فإن سلطان المغرب يزجر خديمه عن فعله على قدر جريمته إن كانت تجارتهم على وجه الحلال.

الشرط الثامن والأربعون:

وإذا حدث لسلطان مراكش أن يمنع وسق القوت أو القطاني أو نوع من أنواع السلع الخارجة من المغرب، فإن رعية الصبنيول يحملوا ويوسقوا ما هو بمخازنهم أو بمخزن لأحد من رعية المغرب، أو مشتريا على أيديهم قبل ظهور المنع، ويستمرروا على عملهم فى الحمل والوسق، ولا يقع لهم ضرر ولا خسارة فى جميع تجارتهم ومثل هذا يكون لرعية سلطان مراكش فى إيالة إصبانية.

الشرط التاسع والأربعون:

السلعة وجميع أمور التجارة الواردة على يد رعية الصبنيول من أى موضع كانت يدخلون بها لمراسى المغرب، ولا يمنعهم أحد من ذلك إلا ما هو ممنوع دخوله من جانب سلطان مراكش، والقمرق يلزمهم ما يلزم رعية المغرب ورعية أجناس آخرين لا غير من أول تاريخ هذه الشرطات، وجميع أنواع سلعة المغرب يحملوها ويوسقوها رعية الصبنيول من أى مرسى شاءوا من مراسى المغرب، ولا يلزمهم فيها أكثر مما يلزم فى ذلك رعية المغرب أو رعية الأجناس دون تخصيص، ولا تمييز لأحد على الآخر.

الشرط الخمسون:

ولمقتضى النفع والرفق الأحق لأنواع السلع الموسوقات من إيالة سلطان مراكش فى أعشارها حالة دخولها لإيالة سلطنة إصبانية، وكون المراد هو تقوية

التجارة بين الإيالتين سلطان مراكش وسلطانة إصبانية واستواء النفع بين الجانبين،
اقتضى نظر سلطان مراكش أن أعشار السلعة الداخلة لمراسى إيالته على يد رعيّة
الصبنيول لا يؤدوا عليها أكثر من عشرة فى المائة على تقويمها بالمال بالسعر الواقع
بمراسى نزولها، كما أن السلعة الخارجة من إيالة سلطان مراكش على يد رعية
إصبانية لا يؤدوا فى صاكتها أكثر مما هو مسطر فى الزمام الآتى :

ريال	دراهم
١	القمح لكل فنيقة ممسوحة
١/٢	الزقور والذرى لكل فنيقة مقببة
١/٢	الشعير لكل فنيقة ممسوحة
١/٢	جميع حبوب أخرى لكل فنيقة مقببة
٣٠	الدقيق لكل قنطار
١٢	الزوان أيضا
٤٠	التمر أيضا
٣٥	اللوز أيضا
١٢	اللشين والليمون إلى الألف
١٠	الزعر لكل قنطار
٢٠	الكمون أيضا
٥٠	الزيت أيضا
٢٠	العلك أيضا

الحنة أيضا	١٥
الشمع أيضا	١٢٠
الروز للقنطار	١٦
الصوف المصبنة أيضا	٨٠
البطانة الودحة أيضا	٥٥
البطانة والعنزي أيضا	٣٦
الفلالى والغشنى والزوانى أيضا	١٠٠
الأنصاب إلى الألف	٢٠
الشحمة للقنطار	٥٠
البغال للواحد	٢٥
الحمير للواحد	٥
الغنم للواحد	١
المعز للواحد	١٥
الدجاج لكل زينة	٢٢
البيض لكل ألف	٥١
البلغة لكل مائة	٧٠
شوك الضربان إلى الألف	٥
الغسول للقنطار	١٥
ريش النعام للرطل	٣٦

القفف للمائة	٣٠
الكروية للقنطار	٢٠
الشعر أيضا	٣٠
الزبيب أيضا	٢٠
المشاطى للمائة	٥
الحرازي للمائة	١٠٠
تكوت للقنطار	٢٠
الهياضر للقنطار	٣٦
القبب أيضا	٤٠

وسلطان مراكش له النظر فى منع جميع الموسوقات الخارجة، فإذا منع واحدة من الموسوقات وبعد ذلك أراد تسريحها تكون صاكتها مثل ما كانت، ولا يقع فيها زيادة ولا نقصان، وأما القمح والشعير إذا اقتضى نظره منع وسقهما وأراد بيع ما فى مخازنه للتجار مثل ما كي جعلوه كافة الأجناس فله ذلك، وإن اقتضى نظره الرفق والتخفيف فى الصاكة، ولا يميز عليهم أحد من رعية الأجناس ورعية المغرب لما يريدوا يخلصون القمرق على الداخلى والخارج من سلعتهم بأرض إصبانية يخلصون مثل ما يخلصون خاصة الأجناس ما عدا السلعة الممنوع دخولها.

الشرط الحادى والخمسون:

بمقتضى ما وفق بالفصل الخامس عشر من شروط المهادنة المقررة فى تطوان فى ٢٦ إبريل عام ١٨٦٠ حضرة سلطان مراكش أراد أن يصرف جهده فى استهال

وسق الخشب لعمارة خزائن المراسى أى الطراسين حضرة سلطنة إصبانية، ولذلك وفق أن رعية الصبنيول المعينين قصدا عن إذن سلطنة إصبانية لقطع الخشب من غيب مملكة المغرب من الموضع الذى يمكن قص الخشب منه يكون لهم التخصيص فى ذلك، وفى نصب ما يقيهم من الحر والبرد ويجعلوا فيه آلاتهم ولا يقربهم أحد بسوء، بل تكون لهم الحرية التامة مع الحماية من جانب ولاية الناحية المستوطنين بها.

فالاتفاق الواقع بين رعية حضرة سلطنة إصبانية المعينين بقصد قص الخشب المذكورة وبين دولة مراكش لثبوت ثمن الخشب وتعيين شروط قص الخشب لابد أن يكون على يد نائب حضرة سلطنة إصبانية القاطن بإيالة المغرب، وللنائب المذكور أن يقف على تمام وفاء ما شرط بين الجانبين، وإذا وقع بينهما الاختلاف ولم تقع المساعدة يكون الفصال بين الدولتين بموافقة بعضهم لبعض.

الشرط الثانى والخمسون:

إذا أحد من رعية الصبنيول أو وكيله أراد توجيه سلعة معشرة من مرسى إلى مرسى من مراسى حكم حضرة سلطان مراكش بحرا، فتلك السلعة لا يلزم عليها دفع الأعشار مرة أخرى عند وسقها ولا عند هبوطها إن كان بيد حاملها وثيقة بتحقيق دفعه ما ذكر من أمين قمرق المرسى المغربية الوارد منها.

الشرط الثالث والخمسون:

إذا أحد من رعية الصبنيول أو وكيله اشترى سلعة من أى جنس كانت من السلعة المنتشة أو المصنوعة بوطن المغرب بقصد خروجها، فلا يلزمه عليها الأعشار ولا غيره من الأداء إلى وصولها لمكان دخولها للمرسى التى مراده يسقها منها، ولما يقع الخروج لا يدفع إلا الأداء المحدود بالقائمة المسطرة بالفصل الخمسين.

الشرط الرابع والخمسون:

رعية الصبنيول الذين يسقون السلعة فى المراكب الواردة لمراسى المغرب ألا يسقوها إلا على ظهر الفلائك أى اللشون للدولة المغربية، وبالأمثال عند الهبوط فإذا الدولة لم تجد بعد اليوم الثانى الفلائك المذكورة ثم رعية الصبنيول بيدها أن تخدم فلائك آخرين من عامة الناس، فحيث لا يدفعوا إلى أمين المرسى إلا نصف المعلوم لفلائك الدولة، ولا يزداد على الأداء المعلوم دفعه الآن فى مراسى مملكة مراكش عند نقول السلعة من مركب إلى مركب، ويلزم أمين كل مرسى أن يدفع للقنصو الصبنيول أو خليفته أو نائبه نظيرة قائمة الأداء المعلوم دفعها ليكون فى علمهم ذلك.

الشرط الخامس والخمسون:

ففصول هذه الشروط تعم على جميع ثغور المغرب المنصوبين لتجارة الأجناس الآن، سواء كانوا فى البحر الأبيض أو فى البحر المحيط.

الشرط السادس والخمسون:

إذا أحد من رعية الصبنيول دخل خفية سلعة ممنوعة أو ظهرت عليه أو كنطربانض من أى جنس كان من السلع فى أرض المغرب، فالسلعة الممنوعة تثقف عليه وربها المخالف للحكم يمكن بيد القنصو أو الخليفة أو نائبهم ليؤدبوه على قدر جريمته.

ومثل ذلك يفعل فى إصبانية مع رعية المغرب إذا فعلوا ما ذكر أعلاه، فعامل البلاد يوجههم مكتفين ليد نائب حضرة سلطنة إصبانية بالمغرب، أو لخلفائه القنصولية ويخبره بما وقع لتحكم فيه دولة المغرب.

الشرط السابع والخمسون:

كافة الرعية سواء كان من أهل الجزيرة أو من جزور الكنارياس أو من الخالديات أو من حصون حضرة السلطانية بوطن إفريقية، لهم أن يصيدوا بسواحل المغرب.

الشرط الثامن والخمسون:

فإن مراكب الصبنيول المعدين للصيداء بسواحل المغرب ينبغي لهم أن يرفعوا التساريح من ولاية إصبانية البحرية، وإذا وضحوا تلك التساريح أصحاب المراكب لعمال مراكش الغربية للمكان الذى يقصدوا فيه الصيداء فلا بأس بذلك.

الشرط التاسع والخمسون:

إذا مركبا من مراكب الصبنيول المعدة للصيداء كان يشتغل فى السلعة الممنوعة أو الكنطربانض فى سواحل المغرب، فعمال حضرة السلطان يخبروا به القنصو أو خليفته الصبنيول القريب، وبعد ثبوت دعوته يطلق أو يزجر رائصها على يد حاكمه بمقتضى أحكام وترتيب القائمة فى إصبانية.

الشرط الستون:

أن لأجل تسهيل صيادة المرجان المولعين بها أهل إصبانية بسواحل مراكش بسبب أن حضرة سلطان المغرب يقبض ما يجب من الأداء المعلوم، قد وفقوا الجانبين المعظمين أن مراكب الصبنيول يقصدون تلك الصيداء فى جميع سواحل مملكة المغرب ويدفعون أعداداً معلومة مؤبدة وقدرها مائة وخمسون ريال دورو فى السنة عن كل مركب من تلك المراكب المعدة لصيادة المرجان، ورؤساء المراكب القاصدين الصيداء المذكورة لابد أن يوجهوا مطالبهم لنائب جنس الصبنيول بالمغرب، والنائب المذكور يبلغ المطالب المذكورة ليد نائب الأمور البرانية بحضرة

سلطان مراكش ونائبهم المذكور يمكنهم بالإذن المستحق من غير منع ولا عكس في ذلك، ويقبضون من يد الرؤساء المذكورين الأداء المعلوم، وإن قبض مركبا من غير إذن نائب الحضرة يدفع لقونصوه مثل الذى قبله الحق بين السطرين فى السنة السادس والخامس .

الشرط الحادى والستون:

هذه الشروط المذكورة تبطل جميع الشروط القديمة بين إيالة مراكشة وإيالة إصبانية، ولا يبقى عمل بغير الوفاق المرسوم بتطوان فى أربعة وعشرون غشت سنة تسعة وخمسون وثمانمائة وألف، والشروط الموثوقة بالمدينة المذكورة وبحضرة مدريد يوم السادس والعشرون من شهر افريل من عام ستين وثمانمائة وألف، ويوم ثلاثين أكتوبر من سنة التاريخ التى باقية فى غاية حولها وقوتها فى جميع الموافق بهذا.

الشرط الثانى والستون:

هذه الشروط ستشهر ليعلم بها جميع رعية المملكتين لئلا يخفى على أحد منهم المشروط بها، وسيوجه نسخ منها للعمال وللولاة الواجب عليهم علم ذلك للوفاء به على التمام.

الشرط الثالث والستون:

فالجانبان العاليان الموافقان على هذه الشروط إن شاءوا فى المستقبل زيادة شروط أخرى لتسهيل مخالطة بعضهم بعض لتفوز بها تجارة رعيتهما، فلهم أن يشروطوا بينهما بعد مضى عشر سنين من يوم تصحاح هذه الشروط، وكل منهم له الطلب من الآخر فى تغيير ما بهذا لكن إلى أن يثبت بينهما الوفاق العمل باق على هذه الشروط إلى تجديد شروط أخرى.

الفصل الرابع والستون:

فهذه الشروط تصحح بخط يد حضرة سلطان مراكشة وحضرة سلطنة إصبانية، وتبديل تلك التصحاح سيقع بطنجة فى مدة خمسين يوما أو قبلها إذا أمكن، وسيحرروا أربعة نظائر من هذه الشروط مختومة مطبوعة، فأحدهما لحضرة سلطان مراكشة، وثانيهما لحضرة سلطنة إصبانية، وثالثها يبقى تحت يد وزير الأمور البرانية لإيالة مراكشة، والرابع يوضع بين النائب الإصبيولى القاطن بالمغرب، وكل أحد من المليكين المعاهدين له بالوفاء ما فى فصول هذه الشروط بغاية الثبوت، وشهد على ذلك المفوضان الخاتمان والواضعان طابعهم أسفله بمدينة مدريد ختم هذا الوفق فى ١٧ ربيع الثانى عام ١٢٧٨ من الشهر العجمى فى ٢٠ نونبر عام ١٨٦١».

هذا نص تلك المعاهدة التى لم تعقد مع المغرب معاهدة أقسى منها، إذ جل موادها كما ترى هو فى مصالح إصبانيا فقط، ولعل من لا خبرة له يفوق سهام اللوم للرجل المقدام صنو جلالة السلطان مولاي العباس الذى فوض له فى عقدها ومن علم الحالة التى كان عليها المغرب، وقتئذ وأحاط علما بتلك الظروف الحرجة التى منها احتلال العدو لثغر من أرفع ثغور البلاد، يقرب من النقطة المحتل لها، ومنها جنوح الرعية وتحفزها للثورة اغتناما لفرصة اشتغال المخزن بتلك الحادثة المؤلمة، ومنها إظهار بعض القبائل الجبلية الميل للعدو والتفاخر بحسن معاملته، كما يرشد لذلك جواب مولاي العباس لسمو الأمير المتقدم نقل نصه على أن هذه أمور كلها موجبة لحسم مادة الحرب التى لا يوافق على خوض معامعها إذ ذاك عاقل، ولولا حسن سياسة النائب المفوض مولاي العباس لعظم الأمر واستفحل الداء، ولله فى خلقه شئون.

وقد وقفت على معاهدة أخرى مكملة لما سبق وقد وقعها مولاي العباس مع
مثل إصبانيا ونصها بلفظها من كناشة المولى العباس :

بسم الله القادر على كل شيء

«هذه الشروط المنعقدة ما بين السلاطين العظمين جناب الشريف سيدي
محمد مالك المغرب و جناب ملكة إصبانيا دونيا اليسبات الثانية الفخيمة بقصد
إصلاح الاختلاف الواقع في شأن شروط المهادنة المبرمة ما بين الدولتين تاريخها
سنة تسع وخمسين وثمانمائة وألف وعام ستين وثمانمائة وألف الفارطة، فالمفوض
من جانب السلطان الشريف سفيره المكلف بغاية تفويضه خليفته أمير المؤمنين بن
أمير المؤمنين مولاي العباس والمفوض من جانب حضرة السلطانية الكسولتية (دون
سترنين كلدرون كليانتس) وزير الأمور الداخلية وأمور التجارة والعلم والمنافع
البلدية كان واحد أعضاء مجلس مشيخ المملكة والمفتخر بالنواشن الأعظام من
الأصناف السلطانية لكارلوص الثالث ولايستبات الكتوليكية وللجيون دى أنور
الفرانصوية ولليوبلد البلجيكي وللجبر الأعظم بيو التاسع ولليس الهاس درمستادى
ولدنبروق الدنماركى وللنجمة القطبية السويدية وللمقدس جناردو الاسقليتين
وللكتتبشون البليابيتوسية البرطقزية وللقولفين الانبرية وغيرهما وأول وزراء المملكة،
فهؤلاء شرفاء المقام بعد إظهار بعضهم لبعض أمر التفويض وقع بينهما الانفصال
على وفق ما بالفصول الآتى ذكرها :

الفصل الأول:

عسكر الصبنيول سيرحل من تطاون وأرضها لما يتم دفع ثلاثة^(١) ملايين فى
الريال الدورو مسكوكة بيد المعينين لقبضها من دولة حضرة سلطانية إصبانيا
الفخيمة .

(١) فى هامش المطبوع: «كذا بالأصل مع أن المدفوع عشرون مليوناً» .

الفصل الثانى:

العشرة ملايين من الريال الدورو الباقية لكمال معاوضة الحرب حسبما وفق شروط المهادنة فيكون دفعها من نصف أعشار كمارك جميع مراسى مملكة المغرب التى سلمها حضرة السلطان لحضرة السلطنة للقبض على يد ولاتها المعينين بقصد ذلك، والنصف الآخر من الأعشار المذكورة أعلاه يتصرف فيه حضرة السلطان.

الفصل الثالث:

المتوسعين والقابضين المعينين من حضرة سلطنة إصبانية لقبض نصف الأعشار المذكورة سابقا، سيشرعوا فى تصريف أمرهم شهرا واحدا قبل يوم توت حلول تطوان.

الفصل الرابع:

رسم حدود حصر امليلية سيجعل حسبما بالوفق المقرر يوم أربعة وعشرون غشت عام تسعة وخمسون وثمانمائة وألف المثبتة بشروط المهادنة المرقوم بالسادس والعشرين من شهر افريل سنة ستين وثمانمائة وألف، بتسليم الحدود المذكورة بين دولة حضرة سلطنة إصبانية المنصورة بالله، ستقع من كل بلد ولا بد قبل حلول تطوان.

الفصل الخامس:

شروط التجارة المذكورة بالفصل الثالث عشر من شروط المهادنة، يختم بخط يد المفوضين، ويصحح كذلك قبل فراغ تطوان وأرضها.

الفصل السادس:

حضرة سلطنة إصبانية أيدها الله لها أن تأمر بجعل دار سكناه رهبان أى قسيسين بمدينة تطوان مثل الموجودة الآن بطنجة، ومثل الذى حسبما بالفصل

العاشر من شروط المهادنة بيدها أن تنشأ، وهؤلاء الرهبان المرسلين لا يمنعهم أحد تقديس أمور دينهم أبداً في أى موضع كان من نواحي مملكة المغرب ودواتهم وديارهم ومدارسهم الساكنين فيها يكونوا في غاية الأمان والحماية الخصوصية من جانب حضرة السلطان وولاته .

الفصل السابع:

أن الشروط المنبرمة في الفصول السابقة سيتم بحول الله في أجل خمسة أشهر منصرفة، التي مبدؤها يوم مدواح جناب الخليفة الواضع اسمه عقب تاريخه بشعر طنجة، لكن إذا وقع وفاء الشروط المذكورة على التمام قبل الأجل المذكور فيقع حالا بعد ذلك فراغ تطوان وأرضها .

الفصل الثامن:

ففصول شروط المهادنة المحررة في ستة وعشرون إبريل سنة ستين وثمانمائة وألف الذين ليس وقع فيهم غيار ولا تبديل أو إبطال بما وفق بهذه الشروط، باقية في غاية قوتها وحولها، فتصح هذه الشروط المذكورة يكون في أقرب وقت وتبديل تلك التصحاح سيقع بطنجة في مدة عشرين يوماً، ولشوت ذلك المفوضين الخاتمين أسفله قد حرروا هذه الشروط باللغتين أى العربية والصبنيولة وأربعة نظائر، فأحدها للحضرة الفخيمة مالك المغرب، والثاني منهم لحضرة السلطان الكتولكية، والثالث يبقى تحت يد نائب الأمور البرانية بالمغرب، والرابع يبقى تحت يد نائب أمور الإصبانية القاطن بمملكة مراكش والنواب المفوضين المذكورين أسماؤهم عقب تاريخه وضعوا شكلهم وختموه بطوابعهم بحضرة مدريد يوم خمسة وعشرون ربيع الثاني عام ١٢٧٨ المقابل تاريخ المسيح عام واحد وستين وثمانمائة وألف» بلفظه من الكناش المشار له على ما فيه .

كما عثرت في كناشة مولاي العباس أيضاً على اتفاق آخر وقعه فيما يتعلق بحدود مليلية ونصه بعد البسملة:

«الخاتمين أسفله الشريف الأرضى مولاي العباس المفوض من حضرة مراکشة ودون فرئيسكومرى وكلوم الوزير الوجيه لسعادة سلطنة إسبانيا المأذونان من دولتهما كما يجب بمقتضى الشروط لتأول المشاحنات الصادات فى شأن حدود أرض ولاية إسبانيا بإحاطة امليلية اتفقا فى الصور الآتية:

أول ذلك تحديد وضع العلامات فى الأماكن الموسومة من مهندسين إسبانيا ومراكش قبل برسم الشهادة من الجانبين سنة اثنين وستين وثمانمائة وألف الفارطة، بمقتضى ما بالفصل الثانى من وفق سنة تسعة وخمسين وثمانمائة وألف المثبت بالفصل الخامس من شروط صلح تطوان، ومن أقلع أو هدم تلك العلامات يزجر زجرا شديدا، والعلامة المنقضة يقيمها عامل الريف بمحضر والى امليلية أو نائبه.

الثانى: لما ظهر لحضرة السلطان دفع العوض لأرباب الأملاك الداخلين فى الأرض المنعم بها لإسبانيا المصيرين لها وتحت ولاية مملكتها التامة، ووفق أن جميع رعية حضرة مراکشة من الأرباب المذكورين يخرجون الأرض الإسبانيولى ويسلمونها تسليما تاما وتصير ملكا لجنس الإسبانيول ورعية المغرب ينفوا حالا من أرض إسبانيا وولاية إسبانيا بامليلية لا يساعدونهم بتجديد القرار فى الديار والأراضى المذكورة بأى وجه كان، لأن ذلك يمكن أن ينشأ منه ما يخوض الحدود وفى هذا تبقى الأمور مش ما هو بسببة.

الثالث: أن بسبب حسم المشاحنات الواجب وقوعها لأجل دخول المسلمين بقصد زيارة الجامع التى بداخل الحدود بالموضع المسمى بجنادة فتلك الجامع يهدم ويقطع الكرم والهندي المحيط بها وآل المخزن أو آل الأقحاذ يهدمون الجامع المذكور وينقضون الأرض المحيطة بها.

الرابع: رعية المغرب لا يدخلون مسلحين بأرض إسبانيا التي بحدادة امليلية على أى وجه كان، واعترف الوزير الوجيه لإسبانيا إن خالف أحد ذلك بعد إمضاء هذا الوفق يضيع سلاحه ويبقون به ولالة إسبانيا.

وشهد عن ذلك الخاتمين أسفله بوضع يدهما بنسختين ورسم بمحل يدعى بزرع الزيات برابع عشر نومبر سنة ثلاث وستين وثمانائة وألف الموافق ثالث ثانى الجمادين الموالى عام ثمانين ومائتين وألف عمله بمقتضى لفظه الظاهر منه العباس لطف الله به».

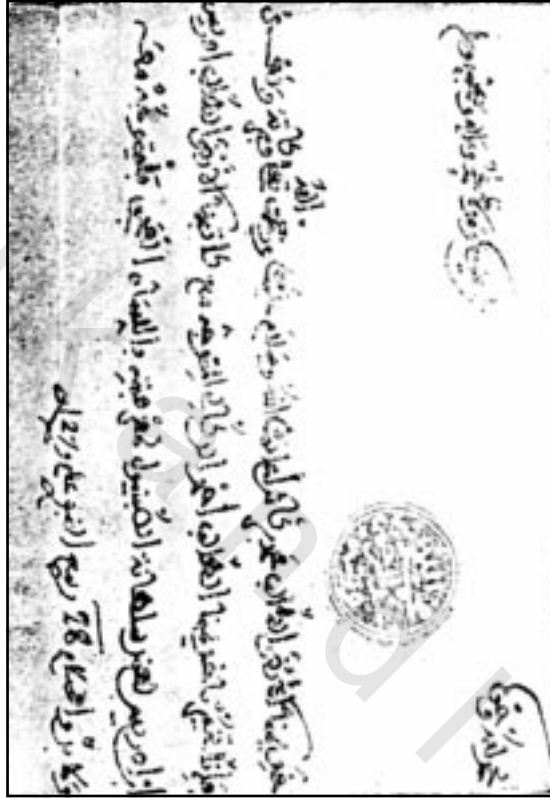
وقبل هذا الاتفاق وجه السلطان كاتبه ووزيره الشاعر المجيد السيد إدريس بن الوزير الكبير، الأديب الشهير، السيد محمد بن إدريس السابق الترجمة فى الأدارة سفيرا لملكة الإصبان، ووجه معه السيد أحمد الدكالى لمعرفته بلسان القوم حسبما يدل على ذلك ما فى هذين الظهيرين الشريفين ونص الأول بعد البسملة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإننا تخيرنا خديمنا الطالب أحمد الدكالى للتوجه مع كاتبنا الأرضى الطالب إدريس بن إدريس لعند سلطنة الصبنيول لمعرفته باللسان العجمى فليتوجه معه ولا بد والسلام ٢٨ ربيع النبوى عام ١٢٧٩».

ونص الثانى فيما يتعلق بما زوده السفير المذكور من المطالب بشأن حدود مليلية، وقد أسلفنا لك فى وثائق مفاوضات الصلح ما وقع فى ذلك:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.



ظهیر سیدی محمد بن عبد الرحمن لبرکاش فی توجیہ السید أحمد
الدکالی مع ابن إدريس السفيّر لإصباتنا

وبعد: وصلنا كتابك متضمنا لما ذكره نائب دولة الصبنيول من أنهم استبطأوا الجواب عن قضية امليلية التى تضمنها الكتاب الذى قدم به الطالب إدريس بن إدريس، وأوضحوها له بمالقه، فاعلم أنا قدمنا لك جوابه صحبة فارس توجه به من حضرتنا العالية بالله ورقاص راجل ورد من عندكم ولا يكون الآن إلا وصلك، وحاصله أنا لم نقصر فى قضاء مرادهم لا فى جهة المال الذى وجهناه صحبة أمناء أربعة لأرباب البلاد، ولا فى تذكيرهم ووعظهم ولا فى غير ذلك، وأن موجب تأخير توجيه المدد لجبرهم على تسليم الحدود هو ما نحن فيه من إصلاح قبائل الحوز، وأنا بمجرد رجوعنا للغرب نبعث عددا معتبرا يقضى به الغرض فى أولئك الممتنعين، وأوضحنا لك العذر فى ذلك بأبسط من هذا، والمحبة تقتضى قبول الأعذار ولا يفوتهم شئ من ذلك بحول الله وقوته والسلام ١٩ رمضان عام ١٢٧٩».

وقد أجابت الملكة عن هذه السفارة المغربية بسفارة إصبانية وجهتها من قبلها كما يدل على ذلك هذا الظهير:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه أن نائب دولة الصبنيول رجع من عند دولته لطنجة باشدورا وصحب معه كتابا لجانبنا العالى بالله من عند سلطانته ليدفعه بيده وعزم على السفر بإذن دولته من طنجة للصويرة بحرا، ومنها يقدم على حضرتنا العالية بالله فى التاريخ الذى بينت صحبة من فى التقييد الذى وجهت من أعيان ٦ النصرى والأعوان ١٢، بقصد تجديد المحبة القديمة التى بين أسلافنا الكرام وبين دولتهم وطلب منك إعلامنا بذلك لنيسر له ما هو معلوم للباشدورات المحبين لدينا المقبولين عندنا، كما طلب أن لا يقيم بالصويرة إلا يوما واحدا وأن يرفق به فى

الطريق منها لحضرتنا السعيدة وظن أن ما شافهته به من الخيل ٦ وبغال السريجة ٢ والروام ٢٠ لا تحصل له به الكافية لعدم تقدم السفر له فى البر، فاعلم أنا وجهنا من يقدم به على مهل من الصورة لحضرتنا العالية بالله تعالى وأصحابه ما فيه كفاية من المراكب والروام، وأمرنا أمناء الصورة وقائدها بالقيام به وبمؤنته أحسن قيام ويأمناله بمحل مناسب له، وبأن يعتنوا به وأمرنا العمال الذين فى طريقه بالملاقاة له والسلام فى ٦ قعدة الحرام عام ١٢٧٩هـ.

وأما علائقه:

مع الدولة الفرنسية

فقد وجه لها فى السنة الأولى من ولايته كاتبه ابن إدريس المتقدم ذكره فى ثالث عشر قعدة الحرام سنة ١٢٧٦، فوصل باريس متم الشهر وقابل الإمبراطور لويس نابليون الثالث، وألقى بين يديه خطبة هنأ فيها بالمناداة به إمبراطورا على البلاد الفرنسية، ودفع له الكتاب السلطاني الذى توجه به، ثم شرع بعد ذلك فى مفاوضة وزير الخارجية فى الشؤون التى ذهب من أجلها حسبما تقدم لنا ذكر ذلك فى ترجمة ابن إدريس السالفة، وقد ألف فى وجهته هذه رحلته المسماة بتحفة الملك العزيز، وهى مطبوعة بفاس فى صحائف ١٠٩، وبعد أوبته من هذه السفارة كتب الإمبراطور المذكور لصاحب الترجمة معزيا فى والده ومعربا عن انشراحه لهذه السفارة وعلى رئيسها بالأخص وإليك فحوى كتابه:

«العظمة لله

من نابليون

إمبراطور فرنسا

بعناية الله وإرادة الأمة

إلى المقام الأعلى والجناب الأسمى السلطان ذى الشوكة العظمى

سيدي محمد

إمبراطور المغرب وسلطان فاس وسوس

صديقنا الأعز الحميم: لقد أُلنا خبر وفاة والدكم الجليل القدر، وقد كان متحققا مثلنا بلزوم تثبيت العلائق بين الدولتين وشد عرى حبل السلم والمودة بين الشعبين، وقد كانت بدت بعض السحب فى سماء صداقتنا ولكن انقشعت بكل سرعة ولن تعود للظهور أبدا، وها نحن نأسف على شخصه ونكرم ذكره، والذي يسلىنا عن فقدده ويلهم قلبنا بعض السلوى عنه هو قبضكم على عنان إمبراطورية المغرب، ولا يخفى عنا ما لكم من الأمانة التى أهلتكم لتبؤ عرش الملك، كما أننا على خبرة بما لكم من الفراسة التى تمتازون بها والتى ستكون باعثة على عدم استماع النصائح التى يديها لكم المظهرون خلاف ما يبطنون، قصدا منهم لستر الحقائق عن نظركم.

وقد وقعت منا عبارات تأكيد الصداقة بيننا موقع القبول لكوننا نحب السلم من غير أن نخاف الحرب، ولكوننا نرتاح غاية الارتياح عندما نضع يدا فى يد صديق لنا، فلتكن إذا علائق الصداقة رابطة بيننا، ولا ينبغى أن تكون تلك الصداقة اسما بدون مسمى، بل ينبغى أن تكون فى المعاملات وتظهر فى احترام المعاهدات فى احترام علم فرنسا فى احترام أشخاص وأملاك جميع من يستظل بها.

ثم إن رعاياكم القاطنين بإقليمنا أو بالجزائر لن يزالوا ضيوفاً لدينا وأصدقاء لنا، لن تنس فرنسا قط أن إمبراطورية تتشرف بحماية الأجانب عنها، وأن اتباع العدل والتخلق بالأمانة من الإقرار بعظمة الله.



كتاب الإمبراطور نابليون الثالث للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن
 باعتماده م ليون فيليب بكلاز نائبا ووزيرا مفوضا عن دولة فرنسا بالمغرب
 بدل دوكاستيون



كتاب إمبراطور فرنسا نابليون الثالث للسلطان سیدی محمد بن عبد الرحمن يعزیه فی أبيه ويشنى على سفارة ابن إدريس إليه

ولقد كانت قديما المواصله الشخصيه ومكاتبات قناصل فرنسا مع عرشكم تتكفل بإيصال الحقائق إليكم، وقد كانت تلك الوسيله المتقادمة وسيله مرضيه بين الطرفين، ومنذ توقفت العلائق حسب تلك الوسيله أخذت الأغراض الشخصيه والشهوات النفسيه تحاول أن تقوم مقام مصالح الدوله، وقد كنا عرفنا بذلك والدكم فخذ هذه الوصيه لأننا نعص عليها بالنواجذ، وقد انشرحنا لاقتبال سفارتكم وكاتبكم الخاص الطالب إدريس بن محمد بن إدريس، وأمينكم البرنوصى بن جلول وعبدكم الأسود عبد القادر البخارى، وقد استقبلهم أهل بلاطنا، وصرحنا لهم بما تكنه قلوبنا من عواطف المحبه فى جانبكم.

وأما الطالب إدريس الذى تكلم بحضرتنا نيابة عنكم فقد قام بذلك قياما ممتاز به عن غيره مع تودة، فجد نفسنا ننشرح بإبلاغكم خبرها، ولذلك فإنه يستحق من عرشكم الجزاء، وقد أظهر كونه أهلا لثقتكم به واستحق هو ورفقاؤه إنعامكم الخاص عليهم.

وقد أمرنا وزير خارجيتنا بسماع ما كلفتم به سفراءكم إبلاغنا إياه ومقابله ذلك بالقبول، وعسى العناية الربانيه تجعل الصداقه بيننا دائمة للأبد، وحرر فى قصرنا الامبراطورى سان كلود فى ٣٠ من شهر يلىز سنة ١٨٦٠ نابليون».

ثم إمضاء وزير الخارجية وطابع لم يقرأ.

وقد وقفت على كتاب آخر من نابليون الثالث لصاحب الترجمة وهو ما بعثه إليه عند إرسال سفير جديد للدولة الفرنسيه ونصه:

«من نابليون

إمبراطور فرنسا

بعناية الله وإرادة الأمة

إلى المقام العالى والجناب الأسمى وصاحب الشوكة العظمى الأمير

سيدى محمد

إمبراطور المغرب وسلطان فاس وسوس

إلى المقام العالى والجناب الأسمى والسلطان صاحب الشوكة العظمى .

وبعد: فقد رأينا أن من مصلحة العلائق التى بيننا أن نعطى مندوبيتنا بإيالة جلالكم أهمية أعظم مما كان لها، ولذلك استرجعنا قنصلونا العام المكلف بشئون دولتنا الميسو لوفكتوت دو كاستيون وبعثنا بدله صفته وزيرا مقيما بطرفكم ميسو ليون فليب بكлар الحائز على وسام جوقة الشرف من رتبة كمنذور ونیشان البابابى التاسع ونیشان المسيح ونیشان كفنصيون البرتغال والحائز على الرتبة العظمى من نیشان الافتخار للدولة التونسية، والنیشان المجيدى للدولة التركية من الطبقة الثانية .

هذا وإن الخدمات الجليلة التى تقدمت للميسو بكлар تشهد لنا بالمواهب التى يمتاز بها وحسن تدبيره وإخلاصه لجنابنا، وإننا على يقين من أنه سيبذل غاية مجهوده ليكون أهلا لثقتكم، واعتمادا على هذا اليقين فإننا نرغب من جلالكم أن تقبلوه اقتبالا حسنا، وأن تمدوا إليه يد المعونة فى كل ما يكون فيه زيادة أمن رعايا الفرنسيس الذين يتعاطون التجارة أو يتجولون بالمغرب، وكذلك فى تنفيذ جميع المعاهدات التى تربط بلادنا ببلادكم تنفيذا كلياً: كما نرغب أيضا من جلالكم أن تثقوا كل الثقة بكل ما يصرح لكم به وزيرنا نيابة عنا، وخصوصا عند ما يعبر لكم عما نتمناه لملككم من العظمة وما نوده من استمرار الصداقة التى تربط دولة فرنسا بدولة المغرب، وحرر بقصره الإمبراطورى التويلرى فى ٢٢ إبريل من سنة ١٨٦٣ .

صديقكم العزيز الحميم

نابليون»

وقد عثرت على تقييد ببعض دفاتر دار النيابة هذا نصه :

«فى ١٩ غشت عام ١٨٦٣ الموافق ٣ ربيع الأول عام ١٢٨٠ .

تقييد فى الحماية التى يجب أن يسير عليها نواب الفرنضيص الذين هم فى
إيالة المغرب :

الحماية تكون للشخص المعين لها فى وقت تعلقه بالخدمة .

وهذه الحماية لا تشمل أقارب الشخص المحمى ونائبه وإنما تقدر أن تشمل
الأشخاص مدة عمره كله، فإذا مات انقطعت ولا تورث، ما عدا دار موسى بن
سمول المكنى بريرو التى هى موروثة عندهم أبا عن جد تولدت منها سماسرة
وتراجمة فى نيابة طنجة .

الحماية تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : أولاد البلد الذين يخدمون فى دار الباشدور وديار القنصوات
نوابه مثل الكتاب والمخازنية والمتعلمين وشبههم .

والقسم الثانى : السماسرة المستخدمين عند التجار الفرنصويين فى أمور
تجارتهم، هؤلاء التجار المشار إليهم لا يسمى أحد منهم تاجرا إلا الذى يكون يتجر
تجارة كبيرة وتكون تجارته بالداخل والخارج فى المرسى، سواء كانت تلك التجارة له
أو كان نائبا فيها من غيره، عدد السماسرة الذين يكونون فى الحماية لا يزيد على
اثنين فى دار كل متجر نعم الدار التى تكون لها دار أخرى فى مرسى أخرى فيكون
لها فى كل دار سمساران محميان .

حماية دولة فرنسا لا تشمل أولاد البلد المستخدمين فى البادية فى مثل أمور
الحراثة والفلاحة ورعى الغنم وشبه ذلك .

ولكن باعتبار ما هو جار الآن وذلك بالاتفاق مع حكام مراكش الحماية لهؤلاء المذكورين، تكون جارية لهم مدة شهرين أولها فاتح شتنبر الموالى لتاريخه .

ومعروف أن هؤلاء المستخدمين فى البادية مع الفرنصيص حين تجب مطالبتهم بالأحكام فيعلم عاملهم نائب الفرنصيص ليأمر صاحب الغنم أو الحرث بتوجيه من يقف على متاعه ليلا يبقى للضياع .

زمام من هو فى حماية الفرنصيص يعطيه نائبهم لعامل البلد التى هو فيها، وإذا حدث تبدل أو تغيير فى بعض الأشخاص المحمين فيعلمه بذلك .

كل من هو فى الحماية تكون بيده بطاقة مذكور فيها اسمه وتعيين الخدمة التى هو بها، وتكون هذه البطاقة مكتوبة بالعربى وبالفرنصيصى وهذه البطاقة لا يعطيها إلا الباشدور المقيم بطنجة» .

ولعل ما بهذا التقييد هو المراد بوفق عام ١٨٦٣ فى الفصل الأول والسادس من وفق مؤتمر مدريد الشهير، وكذلك ما فيه من حماية السماسرة لعله المراد بوفق ١٢٨٠ الذى كتب السلطان مولاي الحسن للنائب بركاش بإبطاله فى ظهيره المؤرخ بـ ٢٣ جمادى الأولى عام ١٢٩٧، فلما عرضه بركاش للمناقشة فى المؤتمر عارضه ممثل فرنسا معارضة شديدة، كادت تؤدى إلى إحباط أعمال المؤتمر، ثم انتهى الأمر بإبقاء ما كان على ما كان، حسبما هو منطوق الفصل العاشر من وفق المؤتمر المذكور فى الترجمة الحسنية .

ثم أرسل المترجم بعد ذلك للدولة الفرنسية خديمه الحاج عبد الرحمن العاجى للكلام فى أمر السيد الشيخ بن الطيب وأولاده الذين كانوا يشاغبون بالحدود المغربية الجزائرية، فلقى الإمبراطور وقدم إليه الكتاب السلطانى الذى أجيب عنه بعد ذلك حسبما يدل على ذلك هذا الظهير :

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: فقد وصلنا كتابك وصحبته كتاب باشدور الفرنضيص الذى كتب لك
صحبة جواب سلطانهم عن الكتاب الذى توجه له به الحاج عبد الرحمن العاجى،
وعلمنا ما أشار إليه الباشدور المذكور مما له من الغرض فى القدوم لحضرتنا العالية
بالله، كما علمنا ما كتب لك به فى شأن الغلط الذى وقع للحاج عبد الرحمن
فيما ذكره فى أمر أولاد السيد الشيخ بن الطيب، وأن الكلام الذى وقع منه إنما هو
فى شأن والدهم يسأل عنه فى أى محل هو، وما مرادنا فيه وأن قصدهم توسعته
من نواحيهم كما تقدم له فى ذلك فالحاج عبد الرحمن ثابت وما ذكره عن
سلطانهم وقع منه مشافهة.

وقدومه الذى ذكر إن كان بإذن من سلطانهم فذاك، وإن كان من عنديته فلا
يحتاج لقدم وما يريد ذكره يذكره لك مشافهة أو كتابة، والسيد الشيخ لا يقر له
قرار لأنه صحراوى يبيت ببلاد، ويبيت إن شاء ببلاد أخرى، وقوله وما مرادنا فيه
لو وجدنا السبيل له لأدخلناه لداخل الإيالة، وما تركناه هناك أصلا ولأجله قبضنا
على ولده وأقاربه والسلام فى ١٥ صفر عام ١٢٨٢هـ.

وقد عثرت على بعض كتب المترجم لأحد أولاد السيد الشيخ ولغيره فى
أمرهم وأمر سليمان بن قدور الذين كانوا يحدثون المشاكل على الحدود فمن ذلك
ما كتب به لبركاش:

«خديمننا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بورود باشدور جنس الفرنضيص عليك
بالمكاتيب التى وردت عليه من حكومة الجزائر بالشكاية بذوى منيع وعمور الصحرا
وأولاد جرير وإيوائهم ولد حمزة وقبوله وإعانتته بالنفوس والعدة والميرة، وما
أخبروا به عن الشيخ بن الطيب من رجوعه لما كان عليه سابقا من الخوض فى إيقاد

نار الفتنة وطلبه الكتب لأولئك القبائل بالنهي عما هم مشغولون به من ذلك لكون ذلك ينفع فيهم.

فقد كنا كتبنا لهم قبل، وها نحن أعدنا لهم الكتب في ذلك وحذرناهم وأنذرناهم وتوعدنا من عاد منهم لمداخلة ولد حمزة أو إعانتته، وبيننا لهم ما يلحقهم من شؤم ذلك، وكذلك الشيخ بن الطيب أعدنا له الكتب في ذلك وندبناه لما فيه صلاحه إن أراد الخير لنفسه، ونطلب الله التوفيق للمسلمين والهداية والسلام في ٣ ذى الحجة الحرام عام ١٢٨٢».

وكتب لأهل اتبوت:

«خدامنا الأنجاد أهل اتبوت كافة، وفقكم الله وأرشدكم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابكم مذكرين لما كان لكم مع أسلافنا الكرام قدسهم الله من الخدمة والانتماء، وما كان لكم منهم من المراعاة والاعتناء، فنحن على إثرهم في ذلك إن شاء الله لا نسلمكم ولا نفوتكم ونراعى لكم خدمتكم ومحبتكم أصلحكم الله ورضى عنكم، وعلمنا ما لحقكم من الأضرار والإذابة من النصارى وسليمان بن قدور، فها نحن كتبنا لعامل وجدة بالكلام مع المتولى هناك يكفون إذابتهم عنكم والسلام ١٩ جمادى الأولى عام ١٢٨٨».

وكتب لمعمر ولد السيد الشيخ:

«خديمنا الأرضى الحاج معمر ولد السيد الشيخ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك مخبرا بأنكم لما رجعتم من قتال الفتان ولد حمزة أنتم ورعية الفرنصيص بعد قضاء الغرض فيه من رد ما كان نهبه لكم وزيادة، ورجع

فارا بنفسه لناحية القليع خائبا، ألفيتهم النصارى حملوا أولادك وأخاك وأولاده وأناسا من بنى عمك وأنزلوهم فى ناحية المعسكر وصاروا يخاطبونك بالقدوم عليهم والانتظام فى سلوكهم، وزعموا أنك من إيالتهم، ووعدوك بفعل الخير معك والامتياز عن غيرك إن أنت ساعدتهم، وإن امتنعت من ذلك منعوك من أولادك ومن معهم فتركهم بيدهم وفررت بنفسك وأجبتهم بأنك من إيالتنا المحمية بالله، ولا نرضى بالدخول فى حزبهم وتحت حكمهم، وطلبت الكلام معهم فى شأن خلاص أولادك وشيعتك ذاكرنا أن ما وقع بينكم وبينهم فى العام الماضى إنما هو على وجه الإكراه من القبائل وولد حمزة، وكانوا قبل ذلك غدروكم وقتلوا أخاك وأبناء عمك ونهبوا أولادكم، فلما أمرنا عامل وجدة بالكلام معهم على رد من ذكرت من أولادك وأولاد أخيك والوقوف عند الشروط المجعولة مع جنسهم وإنا لا نسلمكم بحول الله وقوته والسلام فى ١٤ من المحرم عام ١٢٨٩».

وكتب له أيضا:

«محبنا المرباط الأرضى السيد معمر بن الشيخ بن الطيب وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه أنك لما لم تجد من قبائل المغرب من يعينك على الأخذ بالثأر من ولد حمزة حيث فعل فى جانبكم ما فعل من القتل وغيره، اتفقت مع رعية النصارى على الأخذ بالثأر وحركوا معك إليه ولم يحضر معكم نصرانى واحد، وحيث سمعوا بما حل به نقلوا أولادكم الذين كانوا نازلين بالحدود وأخذوا مالهم وأسروهم وأنزلوهم بناحية وهران والقبيلة فى ناحية سعيدة، وتكرر طلبهم لقدمك عليهم والكون من رعيتهن وإنزالك منزلة العز والحرمة عندهم، فأبيت إلا البقاء على ما أنت وأسلافك عليه من الكون من رعيتنا المحمية بالله، وطلبت السعى فى خلاص أولادك وفكهم من الأسر لأنك اليوم نازل إزاء فجيج

تنتظر أمرنا الشريف بما يكون عليه عملك ، فقد أمرنا بالكلام معهم فى قضيتك
ولا زال جوابهم لم يرد والسلام ٨ صفر عام ١٢٨٩» .

وكتب له :

«خدمنا الأرضى الحاج معمر بن السيد الشيخ وفقك الله ، وسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد : وصلنا كتابك مخبرا بنزولك مع قبيلة العمور قرب فجيح ، منتظراً
صدور أمرنا الشريف لدولة الفرنضيص فى شأن خلاص ما أسروه لك من العيال
غدرا لما حل بولد حمزة ما حل ، مع أنك لا تسعى إلا فى الصلاح بين الدولتين .
وذكرت أن الفتان المذكور فر لناحية اتوات ، ولم يبق معه أحد من شيعته
وصار يخاطب قبائل الصحراء بالرجوع إلى ناحية الصحراء ، ويكتب من كان
مشتغلا معه بالفساد بالعود إلى قبيح حالهم الأول .

وطلبت أن نأمر جميع قبائل الصحراء بطرده وإبعاده ليستريح المسلمون من
شره ومكره ، كما طلبت تعيين طريق تسلك فيها عين الصواب مع جانبنا العالى
بالله ، حيث لا تعرف الصواب فى ذلك .

فأما أمر ولد حمزة فإننا أكدنا على تلك القبائل أن لا يقبلوه بل يطردوه من
ناحية بلادهم ويبعدوه من هذه الإيالة السعيدة .

وأما الطريق التى تسلكها والسير الذى تسير به هو أن تلزم الاشتغال بما يعنى
والإقبال على ما هو من شأن المرابطين من الركون إلى السكينة والسعى فيما يحبه
الله وعباده ، وأن تقوموا على الساق فيما عسى أن نأمركم به من أمور الخدمة
الشريفة والصلاح جريا على عادة أسلافك رحمهم الله والسلام فى ٢٩ صفر عام
١٢٨٩» .

ثم فى سنة ١٢٨٢ أوفد أيضا سفارة أخرى لباريس فى مطالب منها مسألة ولد حمزة ولد الشيخ بوشماحة المعروف بسيدى الشيخ الذى كان يغير على عمالة الجزائر.

ومنها مسألة السفراء الذين يأتون من الدولة الفرنسية للدولة المغربية، واقترح أن يكونوا منتخبين من بيوت أعيانهم ومن يتصف بالتأنى وحسن السيرة والوقوف عندما حد^(١) لهم، يرأس هذه السفارة القائد محمد بن عبد الكريم الشرقى خال المترجم، ومعه قائد سلا أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الصنهاجى من صنهاجة سوس السلاوى المتوفى سنة عشر وثلاثمائة وألف بسلا، ومعهما العلامة أبو عبد الله محمد السدراتى السلوى حفيد شارح موطأ الإمام مالك بصفة كاتب للسفارة، وقد قابل هذه السفارة ملك فرنسا نابليون الثالث بغاية الإجلال والاعتبار، وأعطى رئيسها وسامات عديدة وأقام بباريس أكثر من سنة حضر فيها المعرض الباريسى الشهير سنة ١٨٦٧ على ما أخبرنى به مؤرخ العدوتين صديقنا العلامة السيد محمد بن على الدكالى الأصل السلوى الاستيطان مكاتبه، وقد أورد صاحب الاستقصا الظهير الصادر فى هذه السفارة وقال: أقامت هذه السفارة بباريس شهرا فانظره.

وقد وقفت على ظهير شريف يتضمن الجواب عن طلب فرنسا من صاحب الترجمة أن يوجه إليها باثنين من عتاق الصافنات الجياد، فانظر هل المقصود من ذلك عرضهما فى ذلك المعرض ونص الجواب:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

(١) الاستقصا ٩/١١٦.



جواب سيدى محمد بن عبد الرحمن لبركاش فيما طلبه سفير فرنسا من
 توجيه ٢ من الخيل المغربية

وبعد : وصلنا كتابك مخبراً بأن باشدور الفرنضيص أخبرك بأن وزيرهم كتب له كتاباً أمره فيه على وجه السر، بأن يطلب من جانبنا العالي بالله توجيه اثنين من عتاق الخيل من الطبقة العليا على وجه العارية بحيث لا كلفة فيها في الذهاب ولا في الإياب، حتى إن اقتضى النظر توجيه رجلين معهما للاحتفاظ بهما يرجعا معهما فذاك المطلوب عندهم، وعرفنا ما ذكره لك من أن هذا المطلب بإشارة سلطانهم، وأنه نبه على أن لا يقع بهما إنعام من جانبنا العالي بالله، وبين أن الحامل على هذا هو المباهاة والاشتهار بمحبتهم في جانبنا العالي بالله.

فاعلم أن عادتنا أن ما خرج من جانبنا الشريف من مثل ذلك لا يرجع، وفي رجوعه معرة، فأما ما هو بصدد الذهاب والرجوع فهو موكول للتجار المكلفين بذلك وهم أعرف بما يرتكبونه فيه والسلام في ٧ شوال الأبرك عام ١٢٨٣.

ثم بعث لفرنسا بعد ذلك نائبة بطنجة السيد محمد بركاش سفيراً وزوده بهذا الظهير المخاطب به الإمبراطور نابليون ونصه :

«الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين وهو : (الطابع الكبير).

أبد الله نصره، وزين بالخيرات عصره، إلى المحب العزيز الملحوظ لدينا بعين الاعتبار والتعظيم، والمخصوص عندنا بمزيد الأثرة والتقديم، الذي أعطته الرئاسة قيادها، وأدركت به السياسة اعتيادها، عظيم جنس الفرنضيص المفخم المكرم السلطان نابليون الثالث.

أما بعد: فموجب تحرير هذا المرسوم إلى جنابكم تجديد العهود المشيدة المباني، وتأكيد أسباب الود التي يستوى معها البعد والتداني، وتهنئكم بما خولتم في هذه النزهة العظيمة، من السعادة والكرامة، وما حزتم بها من الفخر الذي نشرتم في الخافقين أعلامه، فقد تناقلت أحاديثها الركبان في الأقطار، وتدارست أخبارها البوادي والأمصار، ونسخت عجائبها مستلذات الأسمار، وكيف لا وبرأيكم المصيب، كان إيرادها وإصدارها، وعلى مركزكم العجيب، كان مدارها.

وقد أخذنا من الفرح بها السهم الوافر، واستجلينا من محاسنها البدور السوافر، لأن المحب بفرح حبيبه يتم له النشاط، وبما يلذ في خاطره يكون له مزيد الاغتباط، ولأجل ذلك وجهنا خديمنا الأرضي الأنجد، ونائبنا العاقل الأسعد، الطالب محمد بركاش وزير الأمور البرانية بحضرتنا العالية بالله لينوب عنا في تهنئكم، ويأخذ حظه من الفرح والسرور بحضور نزهتكم، والظن بجنابكم مقابلته بعين القبول والإقبال، وتوليته جانب الاعتبار والاهتبال، حتى يرجع قرير العين برؤيتكم، منشراح الصدر بما تولونه من حسن طويتكم، والتمام في ٢٢ ربيع الأول عام ١٢٨٤هـ.

وأما علائقه:

مع الدولة الأمريكية

فقد وقفت من ذلك على تعزيتهم لدولتهم في وفاة رئيسها المقتول حسبما جاء في ظهيره الصادر لنائبه ووزير خارجيته بركاش ونصه:

«خديمنا الأرضي الطالب محمد بركاش، أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك وصحبته الكناش الذى وجهه لجانبنا العالى بالله تعالى نائب جنس المركان متضمناً لذكر كل من بلغهم عزاؤه فى عظيمهم الذى كان مات مغدوراً، وذكرت أنهم وجهوا مثله لكل من عزاهم من الملوك والدول حسبما فى كتابه الذى وجهت، ونبهت على أنك كنت وجهت لهم العزاء مشافهة على مقتضى القانون حين بلغك موته، وصار كل ذلك بالبال، فاعلم أنا كتبنا له بنحو ما أشرت به، ولا بأس بذلك، فإن أسلافنا قدس الله أرواحهم كانت بينهم وبين هذا الجنس محبة ومواصلة، وكان مولانا سليمان قدسه الله يصابه ويستعمله فى بعض أموره المهمات، والله يعينك والسلام فى ٢٧ جمادى الأخيرة عام ١٢٨٥هـ.

ولما وافقت الحكومة الأمريكية على رجوع سفيرها المستر «جس مك ماص» إجابة لطلبه وأرادت تعويضه بغيره أرسل رئيس الجمهورية كتاباً لصاحب الترجمة فأجابه عليه بما نصه بعد البسملة والحوقة:

«من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى وهو (الطابع الكبير).

أدام الله علاه، وكان له وتولاه، إلى المحب المعظم، عظيم جنس المركان المحترم، البرزدنط السن سمسر كرنط.

أما بعد: حمداً لله تعالى فقد ورد على حضرتنا المحروسة بالله كتابكم المنبئ عن طلب خديمكم الناصح مسطر جس مك ماص القائم بحسب النيابة عن جنسكم بهذه الإيالة السعيدة - الرجوع لبلاده، مسقط رأسه، ومحل أنسه، وموضع طارفه وتلاده، لطول غييبته عن وطنه، وإلفه وسكنه، فساعدموه فى طلبته، وأجبتموه إلى رغبته، وأمرتموه بإنهاء ما أتم عليه من المحبة فى جانبنا العالى بالله المؤسسة بين الدولتين على أوثق أساس، المعروفة بين المحبين من

الناس، خصوصاً بين أسلافنا وأسلافكم، ورؤسائنا ورؤسائكم، حتى امتزجت بينهم وأورثوها لمن بعدهم من بينهم، وأقاربهم وذويهم.

فبلغ ما أمرتموه به قياماً بعهد المحبة والأخذ بأقوى سببه وذلك معروف عندنا ومقرر لدينا نعرفه ظاهراً كظهور الشمس، ويعرفه أسلافنا وأسلافكم، وما قصر هذا النائب مدة مقامه فى نيابته فى القيام على ساق الجد فى تجديد العهد وما قط رأينا منه إلا الخير التام، فمثله من يكون نائباً عن الدول، فى إحياء ما أسسه الأسلاف الأول، فنحبكم تراعون له ذلك، وتسلكون به أحسن المسالك، فإنه أهل لكل ما تعاملونه به من الإحسان، والبرور والامتنان، وإن تأتى رجوعه لإيالتنا فهو أولى لعقله ومروءته، وحسن سيرته.

وإن كان لكم غرض أردتم قضاءه به ووجهتم مكانه آخر فنحبكم أن توصوه بأن يجرى على سيرته وتجديد المحبة وإحياء عهدها كما فعل هذا النائب العاقل.

وبالجملة فلم يقصر فيما كان معروفاً بين أسلافنا وأسلافكم من المحبة حتى رجعت أقوى مما كانت، وأنت قطب رحا هذه المحبة المجددة بيننا وبينكم، وعلى سيرتك كانت أسلافكم مع أسلافنا، ونحن نحب أن نزيدها تأكيداً ونحیی ما أسسه الأسلاف فإن أسلافنا كانوا يقدمون أسلافكم فى أمورهم لشدة محبتهم وصدق وفائهم وعهدهم وأمانتهم، وكذلك نحن نحب إحياء ذلك بيننا وبينكم حتى تصير أكثر مما كانت بين الأوائل، وكل ذلك لصدقكم وكثرة محبتكم ووفور عقلكم حتى عرف ذلك عند جميع الناس، وحصلت بسببكم الألفة والاستئناس، والتمام ٢٣ ربيع الثانى عام ١٢٨٦هـ.

ولنختم فصول باب العلائق بذكر رسائل كان يبعثها بعض ممثلى الدول لرجال دولة صاحب الترجمة تمييزاً للفائدة، فمن ذلك ما كتب به سفير الإنجليز لمولای العباس من أصله الممضى بخطه العربى بعد الحمدلة:

الحمد لله وحده
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

من جانب موكب دبلوماسي نائب المبعوث له من جنس وفيل منزال
دولة بيلاروس في مجال القرب التي حفره الزعم المسمم البغي الغافل
الامم المتحدة السيد محمد الخطيب شديف مقام العالم بالله كرم الله

بعد السؤال من عزير الملاط انتم انتم بغير اللبيل بل بغير
مازالت المذاخر به من هو بكم قد ملوا بغيره موسي كغيره انهم والامم المتحدة
من بغير السارد موكب احدوا وقيل في ذلك لجل الوباء لاجل التسريح
في مدار هذا العيوب للموكب اليوم تحت يد من البطل والذرا والفض
من غير ذيار وكما ذكرنا في حقكم ولو ازا الدامر للمذخور ورفنا
يدعون ان بوقت المفع لا استقروا منهم ما عندكم من هذا الضرب
وان في السيرة والديون ما من للمساعد البعير في ومن جانب
من ذلك واثير انه لاجل مسكين هو ورفناهم وتحت لهم الخفايا والبيد
في اسرهم ان لم عظمي بهم التسريح مع كل ذلك نحن تغير عليهم وعليهم
ونغير نيلهم ان من هذا بغيرهم كنعنا طوشي يكون مخالف امر
السلطان ايك الله عوننا لم نصير نغير له مزر وللوكب من بغيرهم
حين تكاثر من هذه الغدير يكون الامر لاجنا امي بين ورد للتبشير
المذخور يحققوا احلا ما عند كل من تجار المذخورين ولا يكون الوق

الا بالذي تحت يدكم ولا غير وهذا انظلمه منكم والسلام

أؤتم عام 1866

محمد الخطيب

ذلك لاني بالعبور لمو جنس الساردو
مجلس التوكيل

كتاب قنصل فرنسا نائب سفيرها ووكيل دولة الساردو للخطيب وزير

الخارجية المغربية

«إلى الحضرة الشريفة سيدنا ومولانا خليفة السلطان أيده الله مولاي العباس، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: هذا التقيد لم هو منا مثل كلام من منسطر سلطنة اكرت ابرطن، إنما هو محض المحبة ومرادنا في الخير لهذه الإيالة، ولا يخفى منا صعب هذا الوقت وقدر ما يصعب الأمر يصعب دواؤه، والله يعين لمن تسبب، والحمد لله عقل سيدنا كبير، ويميز ما يكون فيه المنفعة في هذا الأمر، والله عالم لم تكلمنا في هذا ولم سعيينا فيه إلى حيث مرادنا هو تخرج بخير من هذا الأمر حتى لا يضعف السلطان ولا بيت المال وعلى المحبة والسلام في ٢ نونبر سنة ١٨٦٠.

عن إذن منسطر سلطنة اكرت ابرطن بإيالة مراكش
جان هي درمنض هي».

ومن ذلك كتاب سفير فرنسا ونائب دولة الساردو في شأن بعض التجار ونصه على ما به من عوج فاق الحد:
«الحمد لله وحده، لا شريك له:

من جانب موسى ده عيتليون نائب المفوض له وقنصل جنرال دولة فرنسا في ممالك الغرب إلى حضرة الأكرم المكرم الفقيه العاقل الأجل الأفخم السيد محمد الخطيب خديم مقام العالي بالله نصره الله، بعد السؤال عن عزيز الخاطر إن شاء الله أنتم بخير المبدى إلى حبكم، هو أن بموجب صارت المذاكرة به نرجو فضلكم تتأملوا لقضية موسى كمبرد واثنين والثلاثين من تجار السارود وفي أصفى، وتبلغوا ذلك لمحل الإيجاب لأجل التسريح بمقدار فقط الحبوب الموجودة اليوم تحت يدهم من الفول والضرا والحمص من غير زيادة، وكما ذكرنا إلى حضرته، ولو أن التاجر المذكور ورفقائه يدعون أن بوقت المنع لاستقصوا منهم ما عندهم من هذا

الصنف، وأن في السويرة والجديدة صارت المساعدة للبعض في وصق جانب من ذلك، وأخيراً أنه راجل مسكين هو ورفقاؤه وتحصل لهم الخسارة الكبيرة في أمرهم إن لم عطى لهم تسريح، مع كل ذلك نحن تغيرنا عليه وعليهم ونصير نبلغهم أن من هنا لقدام لا يتعاطوا شيء يكون مخالف أمر السلطان أيده الله لكوننا نصير نقبل به عذر.

والمرجو كذلك من فضلكم حين تكاتب هذه القدية يكون الأمر لامنا صفى حين ورود التسريح المذكور يحققوا حالا ما عند كل من تجار المذكورين ولا يكون الوسق إلا بالذى تحت يدهم ولا غير، وهذا ما نطلبه منكم والسلام ٢ اوت عام ١٨٦٠» ثم إمضاء عجمى وتحتة: كذلك النائب المفوض له من جنس السارود حسب التوكيل انتهى بلفظه وحروفه.

ومن ذلك كتاب الكولونيل حاكم تلمسان إلى عامل وجدة بعد الحمدة: «من حضرة سعادة الكرونيل حاكم عمالة تلمسان ونواحيها أيده الله إلى محبنا الفقيه السيد أحمد بن الداودي عامل وجدة ونواحيها، عليك السلام مع دوام الرحمة والبركة.

وبعد: قد دركنا كتابك على شأن أولاد انهار وأولاد على بالهامل المهاجرين، وقد استنجزنا وفرحنا غاية، بأن سيدك السلطان أيده الله أمر قبائلكم أن يبعثوا من عندهم العرب المهاجرين وهم المذكورين أعلاه، وتحقيقنا غاية بأن مرادك في الخير معنا إن شاء الله جزاك الله خيراً على ما فعلت معنا في الدعوة، وعزمت ببعث نسخة من بطاقتك لسيدنا الجنرال دوليني.

وكتب لنا في خيط تيليغراف وأمرنا بالكتب إليك ونجازوك عنه خيراً عن إصلاح أفعالك، فلذلك نحب منك أن تجمع حذوك جماعة أولاد انهار وأولاد

على بالهامل، وتخبرهم بأن جميع إخوانهم المسجونين فى وهرانه وفى افرانصه قد أنعموا عليهم بالتسريح لأجل عيد سيدنا ومولانا السلطان أعزه الله ودام نصره.

واليمانى ولد الموفق فتراه مطلق بوهرانه ويتنزه فيها، مع ولد أخيه الماحى، وابن رقية ولد محمد وتراه يرجى فى خلوط المسرحين من افرانصه، وتلك الناس يكونون فى وهرانه البابور أو فى البابور متاع يوم السبت الآتى بغير شك، وحين يجتمعوا كلهم بوهرانه يبعثونهم مطلوقين لتلمسان ومن هنا إلى سبدو، وجميع ما ذكرناه لك يكن عندك حقاً وصديقاً من جانب سيدنا الجنرال دولينى، ومن جانبنا ولذلك أبعث أولاد انهار وأولاد على بالهامل يتقربون بلادهم ويكونون موجودين لجمعهم مع إخوانهم حين يقدموا، فالله يجازيك خيراً ونحبك أن تعود تشهد فى الخير بين الدولتين بتاريخ خمسة وعشرون من ربيع الأول عام ١٢٨٢ المطابق ١٨ اوت عام ١٨٦٥».

ومن ذلك كتاب سفير الإصبان للنائب بركاش:

«الفقيه العاقل وزير الأمور البرانية للحضرة الشريفة السيد محمد بركاش لا زال عنك السؤال، نطلب الله تكون بخير وعافية.

وبعد: وصل لعلمنا أن بعض أشرار الناس حركوا سكان قليعة على نقض الشروط ودخول أراضي إسبانيا التى قبله امليلىة ويزرعونها وينتفعون بها إذ أهل الريف نقضوا الشروط، لابد من ثقل العواقب، كما لا يخفاكم، ولتجنب الوقائع المضاهية التى ينتج منها الداهية وتكدير الصلح بين الدولتين، ينبغى للحضرة الشريفة تبعت كتاب بختمه الشريف إلى متولى الريف ليقراه لمشايخ وسكان قبيلة قليعة، وتأمروا بكتابها اعتبار الأراضي التى لإسبانيا بموجب الشروط العظيمة، وتهدد بالقصاص الأشد على من ينقض الشروط أو تسبب فى الشكايات لإسبانيا بأقل ما يكون.

ولما ترفعوا طلبنا هذا لعلم حضرة السلطان فلا شك عندنا أنه يرضى بها
ويأمر بتوجيه الكتاب السلطاني كما ذكرناه قبل من حيث قبح الطريق تظنوا أن
الكتاب الشريف يطل جداً في إيصاله لمتولى الريف إذ وجهتموه قواماً من فاس
للريف، يمكنكم توجيهه لطنجة واحد من القواد الموجودين هنا يحملها لامليلية
على طريق مألقة، ونحن نسهلوا عليه السفر ونحن في انتظار جوابكم فوراً وعلى
المحبة والسلام في ٩ دجنبر سنة ١٨٦٨.

الموجه المفوض بالتفويض التام لإسبانيا قرب الحضرة الشريفة.

فرنسيسكو مري وكلوم».

ومن ذلك كتاب قنصل البرتغال للخطيب:

«الحمد لله وإليه يرجع الأمر كله.

إلى حضرة المكرم الأرضي، النائب عن المقام الشريف الواسطة في الكلام
مع نواب الأجناس الفقيه الوزير السيد محمد الخطيب، فالله يدوم مقامك بخير
وعافية.

وبعد: فاعلم وأنه بلغني من حضرتك الكتب الأول بتاريخ ١٨ والثاني
بتاريخ ٢٨ من ذي القعدة شهر التاريخ وتعرفت بجميع ما ذكرت لنا فيهما على
أجل تلك البحرية من آل جنسنا الذي عرفتك بهم من قبل، وبما قد كان توقع
لهم.

ومن مكاتبك هذه قد بانت لنا المساعدة والخاطر معنا في شأن ما تكلمت
معك به من أمر ذلك القضية، وقد ورد الأمر الشريف بأن تعرفني بالتأكيد الصادر
بالبحث على الفعال وعقابهم، مع أن ما لنا من غاية القصد والمراد هو أن تبقى
مخزنية جنسنا مقررة من غير تكدير الخاطر، حيث الملزوم على أن نعرف وكنت

عرفتها بما جرى من قبل والله يجازى المقام السعيد عنا خيراً على ما أمرك بأن تعرفنى به فى ذلك، وكذلك سيادتك والله يبارك فيك ويبقى واسطتك السعيدة بخير دائماً وعلى صفاء المحبة والتمام فى يوم ٣٠ من ذى قعدة الحرام عام ١٢٧٥ .
الخدیم جرجى كلاص قنص خنرال الجنس البرطقيز بمحروسة طنجة».

ومن ذلك كتاب «فرنسيسكو اميريكية» الأسير الإسباني بواد نون من سوس ترجمته: «واد نون فى ٦ ديسمبر سنة ١٨٦٣ .
إلى قائد الجيش المغربى^(١) .

بعد تقديم سلامنا إلى سيادتكم والدعاء لكم بتمام الصحة والعافية، نخبركم أنه قد ألقى القبض علينا فى هذه القرية ونحن الآن بها ٢٥ أسيراً نصرانياً، أما ٦ منا فقد أسروا هذه مدة تناهز السنة و ٨ قد سجنوا هذه ستة شهور بعد ما غرق بهم المركب، وأما ١٢ الآخرون فهذه ثلاثة شهور، ولهذا السبب لا ينبغي أن يأخذكم العجب حيث تجاسرنا على الكتابة إليكم ولم تتقدم إلينا إلى الآن المعرفة بجنابكم، وعليه قد بلغنا بواسطة أحد أتباعكم أنكم وصلتتم صحبة حضرته إلى المدينة التى نحن مسجونون بها، فعزمنا إذًا أن نكتب إليكم على يد خادمتكم المذكور وكذلك لسموه طالبين منه أن يبذل كل رخيص وغال لديه ليخرجنا من هذه الغربة، وكما نطلب منكم أن تعملوا كل ما فى وسعكم وسنحفظ لكم هذا الجميل ما حيننا .

وأما إعداد تخليصنا فقد بيناه فى الكتاب الذى وجهناه لحضرته ونعلمكم أيضاً أن الدكتور لويز كارسيل رئيس المركب المسمى بلاكولط بوليكاربو من الخزيرات قد أسر معنا، وكان هذا المركب يبحر على طريق الرباط، وقد كان خرج

(١) فى هامش المطبوع: «لا يعرف هذا القائد على المحلة المغربية المتوجه لتلك الناحية» .



كتاب جرجى كلاص قنصل البرتغال بطنجة للسيد الخطيب وزير الخارجية المغربية

Sa Majesté
 Le Sultan et Valide de Maroc
 Très-Hauts Empereurs

Depuis que Votre Majesté est montée sur
 le trône de ses Ancêtres, Elle a eu à
 lutter contre de graves difficultés,
 que son courage et sa sagesse ont
 heureusement apaisées.
 Maintenant, Sire, peut rendre
 Votre règne à jamais glorieux, et
 accomplir la bonheur de Vos peuples,
 il ne reste à Votre Majesté qu'à
 consolider sa puissance et à développer
 les éléments de prospérité que le Ciel
 a répandus sur la terre privilégiée
 du Maroc.

Pour atteindre ce but élevé, voici les moyens
 qui s'offrent naturellement à Votre Majesté.
 Augmenter les revenus du Trésor, en
 perfectionnant le système des impôts.
 Réorganiser l'armée, d'après les principes
 les plus modernes de la science militaire, et
 en dotant la nouvelle artillerie.
 Étendre dans tout l'Empire les chemins
 de fer et des routes carrossables pour faciliter
 les déplacements de troupes et les mouvements
 du commerce.
 Fonder une institution de Crédit qui
 donne l'impulsion aux grandes entreprises
 industrielles.
 Mais, avant tout, Votre Majesté pourra, sans
 doute, que l'opération la plus urgente est de
 contracter un emprunt public, dont une
 partie serait employée à satisfaire les
 exigences de l'Espagne, et l'autre partie
 à introduire les améliorations nécessaires
 dans l'intérieur du Maroc.
 Si Votre Majesté approuvant ce plan, daigne
 m'honorer de sa précieuse confiance, en me
 nommant son Général, et agent spécial
 à Paris, pour contribuer à la réussite de ces
 projets, de concert avec plusieurs sociétés
 financières, un projet d'emprunt qui réunisse
 les conditions les plus avantageuses pour le
 Maroc, et je travaillerai avec zèle à donner les
 intérêts de Votre Majesté, auprès du Gouvernement
 Français.

Je suis avec le plus profond respect,
 Sire, de Votre Majesté, humble
 et dévoué serviteur,
 Signé: De Lamoignon
 Grand Secrétaire Général de l'Empire

كتاب وكيل قنصلية بوليفيا بباريس للسultan سيدي محمد بن عبد الرحمن

من آسفى موسوقًا زرعًا قاصدًا الجزائر الخالدات (كنرية) فغرق فى ٢٧ مايو بعد ما امتلأ ماء وفى ٢٩ أمكن هذا الرأس أن يصل إلى الشاطئ دالميانو مع ٧ من البحرية فألقى القبض عليهم.

وخلاصة الكلام فنؤكد على جنابكم أن تبذلوا الجهد الجهيد فى إنقاذنا من هذه الغربة، وأن تتفاوضوا مع الأمير فى شأننا واعلموا أن جل هؤلاء الأسرى متزوجون وأن عائلاتهم الآن يتقبلن احتياجاً عادمين يد المئونة. ها ما وجب به الإعلام اليوم وانظروا حالة هؤلاء الأسرى الذين يقبلون يدكم.

الكاتب: فرانسيسكو اميريكه.

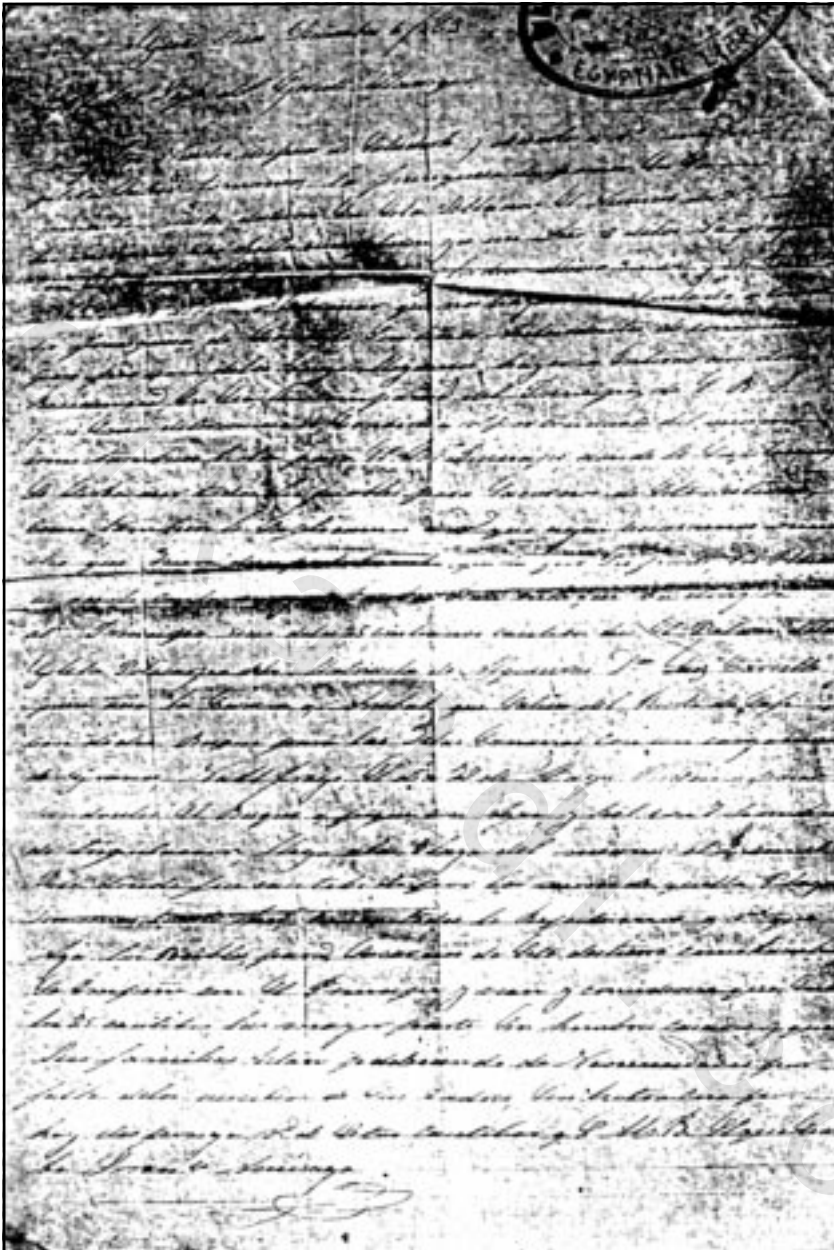
ومن ذلك كتاب وكيل قنصل بوليفيا بباريس للمترجم:

«إلى جلالة السلطان وال خليفة بالمغرب الإمبراطور العظيم.

منذ ارتقاء جلالتم على عرش أسلافها الكرام ما فتلت تحارب الصعوبات الخطيرة التى أزحتموها بفضل شهامتكم وحسن تديركم، والآن يا جلالة الملك لأجل الحصول على عظمة دولتكم بصفة دائمة والقيام بسعادة رعيتكم، فإنه لم يبق لجلالتكم إلا تقوية دعائم سلطتكم ونشر أصول الثروة التى أفاضها الله تعالى على البلاد المغربية المخصوصة بكل خير ولأجل الحصول على هذا المقصد السامى فها هى الطرق المؤدية طبعاً لذلك وهى:

تكثير دخل بيت المال بتحسين طرق الجبايات.

تنظيم الجيش على مقتضى أحسن أصول الفن العسكرى الحديث وذلك باستعمالكم للمدافع الجديدة.



كتاب فرانسيسكو أميريكه البحرى الإسبانى الأسير بواد نون

إحداث السكك الحديدية وطرق العربات بسائر أصقاع المغرب لتسهيل انتقال الجنود والحركات التجارية .

تأسيس مركز مالى يكون باعثًا ومقويًا للمشاريع الصناعية .

ولكن قبل كل شيء فإن جلالتم ستري بلا شك أن أول عمل مستعجل، هو عقد سلف عام يخصص قسط منه لإرضاء مطالب إسبانيا والقسط الآخر يصرف فى الإصلاحات الواجبة بداخل الإيالة المغربية .

هذا وإذا قبلت جلالتم هذه الأفكار فلتفضل بتشريفى بثقتها النفيسة بتسميتى قنصلها العام ووكيلها السرى بباريس لأعينها على تحصيل ذلك، وأعرض عليها مشروع سلف بعد مفاوضة جماعة من الدور المالية، يكون جامعًا لسائر الشروط التى تفيد المغرب، كما أنى سأعمل غاية مجهودى للقيام بمصالح حكومتكم لدى الدولة الفرنسية وأقدم لجلالتم واجب الاحترام .

الإمضاء: سيجير دوليصار .

وكيل القنصلية العامة لحكومة بوليفيا .

بشارع لافيكتور عدد ٧ بباريز .

باريز فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٦١ .

وحوله طابع مكتوب بداخله «القنصلية العامة لحكومة بوليفيا» .

ومن ذلك تقييد مطالب سفير الإنجليز ونصها بإمضاء العربى بعد الحمللة .

«أوله ما كان واعد به السلطان المقدس من قبض وعقوبة السيد مسمى وأولاد سيدى الشيخ وطردهم من محادة الفرنصيص فلا من وفاء ما ذكر أو تصدر منه مشقة .

فالجسارة الصادرة لخليفة اكرت ابرطن بشغر آسفى من عاملها بهجم محل الخليفة المذكور وحوز أمتعته، وهذا العامل المذكور فالواجب هو عزله من الخدمة عن هذه الجسارة المهمة، ويرجع للخليفة الأمتعة المذكورة وقد أمرتنى دولتنا بطلب الحق التام عن هذا الأمر.

والمطالب الكائنة المتعلقة بالمراسى فلا بد من فصالهم دون تعطل، والفقيه السيد على المسفيوى أو كاتباً آخر يؤمر بفصال هذه الأمور ويجعل الحق.

والمكس المجعول على الأبواب ينبغى زواله وتركه حيث يصدر منه الغير الكثير لرعية السلطان أيده الله، وخلافاً لمراد دول الأجناس حيث فالسلع يتأدى عليها عشرة فى المائة وقت نزولها، وفى السلع الخارجة يتأدى عليها من ١٩ إلى ٢٩ فى المائة، ولهذا يكون مكس آخر على ذلك مخالفاً لمضمن الشروط، وذلك مستنبط من رأى لا عقل له من أحد من أهل فاس، والكثير من المستفاد المذكور يدخل بصناديق الخدام ولم يدخل بيت المال.

وديون العمال لرعية الأجناس فلا بد من فصالهم ويصدر كثير الغيار من هذا التعطل.

وما كان واعد به السلطان المقدس فى أمر جعل المون لمرسى طنجة وحصر البحر بدار البيضة، وجعل الطلكراف، وهو الكلام فى السلك فلا بد من وفائه أيضاً.

فخدام مرسى الصويرة يشتكون منهم مراراً فيما يجعلون من المشقة لقونص اكرت ابرطن وقونص الفرنضيص هناك ولغيرها من قنصوات الأجناس من العكس الصادر منهم فى الأمور الصغار، وعن جعل الحق ومن ظهور الخصوصية منهم فى الأعشار، فالمستحق لهذا الخدام التوبيخ التام أو العزل بالكلية أو تصدر منهم المشقة الكبيرة.

ويقع النهب مراراً لرعية اكرت ابرطن ولغيرها من رعاية الأجناس بشغر الصورة أيضاً، قبل وفاة السلطان المرحوم ولم ينفضحون النهاب ولم رجعت الأمتعة المنهوبة لأربابها، والظاهر وأن عاملها يقسم معهم ويذكرون وأن العامل.. (بتر). ولا بد من البحث في هذا النهب الواقع المذكور وصدور الحق عليه.

والأمور الأخر المتعلقة أيضاً فلا بد من فصالحهم والسيد بوبكر بيده التقييد عن ذلك وخبر الجميع وفي ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٧٣.

جان هي درمنض هي».

وقد أتينا لك بهذه الوثائق الرسمية والمعاهدات الدولية بنصوصها على ما بها من ألفاظ عامية، وتراكيب سقيمة، هي الأمثلة العليا للركاكة والفهاهة، بحيث لا يقبلها ولا يسيغها ذوق المتأدب فضلاً عن الأديب، ولكننا آثرنا ذكرها على ما ذكر من اعوجاجها لما فيها من الفائدة التاريخية التي هي المقصد الأهم عندنا، ولأنها صادرة عن رجال مسئولين عن تلك الحوادث وقد كتبوها بخطوطهم، أو أمضوها بتوقيعاتهم، فأقوالهم أصدق الأقوال في موضوعها، ورواياتهم أقوى الروايات، والله الموفق في الماضي والآت^(١).

حساب الموازنة والدفاتر المالية في عصره

كان نظام بيت المال أو حساب الموازنة المالية لصندوق الدولة في عصره على أتم وأضبط ما يكون، بل إن من يطالع ويفحص ما بمكتبتنا من الدفاتر التي لا تزال ناطقة بحسن النظام وترتيب حساب الموازنة في هذا العصر والذي قبله وبعده، يدهشه ما يعثر عليه من دقتها ونظامها، ولا يكاد كثير من غير المطلعين يدرون شيئاً منها، فبيت المال كان عهده وعهد سلفه سائراً تحت نظام لا يختلف في شيء من أصوله ومؤسساته عن نظام الموازنة المالية العصرية المعمول بها في هذا الوقت.

نجد بين أيدينا دفاتر حسابات الموازنة العمومية، وهذه تشتمل على أقسام ودفاتر متنوعة بتنوع وجوه المدخولات والمصروفات المالية من حساب الجيش

(١) حافظنا على الأسلوب هنا وفيما مضى ليكون شاهداً على لغة عصره في مثل هذه الوثائق والمعاهدات الدولية.

بأقسامه وحامياته المرابطة بكل ناحية على حدة نأت أو قربت، وحساب المصالح المخزنية والوزارات والعمالات، وحساب النفقات الخاصة والعامة، لمختلف شئون ومصالح المملكة والتابعة لها والمتعلقة بها، كنفقات السفراء والواردين والمتوجهين لخدمة الأغراض السياسية والتجارية، بينه وبين سائر الممالك، ونفقات الدار السلطانية مفصلة بكل ضبط، فمنها للسلطان نفسه ولخدمه وخاصته وحرسه و و و وهكذا قسم المدخولات وأبوابها المرتبة ونظامها المتقن البديع المتبع فيه نفس النظمات المالية بعينها وذكر كل وارد على حدة وبابه وقسمه وطريقه الوارد منه وإلحاقه بمحله اللائق به .

ومن لى بأن يعرف المطالع أو يقف بنفسه على هذه الأسفار الحسابية نفسها، فإن قليلاً من إرسال رائد النظر يدرك معه ما كانت عليه حسابات الدولة العلوية العلية من النظام الذى لا أخشى أن أردد عنه ما قلت من أنه لا يقل شيئاً عن حساب الموازنات المالية فى هذا العصر، إن لم نقل إن ذلك عنا أخذ .

ومع كون الحسابات مضبوطة أتم ضبط ومرتبة أحسن ترتيب، نشعر أن الدقة كانت تتناول ما عدا الحسابات اليومية والشهرية ومجموعة السنوية ترتيب الأرقام وإحكام وضع أعدادها المنضبطة إزاء كل فصل من فصول الخارج والداخل، ثم وضع مجموعات حاشية الصحيفة بضبط مع جعل شبهه مجموعة عامة اختبارية فى الآن نفسه أسفل كل ورقة، وقبل نقل ذلك ومتابعة العمل فى الصحيفة الموالية .

فنفقات التراتيب المخزنية وحواشى الدار ونفقات ما فوق العادة والطارئة والفصول التى لا تندرج تحت قائمة أو باب معينة، كل ذلك كان معروفاً ومذكوراً بحساب الموازنة المالية المغربية على هذا العهد، وكان السلطان يطلع عليه ويعلمه ويدققه احتفاظاً بحقوق الأمة تصرفاً بالحق والعدل فى مال الدولة والرعية،

واستعمالاً لذلك فى وجوهه الشرعية والقومية التى يصرف فيها، ومن أجلها وقعت جبايته وتحصيله .

وهل تظن أن إصلاح عربة السلطان والتنصيب على فرشها وإقامتها وكل أجزائها، مهما كان ذلك صغيراً أو مهم، وذكره فى حساب النفقات الخاصة بالسلطان، وجعله فى موازنته ليطلع عليه كان لغير معنى أو سبب من الأسباب التى نومي لها من توخى الدقة والمراقبة التامة على جليل الأشياء وصغيرها مع إحكام النظام والحسابات على نمط يشبه أحدث الطرق العصرية المستمدة من علم الحسابات ومسك الدفاتر وفنون التجارة والاقتصاد .

وهل لك أن تعيرنى سمعك فأحدثك كيف كانت الدولة تسلف التجار والقبائل سواء بالحاضرة أو بالبادية إذا ألت بهم ملمة مالية أو همت بالوثوب عليهم أزمة اقتصادية على نحو ما نشاهده الآن من صنيع الحكومات الراقية، واعتنائها بمد يد المساعدة إلى الرعية كلما حدث موجب ذلك من شتى الأحداث والنواب، وقد كان هذا السلف يدفع لأربابه ومستحقه من غير فرق فى ذلك بين أهل البلاد من المسلمين وأهل الذمة من اليهود الذين كانت أشغالهم التجارية متسعة النطاق على ما هو معهود منهم .

وليس ذلك فقط ففى هذه الدفاتر المرتبة المنظمة تجد أنواعا من التراتيب التى كانت تشمل هذا وغيره من الفصول الشاهدة بدقة الحسابات وتنظيم المالية إلى حد واسع مديد، ليس بعده من مزيد .

وما ورثته عن سلفى من ذلك إنما هو نقطة من بحر، وجزء من ألف، ولو وقع الاحتفاظ بدفاتر الدولة وأوراقها التى فرقت أيدى سبا وأوقدت بها الأفران والحمامات ولفت التوابل فى البقية الباقية - وليس ذا ببعيد - لكنت آية إعجاز للرائين والسامعين ومادة أبحاث للباحثين والمؤرخين :

البحر المدون في هذا الكتاب مباح في معجمه مشتمل على الواو والسين

وزن لکھنے کے بعد اس شعبہ میں لایا گیا 274

[illegible]

الصفحة الأولى من كناش الداخل السعيد في ١٦ شعبان عام ١٢٧٤

فمن تلك الدفاتر كناشة من الجرم المستطيل نصفها الأول يشتمل على الداخل السعيد بمكناس فى مدة الأمين السيد محمد الزكارى، ثم ما دخل فى مدة الأمين الحاج محمد بن جلوان، ثم الأمين السيد عبد السلام ودان، ذكر فيه ما دخل على كل واحد منهم يومياً ابتداء من الزكاوى فى ١٦ شعبان الأبرك عام ١٢٧٤ مع بيان كل يوم وما دخل فيه، وبعد أن ذكر جميع الداخل عليه أسقط منه جميع ما صيره وحسب الباقي على خلفه ابن جلوان، ثم جمع ما دخل على هذا وأسقط منه ما صيره وحسب الباقي على خلفه ودان.

ونصفها الثانى يشتمل على بيان الصائر السعيد بمكناس مياومة وما صيره كل واحد من الأمناء المذكورين، فالزكارى ابتداء من التاريخ المذكور إلى فاتح ربيع الثانى عام ١٢٧٥، وابن جلوان منه لمتصف ذى القعدة من العام، وودان منه لخامس جمادى الأولى عام ١٢٧٦، وذلك مع ذكر اسم كل يوم وتاريخه من الشهر وبيان قيمة كل شىء مما يصير فيه فوقه، وإذا كان ذلك الشىء متعدداً ذكر عدده عن يسار اسمه، وإذا امتلأ الوجه من الصحيفة وأريد الانتقال لما بعده ذكر أوله جميع الصائر يمينه، فإذا انتهى صائر اليوم الواحد جمع أسفل الأعداد المصفوفة، وربما خط خط عن يمين تلك الأعداد المصفوفة وذكر جمعها فى الوسط منها بعد الخط على الهيئة المعروفة اليوم، ومثل ما قلناه فى قسم الصائر يقال فى قسم الداخل، وقد بلغ جميع ما دخل على الأمين الزكارى فى هذا الدفتر: ٥٠٧٤٣١١ وكسور

أسقط منه جميع ما صيره مدة خدمته وهو: ٤٧٠٢٣٥٤ وكسور

الباقي الذى حازه الأمين ابن جلوان ٣٧١٩٥٧ وكسور

جميع الداخل عليه ٢٧٩٩١٧٣ وكسور

أسقط جميع ما صيره ٢٤٨٥٦٥٤

ما وجد نقصا عنده

٣٤٨, ٠٠٠

الباقى الذى حازه الأمين ودان

٣١٣١٧٠

الداخل عليه

٥٩١٤٣٨٤ وكسور

صائره

٥٤٤٥٢٥٥ وكسور

فالداخل يجتمع ماله من الأعشار والزكاة والمستفادات والجزية^(١) والهدايا والملاقة التى يقدمها الموظفون والعمال، وما يقبض من أصحاب كنطردة تبعة وما يجتمع من متخلف البعض وما يفضل عن الرواتب والصوائر المقررة فيرجع، وما تباع به بعض الحبوب أو الحيوانات وما يخرج من بيوت الأموال والدعائر والمصادرات والسلف المقضى ومتخلف المنقطعين وما يبعثه بعض العمال من الإعانة للحركة وما يرسله أمناء المراسى وغير ذلك.

والصائر يصرف ماله فى أجرة الرقاصين أصحاب البريد والحمارة والمسخرين، وإصلاح الأدوات والأماكن والشعير وطلبة الحساب وأمناء المدينة والكتب وهدية الطلبة والمثونة الملزمة، وأصحاب العمال والأمناء والخلفاء وغيرهم، ومعونة بعضهم وحجاج الجيش البخارى، وطرافة مجلدى بيت المال، وما يدفع لبعض الأشراف وطلبة بعض المدن والقبائل، وأصحاب اللطيف، والنساء والمتزوجين، والجيش الفاسى، وبعض الإعانات والعطايا والصدقات والكنانيش، والمداد والكاغد، وثياب اللباس، والرايات وفضة دار الضرب ومثونة الجيش اليومية من خيل ورماة ومقدمين وقواد الأرحى والمشفع والنفار فى رمضان، وطبجية الثغور والعريفات والمعلمات والوصيفات والفرايجية، ووفود المدن والقبائل فى الأعياد وتجهيز موتى الجيش والطبجية، وصدقات طريق المسجد فى الجمع، وما

(١) فى هامش المطبوع: «بلغت جزية أهل الذمة بالرباط ٢٦٦٦٦ من المشاقل وأهل الذمة

بسلا ٥٢٠٠ ومن مكناس ١٠٠٠ ومن آزمور ٣٥٠٠..

يدخل لبيت المال، وما يدخل للحضرة الشريفة، وراتب أهل أزغار من خيل ورماة ومقدمين وغيرهم والخلط سكان مكس كذلك ونقش الطوابع، وجيش أهل الريف، والأودية، وصلة ليلة المولد بيد الفقهاء والأشراف والقضاة وصائر الوحوش والمكلف بها، وما يدفع للمؤذنين والموقتين وما يدفع للأمين قدر إن صائرا على الدار العالية بالله وعلى الكشيئة السعيدة أو على يد الفقيه المحتسب عن كل خمسة أيام، وعلوج الأجنة وللنساء بباب السوائى كل خميس، وخبز قيالة الأسبوع، والسلف لبعض الناس، وما يعطى للممنون عليهم بالإسلام، والوافدين من الحرم، ومئونة الدار العلية بالله شهريا، وإصلاح الكدش السعيد، وصدقة الطلبة والمساكين وغيرهم عند موت السلطان المولى عبد الرحمن، وللقاضى والعدول الذين كتبوا بيعة المترجم، وصلة أيتام الجيش البخارى والمتأيم منه، وما دفع لأصحاب القصائد والأطباء إلى غير ذلك من وجوه الصرف المتعددة.

ومن ذلك كناشة أخرى تقع فى مجلدين مربعين ذكر فيها ما دخل للجناب العالى بالله من ربيع الأول عام ١٢٧٨ إلى جمادى الأولى عام ١٢٨٧ من السلف، ومستفادات الأبواب، والموازين، والبارود، وكنطرده تبغة والاطرات والكبريت، والحوافر، والأعشار والزكاة والدعائر كل شهر على حدة، كما قيد بها الصائر السعيد للدار العلية بالله بمكناس، وما أضيف إليها من التاريخ المذكور إلى شعبان عام ١٢٨٦ مبينا فيها ما كان يوجه لها من اللوازم المعاشية السنوية والشهرية واليومية من خليع وزيت ودقيق وخالص وكسكسون ولحوم وخضر وتوابل وغير ذلك من حاجات المنازل، كما ذكر فيها ما كان يخرج صائرا يوميا لغير ما ذكر كمئونة خبز الملزومة والصدقة ومئونة الجيش والشعير والنخالة وطعام باب منصور العليج، وللذاكرين اسم الله اللطيف بضريح المولى إدريس الأكبر، ولذاكره بمكناس، وما صير فى غير ذلك من الأمور الحوادث كطلبة الهندسة والفرايلى

وصاحبه، وصدقة جامع الزيتونة كل جمعة وتجهيز الشريفات والوصيفات والوصفان والمستولدات، ومئونة المساجين وتقطير الورد إلى غير ذلك مما تقدم ذكر مثله فى صائر الكناشة السابقة.

ومن ذلك دفاتر رواتب الجيش السعيد ومئونته، منها دفتر فى مجلدين مربعين أولهما صغير الجرم يتضمن بيان توزيع الراتب الشهرى وتفريقه على الجيش كل شهر على حدة بحسب ٢٥ للفارس، ونصفه للراجل، والرابع للكبار والطلبة، والثلث للثمن للصبيان، ثم أبذل ذلك بحسب ٣٠ للفارس والنصف للرماة، والثلث للصغار، والرابع للكبار والطلبة، والثلث للصبيان على هذا الترتيب: (عبد الزنقة، سعادة، الجوارم، الزمرانى، سعود، تفياللت، المسخرون، الفرايجية، أصحاب سيدنا، اجراى، الطبجية، الأعلاج، مجاط) وربما أسقط أرباب المراتب الثلاث الأخيرة أو آخرهم إلى أن حذف ذكره وربما زيد على ما ذكر أصحاب القائد إدريس والعسكر، وراتب أهل سوس سكان فاس وآزغار ومئونة الباشا والقواد والعلافة، وللجدعان الفطام ومئونة العسكر النظامى والداخلين فيه، وذلك مع بيان الصلات التى ينعم السلطان بها أحيانا عليهم وعلى قواد المائة والأرحى والمقدمين.

وابتداء هذا الجزء الأول من الدفتر من شهر ربيع الثانى عام ١٢٥٢ ومنتهاه جمادى الأولى عام ١٢٦٧ وأول الثانى جمادى الثانية عام ١٢٦٧ وآخره ربيع الأول عام ١٢٩٤ فهذا الدفتر بجزأيه يتضمن راتب الجيش على عهد الملوك الثلاثة المولى عبد الرحمن وولده المترجم ونجله المولى الحسن.

وقد زيد فى الثانى على الأصناف المذكورة فى الأول المسخرون الذين مع الخليفة وأصحاب العباس والبوابة، وأبدل اسم الصغار بالشويردات - وأسقط اسم العسكر، وربما زيد عبيد البخارى الواردون من الغرب والكدارة والخلط وسكان مكس وأصحاب الطالب إدريس وعسكر أهل المدينة.

ولما تولى المترجم صار واجب من ذكر بحسب ٥٠ للفارس، ونصفها للراجل إلى آخر المراتب، ثم عاد لما كان عليه قبل وتقرر اسم العسكر والطبجية والخلط وأهل تولال زيادة على ما كان، ولما تولى المولى الحسن زيد اسم الشرفاء والوصفان وصار يدفع لهم تارة ١٢٠ وأخرى ٦٠ وآونة ٣٠.

ومنها دفتر المؤن اليومية للجيش والحواشي والحناطى والمسخرين الذين كانوا يرسم الخدمة مع صاحب الترجمة زمن خلافته، وكذلك غيرهم يقع فى مجلدين مربعين .

وقع ابتداء الأول من يوم الاثنين ثالث ذى الحجة الحرام عام ١٢٧٠، وانتهأؤه متم ذى الحجة عام ١٢٧١ .

وأول الثانى من فاتح محرم عام ١٢٧٢ إلى متم ذى الحجة منه .

وترتيب الأصناف فيه على هذا النحو: (الجيش البخارى، المسخرون منه، مسخرو القائد إدريس، أصحاب ابن قدور، أهل سوس المنشية، زرارة وتكنة والشبانات، جيش دليم، المسخرون منهم، مسخرو الأوداية، مسخرو المغافرة، مسخرو الرباط، الطلبة، الفراجية، أصحاب الأتاي، الفراش، السجادة، الطبالة، الوضوء، الجزارة، الأروى، الفرادة، المكاحل، المظل، المشاورية، الطبجية، الحمارة، عسكر الحاج أحمد، عسكر مصطفى، الرقاصة، الخلط، أصحاب سيدى محمد بن الميمون، الجمالة، الأوداية).

وقد ينقص بعض ما ذكر وقد يزداد عليهم غيرهم من الواردين والعيادة وأصحاب الهدايا كوصفان بريرة وأهل العرائش وطنجة وزمور وآيت يزدك وآيت يوسى، ووصفان الأحلاف وادالة مكمان، وولد حماد كروم، والسيد على بن الجناوى، وأولاد إدريس، وآيت أسدى، وأولاد الحاج وزيان، وادالة الرصانى

وأصحاب ابن عبد الصادق، وطلبة اكرای والطلبة المختاريون، وأصحاب ابن الشليح وغيرهم، ثم أبدل عسكر مصطفى بعسكر على والطالب.

ومن ذلك كناشة كنطردة تبغة عن سنة فى مدة أمينها السيد محمد الديرى والسيد عبد القادر الشعشوع وذلك من تاريخ ذى الحجة عام ١٢٨١ إلى ذى القعدة عام ١٢٨٢، ذكر فيها ما يباع من تبغة والعشبة على اختلاف الأنواع وما يضاف لذلك وما يتعلق به ومن أخذها وفى أى تاريخ أخذت وما صير عليها من أجرة أجير، وثمان متعلقات وغير ذلك، فإذا انتهى الشهر أمضى على ذلك عدلان بشكلهما.

وما ذكرناه عن دقة تنظيم دفاتر الدولة وترتيبها وضبطها وجريانها على قانون مرعى لم يكن خاصا بالدفاتر المالية وحدها، ولا بهذا العصر المسمى وحده، بل هو تابع لما تقدمه وما بعده تابع له كما تدل على ذلك الأدلة التى منها دفاتر عبيد الجيش البخارى فى العصر الإسماعيلى، ولا زال بعضها مدخرا بخزانتنا، ومنها الدفتر المذكور سالفا فى فصل التراتيب المالية من ترجمة السلطان سيدى محمد بن عبد الله، وقد نقلنا منه فوائد. ومنها دفتر المعاهدات فى عهد المولى عبد الرحمن يتضمن الاتفاقات التى عقدها مع الدول الأروبية والأمريكية وغيرها من اتفاقات أسلافه كالمولى عبد الله وولده سيدى محمد ونجله المولى سليمان.

وقد وقفت على دفتر مرسى ثغر الصويرة فى عهد المولى الحسن من شوال ١٣٠٨ إلى أواخر ١٣١٠ يبدأ فيه بذكر الموضوع يوميا مع ذكر الشهر والسنة وما يوافقهما من التاريخ المسيحى وبيان اسم المعشر واسم الباخرة أو المركب التى وردت فيها سلعته ونوعها وبيان عددها ووزنها وسومها، وما يجب فيها، ثم يتبع بالموسوق كذلك، ويجمع ما تحصل فيهما ويزاد عليه واجب المخطاف للباخرة أربع ريات، وللمركب اثنان، وتعد المراكب والبواخر الواردة، ويذكر ما قبض من

السلف الذى عند بعض الأفراد ثم يشهد الشهود على ما اجتمع فى داخل ذلك كله .

وفى الصفحة الموالية يذكر صائر ذلك الشهر من مؤن يومية، ورواتب شهرية ومنجرة القوارب الجديدة والقديمة، وإصلاح السور والمون إذا أفسده البحر والبناءات والأمور الحادثة، وإصلاح الرباع ومؤن المحلات الموجهة لسوس، ويجمع ذلك الصائر كله ويشهد عليه العدول .

ثم تذكر نسخ الظهائر السلطانية أو رسائل الحاجب أو أمين الأمناء الموجهة للأمناء بدفع بعض ما فى أيديهم وصرفه فى وجوه معينة، ويشهد الشهود على مقابلتها ومماثلتها لأصلها، ويجرى العمل كذلك فيما يليه من الشهود، وأعلى ما بلغه الداخل الشهرى فيه ١٨١٢٩ من الريال وأدناه ٣٥١٤، وأعلى ما وصل إليه الخارج الشهرى فيه ٤١٦٣٠ ريالاً بانضمام مئونة المحلة الموجهة لسوس، ووادى نون والرقم الذى يليه ٣٢٨٧١ بانضمام مئونة المحلة ويليهِ ٢٧٢١ بانضمام كسوة العسكر الموجهة لرودانة والمحلة وأدناه ٢٩٢١ ريالاً .

ومن ذلك كناشة القوس السعيد وقد أسلفنا الكلام عليها فى فصل السكة من الترجمة الحسنية ونقلنا أمثلة منها للإيضاح .

ومن ذلك دفتر كان معداً فى الدولة الحسنية أيضاً لتقييد ما يصاحب الفراش السعيد من صناديق الكتب واللباس والأدوات وغيرها عند انتقال الجناب العالى بالله بين عواصمه، وما يبقى من ذلك فى قباب القصور السعيدة، وما يحول عن محله لغرض، وكذلك ما يوجه من الهدايا للدول، والهدية التى كانت معدة للسلطان العثمانى وغير ذلك .

ومن ذلك دفتر آخر يشتمل على ما تعلق به الغرض من نسخ المكاتيب التي كانت توجه أصولها من باشا فاس عبد الله بن أحمد للحضرة الحسنية وغيرها من مكاتيب الوزير والحاجب وأجوبتهم عن ذلك.

وكذلك عثرت على بعض دفاتر دار النيابة السلطانية بطنجة في هذا العهد، وفيها نسخ ومبيضات ما كان يوجه من الرسائل للحضرة الشريفة والوزراء والأمناء والعمال وسفراء الدول، إلى غير ذلك مما يطول تعداداه.

آثاره

منها معمل السكر الهائل الضخم البناء المحكم الوضع، الذي أحدثه بأخريات جنان أجدال بمراكش الحمراء، وأنفق في بنائه أموالا طائلة، وجلب إليه العملة وما يتوقف عليه صنع ذلك من الأوانى والآلات، وأمر بغرس القصب الحلو واستنباته وتهئية المزارع الطيبة له، وأتى بمن يحسن عصره من أوربا بأجور عظيمة، ولما عجز أولئك الأوربيون المجلوبون لعصر قصب السكر وتصفيته وإخراجه من القوة إلى الفعل عن إتمام عمليتهم جلب الصناع المهرة من مصر القاهرة.

وقد وقفت على كثير من رسائل السلطان مولاي الحسن بإمضائه كان يكتبها لحاجب أبيه لما كان خليفة عنه بمراكش في موضوع هذا المعمل وإشغاله نص أولها:

«محبنا الأعز الأرضى الفقيه السيد موسى بن أحمد سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فإن المعلم النصراني قد أكمل عمل الكير الكبير الذى أمره سيدنا نصره الله باختراعه فجاء عجيب الصنعة غريب الشكل، وقد دفعناه لأمناء العتبة

الشريفة إلى أن يأمر سيدنا نصره الله فيه أمره المعتبر العالى بالله وعلى المحبة والسلام فى ٧ ربيع الأول النبوى الأنور عام ١٢٨٥ .

حسن بن أمير المؤمنين» .

ونص الثانى :

محبتنا الأعز الأراضى الفقيه السيد موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله .

وبعد : فإن القائد إبراهيم الأكرأوى قد أخبر أن النصرانى معلم الفبريكات الذى كتبنا قبل بإلحاحه على السفر قد عيل صبره واستبطأ الجواب، وطلب الإذن له فى التوجه لشجر الصويرة بقصد المقام بها حتى يرد الجواب الشريف بالاحتياج إليه أو الإذن فى ركوبه، فأجبناه بتثيظه إن أمكن أو مساعدته بعد حوز خط يده بالتزام المقام بالشجر المذكور إلى ورود الأمر المولوى فى شأنه، فأجاب بأنه أبى إلا ما عزم عليه من التوجه فأذن له وحيز خطه بما ذكر، وها هو مع كتابى القائد إبراهيم بذلك طيه وعلى المحبة والسلام فى ٨ ربيع الأول النبوى الأنور عام ١٢٨٥ .

ومنه وقد كتبنا لأمناء الثغر المذكور بإجراء حكم مئونة مدة إقامته هناكم على العادة المقررة صح به وبتاريخه .

حسن بن أمير المؤمنين»

ونص الثالث :

«محبتنا الأعز الأراضى الفقيه السيد موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله .

وبعد : وصلنا كتابك عن أمر سيدنا أعزه الله بإنزال حامله النصرانى معلم فبركة السكر، وتنفيذ ما يكفيه من المئونة مع ما لا بد منه كالفراش والغطاء، وتكليفه

باختبار فبركة عصر السكر، ونظر ما تتوقف عليه فبركة تسحيه وخدمة المتيسر منه هنا، وأشرت بالإعلام بإشرافه على تمام خدمة ذلك حين يبقى له فيها القدر الذى يوجه فيه الكتاب ويرد الجواب عنه لتطالع به شريف علم مولانا أعزه الله.

فقد ورد مع ترجمانة وصاحبه وأنزلوا بالدار التى كان ينزل بها من تقدمه من المعلمين أمثاله، ونفذت لهم المئونة وفراش مثل ما ورد به من عند أمناء الجديدة على وجه العارية بعد رد المعار لهم، وذلك لحاف بتلميطه، ووسادة، وحائك صوف، وإزار كتان وهو آخذ فى اختبار الفبركة ونظر ما تتوقف عليه، وكأنه أحاط علما بذلك، وإن أظهر خلافه لكونه طلب توجيه ترجمانه للجديدة لغرض له بها واستشعرنا منه أنه قصد تسبيق خبرها لمن وجه فأشرنا عليه بالتأنى على توجيه من ذكر حتى يترجم لنا عما يقيده من أمرها، فأخره وتمادى على عمله مجدا فيه من غير شعور له بإطلاعنا على قصده الأول، وبمجرد استيفائه الغرض من النظر فيها أطير الإعلام به لمولانا نصره الله ليأتى الجواب عنه قبل فراغه من خدمة السكر، فإننا كتبنا لحاجة على قصبه، وأما ما كان منه هنا فقد ألفاه الحال عصره القائد إبراهيم الأجرأوى وكنا وجهنا شيئا من غبرته وعلى المحبة والسلام فى ٩ المحرم فاتح عام ١٢٨٦».

حسن بن أمير المؤمنين

ونص الرابع:

«محبنا الأعز الأرضى، الفقيه السيد موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد توجهت بنفسى لتفقد فابركة السكر لما سمعت بفرار عبد الله العليج الذى كان يباشر خدمتها فوجدتها مغبرة من عدم المباشرة، فكلمت وصيف

سيدنا القائد إبراهيم فأجاب بأن المكلفين بها لما قطعت عنهم المؤنة تراخوا فى خدمتها، فكلفته بتوجيه المعينين قبل لخدمتها من الوصفان وغيرهم ووجهتهم لمباشرتها، وتعاهد خدمتها، فوردوا بعد اختبارها مخبرين بأن كل مسألة منها يخصها حاجة قد أخفاها العليج المذكور لما تقاشح معه القائد إبراهيم على المؤنة وعزم على الفرار.

فلم أصدقهم ظانا أن هذا محض اعتذار منهم عن الخدمة، وتوجهت مع عبد الرحمن العليج حتى طاف بها، فأخبر أن الحوائج المقيدة فى الزمام طيه خاصة فيها حقاً، وعليه فالعليج المذكور يحتاج للتحيل عليه حتى يرد المسائل، وبعد ذلك إن اقتضى نظر سيدنا زجره يزجر، وذلك بأن يقال له بلغنا أن الفابركة منذ فارقها وقع فيها تفريط، وسيدنا نصره الله أمر برجوعك إليها على القائد إبراهيم إلى غير ذلك، ولا تظهر له سرقة لئلا يفر أو ينكر الأخذ، إذ من الجائز أنه لا يتوجه بتلك الآلات معه ويكون أخفاها هنا، ثم بعد ردها وتسريح خدمتها كما كانت يقبض عليه عقوبة وزجراً له على جسارته وعلى المحبة والسلام فى ٣ المحرم فاتح عام ١٢٨٨ ومنه والعليج المذكور بلغنا أنه بمكناسة

حسن بن أمير المؤمنين»

وقد زاد مولاي الحسن فى هذا الكتاب بخطه ووقع والده المترجم عليه بخطه بما نصه:

«يحتال عليه حتى يظفر به ويؤمر برد ما أخفاه ولا بد».

ونص الخامس:

«محبنا الأعز الأرضى، الفقيه السيد موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة

الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: وافى كتابك جوابا عما كتبنا لك به فى شأن ما ألفى خاصا من حوائج الفبركة المبين فى الزمام الموجه لك، وعرفنا ما ذكرته من أنك أطلعت شريف علم سيدنا بذلك، فساعد أيده الله عليه وبحثت عن مختلسها وخاطبته بالرجوع لمحله وواعدته بالإحسان منا فقبل، ووجهته صحبة صاحب وصيف سيدنا القائد إبراهيم، وأوصيته عليه، وأشرت بأن يظهر له ما تطمئن به نفسه حتى يرد الحوائج لمحلهما، فقد استخبر بعد قدومه بمدة واطمئنان نفسه حتى يرد الحوائج لمحلهما، فقد استخبر بعد قدومه بمدة واطمئنان نفسه بها غاية الاطمئنان عن ذلك، فأخبر أن البريمة بآلتها مع المطرقة وأحد المراييع المعدودة للقطيع وأحد الدابدين والزيار الصغير المعد لحل الأوشاك كانت وجهت على يده لفبركة السكر بإذن سيدنا نصره الله لقضاء غرض بها هناك، فكلف بالإتيان بالجميع ورده لمحله بفبركة السكر ففعل، وطلبة المخرطة والستة مراييع المعدة للخرط وأحد الدابدين والمرشمان وجدت بفبركة السكر داخل صندوق بها، ولم يلف خاصا إلا غطاء بريمة العقيد مع تشطية البابور والقابضة للرحى، وقد صنعهما من الصفر. وليس فيهما من قبل تعطيل الفبركة كبير فائدة إلا من قبل الثمن، حيث كانوا من الصفر، فدل ذلك على أن الخائن لهما المتعلمون وبيان ما وجد بفبركة البارود وما وجد بالصندوق المذكور وما صنع جديدا من الصفر بتقييد طيه، وقد أقام بها العليج المذكور وبفبركة القطن أحسن قيام وعلى المحبة والسلام فى ٢٣ شوال الأبرك عام ١٢٨٨.

حسن بن أمير المؤمنين»

كما عثرت على العقد الذى اتفق عليه السيد محمد الدكالى الرباطى مع بعض مهندسى الإنجليز الميكانيكيين على القدوم للمغرب لتركيب الآلات اللازمة

لصناعة السكر، وغير ذلك مما يطلب منه، ولعل هذا المهندس هو المراد فيما تقدم
بالعلم النصرانى ونص تعريب العقد:

«مذكرة عقد محرر فى ٨ أكتوبر سنة ١٨٦٢ بين السيد محمد الدكالى
بالرباط المغرب (الفريق الأول) ومستتر جوهن كلاركسون جى بلندن المهندس
الميكانيكى (الفريق الآخر):

بناء على أن السيد محمد الدكالى التزم مع مسئوليته أمام الملك بتنمية
مؤسسات الأشغال العمومية المختلفة ذات الأهمية بالمغرب، وبما أنه على استعداد
ليوجه إلى هذه البلاد جميع أدوات الآلات اللازمة لصناعة وتصفية قصب السكر،
ومن جملة تلك الآلات رحن بخارية من النوع ويلسن (من النوع المجاز عنه ماديا
وأديا) لتصفية قصب السكر وكذلك الآلات الأخرى.

وبناء على أن جوهن كلاركسون جى مهندس ميكانيكى مدنى ذو مقدرة
ومهارة وله معلومات تمرينية فى فن صناعة وتصفية السكر تلقاها فى ظرف سنين
عديدة أثناء إقامته بالبرازيل، وله اطلاع كبير على خرائط وتركيب آلات
السكر التى سيجلبها السيد محمد الدكالى.

وبناء على أن جوهن كلاركسون جى موافق على السفر للمغرب لتركيب
تلك الآلات والشروع فى استعمالها كما يجب، والقيام بمهمته بصفته مهندسا
ومستشاراً نائباً عن أمين صوائر السيد محمد الدكالى على مقتضى الشروط
والفصول التى ستقرر.

وعليه فعملا بما ذكر وبهذا العقد اتفق الفريقان وهما متضامنان على ما
سيذكر:

المادة الأولى: يتوجه جوهن كلاركسون جى المذكور إلى المغرب حينما يأمر بذلك السيد محمد الدكالى، وبمجرد وصوله يشرع فى القيام بمهمته حالا طبق هذا العقد.

المادة الثانية: أما الأشغال التى سيقوم بها جوهن كلاركسون جى المذكور فهى:

أولا: أن يعمل ما فى وسعه وأن ييذل مقابلته بدون تراخى فى تركيب آلات السكر المشار إليها أعلاه والشروع فى استعمالها على أحسن ما يرام.

ثانيا: أن يقوم بصفته مهندسا مستشارا ومراقبا عاما وأن يبرهن عن ثمار تجاربه ونباهته الهندسية فى وضع الخرائط وتأسيس المعامل وتركيب جميع الآلات كيفما كانت، وتتميم ذلك كله وفق ما يطلبه السيد محمد الدكالى، وبالجمله يصرف وقته ونظره فى تنفيذ اقتراحات السيد محمد الدكالى المذكور التى لها مساس بالأشغال الموما إليها.

ثالثا: وعلى السيد محمد الدكالى أن يؤدى لجوهن كلاركسون جى المذكور اعتبارا من يوم مغادرته للندن أجرا سنويا قدره مائتان وعشرون ابرة دراهم سكة التاريخ الإنجليزية أو ما يماثلها من السكة المغربية حسب قيمة الصرف يوم الدفع، أما أداء الأجر فيقع شهريا أو على رأس كل ثلاثة أشهر باختيار جوهن كلاركسون جى المذكور، كما أنه يعفى من الصوائر التى يستوجبها سفره من لندن إلى محل مهمته بالمغرب، وكذلك من هنا إلى هنالك عند انصرام المدة المتفق عليها بهذا العقد أو حينما يقرر الإياب لوطنه.

المادة الرابعة: لجوهن كلاركسون جى التصرف فى دار للسكنى وفرس مهما طلبه ويعطى له مجانا خادم إن أراد.

المادة الخامسة: يقع العمل بهذا العقد مدة سنة واحدة وشهر واحد ابتداء من يوم مغارة جوهن كلاركسون جى للندن.

تحريرا فى ٨ أكتوبر سنة ١٨٢٦

الإمضاء: محمد الدكالى وجوهن كلاركسون جى

الشاهد بتوقيع السيد محمد الدكالى

ثم الشاهد بتوقيع جوهن كلاركسون جى.

ومنها قنطرة من الحديد باكورة ما اخترع فى ذلك العصر كان رام نصبها على وادى أم الربيع، وكان المرشح للوقوف على اصطناعها وجلبها من أوربا هو التاجر ولد مصطفى الرباطى، وقد صرف فى سبيل تحصيلها وجلبها أموالا عظيمة، ومع الأسى والأسف فإن هذه القنطرة لما وردت على حضرته السلطانية سعى بعض الحسدة ومن فى قلبه مرض من أهل الوجاهة فى إبطال العمل بها، وقالوا: إنها لا تصلح ولا تناسب، وأنها يختل نظامها فى أقرب مدة. فحمل المترجم كلامهم على الحقيقة فألقاها فى زوايا الإهمال وصمم على بناء قنطرة، وأمر من زعم أنه يحسن النظر فى ذلك بالتوجه لاختبار المحل الصالح لما ذكر، وتهيئ ما تدعو إليه الحاجة من الأنقاض والمقومات، وتقدير ما تحصل به الكفاية وإعلام جنابه بذلك ليأمر بتنجيده، والحال أن ذلك الموجه كذوب خئون سيئ النظر فلم تنجح مساعيه وكان أمر الله قدرا مقدورا.

ومنها الرحى الذى جاء بها إلى ثغر طنجة فإن الأحاديث عنها من الأعاجيب، ويذكر أنها كانت تطحن عددا كثيرا من الأوسق فى ليلة واحدة.

ونص الظهير الذى أصدره للنائب السلطانى فى حيازتها لجانب المخزن:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله تعالى وبركاته.

وبعد: فنأمرك أن تحوز الأرحا التي جلبها الطالب أحمد الدكالي من بر
النصارى لطنجة، على أن يقتطع له ولولد أخيه ثمنها مما بذمتهم من الدين القديم
لبيت المال، وكن تستعملها في طحن الزرع بقدر ما يتوقف عليه أهل البلاد، ولا بد
ورد بالك للثمن الذي اشتروها به ليلا يدعوا أنهم اشتروها بأكثر منه والسلام في
٢٩ من قعدة الحرام عام ١٢٧٩هـ.

ومنها مكيبة القطن التي جلبها من أوروبا حسبما جاء في الكتاب الذي أصدره
لبركاش في جلب أخرى ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته.

وبعد: فبوصول كتابنا إليك وجه على مكيبة جيدة للقطن تأتي من البلاد
التي أتت منه المكيبة التي وجهتم لحضرتنا الشريفة، واكتب عليها تخرج برباط
الفتح، فإننا أردناها للانتفاع بها هناك إن شاء الله، ووجه على معلم من بر
النصارى ليبنى هذه التي وصلت لحضرتنا في محلها ويعلم غيره كيفية عملها وما
تصلح به إن عرض فيها شيء في أثناء العمل إن شاء الله والسلام في ٢٠ من ربيع
الثاني عام ١٢٧٩هـ.

كما وقفت على كتاب من مولاي الحسن للحاج السلطاني فيما يتعلق
بإصلاح معمل القطن بمراكش ونصه:

«محبتنا الأعز الأرضى الفقيه السيد موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة
الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد أخبر خديم سيدنا الحاج محمد بن عبد الوهاب بنيس بتوقف
إصلاح فبركة القطن على اثنتين وعشرين قنطرة من الصفصاف طول كل منها اثنان

وعشرون شبرا وما يكفيها من يقى الغليظ، ذاكرا أنه بحث عنها بالسوق فلم يجدها، وأن جعل القناطر والجائزة والورقة لذلك من الصنوبر أولى وأفضل لطول مكثه أكثر من الصفصاف ويقى، وأن المعلمين قدروا لما يكفى لذلك من أفراد الصنوبر أربعين فردا فلا بد طالع شريف علم سيدنا نصره الله بذلك والنظر لمولانا أيده الله فيه وعلى المحبة والسلام فى ١٦ ذى القعدة عام ١٢٨٨.

حسن بن أمير المؤمنين

ومنها برج الفنار الذى بناه على ساحل البحر باشقار قرب طنجة يسرج فيه ضوء قوى ساطع يظهر للسيارة فى البحر ليلا من مسافة بعيدة، وصار عليه مال له بال، وكانت المراكب تنشب بذلك الساحل كثيرا إذ لم يكن لها علامة تهتدى بها فى البحر، ولما اتخذ المترجم هذا الفنار أمنت من تلك الآفة، ثم جلب لهذا الفنار مكينة للاستصباح بواسطة وزير خارجيته الطالب محمد بركاش.

وإليك نص الظاهر الصادر بالأمر بصنع المكينة بعد الحمدلة والصلاة والطابع المحمدى بداخله محمد بن عبد الرحمن الله وليه:

«خديمينا الأرضيين الحاج بوجنان الباردى والحاج عبد الكريم احرضان، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد دعت الحاجة إلى صنع مكينة للفنار المبنى باشقار ولا بد منها، وقد أمرنا خديمنا الطالب محمد بركاش بالكتب عليها، وعليه فنأمركم أن تدفعوا ثمنها على يده والسلام فى ٢٨ ربيع النبوى عام ١٢٧٩».

ومنها معمل تزديج البارود بالمحل المعروف بالسجينة من مراکش الحمراء، ولعله المراد بهذا الكتاب الصادر من مولاي الحسن الخليفة لحاجب أبيه ونصه:

«محبنا الأعز الأرضى الفقيه السيد موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فيرد عليك طيه تقييدا تجربة ١٠٠٠٠ البارود الذى دفعه أهل صناعته
بمراكش لخديم سيدنا الحاج محمد بن عبد الوهاب بنيس، على يد من ذكر فيهما
كما عهد وعلى المحبة والسلام فى ٢٠ من جمادى الأولى عام ١٢٨٨
حسن بن أمير المؤمنين»

ومنها داره الكبرى بأجدال رباط الفتح والصور الكبير المحيط ببسيطها وجلب
الماء إليها بعد أن صير مالا له بال.

ومنها إحياء جامع السنة قرب داره المذكورة، وكان بائدا يعيش فيه الصدى
والبوم، وأقام فيه الصلوات الخمس والخطبة كل جمعة.

ومنها إحياء المسجد الصغير هنالك المعروف بمسجد أهل فاس، واعتنى به
وزخرف سقوفه، وفى هذا المسجد يقيم إمام عصرنا المؤيد صلاة الجمعة.

ومنها انتهاج الطريق من الدار المذكورة إلى الوادى أسفل من حسان تسهيلا
على المارة وتقريبا عليهم.

ومنها المسجد الجامع بالسوق من الدار البيضاء.

ومنها الحمام القديم هنالك أيضا.

ومنها إصلاح أسوار الجديدة وأبراجها.

ومنها اعتناؤه بشأن الثغور وبعثه كل آونة من يتفقد أحوالها من نوابه.

ومنها فى زمن خلافته تكملة غرس أجدال بحضرة مراكش، وكان فى زمن
الصيف يناله الجذب من قلة الماء لأن بركة التى كان يختزن بها الماء كانت معطلة
لامتلائها بالتراب والطين الذى تجلبه السيول إليها، وأعظمها البركة الكبرى التى
بدار الهناء، وكان يقال لها البحر الأصغر، فجاء من بنى فى وسطها قرية بدورها

وأزقتها وأسواقها، فأمر المترجم بإخراج من فى تلك البرك والصهاريج كلها وتنقيتها من الطين المتحجر، فاجتمع على ذلك عالم من الناس فكنسوها وعادت إلى حالها الذى بنيت لأجله، وهو اختزان الماء لوقت المصيف، وبذلك كمل المراد من أجidal وصار آمنا من الأمحال والعطش.

ومنها إحياء عين أبى عكاز خارج باب الطبول من مراكش، وكانت لها بركة بائدة على الوصف المذكور، فجر لها عينا ثرة وماء غدقا وأجراه إلى البركة المذكورة بعد أن أمر بتنقيتها وإصلاحها، فعاد البسيط الذى حولها مزارع نفاعه تغنى الزارعين وتبهج الناظرين، وبنى حولها قلعة يأوى إليها الأكره والحرثون بأنعامهم ومواشيهم، واتخذ هنالك من إناث الخيل المعدة للنتاج عددا كثيرا.

ومنها إحياء عين المنارة وبركتها العظمى التى تقرب من البحر الأصغر بدار الهناء وكانت قد عطلت منذ زمان.

ومنها إجراء النهر المسمى بتاركى المستمد من وادى نفيس.

ومنها إجراء النهر الذى جلبه من تاستاوت إلى البسيط الذى بين بلاد زمران والرحامنة والسراغنة، وهو المسمى بفيطوط، وبنى فيها قصبة يأوى إليها الوكلاء والفلاحون فصارت أهلة عامرة.

ومنها تأسيسه مسجد ضريح جده المولى عبد الله بفاس وصومعته وذلك فى حدود أربعة وسبعين ومائتين وألف.

ومنها بناؤه مسجد أبى العباس أحمد الشاوى، وجعله مسجدا جامعاً تقام به الجمعة وذلك فى حدود اثنين وثمانين.

ومنها بناء سوق المجادلين أمام ضريح الشيخ أبى العباس أحمد السبتي دفين حومة الزاوية من مراكش الحمراء، وكان بناؤه لذلك على عهد السلطان والده زمن خلافته عنه، وشاهد ذلك ما هو مرقوم أعلى الباب هنالك ولفظه:

هذا المقام هو المقام الأحمد

جاءت به يمنى زمان يحمد

فى عام (رشد ناجح) قد زانه

تاج الخلافة ذو الوفاء محمد

رمز للتاريخ المذكور فى لفظتى رشد ناجح من مجموع مائتين للراء، وألف
للشين، وأربعة للدال، وخمسين للنون، وواحد للألف، وثلاثة للجيم، وثمانية
للحاء.

وصاحب الترجمة أول من نظم الجيش واتخذ العسكر على الطرق الحديثة
بالمغرب، وكان ابتداء ذلك أيام خلافته عن أبيه عقب واقعة إيسلى، وذلك يدل
على أصالة رأيه ورجحان عقله رحمه الله، ثم اجتهد فى ذلك بعد موت أبيه
عقب قضية تطوان لما علم أن السبب الأهم فى الوقعتين هو اختلال أمر الجند،
فجمع منه ما تيسر جمعه من القبائل ونظمه ورتبه ونقل أهل تولال الذين كانوا
بفاس إلى نواحي مكناس، وأدرجهم فى الجيش البخارى، كما جمع الخلط من
البلاد التى كانوا فيها وأضافهم للجيش المذكور تقوية له.

وقد كان لباس عسكره من أعلى طراز من الملف وكسوة رؤسائه مزركشة
ومرصعة بخيوط الذهب، ونعالهم من جلد أحمر، وسلاحهم من أعلى نوع فى
ذلك العهد، وكان ينقسم إلى قسمين: خيالة، ورماة. وكل طابور يشتمل على
تسعمائة جندي، فيه عدد من حملة الشواكير.

وفى دولته أنشئت المطبعة الحجرية بفاس وذلك سنة ١٢٨٤ وطبع فيها شرح
الخرشى على المختصر، وكان تمام طبعه فى ذى الحجة سنة ١٢٨٧ فى ستة أجزاء،
وكذلك طبع ميارة الصغير، والأزهرى على الأجرومية طبعا متقنا بأرفع خط،
وأجود ورق وأصقله لم يطبع مثل ذلك بعد، وله رحمه الله آثار أخر مما يطول
تتبعه.

كيف كان نهوض ركابه

كان إذا هم بالسفر من بلاد لأخرى أول ما يبدأ به مسح الكتب ومباشرتها، فيصدر الأمر لوزير الشكايات وكاتيين وعالمين لمباشرة ما ذكر ويكون الشروع في ذلك كالتنبيه على السفر، ثم يصدر مكاتب للقبائل والولاة يذكرهم ويعظهم ويوصيهم بقرى الضيف واتخاذ المساجد والمواظبة على الصلاة في الجماعة والرفق بالرعية ومراقبة المولى في السر والعلانية، ثم يقع البحث في الهوائير جمال وبغال وخيل، يذهب لمعاينة ذلك موقت وأمين وكاتب للقبائل المعدة لصيانة ما ذكر والاحتفاظ به، فإن مات شيء من ذلك عوض، ثم يصدر الإعلام للقبائل بالتأهب للحركة، ثم يتوجه الموقت وخليفة أفراك لتعيين الطريق المسلوكة وتعداد مراحلها والنظر في المحال ذات المياه الكافية للمحال السلطانية، وكم بين المرحلة والمرحلة، ثم إصدار الأمر للقبائل بالقدوم على شريف أعتابه، فإذا وردوا أطلق كل قادم طلقات بارودية إعلاما بقدومهم، فيخرج إليهم لاستقبالهم رئيس المشور، فيهنئهم بسلامة القدوم، ويأمرهم بالنزول بالمحل المعد لنزولهم، ثم تصدر الأوامر بتهيئة المثونة والعلف وما يلزم من مؤن السفر على نحو ما قدمنا في ترجمة نجله المولى حسن، ثم يسافر الحرم الملوكي، وربما وزع على فرق يتوجه تباعا ويعرفون بالسابقين ثم ينهض الركاب السلطاني.

وزراؤه

كان وزيره زمن خلافته عن أبيه شيخه الطيب بن اليماني بوعشرين مار الترجمة، ثم صرف عنها عقب وقعة إيسلى، وتولاها السيد محمد بن محمد غريط الآتي الترجمة، فلما أفضت الإمامة للمترجم أسند الصدارة العظمى لشيخه الطيب المذكور، وبعد وفاته ولى مكانه ولده أبا العلاء إدريس المترجم فيما سبق، والفقيه السيد محمد بن الحاج عبد الله بن عبد الكريم الصفار الجياني الأصل

التطوانى الدار على وزارة الشكايات والقضايا الشرعية، وهو الذى كان يختبر القضية لمعرفة بالنوازل وحفظه للمختصر، وكان المولى عبد الرحمن قد استوزره فاتح عام السبعين، ثم لما تولى المترجم جعله على سماع المظالم، والمترجم أول من أحدث هذه الوزارة مستقلة فى دولتنا العلوية، والصفار أول من تسنم هذا المنصب فيها واستمر على عمله فى الخدمة إلى أن مات عام ١٢٩٨ ودفن بمراكش داخل قبة سيدى يوسف بن على خارج باب الرب، وأبو محمد عبد الله بن أحمد وزير الحربية.

حاجبه وقائد ومشوره

حاجبه أبو عمران موسى بن أحمد الآتى الترجمة، وقائد مشوره القائد الجيلانى بن حم السابق الترجمة ثم نقله لعمالة مراكش وولى على المشور الحاج محمد بن يعيش.

كتابه

منهم الأديب السيد محمد بن إدريس نجل الوزير الشهير، وكان مكلفا بالأشغال الخارجية من غير استقلال، ومنهم السيد محمد غريط ولد المتقدم ذكره فى الوزراء، والسيد عبد الرحمن بن محمد الشرفى.

سفراؤه

لفرنسا الكاتب بن إدريس، والحاج عبد الرحمن العاجى، وابن عبد الكريم الشرقى، وابن سعيد السلوى، والنائب بركاش، ولأسبانيا ابن إدريس أيضا، ولإنجلترا عبد الرحمن الشرفى.

خلفاؤه

بفاس ولده المولى إسماعيل، وبالرباط أخوه المولى الرشيد صاحب الدار المشهورة هناك، وبتافيلالت ولده المولى الرشيد، وبمراكش ولده المولى الحسن.

نوابه بطنجة

السيد محمد فتحا الخطيب التطواني، الذى كان أيام أبيه، فالسيد محمد فتحا بركاش الرباطى، الذى استمر على عمله إلى الدولة الحسنية.

قضاته

منهم بمكناس الشيخ العباس بن كيران، فالشيخ المهدي بن سودة، وستأتى ترجمتهما، وبالرباط أبو زيد عبد الرحمن البريرى الكبير، وبسلا أبو عبد الله محمد العربى بن منصور، فأبو بكر بن محمد عواد، وبآزمور أحمد بن الطالب ابن سودة.

نظاره

منهم بمكناس الحاج الطيب بن عبد الرحيم غريط، وبفاس الحاج المهدي بنانى وامتدت ولايته من دولة سيدنا الجدد ابن هشام إلى دولة المولى الحسن، وبالرباط الحاج أحمد غنام.

محتسبوه

بمكناس السيد أحمد بادو، فالسيد إدريس النسب، وبمراكش المولى عبد الله المدعو السواريت، وبالرباط أبو عبد الله محمد بن العباس الزكى، وبسلا عبد الهادى قبطين.

نقباؤه

منهم بمكناس عم والدنا أبو العباس أحمد بن على ابن زيدان، وبعده أخوه سيدنا الجدد أبو زيد عبد الرحمن بن على بن زيدان.

عماله

منهم بمكناس الباشا الحاج المجذوب بن الغنيمي الذى كان متوليا على عهد السلطان والد المترجم، ولما لى داعى مولاة ولى مكانه الباشا محمد بن أحمد خنيشيش الذى كان قبل قائد المائة على فرقة الجيش البخارى التى كانت بقصبة تمارة - إذ العادة كانت جارية بتوجيه ثلاثمائة من الجيش البخارى من مكناس للرباط والقصبة المذكورة، منها مائتا رام تنزل بقصبة الأوداية وتكون عضدا للخليفة السلطاني هنالك، ومائة فارس تكون حرسا وعيونا ساهرة على تأمين المارة بتلك الجهة - وبمراكش الباشا أحمد بوسته، ثم أبو العباس أحمد بن الطاهر، ثم أبو عبد الله محمد بن داود والقائد الجيلاني بن حم، وبلمنشية منها الباشا إبراهيم الأجرأوى، وبفاس الجديد الباشا فرجى، وعلى قبيلة شراكة ومن يسكن منهم بفاس، وبفاس البالى إدريس بن عبد الرحمن السراج، وعلى قبيلة أولاد جامع أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشركى، وبسوس أبو محمد عبد الله بن عبد الملك بن بيهى الحاحى، وبسلا عبد العزيز محبوبة، وأبو عبد الله محمد بن سعيد، وبأسفى الطيب بن هيمة، وبالدار البيضاء محمد بن إدريس الجرارى.

قواده

على المسخرين الطالب إدريس بن المكى البخارى السالف الترجمة، وأما قواده على العسكر النظامى فعلى طابور أهل سوس الحاج أحمد التطوانى، وعلى طابور خيالة مكناس الخوجه، وعلى طابور أهل فاس الحاج عزوز، وعلى البواخر الحاج عبد القادر البخارى.

أمنائه

أمين المستفادات ابن المدنى بنيس، ومن أمناء صائره بمكناس السيد المدنى الحلو، والحاج عبد الرحمن النسب، وأمين العتبة بها الطالب بوعدة بن العربى

الفشار المتقدم الترجمة، ومن أمثائه أيضا الحاج عبد الرحمن القصبي الفاسي،
والحاج عبد الكريم بريشة التطواني، والسيد بلقاسم جنون الفاسي، والحاج محمد
ابن الحاج محمد فتحا ابريشة التطواني، والحاج عبد القادر عشعاش، والحاج
محمد بن عبد المجيد بن جلون الفاسي، وغيرهم ممن تقدم ذكرهم في أمناء الدار
البيضاء الذين حاز منهم الإصيان تعويضه.

أولاده

السلطان مولانا الحسن، وأشقائه السيدة أم كلثوم، والسيدة سكيئة، والسيدة
آمنة، أمهم السيدة فاطمة حرة جامعية.

المولى إسماعيل^(١)، وأشقائه المولى أبو الغيث^(٢)، والمولى إدريس والمولى
على^(٣)، والسيدة فضيلة، والسيدة عائشة أمهم ميمونة الشاوية أم ولد، المولى
عثمان^(٤)، وأشقائه المولى أحمد^(٥)، والمولى الرشيد^(٦)، والسيدة هنية أمهم
زهراء أم ولد.

المولى الصديق^(٧) وشقيقه المولى المأمون أمهما شريفة هي السيدة صفية بنت
المولى المأمون بن السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

-
- (١) في هامش المطبوع: «ولى الخلافة بفاس على عهد والده وأخيه وبها كانت منيته».
 - (٢) في هامش المطبوع: «نقل لتافيلالت وسكن الفيضة بها إلى أن لقي ربه».
 - (٣) في هامش المطبوع: «ولى خلافة فاس على عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز».
 - (٤) في هامش المطبوع: «ولى خلافة مراكش على عهد أخيه الأمير أبي على الحسن».
 - (٥) في هامش المطبوع: «ولى خليفة بفاس قبل صنوه إسماعيل».
 - (٦) في هامش المطبوع: «ولى خلافة تافيلالت وسكن بأولاد عبد الحليم منها إلى أن توفي
وهذا من عجيب الاتفاق الذى لم يقع لغيرهم من أبناء ملوكنا العلويين حيث لم يبق
واحد من الأشقاء وقد ولى الخلافة».
 - (٧) في هامش المطبوع: «نقل لبنى ميمون من تافيلالت وبها توفي».

المولى الحسن الصغير ويدعى لحسن بفتح اللام وسكون الحاء وشقيقته السيدة فاطمة والسيدة جمالة والسيدة مليكة أمهم السيدة هنية حرة عامرية من بنى حسن .

المولى إبراهيم^(١) وشقيقته السيدة حليلة والسيدة ربعة أمهم زهراء الدكالية أم ولد، المولى العربى^(٢) وشقيقه المولى عبد الله^(٣) أمهما هنية الشلحة أو ولد، المولى الحسين^(٤) وشقيقه المولى العباس^(٥) أمهما أم ولد، المولى عبد العزيز^(٦) وشقيقته السيدة صفية أمهما خويرة أم ولد، المولى عبد القادر^(٧) أمه أم ولد، المولى أبو النصر^(٨) أمه أم الخير مستولدة، المولى عرفة^(٩) أمه تسمى غزالة أم ولد، المولى محمد فتحا أمه رحيمو أم ولد، المولى أبو بكر أمه الغالية أم ولد، المولى جعفر^(١٠) أمه السعيدة أم ولد، المولى المهدي، المولى الطاهر أمه السعيدة أم ولد، المولى الطيب^(١١) والمولى عبد السلام^(١٢).

السيدة السعدية أمها آمنة بنت القائد ابن رشيد، السيدة زبيدة وشقيقته السيدة زهور أمهما فارحة أم ولد، السيدة فاطمة الزهراء أمها الضاوية الفاسية أم

(١) فى هامش المطبوع: «لا زال حيا يرزق بفاس».

(٢، ٣) فى هامش المطبوع: «نقلا لتاڤيلا لت واستوطنا بالدار البيضاء منها وبها كانت منيتهما».

(٤، ٥) فى هامش المطبوع: «نقلا لتاڤيلا لت وسكننا الفيضة منها وبها توفيا».

(٦) فى هامش المطبوع: «لا زال بقيد الحياة بفاس».

(٧) فى هامش المطبوع: «نقل لأولاد عيسى بتاڤيلا لت وبها توفى».

(٨) فى هامش المطبوع: «من نقل لتاڤيلا لت وسكن الدار البيضاء منها ثم فى آخر الدولة العزيزية رجع لفاس وبها مات».

(٩) فى هامش المطبوع: «ولى خلافة فاس».

(١٠) فى هامش المطبوع: «لا زال بقيد الحياة بمراكش».

(١١، ١٢) فى هامش المطبوع: «ماتا فى حياة والدهما».

ولد، السيدة ستي، السيدة أم هانى، السيدة عتيكة، السيدة مريم وشقيقتها السيدة فخيطة، السيدة بانى، السيدة حفصة، السيدة شريف^(١) أمها عبلة أم ولد.

بعض ما قيل فيه من المديح

من ذلك قول العلامة أبى عبد الله محمد بن أحمد أكنسوس صاحب الجيش العرمرم الحماسى الذى جمعه بأمر صاحب الترجمة الممدوح:

هذى لعمر ك راية مرفوعة	بيد السعود يقلها التوفيق
رفعت على خير الملوك (محمد)	ملك إلى كل الجمال سبق
خضل البنان بنائل من دونه	وجه يجول البشر فيه طليق
ورث الأمانة كابرا عن كابر	عالى المجادة بالعلاء خليق
أفضت إليه خلافة نبوية	من دونها للمشرفى بريق
فرحت ببيعته القلوب فلم يمل	منها إلى أحد سواه فريق
فاختال منبرها به وسريرها	وكلاهما طرب إليه مشوق
فالآن قرت فى معرسها الذى	يسمو به نسب أغر عريق
ومناقب يزداد طولاً عندها	باع بتصریف الأمور لبيق
وشمائل رسخت بهن من العلا	فى منبت الشرف الأصيل عروق
وقول بعضهم:	

حوى العلويون المعالى كلها	وما منهم إلا ذرى المجد صاعد
ولكن أمير المؤمنين محمد	هو البدر فى العليا وهن الفراقد

(١) فى هامش المطبوع: «لا زالت حية ترزق بفاس».

وقول السيد التهامي المدغرى المسعودى صاحب الأزجال الشهيرة، المتوفى
بفاس ضحوة يوم الأحد ٢١ محرم فاتح ١٢٧٣ فيه لما ختم كتاب إقليدس فى
الهندسة عام ١٢٧١ على ما سبق صدر الترجمة:

برزت على قدر لنا أشكالها	من صدرها فى طيها أشكالها
وحكت مقالاتها المقادر بعدها	صحت نتائجها وصح مقالها
أشكالها تحكى قباب محلة	تحت الخليفة خيلها ورجالها
أو خلتها شجرا صغيرا مثمرا	فاجن الثمار ولو بدت عذالها
أو خلتها خيلا بدت عربية	برباطها قبل العدا أبطالها
ما شئت من قوس رنت أوتارها	ترمى البغاة سهامها ونصالها
رنت وأنت فى فنا أقطارها	وحمت مناشرها الحمى ونصالها
لكنها قد خيمت بمعاقل	صفت بمشكلها فعز وصالها
واستوطنت قن الجبال صعابها	فعلت بها بين الجبال جبالها
ورقت مفاخر مجدها فى منعة	فتكبرت وتجبرت أقيالها
ظنت بأن الجو خال من مدى	ظفر البزاة فلا تطيش نبالها
فعلت معاقلها الرجال وفلها	سيف الحجا فتمزقت أوصالها
بل لو رأت ليث الكتائب خلفها	ضاققت مذهبها وضاق مجالها
أو لو رآته لدرسها متهيئا	خضعت لديه سهولها ورمالها
يا هند غرتك السنية أوضحت	برموزها عجا فبان جمالها
قد جئنا فى همة شماء فى	أوج العلا مرفوعة آمالها

فهوت بها أطيّار ذهن ثاقب
 وأتت به ليث الوغى مأسورة
 فاقتضتها قهرا وكانت قبله
 فغدت حضيضا صفصفا فى كفه
 وغدت فتوح سرها طوعا له
 فانظر لهندسة تلاشى حصنها
 لولا الخليفة بثها فى أرضنا
 لولا الخليفة معرقا فى فنّها
 لولا الخليفة لم تزل بغطائها
 لولا الخليفة ما سمت شرفاتها
 لولا الخليفة ما علت أعلامها
 لولا الخليفة ما علا مقدارها
 لولا الخليفة عطلت راياتها
 لولا الخليفة معتن بدليلها
 لولا الخليفة قادها عن خبرة
 لولا الخليفة جد فى إحيائها
 لولا الخليفة ما استجاد نظامها
 لولا الخليفة صانها بمراحها
 لولا الخليفة بالسياسة راضها
 من جوها يا حبذا إرسالها
 حلت غنائمها وحل منالها
 رتقاء لم تفتح إذا أقفالها
 لم يخف عنه حالها ومآلها
 إذ بايعته يمينها وشمالها
 لولا الخليفة ما بدت أظلالها
 غربت حقيقة شمسها وخيالها
 محيت معالمها وقد شكالها
 لولا الخليفة ما استضاء جمالها
 فوق الثريا واستنار هلالها
 كلا ولا انتشرت لديك ظلالها
 لولا الخليفة ما صفا منهلها
 وعدت على حذاقها جهالها
 ضلت على وجه الفلاة جمالها
 تاهت على لجج الظلام رحالها
 هلكت فما ظفرت بها سؤالها
 كف الزمان ولا بدا إقبالها
 ضجت نجائبها وضاع عقالها
 ضاعت على موج الفضأ أحمالها

لولا الخليفة قيدت أقلامه
لولا الخليفة حداها بحدودها
قل للخليفة حزت سبقا فاحتمت
ظهرت علينا بالهنا أسراركم
خذا إليك خريدة أهدي لها
شراؤها قدت به أغلالها
كثرت طرائفها وطال جدالها
بحمى علاك نساؤها ورجالها
عند الختام مفصلا أجمالها
مسك الختام جنوبها وشمالها

وفاته

توفى رحمه الله زوال يوم الخميس الثامن عشر من رجب الفرد الحرام سنة تسعين ومائتين وألف، بسبب مسهل كان استعماله، ودفن ليلا بضريح جده المولى على الشريف بمراكش، قرب ضريح القاضي عياض، من باب آيلان ونقش على رخامة ضريحه ما لفظه:

أمستعبرا حولي رويدك أننى
هو العلوى الهاشمى محمد
أبوه أبو زيد وقد ذكره
ترحم عليه واعتبر بمصابه
ومن رام تاريخ الوفاة فقل له
ب(شعر^{١٢٩}) أرخ ما عليه مزيد
ضريح سعيد حل فيه سعيد
إمام له فى الملك سعى حميد
فقد كان يبدى فى العلا ويعيد
فعقد نفيس قد أصيب فريد
١٨٠ - محمد بن عيسى بن القاسم الصدفى من أهل طليطلة يكنى أبا عبد
الله.

حاله: فقيه عارف بالوثائق أديب شاعر، استكتبه ابن الملجوم فى قضائه بمكناسة واستخلفه، وسكن بآخر عمره مدينة فاس.
١٨٠ - من مصادر ترجمته: التكملة لابن الأبار ٣٥١/١.

أورده ابن الأبار في تكملته وغيره .

مشيخته : سمع أبا علي ابن سكرة الصدفي ، ولازم مجلسه لسماع الحديث ومسائل الرأي .

وفاته : توفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

١٨١ - محمد بن حماد بن محمد زغبوش المكناسي .

حاله : فقيه خير علامة نقاد دراكة ، قرأ بقرطبة وغيرها ، وصحب جلة من أهل زمانه ، امتحنه والى مكناسة يدرين ولجوط بالسجن في سبعة من قرابته في دار ، وجعل عليهم حرسا ، ولم يزالوا مثقفين إلى أن أصبحوا مقتولين ذبحا ، وفي الدار نقب نفذ السور حكى أنه دخل عندهم أمس اليوم الذي أصبحوا فيه مقتولين شاب من أحوال أحدهم من بنى علالة ، وكان حسن الصوت حافظا لكتاب الله العزيز مجودا لقراءته ، وكانت عادته إذا دخل عليهم يؤنسهم بقراءة القرآن فسألوه في ذلك اليوم قراءة عشر فقرأ اقتربت الساعة فكان ما ذكر من حكم الله فيهم ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

وسبب محتتهم المذكورة أن عبد الله ولد الممتحن كان يقرأ بفاس حين نزل الموحدون مدينة فاس وسنه يومئذ نحو خمس وعشرين سنة ، فتشوق أحد الأيام للإشراف على محلة الموحدين ، فخرج من مجلس القراءة وسط النهار وقد انصرف الناس إلى ديارهم والأسوار خالية إلا من حراسها ، فطلع السور ليطلع منه عليهم ، فبينما هو يمشى على السور حدثته نفسه بالهبوط إليهم فارتاد موضعا خاليا خفيا عن الحرس وربط عمامته في إحدى شرفات السور وتقلد خريطة كتبه وتعلق بالعمامة وكانت ضعيفة ، فلما ثقلت انقطعت وسقط في الأرض واعتلت إحدى قدميه ، وتسارع إليه الموحدون ورفعوه في درقة ووضعوه بين يدي عبد المؤمن بن

على وأكرمه الموحدون وأحسنوا إليه، وكتب له عبد المؤمن صكاً بتسويغ ماله ومال أبيه وأقام معهم يظعن لظعنهم ويقيم بإقامتهم مبرورا لديهم عزيزا عليهم، وكانوا يلحظون من يمت إليهم بسابقة مفخرة، فلما نزلوا مكناسة ظهر عبد الله بن زغبوش المذكور بمحلتهم، واتصل ذلك بالوالى من قبل المرابطين وهو يدر المذكور ففعل بوالده وقرابته ما ذكر، وكان فتح الموحدين لفاس ونزولهم على مكناس عام أربعين وخمسمائة.

١٨٢ - محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجى نسبة المكناسى داراً و وفاة.

حاله: إمام جليل فقيه علامة فاضل شاعر مجيد نادرة نابغة أديب شهير، أستاذ مقرر، كاتب بارع ذكره صاحب «الذخيرة السنية، فى تاريخ الدولة المرينية» ممن توفى فى قعدة عام تسعة وخمسين وستمائة بمكناسة، ووصفه بأديب وقته، وشاعر عصره، دخل مدينة فاس وكان شاعر العدو.

شعره: من ذلك قوله:

وبأنها فى زيتها حسناء	إن تفتخر فاس بما فى طيها
والأطيبان هواؤها والماء	بكفيك من مكناسة أرجاؤها
وقوله فى مصباح:	

بهيم الدجى من سناه نحول	تلالا مصباحنا فاكسى
ومن حولها الدهن ماء يجول	كأن الذبالة نواره
وإن ظمئت أخذت فى الذبول	إذا رويت نعمت نضرة

١٨٢ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ٢٨٤/١.

وقوله فى الشيب:

لما تراءت للمشيب بمفرقى شهب أغرن على شبابى الأدهم^(١)
أبدى التجشم من أحب أمادى أن الدياجى حسنهما بالأنجم
وقوله فى نهر وردته عصابة طير:

أما ترى النهر فى انصبابه كأنه الطل فى انسيابه^(٢)
قد انتحته ظماء طير مقتحات^(٣) على حبابه^(٤)
تنقع من مائه أواماً وتلقط الحب من حبابه
وفاته: قال فى الجذوة توفى بمكناسة سنة ثمان وخمسين وستمائة هـ، وتقدم
عن الذخير السنية أن وفاته عام تسعة وخمسين.

١٨٣ - محمد بن قاضى مكناسة أحمد بن أبى العافية المكناسى يعرف
بالأحول.

حاله: كان فقيهاً خيراً صالحاً نافعاً ورعاً ناسكاً، وعرضت عليه خطة القضاء
بمكناسة بعد أبيه فرغب عنها وزهد فيها، ووليها أخوه أبو العز، حلاه ابن غازى
بشيخ شيوخنا.

الآخذون عنه: أخذ عنه الإمام القورى، وانتفع به كثيراً وكان عيبة نصح له
وغيره.

(١) جذوة الاقتباس ٢٨٥ / ١.

(٢) جذوة الاقتباس ٢٨٥ / ١.

(٣) فى المطبوع: «مقحات» ولا يستقيم به الوزن والتصحيح من الجذوة.

(٤) فى الجذوة: «جنابه».

١٨٣ - من مصادر ترجمته: نيل الابتهاج ٢ / ٢١١.

مؤلفاته: منها موضوع فى المسائل الواقعة فى المدونة فى غير مواضعها، وقد كان بقاء الحياة سنة أربع وثمانين وستمائة.

١٨٤ - محمد بن قاسم بن محمد الأنصارى المالقى الشهير بابن قاسم الضير.

حاله: فقيه أستاذ علامة، ناقد مفوه جليل، تعرض له فى درة الحجال وغيره.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو عبد الله المكناسى اليفرانى وغيره من نقاد الأعلام.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون سنة سبع وسبعمائة.

١٨٥ - محمد بن ورياش - بفتح الواو وسكون الراء وفتح الياء مشبعة - قاضيا أبو عبد الله.

حاله: فقيه صالح، معتقد متبرك به، إمام محدث، مطلع متضلع، تولى خطة قضاء بلده الحضرة المكناسية، وكان يدرس الموطأ بها، وكانت طريقته فى التدريس يبدأ بذكر الله تعالى أولاً، ثم يأمر خاصة طلبته فيعرضون عليه الدرس، ثم يتكلم على الكتاب كلاماً حسناً يعتمد على كلام أبي عمر بن عبد البر فى الاستذكار، وأبى الوليد الباجى، ويضيف إليهما شيئاً من تعاليق المحدثين، وكان من عباد الله الصالحين.

قال فى درة الحجال: وكان يروى الحديث بها سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فى غالب ظنى.

١٨٥ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ١٠٧/٢.

١٨٦ - محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الصنهاجى عرف بابن الحداد
المكناسى.

حاله: قدوة الزمان فى أحواله، محدث فاضل، ذكى نبیه، أديب أريب، كان يقرض الشعر، ثم نزع عن ذلك ولزم التصوف فى لباسه وأكله وعبادته، رحل للمشرق لأمر قام عليه فيه الطلبة لخطبة خطبها ببلده مكناسة، قال: أحمد الله الذى خلق الإنسان على صورته، وذكر اسم الله الرحمن الرحيم فى ملاك شريف من شرفائها فكان سبب خروجه، وكان إذا ذكر له شىء من شعره الذى مدح به الملوك فى شبيبته يستغفر الله عند ذلك ويتمثل بقول بعضهم:

ولما رأيت الناس طرا تكالبوا ولم يسمحوا إلا بكذب من الوعد^(١)
ولم يُجد مدحهم^(٢) فتيلًا وزادنى عناء وحار^(٣) القصد عن سنن الرشد
نبذت بهم نبذا وعدت لخالقى وما فوق من قد عاذ بالصمد الفرد
فمن يملك الأشياء لا رب دونه ويرضى بإلحاح السؤال من العبد
فيا خالقى عطفًا على ورحمة تعود^(٤) بها من لا يعيد ولا يبدى

وفاته: قال فى درة الحجال كان حيا فى غالب الظن سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، وكانت وفاته بمكناس وقبره بمسجد الشجرة معروف كما فى الروض الهتون.

١٨٦ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ١٠٨/٢.

(١) درة الحجال ١٠٨/٢.

(٢) فى المطبوع: «ولم يجدهم مدحى» والمثبت رواية درة الحجال.

(٣) فى المطبوع: «وخار» والمثبت من درة الحجال.

(٤) فى المطبوع: «تعود» والمثبت من درة الحجال.

١٨٧ - محمد بن أبي الفضل بن الصباغ الخزرجي المكناسي.

حاله: علامة حافظ مشارك، ناقد مطلع متضلع بصير، نزيه فاضل، مبرز في المنقول والمعقول، عارف بالحديث ورجاله إمام في معرفة كتاب الموطأ وإقراءه، أُملي في مجلس درسه بمكناسة على حديث: أَبِي عُمَيْرٍ، ما فعل النُّغَيْر؟ أربعمئة فائدة، زاد ابن غازي في بعض كتبه كبغية الطلاب؛ في شرح منية الحساب؛ إذ قال فيه: وقد مر بنا أن بعض العلماء استنبط من هذا الحديث ثلاثمئة فائدة، وحدثني بعض من لقيته أن بليدينا أبا عبد الله ابن الصباغ الخزرجي المكناسي تكلم في مجلسه بمكناسة الزيتون على هذا الحديث فأُملي فيه أربعمئة فائدة، أظنه قال: وكان آخر ما قرأ بها أو آخر ما أقرأ بها، فلم ينشب أن استدعاه السلطان أبو الحسن المريني أن يصحبه في وجهته إلى إفريقية فلم يجد عن ذلك مندوحة، فكان أحد من غرق من العلماء ببحر الأندلس جدد الله تعالى عليهم رحمته بمنه ووددنا لو وقفنا على الفوائد مسطورة في كتاب هـ ونقله في نيل الابتهاج.

وقد انتقد على ابن عبد السلام التونسي أربع عشرة مسألة أقر في جميعها بالخطأ وقوفا مع الإنصاف، الذي هو من شيم الأشراف، قال الإمام القوري: لم نزل نسمع من شيخنا ابن جابر حكاية ظريفة وقعت لابن عبد السلام التونسي مع ابن الصباغ، وذلك أن ابن الصباغ اعترض عليه في أربع عشرة مسألة لم ينفصل عن واحدة منها بل أقر فيها بالخطأ إذ ليس ينبغي اتصاف بالكمال، إلا لربي الكبير المتعال^(١)، هـ وكم له من تحارير تبهر العقول.

ذكره أبو عبد الله بن مرزوق الجد في مؤلفه في مناقب أبي الحسن المريني وابن خلدون في كتاب العبر وابن الخطيب السلماني في بعض فهارسه.

١٨٧ - من مصادر ترجمته: التعريف بابن خلدون - ص ٤٦، كفاية المحتاج ٥١/٢، نيل

الابتهاج ٦٤/٢.

(١) نيل الابتهاج ٦٥/٢.

اختاره السلطان أبو الحسن المرينى وكان من كبار جلة العلماء الذين استصحبهم معه فى حركته إلى إفريقية، ولم يزل معه حتى هلك غريقا فى جملة من غرق من الأئمة الأعلام بأساطيل المرينى المذكور على ساحل تونس فى الواقعة الشنيعة التى هى من أعظم الدواهى التى أصيب بها المغرب الأقصى.

غرق فيها نحو أربعمئة عالم من أكابر علماء المغرب الأقصى كالإمام محمد ابن سليمان السطى شارح الحوفى، والأستاذ الزواوى أبى العباس، وكان عدد الأساطيل نحو الستمئة أسطول، لم ينج منها غير السلطان أبى الحسن على لوح، وكانت هذه الواقعة بعد عيد الفطر سنة خمسين وسبعمئة.

قال أبو عبد الله الأبى لدى الكلام على أحاديث العين من صحيح مسلم ما معناه أن رجلا كان بتلك الديار معروفا بإصابة العين، فسأل منه بعض القالين لأبى الحسن أن يصيب أساطيله بالعين، وكانت كثيرة نحو الستمئة، فنظر إليها الرجل العائن فكان غرقها بقدرة الله الذى يفعل ما يشاء، ونجا السلطان بنفسه، وجرت عليه محن.

قال فى الروض وحدثنى بعض الأعيان الأصحاب، أنه بلغه أن الفقيه ابن الصباغ المذكور سمع بمقصورة تلمسان المحروسة ينشد كالمعاتب لنفسه:

يا قلب كيف وقعت فى أشراكهم ولقد عهدتك تحذر الأشركا

أرضى بذل فى هوى وصبابة هذا لعمر الله قد أشقاكا

انتهى من أصله بخط مؤلفه، والذى صدر به فى الجذوة أن المترجم كان ينشد البيتين على لوح من ألواح السفينة والأمواج تلعب به^(١).

مشيخته: أخذ عن فطاحل أعلام مكناسة بلده ومشيخة فاس، وباحث ابن

(١) نقله التنبكتى فى نيل الابتهاج ٦٥/٢.

عبد السلام وابنى الإمام التلمسانيين، وابن هارون، ولقى أبا عبد الله الأبلَى ولازمه، وأخذ عنه العلوم فاستفاد بقية طلبه عليه.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عفيف المكناسى.

شعره: من نظمه قوله جامعا علاقات المجاز:

يا سائلا حصر العلاقات التى	وضع المجاز بها يسوغ ويحمل
خذها مرتبة وكل مقابل	حكم المقابل فيه حقا يحصل
عن ذكر ملزوم يعوض لازم	وكذا بعلمه يعاض معلل
وعن المعمم يستعاض مخصص	وكذاك عن جزء ينوب المكمل
وعن المحل ينوب ما قد حله	والحذف للتخفيف مما يجمل
وعن المضاف إليه ناب مضافه	والضد عن أضداده يستعمل
والشبه فى صفة تبين وصورة	ومن المقيد مطلق قد يبدل
والشئ يسمى باسم ما قد كانه	وكذاك يسمى بالبدال المبدل
وضع المجاور فى مكانة جاره	وبهذه حكم التعاكس يكمل
واجعل مكان الشئ آله وجئنى	بمنكر قصد العموم فيحصل
ومعرف عن مطلق وبه انتهت	ولجلها حكم التداخل يشمل
وبكثرة وبلاغة ولزومه	لحقيقة رجحانه يتحصل

وقد وضع الشيخ المنجور السابق الترجمة شرحا لطيفا على هذه الأبيات بطلب من بعضهم لذلك.

ومن شعره قوله على ما أفادنيه بعض الأعلام من الأصحاب بأنه وقف عليه منسوباً له فى بعض الكنائش الموثوق بصحة ما فيها:

تنعم بذكر الهاشمى محمد
 أيا شاديا يشدو بأمداح أحمد
 فكرر رعاك الله ذكر محمد
 وطاب نعيم العيش واتصل المنى
 إلى أن قال:

وقوفا على الإقدام فى حق سيد
 له جمع الله المعانى بأسرها
 فكل له عرس بذكر حبيب
 وهى طويلة انتهى من إملائه على.

مؤلفاته: وجدت فى بعض التقايد المظنون بها الصحة أن له شرحا عجيبا على الجرومية.

وفاته: توفى شهيدا كما تقدم بعد عيد الفطر عام خمسين وسبعمائة.

١٨٨ - محمد بن أحمد بن أبى عفيف المكناسى.

حاله: فقيه نبيه عدل رضى، فاضل نبيل خير له جملة حسنة من أصول الفقه أشفى بها على كثير من نظرائه قراءة منه إياها على أبى محمد بن أبى الفضل ابن الصباغ، وشاركه فى قراءتها على شيخهما الأبلى، وتصدر لقراءة كتاب الشفا النبوى، وهو من جملة الأعلام الذين لقيهم لسان الدين بن الخطيب بمكناسة الزيتون، قال ابن غازى فى روضه: وهو - يعنى المترجم - جدى أبو أم أمى رحمهم الله تعالى هـ من خطه.

مشيخته: أخذ عن أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل بن الصباغ، وعن الإمام الأبلق وغيرهما.

وفاته: لم أقف على من تعرض لها بيد أنه كان بقيد الحياة عام واحد وسبعين وسبعمئة، وهو عام اجتماعه بابن الخطيب بمكناسة.

١٨٩- محمد بن الشيخ الشريف أبي حامد أحمد بن إبراهيم الحسنى المكناسى.

حاله: شريف جليل، حبيب أصيل، فاضل نبيل، فقيه معظم موقر، عدل مبرز، كامل متقن، محرر متبحر.

مشيخته: أخذ عن الخطيب ابن رشيد والمقرئ أبي الحسن على بن سليمان وأجاز له، وعن الخطيب أبي محمد يحيى بن أبي عبد الله بن رشيد.

الآخذون عنه: منهم مسند فاس أبو زكرياء السراج، قال فى فهرسته: قرأت عليه وسمعت وأجاز لى، إجازة عامة، وأرخ سماعه عليه عام سبعين وسبعمئة.

وفاته: توفى ببلده مكناسة الزيتون، وغالب الظن أن وفاته كانت أواخر القرن الثامن.

١٩٠- محمد بن موسى بن محمد بن معطى العبدوسى - بفتح العين وسكون الباء وضم الدال.

حاله: فقيه مدرس، عالم زكى، صالح خير ورع، وهو والد الإمامين عبد الله وموسى، وأخو أبي القاسم، وستأتى تراجم هؤلاء بحول الله، وبيت العبادسة بيت كبير شهير من بيوت العلم بمكناسة، رأس العلم فى دورهم دهرا طويلا من المائة السابعة إلى المائة التاسعة، وآخر علمائهم أم هانئ بنت أبي محمد كان العلم حتى فى نسائهم، وقد كان المترجم حيا بعد التسعين وسبعمئة.

١٩٠ - من مصادر ترجمته: كفاية المحتاج ١١٨/٢.

١٩١ - محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني أصلاً المكناسي المقام والوفاء.

حاله: علامة ورع ناسك زاهد منقطع للعبادة، يأوى إلى المساجد الخالية ويعمرها بتلاوة القرآن العظيم، حسن المنظر، نظيف الثياب، وهو أول من أدخل مختصر خليل لهذه البلاد عام خمسة وثمانمائة، انتقل من تلمسان إلى فاس، وكان يدرس ألفية ابن مالك بالمدرسة المتكولية، ويقيم أوده بالجامكية المترتبة عليها، ثم عرضت عليه رئاسة التدريس للفقهاء بمدرسة العطارين، وكان يسكن بيت على بابها يشرف على السوق.

فاستخار الله تعالى فرأى في المنام عجوزاً شمطاء سقت له في عمارة بأنواع الملاحى، فعلم أنها الدنيا فلم يقبلها، وكان يقول سبب ارتحالي لفاس في طلب الفقه مسألتان سئلتنا عنهما فلم يحضرننا جواب مع شهرتهما، مسألة المكث من النذور وهى فى كتاب الأيمان والنذور من المدونة، ومسألة من اشترى جارية فشرط أنها ثيب فألفاها بكراً، ما حضر أصحابنا فيها شىء غير أنهم قالوا هذا كمن تلف له قب ووجد حماما، وهى منصوصة فى نوازل ابن سهل، أنه إن شرط ذلك لغرض كما إذا كان شيخاً كبيراً لا يطيق الاقتراع، أو كان حلف أن لا يطاء بكراً وأن لا يملكها فله ردها وإلا فلا.

قال ابن غازى: حدثنى شيخنا أبو زيد القرمونى وكان ارتحل إليه من فاس والى رفيقه عبد الله بن حمد فخدمهما تسعة أعوام، وأن سبب انتقاله من تلمسان أنه كان من نجباء طلبتها وكان شاباً حسن الصورة مليح الشارة، فمرت به امرأة جميلة فجعل ينظر لمحاسنها من طرف خفى، فقالت: اتق الله يا ابن الفتوح يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، فانتفع بكلامها، فزهد فى الدنيا فخرج من وطنه ولحق بفاس هـ.

وكان يضيق ذرعه من مخالطة من لا يحفظ لسانه عن الغيبة وغيرها من كلام الهجر، ويتمنى أن لو وجد رفقاء يعينونه على الخير، فدلّه بعض الناصحين على الشيخ الصالح أبى محمد عبد الله بن حمد وأصحابه، فارتحل إليه بمدينة مكناسة فظفر ببغيته، وصار كما قيل وافق شن طبقة، وافقه فاعتنقه.

وقرأ البخارى بمكناسة عند خزانة الكتب من مسجدها الأعظم، وكان بينه وبين شيخ الجماعة أبى محمد عبد الله العبدوسى ودّ وإخاء، وكل منهما يفيد صاحبه.

قال ابن غازى: حدثنى شيخنا القورى أنه - يعنى المترجم - مرضت إحدى يديه فلم يتمكن له مسح أذنيه إلا باليد الصحيحة، فمسح اليمنى وأراد مسح اليسرى فأشكل عليه الأمر فى استئناف الماء، ولم يذكر فيه نصا وجدد فكتب لصاحبه العبدوسى يخبره بما فعل، وهل عنده فيها نص فأجابه لا أذكر فيها نصا، ولو نزل بى مثله لفعلت فعلك.

مشيخته: أخذ عن فحول علماء بلده تلمسان، وعن شيخ الجماعة بفاس أبى موسى عيسى بن علال المصمودى، وعن الولى الصالح المتبرك به حيا وميتا عبد الله بن محمد بمكناس.

الآخذون عنه: منهم العلامة أبو زيد القرمونى وجماعة.

مؤلفاته: منها الوثائق المجموعة فى جزئين.

وفاته: توفى مطعونا عام ثمانية عشر وثمانمائة طعن وهو يقرأ البخارى بالمسجد الأعظم، فحمل لبيته فى المدرسة فلحق عند الموت، فقال لمن لقنه: الشغل بالذكر عن المذكور غفلة.

١٩٢ - محمد أبو عبد الله بن سعيد بن محمد المكلاقي الكناسي .

حاله : علامة جليل ، ولى قضاء مكناسة الزيتون ، قال فى الروض الهتون :
فقد كان شيخنا الفقيه الحافظ أبو عبد الله القورى يحكى أن السلطان أبا عنان
استقدمه - يعنى المترجم - من مكناسة فقدم عليه ومعه أتباعه وأعوانه ، فلما بلغ
باب المشور بالبلد الجديد تركهم مع بغلته ودخل على السلطان فعزله عن خطة
القضاء بسبب عدم مبالاته به فى تنفيذ الحق ، فخرج فوجدهم فروا عن بغلته ، ثم
بدا للسلطان لوقته فاسترجعه واستعطفه وأعادته لخبطته ، فلما خرج وجدهم دائرين
بالغلة وهو شأن الناس كما قيل :

الناس أعوان من واثته دولته وهم عليه إذا خانته أعوان

هـ من خطه .

١٩٣ - محمد الكناسي .

حاله : وقفت على تحليله بالشيخ الفقيه العدل الفاضل المعلم الفرائضى عند
الإمام ابن جابر الغسانى الكناسي فى شرحه على المنظومة التلمسانية ، وصرح بأنه
مكناسي ، وذكر أنه أثنى له كثيرا على كتاب الإيضاح لابن ثابت فى الفرائض ،
ولم أقف له لا على مشيخة ولا ولادة لإبهام اسم أبيه ونسبته ، فيحتمل أنه عن
ترجمناهم ، إلا أن الإبهام لم يعرفنا بحقيقته ، ويحتمل أنه لم يذكر ، وقد ذكرناه
زيادة فى الفائدة والله أعلم .

١٩٤ - محمد بن أبي غالب بن أحمد بن علي بن أحمد الكناسي نسبة

للقبيلة ثم العياضي عرف بابن السكاك من أبناء أبي العافية .

١٩٤ - من مصادر ترجمته : جذوة الاقتباس ١/ ٢٣٨ ، درة الحجال ٢/ ٢٨٤ ، شجرة النور
الزكية ٢/ ٧٦ ، كفاية المحتاج ٢/ ١٢٠ ، لقط الفرائد فى موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٧٣٣ ،
نيل الابتهاج ٢/ ١٥٠ ، وفيات الونشريسي فى موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٧٣٢ .

حاله: إمام أصولي، بياني مفسر، محرر متبحر، تحرير نقاد، خطيب مفت، مؤرخ نسابة، ورع زاهد صالح، من أهل الفضل والعلم والدين.

تولى قضاء الجماعة بفاس فحمدت سيرته، وقد تبرأ من فعل جدهم موسى وشنع عليه في سوء فعله، ولم يرض ذلك، تعرض لذكره الونشريسي في وفياته وغيره.

وحكى صاحب نيل الابتهاج عن صاحبه المؤرخ محمد بن يعقوب الأديب أن المترجم بات عند شيخه الشريف التلمساني ليلة مع أبي زيد بن خلدون، فولد للشريف التلمساني تلك الليلة ولد فسماه عبد الرحمن باسم ابن خلدون، وكناه أبا يحيى كنية ابن السكاك تبركا بهما، فخرج الولد عالماً جليلاً وهو أبو يحيى الشريف.

مشيخته: منهم أبو عبد الله الأبلق، والشريف التلمساني، والعبدري، وابن العباد، وكان يقول فيه شيخي وبركتي وغيرهم.

الآخذون عنه: منهم صاحب الكوكب الوقاد، والقاضي ابن علال المصمودي، ويعقوب الحلفاوي وغيرهم من الأعلام.

مؤلفاته: له شرح على الشفا للقاضي عياض أجاد فيه ما شاء وأفاد، ونصح ملوك الإسلام، بالتعريف بما عليهم من حقوق أهل البيت عليهم السلام، وتأليف في الأدعية وهو في مجلد وسط، قال شيخنا ابن جعفر في سلوته: وقفت له على تأليف آخر في نصح ملوك الإسلام أكبر من النصح المشهور، وفيه زيادات عليه وفوائد جمّة، وفي آخره التنبيه على أنه النصح الأوسط.

وفاته: توفي بفاس العشاء الأخيرة من ليلة الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول سنة ثمان عشر وثمانمائة.

وكان الحال عليه سهلاً طلق اللسان يقرأ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخر السورة، وورد أبي الحسن الشاذلي وهو سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم لا إله إلا الله إلخ، يكرر جميع ذلك، وأوصى أن تدفن أسماء أهل بدر معه، وكان كتبها بخط يده، وصلى عليه تلميذه أبو يوسف يعقوب الحلفاوي، وأدخله قبره وألحده ودفن كما ذكر غيره واحد بروضتهم التي بكدية البراطيل داخل باب الفتوح مع شيخه ابن عباد قريباً منه.

ترجمه في الجذوة، والدرة، والكفاية، والنيل، والسلوة، وغير ذلك.

١٩٥ - محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليفرنى الشهير بالكناسى الفاسى
يكنى أبا عبد الله.

حاله: فقيه فرضى مؤلف.

ولادته: ولد سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.

وفاته: توفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة، كذا ترجمه في الجذوة.

١٩٦ - محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن جابر الغسانى المكناسى الدار
كذا هو بفهرسة ابن غازى، وبآخر ورقة من شرح المؤلف على
التلمسانية، وما يوجد من زيادة محمد بن جده وجد أبيه يحيى لا
يصح، شيخ شيوخ ابن غازى.

حاله: فقيه عالم ناظم ناثر شاعر مجيد محسن، حافظ لافظ، ثبت ذكى،
واعية متقن، متضلع نقاد، أستاذ مقرئ، تحرير نظار، حجة بارع مطلع، مدرس
نفاع، راوية ذو دين متين، واطلاع كبير، ورسوخ وتضلع زائد، واقتدار وإمامة
كاملة فى المعقول والمنقول، وعارضة عريضة، ونبل وذكاء ودهاء، وفضل زائد.

١٩٥ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ٢٣٩/١.

١٩٦ - من صادر ترجمته: جذوة الاقتباس ٣١٧/١.

قال ابن غازى فى حق المترجم: ما نصه شيخ شيوخنا الأستاذ المقرئ الشاعر
المجيد المحسن ذو التصنيف الحسان والقصائد العجيبة.

مشيخته: أخذ عن الشيخ الحاج المجاور الحافظ الواعظ الفقيه أبى عبد الله
محمد بن على الذكوانى الأندلسى، والشيخ ابن قاسم بن داود السلوى، والشيخ
الإمام محمد بن على المراكشى المعروف بابن عليوات، والشيخ الفقيه العلم رافع
راية الشعر والأدب فى عصره القدوة الأجمل، المتفنن الأكمل، كاتب الخلافة
العلية، المخصوص لديها بالمزايا السنية، محل الوالد المعظم أبو العباس أحمد بن
يحيى بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان، والشيخ الفقيه الأعدل أبو
محمد عبد الله بن الحسن اللخمى المعروف بابن الأصفر، والشيخ الفقيه العددي
الفرضى أبى الحسن على بن يوسف التلاجدوتى، والشيخ الفقيه الأعدل الحاج
الصالح أبى عبد الله محمد بن أبى إدريس وغيرهم. رأيت هؤلاء الشيوخ بحلاهم
فى مواضع متفرقة، من شرحه على التلمسانية فى الفرائض.

الآخذون عنه: منهم الحافظ القورى، وولده أبو عبد الله الآتى الترجمة،
وعبد الرحمن بن محمد العبدوسى، روى عنه المصافحة تمام مسلسلات الشيخ
صالح الرضوى البخارى وغيرهم.

مؤلفاته: منها نظم المراقبة العليا، فى تعبير الرؤيا، قال فى أولها:

يقول راجى فضل ذى الإحسان	محمد بن جابر الغسانى
الحمد لله الذى قد ألهمنا	من شاء علم غيبه وأفهما
وأوجد الأشياء بعد العدم	وعلم الإنسان ما لم يعلم
ثم صلاة الله والسلام	على الذى انجلى به الظلام
نبينا محمد خير الورى	من جاءنا مبشرا ومنذرا
يخبرنا عن ربنا سبحانه	بعلم ما لم نستطع عيابه

صلى عليه الله ما لذ منام
 وآله الذين هم أكرم آل
 وبعد فاعلم أن علم الرؤيا
 لأنه جزء من النبوة
 روى أبو هريرة عن النبي
 حديث صدق جاء فى كلامه
 وأنه جزء صحيح يراء
 وفيه حكمة لمن يفهمها
 وذاك أن مدة الوحي التى
 كانت ثلاثا قل وعشرين سنة
 ستة أشهر وبعدها نزل
 فإن نسبت مدة الأيام
 من مدة الوحي الذى حسبت
 قال الإمام الحافظ ابن العربى
 كان بأنواع العلوم عالما
 انظر ترى كيف أتى بالنسبة
 قال ابن جابر وبالحق يقول
 وسرحت فى الغيب أرواح الأنام
 وصحبه الأعلام سادة الرجال
 علم يريك خافيات الأشياء
 كما أتى عن سيد البرية
 خير الأنام الطاهر المنتخب
 فيما يرى النائم فى منامه
 من ستة وأربعين جزءا
 فهاكها منى كما أعلمها
 أوحى فيها لنبي الرحمة
 أولها وحي المرائى البينة
 جبريل بالذكر الذى قد استقل
 وذاك بالتحقيق نصف عام
 وجدت جزءك الذى نسبت
 هذا حديث دلنا أن النبي
 وبحقائق الأمور قائما
 والجزء من علم الحساب المثبت
 نعم الذى قال الإمام فى الرسول

ومنها نزهة الناظر رجز بديع فى التعريف ببلده مكناسة الزيتون، وتأليف فى
 رسم القرآن، وتسميط البردة للبوصيرى، ونظم رجال الحلية، ومنها شرحه الحفيل

على منظومة التلمساني في الفرائض ملأه فرائد ودررا مما يستحسن إيراده ويستطاب ذكره .

فمن ذلك ما نسبته إلى الحلية في ترجمة الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه تزوج امرأة ذات جسدين في صورة واحدة بوجهين وصدرين وأربعة أيدي وبطنين ورجلين اثنين وفرج واحد، ومنها ما رآه بمكناسة قال: شاهدت بها بنتين بوجهين وأربعة أرجل وفرجين اثنين في جسد واحد افترقت فيه من أسفل البطن ومن عند الصدر، والبنتان المذكورتان ميتتان وكان ذلك بقرب ولادتهما لصعوبة وضعهما وذلك في عام واحد وثمانمائة.

شعره: من ذلك قوله:

لا تنكرن الحسن من مكناسة فالحسن لم يبرح بها معروفاً
ولئن محت أيدي الزمان رسومها فلربما أبقت هناك حروفاً
وقوله في مطلع قصيدة:

يا بديعاً فاق البديع بنظم في عروض من الخفيف ووزن
وقوله مخمساً لبنتي ابن الخطيب^(١):

يا سائراً لضريح خير العالم ينهى إليه مقال صب هائم
بالله ناد وقل مقالة عالم:

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاق
بشاك قد شهدت ملائكة السما والله قد صلى عليك وسلما
يا مجتبي ومعظما ومكرما

(١) جذوة الاقتباس ٣١٧/١.

أيروم مخلوق ثناك بعد ما
وقوله:

على قدر نية أهل التو (م)
فإن صحح العبد إيقانه
وقوله:

إذا كان ظنى برى جميلا
أتنى لطائفه بالذى
وقوله:

نظرت إلى الوجود بعين قلبى
فكن بالله وارج الله واعمل
وقوله:

قل للحريص تفكر
أكنت أعددت رزقا
وعند خلقك لما
هل قمت تنشى ثديا
حتى فطمت فأضحى
والأم تجهد معه
فحين صرت قويا
خفت الضياع فأضحت
هذا لعمرى سفاه

أثنى على أخلاقك الخلاق

كل يعطيهم الله منه المعونة
كفاه المهيمن هو المئونة

ولم أتخذ غيره لى وكىلا
رجوت وكان بأمرى كفىلا

فلم أر فيه غير الله وحده
للقيا الله تأمن كل شدة

إذا كنت فى بطن أمك
يقيم نشأة جسمك
أصبحت أضعف قومك
يدر رزقا برسمك
أبوك يسعى لطعمك
فيك إلى وقت حلمك
أخا احتيال بزعمك
دنياك أكبر همك
قضى به سوء فهمك

وقوله :

تالله بعد أحبائي الذين مضوا وخلفوني رهين الشوق والشجن^(١)
ما أبصرت مقلتي من بعدهم حسنا ولا نظرت إلى شيء فأعجبني
وقوله وقد كتبه على زاوية الحجاج ببلده مكناسة :

هذا مقام الزائرين لأحمد من جاء بالقرآن والآيات^(٢)
يا ليتني أسعى إلى خير الوري وأقبل الآثار والجدرات
يارب جاز القائمين بحقه بتوابع الإحسان والحسنات
واغفر له ولن أراد بناءه والسامعين وناظم الأبيات
وقوله :

أيا من أراد التخلص من دناءه لخوف إذاياتها^(٣)
إذا شئت تسلم من شرها فسلم لما في حويجاتها
وفاته : توفي بمكناسة بلده سنة سبع وعشرين وثمانمائة وإلى وفاته أشار
صاحب نظم الإعلام، بوفيات الإعلام، بقوله :

محمد بن جابر في (أو كتت) وفاته القلوب مزنا أو كتت
الألف من أو كتت بواحد، والواو بستة، والكاف عشرون، والتاء أربعمائة
وكذا التي بعدها.

(١) جذوة الاقتباس ٣١٨/١.

(٢) جذوة الاقتباس ٣١٨/١.

(٣) جذوة الاقتباس ٣١٨/١.

١٩٧ - محمد بن أحمد بن أبي يحيى التلمساني شهر بالحباك.

حاله: فقيه عالم عدل رضى جليل صالح فرضى عددى، له معرفة بعلم الارتفاع بالأسطرلاب كاملة.

الآخذون عنه: أخذ عنه الإمام السنوسى كثيرا من علم الأسطرلاب، وكذا الملالي وغيرهما.

مؤلفاته: منها شرحه على تلخيص ابن البناء، ورجز التلمساني، ونظم رسالة الصفر فى الأسطرلاب.

وفاته: توفى سنة سبع وستين وثمانمائة كما فى وفيات النشريسي.

١٩٨ - محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد القورى اللخمي نسباً المكناسي مولدا ودارا ومسكنا، الأندلسي أصلا الفاسي نقلة وقرارا.

شهر بالقورى - بفتح القاف وسكون الواو ثم راء - نسبة لبلدة قريبة من إشبيلية.

حاله: كان حامل راية النص والقياس، ولواء المعاريف بين فطاحلة العلم وخصوصا بفاس ومكناس، له الشأو البعيد فى النزاهة وإخلاص العمل، إمام علامة مفت محقق، فقيه نزيه بركة، معظم مفيد، صدر جامع أوحد، مشار إليه فى سماء تحقيق العلوم العقلية والنقلية، رفيع القدر والشان، لم يختلف فى فضله

١٩٧ - من مصادر ترجمته: لقط الفرائد فى الموسوعة ٧٧٢/٢، وفيات النشريسي فى الموسوعة ٧٧٢/٢.

١٩٨ - من مصادر ترجمته: توشيح الديباج - ص ٢٠٢، درة الحجال ٢/٢٩٥، الضوء اللامع ٨/ ٢٨٠، كفاية المحتاج ١٨٩/٢، لقط الفرائد فى الموسوعة ٧٧٩/٢، نيل الابتهاج ٢/ ٢٣٣، وفيات النشريسي فى الموسوعة ٧٧٩/٢.

وسعة علمه اثنان، تاج الأئمة الحفاظ، ممن تكل عن ذكر أوصافه العلمية الألفاظ، سيف أقطع، وبدر أسطع، قدوة وأس العلماء والناس، فقيه مكناس وفاس ومفتيهما مبرز فى تحقيق العلوم، منطوقها والمفهوم، آية فى نوازل الفقه وقضايا التواريخ، مجلسه كثير الفوائد مليح الحكايات له قوة عارضة، ومزيد ذكاء مع نزاهة وديانة، وحفظ مروءة.

كان يدرس المدونة وينقل عليها كلام المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء والموثقين ويطرز ذلك بذكر موالدهم ووفياتهم وحكاياتهم وضبط أسمائهم، والبحث فى الأحاديث المستدل بها فى نصر آرائهم، مجلسه نزهة للسامعين، وآية إعجاز للمعتبرين، وكان لا يتنفس إلا بالفوائد، وكان لسانه رطبا بلا إله إلا الله، تسمع جارية على لسانه أثناء حديثه.

مشيخته: أخذ عن أبى موسى عمران الجاناتى راوية أبى عمران العبدوسى وعليه اعتمد فى قراءة المدونة، وأبى الحسن على بن يوسف التلاجدوتى أخذ عنه العربية والحساب والعروض والفرائض، وابن جابر الغسانى أخذ عنه القراءات السبع، وأبى عبد الله عزوز أخذ عنه الحديث والتاريخ والسير والطب، والشيخ ابن غياث السلوى علم الطب وكان مجيدا فيه، وأبى القاسم التازغدرى، وأبى محمد العبدوسى باحثه كثيرا واستفاد منه مشافهة ومكاتبة، وهو الذى أجلسه للتدريس بفاس، كما أجلسه للتدريس بمكناس ولى الله تعالى عبد الله بن حمد.

الآخذون عنه: منهم إبراهيم بن هلال، وأحمد زروق، وعبد الله الزمورى شارح الشفا، وأبو الحسن الزقاق، والقاضى المكناسى، والمفتى أبو مهدى الماوسى، والإمام ابن غازى، والحافظ الونشريسى مؤلف المعيار وغيرهم.

مؤلفاته: ذكر أبو الحسن المنوفى شارح الرسالة فى شرح خطبة المختصر أن القورى شرحه فى ثمان مجلدات انتهى لكن قال فى نيل الابتهاج لم أره لغيره ولا ذكر له ألبتة عند أهل فاس والله أعلم.

فائدة: قال الشيخ ابن غازى حدثنى صاحب الترجمة عن شيخه أبى عبد الله بن عبد العزيز أنه قال: سمعت العالم المحدث الحافظ الربانى البلالى بمصر، يقول: حديث الباذنجان لما أكل له، أمتن إسنادا من حديث ماء زمزم لما شرب له، قال شيخنا القورى: وهذا عكس المعروف هـ.

قلت: ولعل النقل انقلب على ناقله سهواً، وإلا فالذى نقل البلالى المذكور فى مختصر الإحياء خلافه، بل صرح بأن حديث الباذنجان موضوع وضعته الزنادقة، وأن حديث ماء زمزم صحيح، وقد استوفيت كلامه وكلام غيره فى تقييدى على المختصر فى كتاب الحج والله أعلم هـ.

ولادته: ولد بمكناسة الزيتون أول القرن التاسع حسبما أفصح بذلك تلميذه ابن غازى، وقال غيره ولد سنة أربع وثمانمائة.

وفاته: توفى بفاس آخر القعدة على ما ذكره تلميذه أحمد زروق عام اثنين وسبعين وثمانمائة ودفن بباب الحمراء وترجمه أبو عبد الله ابن غازى، وأبو العباس الونشريسى فى فهرستيهما، وصاحب الجذوة، والدرّة، وكفاية المحتاج، ونيل الابتهاج، وتوشيح الديباج، وسلوة الأنفاس وغيرهم.

١٩٩ - محمد القطرانى أبو عبد الله.

حاله: كان حافظاً جليلاً، دراكه نبيلاً، يستظهر كتاب ابن يونس أو اللخمى شك أبو عبد الله القورى، ولم أقف على من ترجمه غير ما ذكره به صاحب الروض.

١٩٩ - من مصادر ترجمته: الروض الهتون - ص ١٠١.

٢٠٠ - محمد بن أبي البركات الحسنى الحاج المجاور.

حاله: علامة شاعر مجيد، قال ابن غازي: رأيت له نظماً بليغاً في علاقات المجاز.

٢٠١ - محمد بن سعيد الحباك القيجميسى المكناسي أخو أحمد بن سعيد المتقدم الترجمة.

حاله: فقيه صالح زاهد ناسك ورع رباني مربى، قال ابن غازي: كان والله أعلم في مقام الحلال، لأن الغالب عليه القبض، وكان معاصره أبو محمد بن حمد في مقام الجمال، لأن الغالب عليه البسط هو وهو من القرن التاسع. الآخذون عنه: منهم أخوه أبو العباس المتقدم الذكر.

٢٠٢ - محمد بن عيسى بن عبد الله بن حرزوز، ابن منصور المكناسي. حاله: علامة مشارك نقاد.

مؤلفاته: منها اختصاره لصحيح الإمام البخاري المعنون بالكوكب الساري، حذف فيه الأسانيد والمكرر فجاء في مجلد وسط، وهو بمكتبتنا.

٢٠٣ - محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج عزوز الصنهاجي المكناسي.

حاله: فقيه متفنن ذكي حجة، رحالة حاج، مجود للقرآن، حافظ للحديث والتاريخ، نابغة في الطب، جيد القريحة في الشعر، رحل إلى المشرق واستفاد من أعلامه، ورجع لبلده مكناسة، وأفاد بها، ثم رحل ثانية فمات هناك.

قال ابن غازي: حدثني عنه شيخنا القوري أنه نزل ببعض المشاركة فقدم له طعاماً عندهم يقال له البازين، فلم يصب منه كبير شيء، فقال له مالك لا تأكل؟ فقال: إنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه كما قال النبي ﷺ، فعلم أنه من أهل الحديث فبالغ في إكرامه هو.

مشيخته: أخذ عن الأستاذ ابن جابر تجويد القرآن والحديث والتاريخ والطب، وعن ابن مرزوق الحفيد، وعن جماعة من أعلام المغرب والمشرق.

الأخذون عنه: منهم الإمام القورى وانتفع به كثيرا، ومنهم زوجه - أى المترجم - رحمة بنت الجنان وجماعة.

شعره: من ذلك معاتبا شيخه ابن جابر وقد خرج بتلامذته لينزههم بعريضة كانت له بواد أبى العمائر وأغفل تلميذة المترجم لم يدعه فيهم:

ليت شعرى وذاك ليس بمغنى	ما يرد الفوات حرف تمنى
أى ذنب قرفته ياعمادى	فحرمنا من قربكم قرب عدن
ومنحنا الإعراض إذ عرض لنا	س فأعظم بذلك الذنب منى
وهب الذنب فيه يعظم هلا	منكم كان حسن عفو وظن

وقوله من قصيدة راثيا ومعرضا بطبيب طب صديقا له من أبناء أبى العافية بالكى بالمحور فمات، وكان اسم الطبيب ابن سالم:

ولقد كوى قلبى فراقك كية كادت تكون كما كواك المحور
لم يذكر فى الروض ولا فى درة الحجال منها غير هذا البيت.

٢٠٤ - محمد بن على بن أبى رمانة المكناسى قاضيا أبو عبد الله.

حاله: شيخ فقيه خير فاضل، من أهل الحياء والحشمة، وذوى السذاجة والعفة، تولى القضاء بمكناسة الزيتون وهو من جملة الأعلام الذين لقيهم ابن الخطيب بها، ووقعت بينهما مداعبة، وله فى المعيار أسئلة ومشاورات فيما ينزل بين يديه من النوازل تنبئ عن كامل معرفة وغزير اطلاع.

٢٠٥ - محمد بن عبد الله بن محمد.

على ما صوبه في السلوة، وهو الذي لابن القاضي في الجذوة والدرة ولقط الفرائد وغيره وهو اليُفَرْنِي المكناسي الشهير بالقاضي المكناسي.

حاله: فقيه فرضي عددي، ذو سياسة وعدل في أحكامه، فاضل نزيه نبيل، من بيت علم، ومن ذرية أبي الحسن الطنجي، ولي قضاء فاس سنة خمس وثمانين وثمانمائة وبقي عليه إلى أن توفي بضعا وثلاثين سنة، وكان يقول: من طلب مني خطة الشهادة فكأنما خطب مني ابتنى إذ كان يعز الشهادة ويضن بها، ولما زوج أبو العباس الونشريسي ولده السيد عبد الواحد قال القاضي المذكور هديتي لعرضه هو إطلاق يده على الشهادة لأهليته.

مشيخته: أخذ عن أبي عبد الله القوريّ، والقاضي محمد بن عيسى بن علال المصمودي، وغيرهما من أوعية العلم النقاد.

الآخذون عنه: منهم أبو العباس الونشريسي صاحب المعيار كان يحضر مجلسه بعد قدومه لفاس، وولده عبد الواحد الونشريسي، وعلى بن هارون المطغري وخلقى.

مؤلفاته: منها كتاب التنبيه والإعلام، ومجالس القضاة والحكام، في الأحكام متداولة بين أيدي الطلبة في سفر وسط، والتنبيه والإعلام، فيما أفاته المفتون وحكم به القضاة من الأوهام.

ولادته: ولد سنة تسع وثلاثين وثمانمائة.

وفاته: توفي قاضيا بفاس سنة سبع عشرة وتسعمائة. هـ.

٢٠٥ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/٢٤٤، درة الحجال ٢/١٤٦، لقط الفرائد في الموسوعة ٢/٨٢٧.